



T.C
BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

ESKİ ARAP ŞİİRİNDE DESPOTİZM KAVRAM VE
ÇEŞİTLERİ

HAZIRLAYAN
YASSIN JAMOUL

DOKTORA TEZİ

DANIŞMAN
Doç.Dr. MUSTAFA AGÂH

Bingöl-2019

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
ARAP DİLİ VE BELAGATI BİLİM DALI

ESKİ ARAP ŞİİRİNDE DESPOTİZM KAVRAM VE
ÇEŞİTLERİ

HAZIRLAYAN
YASSIN JAMOUL

DOKTORA TEZİ

DANIŞMAN
Doç.Dr. MUSTAFA AGÂH

Bingöl-2019



الجمهورية التركية
جامعة بينغول
معهد العلوم الاجتماعية
قسم اللغة العربية

الاستبداد وأنواعه في الشعر العربي القديم

رسالة دكتوراه

إعداد

الطالب: ياسين جمول

بإشراف

الأستاذ الدكتور: مصطفى آغا

بينغول - ٢٠١٩

فهرس المحتويات

I BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ
II المقدمة:
V Özet
IIIVAbstract
IX الملخص باللغة العربية:
XI المختصرات:
١ المدخل: الاستبداد تاريخ وتأصيل
٣ تمهيد:
٤ الاستبداد لغة:
٩ الاستبداد اصطلاحاً:
١٨ الاستبداد في الدراسات المعاصرة:
٢٢ تحرير مصطلح الاستبداد:
٢٥ أنواع الاستبداد:
٣٠ الاستبداد بين العرب والأمم الأخرى:
٣٢ أسباب الاستبداد:
٣٥ خلاصة الفصل:
٣٦ الفصل الأول: الاستبداد السياسي:
٣٨ تمهيد عن الحياة السياسية في الجاهلية:
٤٣ تعريف الاستبداد السياسي:
٤٣ مظهره:
٨٥ خلاصة الفصل:
٨٧ الفصل الثاني: الاستبداد الديني والفكري:
٨٩ تمهيد عن الحياة الدينية والفكرية في الجاهلية:
٩٣ تعريف الاستبداد الديني والفكري:
 مظهره:

١٣١ خلاصة الفصل:
١٣٢ الفصل الثالث: الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي:
١٣٥ تمهيد عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجاهلية:
١٤٢ تعريف الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي:
	مظاهره:
١٩٩ خلاصة الفصل:
٢٠٠ خاتمة: الخلاصة والتوصيات:
	الفهارس:
٢٠٥ فهرس الآيات القرآنية:
٢٠٦ فهرس القوافي:
٢١٢ فهرس الشعراء والأعلام:
٢١٩ فهرس أيام العرب:
٢٢٠ فهرس الأماكن والمواضع:
٢٢٢ فهرس المصادر والمراجع:
٢٣٧ فهرس الاستبداد:

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

Doktora tezi olarak hazırladığım “ ESKİ ARAP ŞİİRİNDE DESPOTİZM KAVRAM VE ÇEŞİTLERİ ” adlı çalışmanın öneri aşamasından sonuçlanmasına kadar geçen süreçte bilimsel etipe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığım bu çalışmada doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerim kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu beyan ederim.

/ /2019

İmza

YASSIN JAMOUL

المقدمة

ليس خافياً ما يَضْرِبُ تاريخَ الأُمَّة من آفات، تَلطخ بالسَّواد تاريخَها وإن كثر فيه البياض ونصع، ولا تخلو أُمَّة من ذلك.

ولعل آفة ما تضرب الأمم كلها في مسيرتها، كالاستبداد، فالاستبداد مما يصحّ أن يُسمّى ظاهرة؛ فقد عرفته مختلفُ الحضارات عبر مختلف العصور، وإن زعمَ أرسطو وغيره أن الاستبداد شرقي!

ونحن في حَرَم الأدب، ونؤمن أن الأدب مرآة المجتمع، وأقدم العصور الأدبية العربية هو العصر الجاهلي، وأصحّ ما وصلنا منه هو الأدب، وأكثره من الثَّعْر، والشعر ديوان العرب كما قيل قديماً؛ فأصحّ وثيقة عن الجاهلية العربية هو الشعر الجاهلي الصحيح.

وحيث إن الاستبداد قديم، وإن أقدم عصورنا الأدبية هو العصر الجاهلي، وإن ظاهرة ممتدة عبر قرون أز هقت بسببها ملايين الأرواح وجرت بها أنهار من الدماء البريئة لا يمكن النظر الجزئي فيها، بل تُؤخذ عبر مراحلها التاريخية مع النظر الدقيق في كلّ منها لمعرفة الأسباب الكامنة وراءها وطرائق معالجتها؛ لهذا كله كانت هذه الدراسة بعنوان: الاستبداد وأنواعه في الشعر العربي القديم.

فبدأت الدراسة بقراءةٍ طويلةٍ في دواوين الشعر العربي القديم ومظانّ الأدب، بحثاً عن الشواهد الشعرية النازفة بشيء عن الاستبداد؛ سواءً منها ما كان صوتَ جَلادٍ أو صوتَ ضحية، ولما اجتمعت الشواهد الصحيحة المحققة صنّفْتُها حسب موضوعاتها في الاستبداد، فاستوت أنواع الاستبداد التي عرفها العرب الجاهليون.

وقد كان الاستبداد موضع دراسةٍ من العديد من الدارسين المعاصرين، لكنها كانت دراساتٍ فكريةً فلسفيةً أو سياسيةً؛ وإنّ عَدَمنا دراسةً سابقةً عن الاستبداد في الشعر العربي القديم على نحو ما جرت عليه دراستي؛ فقد أفدت من تلك المؤلفات في الدراسة النظرية وتحرير المصطلح، كما أفدت من دراساتٍ جعلت موضوعها فئةً محددةً ممن انصبَّ عليه الاستبداد أكثر من غيرهم كالصعاليك والمرأة والشعراء السُّود.

ومصطلح الاستبداد وإن كان يكثر تداوله في وسائل الإعلام والدراسات الفكرية والأدبية غير أنه لم يُحرر برأيي وفق آليات البحث العلمي الرصين؛ لذا جعلتُ مدخل هذه الدراسة تأريخاً

وتأصيلاً لمصطلح الاستبداد، حتى أسير في الفصول الآتية وفق ما انتهت إليه من تعريف الاستبداد.

فاستوى البحث في مدخل العام لتأريخ المصطلح وتأصيله، وثلاثة فصول وقفت فيها على أنواع الاستبداد: السياسي، والديني والفكري، والاجتماعي والاقتصادي.

ومضيت في الفصول الثلاثة الأخيرة على التمهيد بمقدمة عن الحياة الجاهلية موضع الحديث، يعقبها تعريف نوع الاستبداد موضوع الفصل، ثم استعراض مظاهره الاستبدادية. وذلك بذكر الشاهد في المتن والتعليق عليه لتوضيح موضع الاستشهاد في النص، وفي الهامش بشرح ما غمض من مفرداته من المصادر المحققة التي أنقل عنها الشواهد أو من كتب اللغة، وعلى الترجمة لغير المشهورين من الشعراء والأعلام المذكورين من المصادر القديمة والحديثة، وتوضيح ما في الشواهد من مسائل لغوية أو فوائد، وما كان منها شاهداً على قضية أشرت إليه، وإن وقفت على قول في شاهد من شواهد الاستبداد يجلي معناه أثبتته في موضعه.

وجعلت للبحث خاتمةً لخصت فيها ما كان من نتائج وتوصيات، وجعلت له فهرس توضيحية تسهل على القارئ النظر في البحث وشواهد.

وبنيت البحث في فصوله وفق المنهج الاستقرائي التحليلي، مع الإفادة من المنهج التاريخي في دراسة الاستبداد وفي عرض الشواهد وتحليلها، فلا يمكن فهم الشاهد على وجهه الصحيح دون النظر في السياق الذي قيل فيه.

ولا يخلو بحث علمي من صعوبات تعترض الطالب، وليس بحثي هذا بدعاً عن الأبحاث؛ فالعوائق العلمية تجلت أكثر ما تجلت في التعامل مع الشعر القديم من حيث الصحة والغموض، فلزم التنقيب في الدواوين والكتب عن الصحيح المحقق، وعند تثبيت النص لزم الشرح والتوضيح ليظهر وجه الاستشهاد. مع الصعوبة التي سبقت تحرير المصطلح إذ يكثر تداوله دون تحريره، ما اضطرني للنظر في دراسات غربية وشرقية منذ أرسطو حتى اليوم لضبط المصطلح وتحريره وفق قواعد البحث العلمي العربي.

وما كان لهذا البحث أن يستوي رسالةً جامعيةً تُطرح للمناقشة لولا فضل الله أولاً؛ فله الحمد والمئة، وما كان من مشرفي الجليل الدكتور مصطفى آغا ثانياً؛ فله الشكر أطيبه وأكملُه فقد قام مني مقام المشرف والوالد، وجّه وسدّد ونصح شكر الله له، وكلمات الشكر تقصر عن معاني الحب والوفاء للسادرة في جامعة بينغول على ما كان منه من تذليل للعقبات الإدارية من التسجيل

حتى بلوغ المناقشة؛ وليس ذلك بدعاً وهم من تركيا التي احتضن أهلها السوريين وكانوا لهم بحق أنصاراً، أو وهم ونصروهم وأعانوهم بعد أن سلبهم المستبدون حقوقهم وقتلواهم وشرّدوهم؛ فتركيا وأهلها كل المحبة والتقدير. ومن الوفاء شكر الإخوة أصحاب الفضل، وأخصّ منهم أخي الدكتور حسين الأسود الذي أعجز عن شكره فأكل إلى الله جزاءه عني كلّ خير.

ولكل من وقف معي وشجّعني ووجّهني وسدّدني من أهلي وأصحابي وزملائي خالص شكري وامتناني.

ÖZET

İstibdâd, katılımcı ve meşverete dayalı olması gereken yönetimin tek kişide olması, insanları alt edip baskıyla onlara hükmetme ve haksız yere varlıklarına el koyma anlamına gelmektedir. İstibdâd, pek çok medeniyette ve asırda bir olgu olarak karşımıza çıkmaktadır.

“Eski Arap şiirinde despotizm kavram ve çeşitleri” konulu çalışmayı, istibdâdla ilgili cahiliye dönemi şiirlerini toplamak, incelemek, tasnif ve tahlil etmek için hazırladık. Bilindiği gibi edebiyat hayatın aynası, şiir Arapların ilim ve kültür hazinesidir. İslam öncesi Arapların hayatı hakkında bir çalışma yapılacaksa mutlaka şiire başvurulmalı.

İstibdâd, Cahiliye döneminin bitmesi ve İslam’ın gelmesiyle bitmedi, farklı şekil ve biçimlerde günümüze kadar devam etti. İstibdâd, zaman ve mekan değişse bile kendine has nitelikleri ve kuralları değişmeyen bir olgudur. İstibdâdın ortadan kaldırılması sebeplerinin bilinmesiyle mümkün olabilir. Cahiliye dönemi şiiri, bu dönemdeki ve onun devamı niteliğindeki istibdadın sebeplerinin bilinmesi için temel başvuru kaynaklarındandır.

Çalışmada karşılaştığım başlıca sorunlar şunlardır:

1. İstibdad kavramı, modern Arapça çalışmalarda Arapça temel kaynaklara göre değil, Yunan ve Avrupa filozoflarına göre ele alınmıştır. Bunun yanı sıra klasik Arapça kaynaklarda siyasî incelemeler zayıf olduğu için bu kavramı tarif etmek ve tellendirmek zorunda kaldım.
2. Cahiliye dönemi şiirindeki intihal tartışması ve sahih şiirin hangisi olduğu meselesi, beni güvenilir kaynakları bulmaya ve sahih şiiri tesbit etmeye mecbur bıraktı.
3. Çalışmamıza kaynaklık eden şiirler zor olduğu için onları şerh ve izah etmek zorunda kaldım. Konuma deliller bulmak için bunu yapmam gerekiyordu. Üstelik bu deliller, temel şiir kaynaklarında değil irili ufaklı yüzlerce divanda dağınık bir halde idi.

Çalışmamız üç bölümden ve bir girişten oluşmaktadır:

1. Siyasi istibdâd

2. Dini ve fikrî istibdâd

3. Sosyal ve ekonomik istibdâd

Giriş bölümünde istibdâdla ilgili kaynaklarımızda yer alan bilgileri özetle vermeye ve bu kavramı tarif etmeye çalıştım. Diğer üç bölümde ise eski Arap şiirinden kanıtlar gösterdim. anlaşılması zor olan kelime ve ibareleri açıkladım ve meşhur olmayan şairlerin hayat hikayelerine yer verdim. Çalışmayı, araştırma sonuçlarının ve önerilerin yer aldığı sonuç bölümü ile tamamladım. Daha sonra da okura yardımcı olacak farklı fihristler ekledim.

Anahtar kelimeler: Despotizm – İstibdâd - Bskın – Şiir – Cahiliye – Zulüm – İslam
ncesi şiir.

ABSTRACT

Despotism, the absolute authority or control when there should be sharing and consultation, It is also the predominance of others, control them and take what is theirs with no right, Despotism is considered a general phenomenon that all civilizations witnessed throughout different ages.

This research's title: (Types of Despotism in the Ancient Arabic Poetry) cares to collect all the true poetry quotes from the ancient poetry regarding the despotism phenomenon. It studies, classifies and analyses it.

The main reason to choose the research is that literature is the reality mirror. Moreover, it is that poetry is the record of Arabs (Diwan Alarab) and their news and sciences' warehouse. Actually, the right way to study Arabian life before Islam must rely on the true poetry.

Despotism has not finished by the end of ignorance era and the coming of Islam, it is continuing till today in different shapes and new manners. Despotism is one notion to overcome it we must know its reasons. Thus, studying the ancient poetry will help us to know the reasons that enabled it to spread at that time and after it.

The difficulties which faced me were: Despotism idiom is not edited in the modern Arabic studies according to the Arabic sources because most researchers depended on the Greek and European philosophers, beside the weak Arabic political studies in the old sources. Therefore, I had to edit the idiom and root it. In addition, there was a problem of plagiaristic studies of the ancient poetry. As a result, I had to investigate the true poetry from trusted sources. In addition to the fact that it is hard to understand this poetry, so I had to explain it and clarify it to highlight the quotation because it is spread in hundreds of big and small books of poems that are not collected in one big collection.

This research comes in three parts and general introduction, this introduction is about despotism and its history and its original.

The first: the political despotism

The second: the religious and intellectual despotism

The third: the economic and social despotism

In the first chapter, I outlined what I found about despotism as per our sources. The other three chapters I offered examples of the true Ancient Arabic Poetry about despotism with its different types analyzed and explained what is ambitious in them and translated biography of the unknown poets mentioned in the research.

I ended the research by a conclusion summarized the results and added recommendations; also, I appended the technical indexes to help the reader.

Key words: Despotism, Poetry, Ignorance, Enslavement, Injustice, Ancient Arabic poetry.

الملخص باللغة العربية

يُعدّ الاستبداد وهو الانفراد بالسلطة مما حفّه الاشتراك والمشورة، وغلبة الآخرين وقهرهم والتسلط عليهم، وانتزاع ما في أيديهم بغير حق؛ ظاهرة عامة شهدتها مختلف الحضارات في مختلف العصور.

وهذا البحث بعنوان: (الاستبداد وأنواعه في الشعر العربي القديم) يُعنى بجمع الشواهد الشعرية الصحيحة من الشعر الجاهلي على ظاهرة الاستبداد ودراستها وتصنيفها وتحليلها.

والسبب في اختيار البحث يرجع إلى أن الأدب مرآة للواقع، وأن الشعر هو ديوان العرب ومستودع علومهم وأخبارهم؛ فالدراسة الصحيحة للحياة العربية قبل الإسلام لا بد أن تستند إلى الشعر الصحيح. والاستبداد لم ينته بانتهاء الجاهلية ومجيء الإسلام، فهو مستمر حتى اليوم بأشكال وأساليب جديدة، والاستبداد ملة واحدة، ولا بد للتغلب عليه من معرفة أسبابه؛ فدراسة الشعر العربي القديم تساعد في معرفة الأسباب التي مكّنت للاستبداد في تلك الفترة، وما كان منه بعدها.

وأهم الصعوبات التي اعترضتني: أن مصطلح الاستبداد غير محرّر في الدراسات العربية المعاصرة وفق المصادر العربية واعتمد أكثر الدارسين على ما جاء عن الفلاسفة الإغريق والأوروبيين، ولضعف الدراسات السياسية العربية في المصادر القديمة؛ فاضطرت لتحريّر المصطلح وتأصيله. وأن ميدان الدراسة الشعر القديم وفيه مشكلة الانتحال (الوضع)؛ فلزمني تحريّر الشعر الصحيح من المصادر الموثوقة. وأنه شعر صعب المسالك لا بد من شرحه وتوضيحه ليظهر موضع الاستشهاد فيه، وهو مبعوث في مئات الدواوين الصغيرة والكبيرة، وليست في مجاميع كبرى واحدة.

وجاء البحث في ثلاثة فصول ومدخل عام للكلام على الاستبداد وتاريخه وتأصيله؛ فالفصل الأول: الاستبداد السياسي، والثاني: الاستبداد الديني والفكري، والثالث: الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي.

أجملت في المدخل ما جاء عن الاستبداد وما انتهيت إليه من تعريف يوافق مصادرنا، وفي الفصول الثلاثة عرضت شواهد من الشعر العربي القديم الصحيح على

الاستبدال بمختلف أنواعه، مع تحليلها وشرح ما غمض من مفرداتها وترجمة غير المشهورين من الأعلام المذكورين.

وختمت البحث بخاتمة أوجزت فيها نتائج البحث والتوصيات، وألحقت به فهرس فنية متنوعة تساعد القارئ.

الكلمات المفتاحية: استبدال – شعر – جاهلية – استعباد – ظلم – شعر جاهلي.

المختصرات

المصدر مطبوع دون تاريخ.	د.ت:
الطبعة.	ط:
صفحة	ص:
السنة الميلادية.	م :
السنة الهجرية.	هـ :
الدكتور.	د :
إلى آخره	إلخ:

* المدخل العام:

الاستبدال

تأريخ وتأصيل

- ❖ تمهيد.
- ❖ الاستبدال لغةً.
- ❖ الاستبدال اصطلاحاً.
- ❖ الاستبدال في الدراسات المعاصرة.
- ❖ تحرير مصطلح الاستبدال.
- ❖ أنواع الاستبدال.
- ❖ الاستبدال بين العرب والأمم الأخرى.
- ❖ أسباب الاستبدال.
- ❖ خلاصة الفصل.

تمهيد:

حتى يكون سيرنا في البحث على هدى، ولتوحيد المصطلحات المستعملة وتحريرها على الوجه المراد منها، وتوضيحاً للحدود فنعرف ما يدخل معنا وما لا؛ كان لزاماً أن نبدأ بالكلام على الاستبدال لغةً في معاجم العربية الأصيلة قديماً، ونلّم بطرف مما جاء في المعاجم المعاصرة، ثم ندلف من ذلك للكلام على الاستبدال اصطلاحاً فنرى كيف كان دورانه في تراثنا العربي من جهة وفي التراث الإغريقي من جهة أخرى، ثم كيف استوى المصطلح عند المعاصرين من العرب والغربيين. لتتقرر لنا صورة المصطلح النهائية بعد معرفة علاقته بمصطلحات أخرى تتناوب الدلالة على المعنى ذاته.

وبعد تحرير المصطلح وتبيان حدوده ينتقل الحديث في هذا الفصل لمعرفة أسباب (ظاهرة الاستبدال) المختلفة؛ فهي لأهميتها لا يُتصور أن ترجع لسبب واحد بل لجملة أسباب أحاول جلاءها. وكما تتنوع الأسباب الكامنة وراء (ظاهرة الاستبدال) تتنوع أشكاله وإن كان أول ما يُسرع إلى الذهن استبدال الملوك والحكام، فنأخذ في بيان أنواعه كما ذكر المصنّفون من جهة، ثم بيان ما كان منها في الشعر موضع البحث وهو الشعر في العصر الجاهلي.

وقبل الشروع في بيان ما كان من ألوان الاستبدال وأنواعه في العصر الجاهلي عند العرب نجول بطرفنا في الأمم الأخرى أكان عندها استبدال؟ أم أن الاستبدال صناعة شرقية كما زعم أرسطو وغيره؟ لينتهي هذا الفصل بخلاصة تجمع ما تقرر فيه.

الاستبداد لغة:

نرجع بلفظ (الاستبداد) إلى جذره (بدد) لنجد المعاجم العربية القديمة تطالعنا بالآتي:
جاء في كتاب العين: (والتَّبَدُّ: النَّقْرُ، وَذَهَبَ الْقَوْمُ فِي الْأَمْرِ بَدَادٍ بَدَادٍ، أَي: تَفَرَّقُوا. وَاسْتَبَدَّ
فُلَانٌ بِرَأْيِهِ، أَي: انْفَرَدَ بِالْأَمْرِ)^(١). ونحوه في ديوان الأدب للفارابي (٣٥٠ هـ)^(٢)، وفي تهذيب
اللغة للأزهري (٣٧٠ هـ)^(٣)، وفي تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٣٩٣ هـ)^(٤).

وقال أبو علي القالي (٣٥٦ هـ): (وَاسْتَبَدَّ فُلَانٌ أَي انْفَرَدَ بِالْأَمْرِ وَالرَّأْيِ)^(٥).
وقال ابن فارس (٣٩٥ هـ): (بَدَّ: الْبَاءُ وَالذَّالُ فِي الْمَضَاعِفِ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ النَّقْرُ وَتَبَاعُدُ
مَا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ. يُقَالُ: فَرَسٌ أَبَدٌ، وَهُوَ الْبَعِيدُ مَا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ. وَبَدَدْتُ الشَّيْءَ: إِذَا فَرَّقْتَهُ. فَإِنْ سَأَلَ
سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِمْ: لَا بُدَّ مِنْ كَذَا، فَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا، كَأَنَّهُ أَرَادَ لَا فِرَاقَ مِنْهُ، لَا بُعْدَ عَنْهُ.
فَالْقِيَاسُ صَحِيحٌ. وَقَوْلُهُمْ: مَا لَكَ بِهِ بَدَدٌ، أَي: مَا لَكَ بِهِ طَاقَةٌ)^(٦).

وقال الزمخشري (٥٣٨ هـ): (وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ: انْفَرَدَ، وَاسْتَبَدَّ بِأَمِيرِهِ: إِذَا غَلَبَ عَلَى رَأْيِهِ فَهُوَ لَا
يَسْمَعُ إِلَّا مِنْهُ. وَمِنَ الْمَجَازِ: اسْتَبَدَّ الْأَمْرُ بِفُلَانٍ: إِذَا غَلَبَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ضَبْطِهِ. قَالَ الْأَخْطَلُ)^(٧):

- (١) الخليل بن أحمد، الفراهيدي، كتاب العين (تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي)، دار
الهجرة، قم، إيران، ١٤٠٥ هـ: ١٤/٨.
- (٢) إسحاق بن إبراهيم، الفارابي، ديوان الأدب (تحقيق: د. أحمد مختار عمر)، مجمع اللغة العربية، القاهرة،
ط١: ١٨٤/٣.
- (٣) محمد بن أحمد، أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة (تحقيق: عبد السلام هارون)، نسخة مصورة، دت:
٧٧/١٤.
- (٤) إسماعيل بن حماد، الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)،
دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠: ٤٤٤/٢. ونحوه في: محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان
العرب، دار صادر، بيروت، دت، ومحمد بن يعقوب، الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ضبط وتوثيق:
يوسف الشيخ محمد البقاعي)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ - ١٩٩٩، والسيد محمد مرتضى الحسين،
الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (تحقيق: مصطفى حجازي)، وزارة الإعلام، الكويت،
١٤٠٩-١٩٨٩: مادة بدد.
- (٥) إسماعيل بن القاسم، أبو علي القالي البغدادي، البارع في اللغة (تحقيق: هاشم الطعان)، مكتبة النهضة،
بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٥: ص٦٨٨.
- (٦) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (تحقيق: عبد السلام هارون)، نسخة مصورة بدار الجبل، بيروت، دت:
١٧٦/١.
- (٧) الحسن بن الحسين، أبو سعيد السكري، شعر الأخطل (تحقيق: فخر الدين قباوة)، دار الفكر - دمشق،
ط٤، ١٩٩٦: ص١٢٣. قال السكري شارحاً: (استبدَّ بها: غلب عليها وذهب بها). والنية: الوجهة التي
يقصدون، والقذف: البعيدة، ومنقضب: منقطع، والأقران جمع قرن: وهو الحبل، يريد بمقضب الأقران
زوج سلمى، فالبعير يسبق أقرانه فتقطع دونه الحبال، ومغيار: شديد الغيرة.

ثم استبدَّ بسلمى نيةً قدَّفت

وسيرٌ مُنْقَضِبِ الأقرانِ مغيَارِ^(٨)

هو واليهما الذي إذا عزم على أمرٍ أمضاه ولم يثنه عنه شيءٌ. واستبدَّ بهم: إذا ذهبوا^(٩).

ومن قليل شواهد (استبدَّ) لغةً قول المتلمس في حبيبته:

كأني شاربٌ يومَ استبدَّوا

وحتُّ بهم لدى الموماة حادٍ

عقاراً عُنِّقت في الدنِّ حتى

كأن حبابها حدق الجراد

وجاء في شرحها في متن الديوان برواية الأصمعي: (استبدوا: مضوا ولم يشركوني)، وعن ابن الشجري: (استبدوا: مضوا برأيهم، وهو من قولهم: استبد فلان بكذا أي: انفرد به، والواو ضمير يعود على قوم حبيبته)^(١٠).

قال نشوان الحميري (٥٧٣ هـ): (استبدَّ برأيه، أي: انفرد به. يقال: من استبدَّ برأيه ضلَّ. ويروى: أن الأصمعي كان يُبغض البرامكة بغضاً شديداً، فلعب يوماً بالشطرنج مع هارون الرشيد، فقال الرشيد: والله لأقتلنك يا أصمعي، أي: لأغلبنك في الشطرنج، فأنشد الأصمعي مُعرِّضاً له في البرامكة^(١١):

لَيْتَ هُنْدًا أَنْجَرْتَنَا مَا تَعِدُ

وَشَفَتِ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً

إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

ففهم الرشيدُ مراد الأصمعي، فقال: والله لأستبدنَّ والله لأستبدنَّ، ثلاثاً، فما لبث البرامكة إلا قليلاً حتى قتلهم. وأصل استبدَّ: استبدَّدَ يَسْتَبِدُّ فهو مُسْتَبِدِّدٌ، بإظهار التضعيف، فأدغم. وكذلك نحوه من المضاعف)^(١٢).

(٨) قال السكري شارحاً: (استبدَّ بها: غلب عليها وذهب بها). السكري، شعر الأخطل: ص ١٢٣. والنية: الوجهة التي يقصدون، والقذف: البعيدة، ومنقضب: منقطع، والأقران جمع قرن: وهو الحبل، يريد بمقضب الأقران زوج سلمى، فالبعير يسبق أقرانه فتقطع دونه الحبال، ومغيار: شديد الغيرة.

(٩) محمود بن عمر، الزمخشري، أساس البلاغة (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩ - ١٩٩٨: ص ٣٢.

(١٠) المتلمس، الضبيعي، ديوانه (تحقيق حسن كامل الصيرفي)، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٧٠: ص ١٦٥.

(١١) عمر بن أبي ربيعة، المخزومي، شعر عمر بن أبي ربيعة (تحقيق محيي الدين عبد الحميد)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٠: ص ٣٢٠.

(١٢) نشوان بن سعيد، الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (تحقيق: حسين عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله)، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٠ - ١٩٩٩: ٤٠٩/١، وانظر الخبر بلفظ آخر مع ذكر الاستبداد فيه في: محمد بن علي بن طباطبا، ابن الطقطقي، الفخري في الأدب السلطانية (تحقيق: عبد القادر محمد مايو)، دار القلم العربي، بيروت، ١٩٩٧: ص ٢٠٧.

وقال ابن الأثير (٦٠٦ هـ): (وَفِي حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا نَرَى أَنَّ لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقًّا فَاسْتَبَدَدْتُمْ عَلَيْنَا»، يُقَالُ: اسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ يَسْتَبِدُّ بِهِ اسْتِبْدَادًا: إِذَا تَفَرَّدَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ. وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ)^(١٣).

ومن شراح الأحاديث أيضاً بدر الدين العيني (٨٥٥ هـ) يقول: (قَوْلُهُ: اسْتَبَدَدْتُ، مِنَ اسْتِبْدَادٍ: وَهُوَ الْإِسْتِقْلَالُ بِالشَّيْءِ) ^(١٤). وقال في موضع آخر يشرح الأثر: (استبداد واختصاص بالأموال فيما حقه الاشتراك) ^(١٥).

قال ابن سيده (٤٥٨ هـ): (المشاورة والاستبداد: أبو زيد: استبدَّ برأيه: انفرد. أبو عبيد: عَكَلَ يَعْكِلُ عَكْلًا: استبدَّ برأيه.. وَقَالَ: رَجُلٌ سَكَكَةٌ فِي رِجَالِ سَكَكَاتٍ وَهُوَ: الَّذِي يَمْضِي لِرَأْيِهِ لَا يَشَاوِرُ أَحَدًا وَلَا يُبَالِي كَيْفَ وَقَعَ رَأْيُهُ) ^(١٦).

وكلام ابن سيده يقودنا إلى ما جاء في المعجم في ذكر الاستبداد وصفات المستبد، من ذلك قول الجوهري: (ويقال للرجل إذا كان يستبد برأيه: جَحِيشٌ وَحِدَهُ، وَعُيَيْرٌ وَحِدَهُ، وَهُوَ دَمٌّ) ^(١٧)، وزاد الزمخشري في اللفظ ذاته: (في ذم المستبد برأيه، والمستأثر بكسبه) ^(١٨).

وقولهم: (وَالسُّكَاكَةُ مِنَ الرَّجَالِ: الْمُسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ وَهُوَ الَّذِي يَمْضِي رَأْيَهُ وَلَا يُشَاوِرُ أَحَدًا وَلَا يُبَالِي كَيْفَ وَقَعَ رَأْيُهُ) ^(١٩).

وقولهم: (وَالصَّرَامَةُ: الْمُسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ الْمُتَقَطُّ عَنِ الْمَشَاوَرَةِ) ^(٢٠).

وقولهم: (وَالْمُسْتَوْزِي: الْمُنْتَصِبُ الْمُرْتَفِعُ، يُقَالُ: مَالِي أَرَاكَ مُسْتَوْزِيًّا، وَالْمُسْتَوْزِي: الْمُسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ) ^(٢١).

(١٣) المبارك بن محمد، ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي)، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩ - ١٩٧٩: ١٠٥/١.

(١٤) بدر الدين، العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، دمشق: ٢٥٩ / ١٧.

(١٥) العيني، المصدر السابق: ١٣٨ / ١٦.

(١٦) ابن سيده، المخصَّص، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ - ١٩٨٧: ٤٣١/٣.

(١٧) الجوهري، المصدر السابق: ٩٩٧ / ٣.

(١٨) الزمخشري، أساس البلاغة: ص ٨٣.

(١٩) علي بن إسماعيل، أبو الحسن ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (تحقيق: عبد الحميد هندواوي)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٠: ٦٤٣/٦، وانظر: ابن منظور، المصدر السابق، مادة: سَكَ.

(٢٠) ابن منظور، المصدر السابق، مادة: صرَم.

(٢١) الفيروزآبادي، المصدر السابق، مادة: وزِي.

وقال الأزهرى: (والمِعْزَالُ من النَّاسِ: الَّذِي لَا يَنْزِلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي السَّفَرِ، وَلَكِنْ يَنْزِلُ وَحْدَهُ؛ وَهُوَ ذِمٌّ عِنْدَ الْعَرَبِ بِهَذَا الْمَعْنَى. وَيَكُونُ الْمِعْزَالُ: الَّذِي يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ فِي رَعْيِ أَنْفِ الْكَلْبِ، وَيَتَّبِعُ مَسَاقِطَ الْعَيْثِ، وَيَعْرُزُ فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: مِعْزَابَةٌ وَمِعْزَالٌ)^(٢٢).

وحكى الفيروزآبادي (٨١٧ هـ) والزبيدي (١٢٠٥ هـ) لغة في الاستبداد: (واستَبَدَّ بالأمر: استَبَدَّ واستَقَلَّ، لُغَةٌ فِي الْمَهْمَلَةِ)^(٢٣).

فمعاني الاستبداد عندهم مما جاء في أصل مادة (بدد) وما شرحوا بها ألفاظاً أخرى تدور حول: الانفراد بالرأي والأمر والأموال، والانعزال عن الناس والتعالي عليهم، وإمضاء المراد بالقوة، مما يصيب المرء ويغلب عليه فيصير له طبعاً. وكلها لا تبعد من وجوه عما ذكره ابن فارس في أصل معنى (بدد)، واجتهد من المعاصرين في تأويل ذلك الدكتور محمد حسن جبل فقال: (والتبديد: التفريق بعثرة، وعبر به عن لازمه وهو الإتلاف والتضييع، والتفريق يلزمه انفراد كلِّ مما تفرق، ومن هنا استَبَدَّ بالأمر: انفرد به دون غيره، والسين والتاء للاجتهاد في تحصيل ذلك)^(٢٤).

وإن نظرنا في المعاجم اللغوية المعاصرة التي وقفت عند مادة (بدد) نجد: (استَبَدَّ يَسْتَبِدُّ، استَبَدَّدَ، استَبَدَادًا، فهو مُسْتَبِدٌّ، والمفعول مُسْتَبَدٌّ به. استَبَدَّ الشَّخْصُ بالأمر: تعسَّف، انفرد به من غير مُشَارِكٍ له فيه، استَبَدَّ الحاكمُ بقراراته، سلطةً مستَبَدَّةً. استَبَدَّ الأمرُ بالشَّخْصِ: غلبه فلم يَقْدِرْ على ضَبْطِهِ. استَبَدَّتْ به أهواؤه وشهواته، استَبَدَّ به الحزنُ/الوجدُ/الشوقُ. استَبَدَادٌ [مفرد]: مصدر استَبَدَّ: تعسَّف، تحكَّم، سلطةً مطلقةً. استَبَدَادُ زوجٍ: تعسَّفٌ وظلمٌ، فرضُ الإرادة من دون مبرر بحسب الرغبة والأهواء)^(٢٥)، وفي موضع آخر من هذا المعجم ذاته: (دِكْتَاتُور [مفرد]: ديكْتَاتُور؛ حاكمٌ فردٌ مُسْتَبَدٌّ، يحصر في نفسه السُّلْطَاتِ الحُكُومِيَّةَ كُلَّهَا، ويملك السُّلْطَةَ القَضَائِيَّةَ المطلقة على الحكومة وعلى الدَّوْلَةِ. دِكْتَاتُورِيَّةٌ: اسم مؤنث منسوب إلى دِكْتَاتُور: "سياسة/ سلطة دكتاتورية. مصدر صناعي من دِكْتَاتُور: ديكْتَاتُورِيَّةٌ؛ حكم الفرد المستَبَدِّ الذي لا يلتزم بموافقة المحكومين، حكم الفرد أو الجماعة دون الالتزام بموافقة الآخرين)^(٢٦).

(٢٢) الأزهرى، المصدر السابق، ٨١/٢، وانظر نحوه في: ابن منظور، المصدر السابق، مادة، عزل. والزبيدي، المصدر السابق: مادة، عزل.

(٢٣) الفيروزآبادي، المصدر السابق، مادة: بدد، والزبيدي، المصدر السابق: بدد.

(٢٤) محمد حسن، جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠: ٨٢/١.

(٢٥) أحمد، مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨: ١٦٩/١.

(٢٦) مختار عمر، المصدر السابق: ٧٥٩/١.

ف نجد أن اللغويين المعاصرين هنا خرجوا عن المعنى اللغوي القديم إلى ضلاله المعاصرة والمترجمة من لغات أخرى.

اتضح مما سبق ذكره أن ذم الاستبدال لم يتقرر في المعاجم عند تعريفها اللفظي للاستبدال، وإنما ذكر بعض المصنّفين الذمّ لاحقاً في معرض التمثيل له، فاللفظ في ذاته لا يحمل معنى مذموماً، وقد يخلص للانفراد دون المعاني الأخرى التي تقررت من نصوص المعاجم كالتعالي على الناس والانعزال عنهم وأخذ الأمر بالقوة والبطش. لذا نقف في المصادر العربية القديمة على مواضع جاء فيها اللفظ بمعناه اللغوي الأصيل فحسب، من ذلك تبويب ابن هشام في سيرته: (استبَدَادُ قَوْمٍ مِنْ خُرَاعَةَ بَوْلَايَةِ الْبَيْتِ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَانَ مِنْ خُرَاعَةَ وَلَيْتَ الْبَيْتِ دُونَ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ، وَكَانَ الَّذِي يَلِيهِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ الْعُبَيْدَانِيُّ، وَقَرَيْشٌ إِذْ ذَلِكَ خُلُولٌ وَصِرْمٌ، وَبَبُوتَاتٌ مُتَقَرِّقُونَ فِي قَوْمِهِمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، فَوَلَيْتَ خُرَاعَةَ الْبَيْتِ يَنْوَارُثُونَ ذَلِكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ خُلَيْلُ بْنُ حَبَشِيَّةَ بْنِ سُلُولِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو الْخُرَاعِيِّ) (٢٧). ولم يذكر شراح السيرة كالسهيلى في الروض الأنف ما يدل على أن قوله (استبدال قوم من خراعة بالبيت) كان في باب الذمّ (٢٨).

وجاء في البرهان في وجوه البيان: (وقد مدحت العرب الاستبدال بالرأي ووصفت نفسها بالاستغناء عن المشاورة فقال بعضهم) (٢٩):

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعَدُّ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَجِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

وقال الآخر (٣٠):

إِذَا هَمَّ أَلْفَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ فَأَعْرَضَ عَنْ قَوْلِ الْعَوَادِلِ جَانِبًا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا

(٢٧) عبد الملك بن هشام، الحميري، السيرة النبوية (تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي)، دار الخلود، بيروت: ١١٧/١.

(٢٨) أبو القاسم، السهيلى، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام (قدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٨ - ٢٠٠٨: ٢٧/٢.

(٢٩) سبق تخريج البيهقي، وهما لعمر بن أبي ربيعة، انظر: ص ٥.

(٣٠) عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء (تحقيق: أحمد شاكر)، دار الحديث، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦، والبيتان لسعد بن ناشب: ٦٨٥/٢.

وليس ذلك أخلاق ذوي العلم والأدب، وإنما هو شيءٌ امتدحت به العرب على طريق الوصف لأنفسها بالجرأة والأنفة والإقدام^(٣١). فتبين من هذا جهة الذم وهي أن يأتي الاستبداد في مقابل الشورى، لذا بؤب ابن سلام في الأمثال: (باب الحذر من الانفراد في الأمور وما يكره من الاستبداد بها. قال أبو عبيد: يقال: الذنب خالياً أشد^(٣٢)).

فهذا هو المعنى اللغوي للاستبداد بين القديم والحديث، وبين استعمال الاستبداد لفظاً للانفراد المحض دون ذم واستعماله مصطلحاً له دلالاته كما سيأتي على وجه الذم والتقييح. وهذا ينفلنا لتتمة الكلام على تعريف الاستبداد اصطلاحاً.

الاستبداد اصطلاحاً:

قال الباحث إبراهيم السكران بعد ذكره حديث صحيح البخاري أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لأبي بكر رضي الله عنه: (لكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيباً)^(٣٣)، وذكره قول أبي المظفر في تفسيره تعليقاً على آية الشورى: (وذلك دليل على اتفاق الكلمة، وترك الاستبداد)^(٣٤)، وقول القرطبي في المال الخاص الذي آل إلى المال العام لموجب شرعي: (يُنْفَق بالعدل لا بالاستيثار، وبرأي الجماعة لا بالاستبداد بالأمر)^(٣٥)؛ قال السكران: (والمراد أن اصطلاح (الاستبداد) مصطلح تراثي معروف، استعمله الصحابة في موضع الذم، وتبعهم أهل العلم في ذمه)^(٣٦).

(٣١) إسحاق بن إبراهيم، الكاتب، البرهان في وجوه البيان (نشر من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن جعفر) (تحقيق: د. حفني محمد شرف)، مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة، ١٩٦٩: ص ٢٣٤، وانظر: الحسين أبو القاسم، الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (تحقيق: رياض عبد الحميد مراد)، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤: ٤٧/١، وأحمد بن عبد الوهاب، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٩٤٩: ٧٨/٦.

(٣٢) القاسم بن سلام، أبو عبيد، كتاب الأمثال (تحقيق: عبد المجيد قطامش)، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٩٨٠: ص ٢٢٢.

(٣٣) محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري، الجامع الصحيح (صحيح البخاري) (تحقيق: محب الدين الخطيب، وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم الحديث: ٤٢٤٠.

(٣٤) منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو المظفر المروزي السمعاني، تفسير القرآن (تحقيق: ياسر بن إبراهيم)، دار الوطن، السعودية، ط ١، ١٩٩٧: ٨١/٥.

(٣٥) محمد بن أحمد الأنصاري، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وجماعة)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦: ٣٨٥/١٣.

(٣٦) إبراهيم، السكران، مفاتيح السياسة الشرعية، د.ت: ص ٢٨.

فأما أنه مستعمل عند الصحابة فصحيح والدليل ما جاء في الأحاديث، وأما أنه في موضع الذم فقد سبق بيان استعماله في المصادر على غير وجه الذم، لكن عندما يأتي لفظاً يعني الانفراد الذي لا يقابل الشورى ويخلو من معاني الاستبداد الأخرى التي أثبتتها لها المعاجم العربية، وأما أنه مصطلح تراثي معروف ففيه نظرٌ، والكلام هنا لتبيين هذا.

إن الباحث في كتب التراث عن مصطلح (الاستبداد) لا يخطئ إن قصد كتب السياسة منها، وكتب السياسة في تراثنا تتلخص في أكثرها بكتب الآداب السلطانية، وهذا مثال لما ذكره العرب الأقدمون في الاستبداد في كتب الآداب السلطانية، جاء في الفخري في الآداب السلطانية: (وينبغي للملك ألا يستبدَّ برأيه وأن يشاور في الملّمات خواصّ الناس وعقلاءهم)^(٣٧)؛ فهذا مجمل ما جاء في هذا المصنّف على شهرته وأهميته عن الاستبداد، لكننا إن نظرنا في كلام مؤلفه ابن الطقطقي^(٣٨) نجده يقول شارحاً ما ضمّنه كتابه:

(أمّا الكلام على أصل الملك وحقيقته، وانقسامه إلى رياسات دينية ودينيوية، من خلافة وسلطنة، وإمارة وولاية، وما كان من ذلك على وجه الشرع وما لم يكن ومذاهب أصحاب الآراء في الإمامة، فليس هذا الكتاب موضوعاً للبحث عنه، وإنّما هو موضوع للسياسات والآداب التي ينتفع بها في الحوادث الواقعة، والوقائع الحادثة، وفي سياسة الرعيّة وتحصين المملكة، وفي إصلاح الأخلاق والسيّرة)^(٣٩).

وهذا حال المصنّفين القدامى في هذه الآداب، ما حرّمنا الكثير الطيب في فلسفة الحكم وسياسة الملك.

(٣٧) ابن الطقطقي، المصدر السابق: ص ٣٠.

(٣٨) محمد بن علي بن طباطبا العلوي، أبو جعفر، المعروف بابن الطقطقي، كاتب مؤرخ من القرن السابع الهجري، من أهل الموصل، تزوّج بفارسية من خراسان، ورأس نقابة العلويين بالحلة والنجف وكربلاء، من أشهر كتبه: الفخري في الآداب السلطانية، ويتناول فيه السياسة المدنية وسلوك الملوك وتديبير الملك، على طريقة الماوردي وابن خلدون، ويرى بعض الباحثين أن ميكافيللي اطلع على كتاب الفخري وأفاد منه، وعابَ باحثون قدامى ومعاصرون على ابن الطقطقي عدم نزاهته وغلّوه في مدح دولة المغول. انظر: زهير، عليوي، المُلْك والسياسة في رؤية ابن الطقطقي من خلال كتابه الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بحث علمي في جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠١٦. وناجي، التكريتي، كتاب الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي دراسة تحليلية ومقارنة بمقدمة ابن خلدون وكتاب الأمير لميكافيلي، مجلة المورد، العراق، العدد ١٥٥، مايو ١٩٩٠. وخير الدين بن محمود، الزركلي، دمشق، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥٥، ٢٠٠٢: ٢٨٣/٦.

(٣٩) ابن الطقطقي، المصدر السابق: ص ٢٣.

وقال الماوردي^(٤٠) في شرحه سبب تأليفه كتابه (الأحكام السلطانية): (ولمّا كانت الأحكام السلطانية بؤلاة الأمور أحوق، وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير، أفردت لها كتابا امتثلت فيه أمر من لزم طاعته؛ ليعلّم مذاهب الفقهاء فيما له منها فيستوفيه، وما عليه منها فيؤقيه؛ توخيا للعدل في تنفيذه وقضائه، وتحريرا للنصفه في أخذه وعطائه)^(٤١).

من خلال هذه المقدمة التي لا تختلف عن مقدمات الكتب الأخرى التي تم تأليفها فيما عرف بالأداب السلطانية^(٤٢) يتأكد لنا الطابع العملي للكتابة السلطانية، فهي تشرح الثقافة السياسية العملية التي تكون في البلاط وهذا ما تعنيه كلمة (آداب) فيها، ولتأكيد خيبة الأمل التي يقع فيها باحث ينقب في كتب الآداب السلطانية يلزم التنبيه أن هذه الكتب في غالبها كانت مهداة للحاكم الذي يعاصره الكاتب، لينخفض سقف التوقعات المأمولة من هذه الكتابات في موضوع الاستبداد كظاهرة يقع فيها الحكام المهداة إليهم هذه الكتب، وتزيد المعاناة للبحث في تضاعيفها عن شاهد في قصة يرويها أو خبر يذكره المصنّف يحكي مراده بالاستبداد أو الطغيان.

(٤٠) الماوردي: علي بن حبيب بن محمد، القاضي أبو الحسن البصري، الفقيه الشافعي، وكان يُعرف بأقضى القضاة، سكن بغداد وتوفي فيها، كان عالماً متفنناً بارعاً، شافعيّاً في الفروع، معتزليّاً في الأصول، وكان متقدماً عن السلاطين. له مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير والأصول، منها: أدب الدين والدنيا، والأحكام السلطانية، والنكث في تفسير القرآن وغيرها. قال الذهبي في آخر ترجمته بعد أن ساق أقوال مخالفيه ممن عابوا اعتزاله: وبكلّ حالٍ هو مع بدعةٍ فيه من كبار العلماء؛ فلو أننا أهدرنا كلّ عالمٍ زلّ لما سلّم معنا إلاّ القليل، فلا تحطّ يا أخي على العلماء مطلقاً، ولا تبالغ في تقييدهم مطلقاً وأسأل الله أن يتوفك على التوحيد. انظر: محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (تحقيق: بشار عواد معروف)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣: ٧٥١/٩، وياقوت، الحموي: معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" (تحقيق: إحسان عباس) دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣: ١٩٥٥/٥. والزركلي، المصدر السابق: ٣٢٧/٤.

(٤١) علي بن محمد، أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية (تحقيق: أحمد مبارك البغدادي)، دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، ١٩٨٩: ص١.

(٤٢) انظر: عمرو بن بحر، أبو عثمان الجاحظ، كتاب التاج في أخلاق الملوك (تحقيق: الأستاذ أحمد زكي باشا)، القاهرة. وعبد الله بن مسلم، ابن قتيبة الدينوري، السلطان (دراسة وتحقيق: القدس للدراسات والبحوث)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٢. وعلي بن محمد، أبو الحسن الماوردي، قوانين الوزارة وسياسة الملك للماوردي (تحقيق: رضوان السيد)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩. وابن الطقطقي، المصدر السابق، ومحمد بن علي، القلعي، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة (تحقيق: إبراهيم مصطفى عجو)، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٥. وجلال الدين، السيوطي، الرسالة السلطانية (دراسة وتحقيق: مختار الجبالي)، دار وحي القلم، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

ولا تختلف كتب السياسة الشرعية^(٤٣) في كثيرٍ عما ذُكر في كتب الآداب السلطانية، وتضيف مناقشة أمور الإمامة والحكم، وفق الرؤية الشرعية الإسلامية^(٤٤).

ونحو منها في القليل النادر الذي سقط إلينا من يد الزمان وعنوانه (السياسة) فإنما هي السياسة العملية ومباحث الآداب السلطانية ليس غير^(٤٥).

ومن قليل ما أُفرد بعنوان الاستبداد في هذه المصادر ما جاء عند القلعي^(٤٦) من قوله: (باب في مدح الاستشارة وذم الاستبداد بالرأي)^(٤٧)، ولكن مضمون الباب لا يخرج عن التفرد بالرأي دون مشورة أحد كما هو في العنوان، حاشداً لذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار وكلام الحكام. ومن ذاك القليل ما جاء عن دده أفندي المتأخر نسبياً عن أصحاب المصنفات في الآداب السلطانية، يقول: (السياسة نوعان: سياسة ظالمة، فالشريعة تحرّمها. وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم وتدفع كثيراً من المظالم، وتردع أهل الفساد، ويُتوصل بها إلى المقاصد الشرعية؛ فالشريعة توجب المصير إليها والاعتماد عليها في إظهار الحق)^(٤٨)؛ والتفصيل في السياسة العادلة مفهومه أن ما كان خلاف ذلك فهو من الأولى وهي السياسة الظالمة، وهو معنى الاستبداد.

(٤٣) انظر مثلاً: أبو المعالي، الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم (تحقيق: مصطفى حلمي وفؤاد عبد المنعم)، دار الدعوة، الإسكندرية. وأبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، الأحكام السلطانية (صححه: محمد حامد الفقي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠. وأحمد بن عبد الحلّيم، ابن تيمية الحراني الحنبلي، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط ١، ١٤١٨. ومحمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (تحقيق: محمد حامد الفقي)، القاهرة. ويوسف بن حسن بن عبد الهادي، المقدسي الدمشقي الحنبلي، إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة، دار النوادر، دمشق، ط ١، ٢٠١١. وإبراهيم بن يحيى، دده أفندي، السياسة الشرعية (دراسة وتحقيق: د. فؤاد عبد المنعم)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤١١.

(٤٤) للتفصيل في معرفة منهج المؤلفين في الآداب السلطانية انظر: كتاب الآداب السلطانية دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي للدكتور عز الدين العلام، الصادر ضمن سلسلة عالم المعرفة، العدد: ٣٢٤، فبراير ٢٠٠٦، ومقدمة كتاب الإمام الجويني غياث الأمم والتياث الظلم: ص ٢٧؛ ففيه مقارنة بين غياث الأمم ككتاب في السياسة الشرعية وكتب الآداب السلطانية.

(٤٥) انظر مثلاً: محمد بن محمد بن طرخان، أبو نصر الفارابي، السياسة (ضمن: مجموع في السياسة) (تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط ١. والحسين بن علي، أبو القاسم المغربي الوزير الكامل، كتاب في السياسة (تحقيق: سامي الدهان)، المعهد الفرنسي بدمشق، ١٩٤٨.

(٤٦) القلعي: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي، والقلعي نسبة إلى قلعة في حلب وقيل غير ذلك، فقيه باحث من علماء الشافعية، انتقل إلى اليمن واشتهر في ظفار وحضرموت، له مصنفات كثيرة أهمها: تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة، وإيضاح الغوامض في علم الفرائض، ولطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار. تُوفي سنة ٦٣٠ هـ. انظر: الزركلي، المصدر السابق: ٢٨١/٦، ومقدمة محقق كتاب تهذيب الرياسة: ص ٣٧ - ٥٥.

(٤٧) القلعي، المصدر السابق: ص ١٧٥.

(٤٨) دده أفندي، المصدر السابق: ص ٧٤.

ولا نجد في تراثنا ما يسعنا في تعريف الاستبداد اصطلاحاً إلا ما جاء عند ابن خلدون في مقدمته في فصل (أطوار الدولة واختلاف أحوالها)، فذكر أن حالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار، وذكر أن الطور الثاني منها هو طور الاستبداد، فقال: (الطور الثاني: طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك، وكبحهم عن التناول للمساهمة والمشاركة، ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنياً باصطناع الرجال واتخاذ الموالي والصنائع والاستكثار من ذلك لجدع أنوف أهل عصبية وعشيرته المقاسمين له في نسبه، الضاربين في الملك بمثل سهمه، فهو يُدافعهم عن الأمر ويصدّهم عن موارد ويردّهم على أعقابهم أن يخلصوا إليه حتى يقرّ الأمر في نصابه، ويفرد أهل بيته بما يبني من مجده، فيعاني من مدافعتهم ومُغالبتهم مثل ما عاناه الأوّلون في طلب الأمر أو أشدّ؛ لأنّ الأوّلين دافعوا الأجنبي، فكان ظهراؤهم على مدافعتهم أهل العصبية بأجمعهم، وهذا يدافع الأقارب لا يُظاهره على مدافعتهم إلا الأقلّ من الأبعاد، فيركب صعباً من الأمر)^(٤٩).

ثم يذكر الطور الثالث لأنه متصل بالاستبداد فيقول: (الطور الثالث: طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك ممّا تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبُعد الصيت، فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدّخل والخرج وإحصاء التّفقات والقصد فيها وتشديد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهيكل المرتفعة وإجازة الوفود من أشرف الأمم ووجوه القبائل وبثّ المعروف في أهله، هذا مع التّوسعة على صنائعه وحاشيته في أحوالهم بالمال والجاه واعتراض جنوده^(٥٠) وإدراج أرزاقهم وإنصافهم في أعطياتهم لكلّ هلال حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملابسهم وشكّتهم وشاراتهم يوم الزّينة، فيباهي بهم الدّول المسالمة، ويُرهب الدّول المحاربة، وهذا الطور آخر أطوار الاستبداد من أصحاب الدّولة؛ لأنّهم في هذه الأطوار كلّها مستقلّون بأرائهم بانون لعزّهم موضحون الطّرق لمن بعدهم)^(٥١).

فابن خلدون ينقلنا بكلامه إلى أفق قصرت الكتب الأخرى عنه، لكنه يبقى واحداً في تراثنا، وإن تساءلنا عن سبب ذلك فلعل في كلام صاعد الأندلسي ما يجيب عن تساؤلنا، فقد ذكر صاعد الأندلسي الأمّ وعلومها، وأثبت لفارس الشرف في الملك والسياسة وأن أعظم فضائلهم التي اشتهروا بها حسن السياسة وجودة التدبير^(٥٢)، وأشاد بما للإغريق من الاعتناء الصحيح بفنون

(٤٩) ابن خلدون، المقدمة (تحقيق: علي عبد الواحد وافي)، دار نهضة مصر، ٢٠٠٤: ٥٤٣/٢.

(٥٠) بمعنى: استعراض جنده.

(٥١) ابن خلدون، المصدر السابق: ٥٤٣/٢ - ٥٤٤.

(٥٢) صاعد بن أحمد، أبو القاسم الأندلسي، طبقات الأمم (دراسة وتحقيق: حياة العيد بو علوان)، أطروحة ماجستير في التاريخ، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٨٣: ص ١٠٢.

الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية والمعارف الطبيعية والإلهية والسياسات المنزلية والمدنية^(٥٣).

وحيثما ذكر العرب وهم الأمة السابعة عنده ذكر اشتهارهم عند الأمم بالعزّ والمنعة، ثم قال: (ولم تكن ملوك جَمِير معنِيَّةً بأرصاد الكواكب ولا باختبار حركاتها ولا بإثارة شيء من علوم الفلسفة، وكذلك كان سائر ملوك العرب في الجاهلية، ولم يبلغنا عن أحد منهم كتب عن شيء من ذلك)^(٥٤)، وقال عن العرب: (وأما علْمُها الذي تفاخر به وتباري فيه فعِلْمُ لسانها وأحكام لغتها ونظم الأشعار وتأليف الخُطْب، وكانت مع ذلك أهل علم الأخبار ومعدن السير والأمصار ..، وكانوا يدخلون البلاد للتجارات فيعرفون أخبار الناس..؛ فالعرب أصحاب حفظ ورواية لخفة الكلام عليهم ورقة أسنتهم)، فنقلوا علوم أهل الكتاب والأمم الأخرى إلى لغتهم^(٥٥).

ولا يبعد عن هذا ما ذكره ابن الطقطقي عند حديثه عن علوم الملوك فقال: (قال بعض الحكماء: الملك إذا كان خلا من العلم كان كالفيل الهائج، لا يمرّ بشيء إلا خبطه، ليس له زاجر من عقل ولا رادع من علم. وتختلف علوم الملوك باختلاف آرائهم؛ فأما ملوك الفرس: فكانت علومهم جِكمًا ووصايا، وأدبًا وتواريخ وهندسةً وما أشبه ذلك. وأما علوم ملوك الإسلام فكانت علوم اللسان، كالنحو واللغة، والشعر والتواريخ، حتّى إنَّ اللحن كان عندهم من أفحش عيوب الملك، وكانت منزلة الإنسان تعلو عندهم بالحكاية الواحدة وبالبيت الواحد من الشعر، بل باللفظة الواحدة من اللغة)^(٥٦).

ومما حفظته لنا مصادرنا العربية باسمه فقط، وسقط من يد الزمان بأوراقه كتابٌ للجاحظ ذكره ياقوت: (كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب)^(٥٧).

فليس تمرّدًا على التراث الذي نغار عليه من الغبار يلامس صفحات كتبه، ولا خللاً في الهوية الإسلامية والعربية أن أقرر صحة كلام صاعد الأندلسي، وما وصلنا من تراثنا شاهد على ما جاء عنده وعند غيره، وإن نظرنا في تنمة قوله بحثاً عن تعريف اصطلاحى لموضوع بحثنا في الاستبداد ويّمنا شطر الإغريق نجد المصطلح متداولاً عندهم بلفظه ومعناه مذ أقدم

(٥٣) صاعد الأندلسي، المصدر السابق: ص ١١٥.

(٥٤) صاعد الأندلسي، المصدر السابق: ص ١٦٥.

(٥٥) صاعد الأندلسي، المصدر السابق: ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٥٦) ابن الطقطقي، المصدر السابق: ص ٢٥.

(٥٧) الحموي، معجم الأدباء: ٢١٢٠/٥.

فلاسفتهم سقراط وأفلاطون وأرسطو، وإن كان ما جاء لا يوافقنا تماماً، لكننا أمام جمهورية أفلاطون وسياسة أرسطو نجد ما نبحت عنه من تعريف الاستبداد، ثم يكون الكلام على كلامهم.

لا يمكن فهم نظرة أرسطو في الاستبداد ما لم نقف عند رأيه في الأعراق البشرية؛ فهو ينظر للإغريق أنهم أحرار بالطبع، وأن غيرهم عبيد بالطبع، فالحر حر بالطبع والعبد عبد بالطبع، يقول: (إنما الطبيعة وهي ترمي إلى البقاء هي التي قد خلقت بعض الكائنات للإمرة وبعضها للطاعة، إنما هي التي أرادت أن الكائن الموصوف بالعقل والتبصر يأمر بوصفه سيداً، كما أن الطبيعة هي التي أرادت أن الكائن الكفء بخصائصه الجسمانية لتنفيذ الأوامر يطيع بوصفه عبداً)^(٥٨)، ويقول: (يكون المرء سيداً ليس البتة لأنه يعرف أن يحكم، بل لأن له طبعاً ما، ويكون الإنسان عبداً أو رجلاً حراً بميزات مشابهة كذلك)^(٥٩).

ولأسف من هذه النظرة كانت قناعاته في تقسيم الحكومات والمحكومين؛ فحيث إن الناس في الشرق عبيد عنده، والعبد لا يُقيم أمره إلا سيد متسلط كان الاستبداد نوع الحكم الأنسب للشرق، في حين أن الإغريق أحرار (سادة) فلا يليق استرقاقهم واستخدامهم^(٦٠). ومنه خرج أرسطو بمصطلح الطغيان باعتباره حالة مرضية بالنسبة إلى الشعب الإغريقي، مقابل الاستبداد الذي هو حالة صحية للشرقيين، وعرف الطغيان بأنه: (ملوكية لا موضوع لها إلا المنفعة الشخصية للملك)^(٦١)، لأن أرسطو يعدّ الملكية من الحكومات الصالحة^(٦٢). ومثل هذا يكون للعبيد في الشرق فيكون استبداداً، ويميز بينهما أن طاعة الأحرار للملك الطاغية طاعة قانونية إدارية، وطاعة العبيد للملك المستبد في الشرق طاعة قهرية، لأن السلطة الاستبدادية في الشرق شرعية موروثية؛ فالشعوب تطيق نير الاستبداد بلا مشقة ولا تذمر. والملك الطاغية يعتمد في حرسه على أبناء مملكته، والملك المستبد لا يأمن على نفسه من أبناء مملكته فيعتمد في أمنه وخاصة أمره على المرتزقة^(٦٣).

(٥٨) أرسطوطاليس، السياسة (ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتهيلير، نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد)، ضمن سلسلة (من الشرق والغرب)، القاهرة، دت: ص ٩٤.

(٥٩) أرسطوطاليس، المصدر السابق: ص ١٠٧.

(٦٠) إمام عبد الفتاح، إمام، الطاغية دراسة فلسفية لفصول من الاستبداد السياسي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد: (١٨٣)، ١٩٩٤: ص ٢٥٩. وعبد الجليل كاظم، الوالي، الجذور الفكرية للاستبداد، ضمن (الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٦: ص ٣٠٥.

(٦١) أرسطوطاليس، المصدر السابق: ص ٢٠٠.

(٦٢) أرسطوطاليس، المصدر السابق: ص ٢٢٢.

(٦٣) انظر: أرسطوطاليس، المصدر السابق: ص ٢٤٢ و ٢٢ و ٣٣٧. وإمام، الطاغية: ص ١١٢ - ١١٦. وكاظم الوالي، المصدر السابق: ص ٣٠٦.

هذا مجمل فلسفة أرسطو في الاستبداد، ولا يخرج في كثير منها عما جاء عند أستاذه أفلاطون، الذي رأى أن الطاغية يستولي على السلطة عنوةً ويسعى للتخلص من خصومه بعد استيلائه عليها، لكنه يبدأ بكسب شعبية الناس ويشنّ حروباً ليبقى الشعب بحاجة إليه، وهذا ما تمثّله عنده ملكية فارس والشرق، مقابل الديمقراطية التي عند الإغريق^(٦٤). وقد ظلّ أثر هذه الثقافة عند المفكرين والفلاسفة من بعده، (فميكافيللي قارن بين الاستبداد والطغيان عندما قابل بين النظام الملكي في أوربا والطغيان الشرقي في الدولة العثمانية)^(٦٥).

ثم كان مونتسكيو^(٦٦) (١٦٨٩-١٧٥٥م) فرأى أن الاستبداد: (نظام حكم الفرد الواحد وفقاً لأهوائه ورغباته، دون التقيد بقواعد أو قوانين، فهو لا يسترشد ولا يتوجه إلا بإدارته الخاصة وأهوائه الشخصية)^(٦٧). ويرى مونتسكيو أن الاستبداد موجود منذ القديم، وسوف يظل قائماً ما دام مبدؤه قادراً على الهيمنة أو السيطرة على السكان، وعليه فإنّ الخوف يشكّل العلة الداخلية للاستبداد، لأن أي استبداد لا يكون استبداداً إلا إذا أثار الخوف في نفوس كل الخاضعين لحكمه، ومن دون ذلك لن يستطيع أن يبقى أي حكم مستبد؛ وهذا عامل نفسي أخلاقي وهناك عوامل مادية أخرى داخلية وخارجية^(٦٨).

لكن هذا الفيلسوف يرى أن الدين الإسلامي يتوافق توافقاً تاماً مع الحكم الاستبدادي ويساعده على البقاء، لذا فإنّ الحكومة المعتدلة هي أنسب ما يكون للعالم المسيحي، والاستبداد هو الحكم المناسب للشرق الإسلامي^(٦٩).

(٦٤) انظر: دولة خضر، خنافر، في الطغيان والاستبداد والديكتاتوريات بحث فلسفي في مسألة السلطة الكلية، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م: ص٥٨. وكاظم الوالي، المصدر السابق: ص٣٠٧.

(٦٥) انظر: خنافر، المصدر السابق: ص١٤٠. وكاظم، الوالي، المصدر السابق: ص٣٠٧.

(٦٦) مونتسكيو: هو شارل لوي دي سكوندا، المعروف بمونتسكيو، نسبةً إلى حصن جنوب شرقي فرنسا ورثه عن أحد أعمامه، فيلسوف ومفكر ومصالح سياسي فرنسي. عاش نهاية حكم لويس الرابع عشر التي تميزت بالتزمت والاستبداد الديني والانتكاسات السياسية، ثم لويس الخامس عشر. كان من الأعيان المحظوظين واعياً بحقوقه وامتيازاته واسع الاطلاع متحرر الفكر، يرى في الاستبداد آفة الملكية، تجول في أوربا والتقى أشهر رجال السياسة واستقبل في المحفل الماسوني. أهم كتبه: روح القوانين، وتأمّلات في تاريخ الرومان أسباب النهوض والانحطاط. توفي في باريس سنة ١٧٥٥ م. انظر: مونتسكيو، تأملات في تاريخ الرومان أسباب النهوض والانحطاط (نقله عن الفرنسية: عيد الله العروبي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١١: مقدمة المترجم ص٥ - ٧. وعبد الوهاب، الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: ٤٨٣/٦.

(٦٧) إمام، الطاغية: ص٢٢٧.

(٦٨) خنافر، المصدر السابق: ص١٤٢.

(٦٩) انظر: خنافر، المصدر السابق: ص١٤٧. وإمام، الطاغية: ص٢٦٤.

ثم كان هيغل^(٧٠) وماركس^(٧١) فأعادا أن الاستبداد للشرق لكن لجوانب اقتصادية^(٧٢).
فإن كان فلاسفة الغرب قد خرجوا - على خلاف علمائنا العرب القدامى - بتعريف
للاستبداد، فإنه لا يخلو من تناقضات في ذمّ طغيانٍ يكون غير صالحٍ عندهم وامتداح طغيانٍ
يتغير اسمه عند الشرقيين، فهم لم يخرجوا في تعريفاتهم عن عنصريتهم منذ أرسطو، على
اختلاف دوافع كل فئة منهم؛ فعنصرية أرسطو كانت عرقية تحكي تفوق العرق الإغريقي،
وعنصرية مونتسكيو كانت دينية ضد الإسلام وأهله، وعنصرية هيغل وماركس لبست لبوس
الاقتصاد ووسائل الإنتاج^(٧٣).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد كلامهم غارقاً في الفلسفة بخلاف ما كان كلام علمائنا
القدامى من العناية بالجوانب العملية التطبيقية في السياسة والاستبداد. وملخص ما جاء عندهم
عن الاستبداد: حكم الفرد المطلق الذي يستولي على السلطة عنوةً ويحكم الآخرين بالخوف
والقهر.

وتبين كذلك أن المصطلح قديم فهو DESPOTISME ومعنى كلمة المستبد في الإنكليزية
ونحوها في الفرنسية مأخوذة عندهم من كلمة ديسبوتيس DESPOTIS وتعني في اليونانية:
رب الأسرة، وفقاً لفلسفة أرسطو أن سلطة الحاكم في الدولة تبدأ من سلطة الأب في أسرته،

(٧٠) هيغل: اسمه جورج فيلهلم فريدرش هيغل، فيلسوف ألماني مشهور، اعتبر من أعظم الفلاسفة في العصر
الحديث، عاصر قيام الثورة الفرنسية وغزو نابليون لألمانيا وخروجه منها، درس الفلسفة واللاهوت،
واشتهر مات بالكوليرا سنة ١٨٣١م، ووقفت السلطات الرسمية والدينية خاصة في وجه فلسفته وأصدرت
الكنيسة الإنجيلية أنه خطر على الدين سنة ١٨٣٢. وأكثر فلسفة هيغل شيوعاً هي فلسفة التاريخ؛ والتاريخ
عنده هو التاريخ الفلسفي الذي يهيمن على الوقائع وينظر إليها من وجهة نظر غير مقيدة بزمان لأن العقل
هو جوهر التاريخ، وفي سياسة الدولة طبق هيغل نظرياته الديالكتيكية وميّز الدولة عن المجتمع المدني،
ورأى الحرب ضرورة لا يمكن التخلص منها ما دام السلب هو أساس التحقق والحرب سلب؛ فهي أساس
في تحقق التطور. انظر: الكيالي، المصدر السابق: ٢١٤/٧ - ٢١٧.

(٧١) كارل ماركس: فيلسوف وسياسي وعالم اقتصاد ألماني، تأثر بفلسفة هيغل، ويُعد مع صديقه فريديريك
إنجلز مؤسس الاشتراكية العلمية، وكان ماركس فيلسوفاً مادياً ملحداً بصورة عنيفة رفض كل ما له صلة
باللاهوت وكل ما هو فوق الحسّ. وإليه تُنسب الفلسفة الماركسية والتي تقوم على المادية الجدلية والمادية
التاريخية والاقتصاد السياسي والشبوعية العلمية، ولا يمكن أن تتحقق إلا بالديكتاتورية العمالية. وأهم ما
بقي من آثاره كتابه: رأس المال. أقام ماركس في لندن بعد مطاردات في أوروبا وفيها توفي سنة ١٨٨٣.
انظر: هيئة الموسوعة، الموسوعة العربية، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دار الفكر،
دمشق: ٤٤٦/١٧، وجميل، صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية،
الشركة العالمية للكتاب مكتبة المدرسة، بيروت: ص ٢٥٧. وانظر: محمد جلال، كشك، الماركسية
والغزو الفكري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٨.

(٧٢) انظر: إمام، الطاغية: ص ٢٦٤.

(٧٣) انظر: إمام، الطاغية: ص ٢٩١. وخالص جليبي، رسالة في الاستبداد، مركز الناقد الثقافي، دمشق،
٢٠٠٩: ص ١٤. وخنافر، المصدر السابق: ص ٧٤.

وكان أول مرة ظهر فيها مصطلح (المستبد) في الحرب الفارسية الهيلينية في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم كان أرسطو فطور المصطلح مقابل مصطلح الطغيان كما سبق إيجازه. ليدخل مصطلح الاستبداد قاموس الفكر السياسي في الغرب مع مونتسكيو في القرن الثامن عشر. مع اختلاف في المصطلح سببه عدم التمييز بين مصطلح الاستبداد ومصطلح الطغيان^(٧٤).

الاستبداد في الدراسات المعاصرة:

اتضح فيما سبق ما ورثه المعاصرون من تراثٍ عربي وغربي في موضوع الاستبداد وفلسفته.

لذا لا غرابة أن يتكئ مَنْ يكتب من باحثينا المعاصرين على ذلك في الكلام على الاستبداد، لكن نظرة دقيقة فيما جاءنا في الاستبداد فيما عُرف بعصر النهضة (نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) تؤكد أن الطفرة التي نقف عليها لمصطلح الاستبداد عند مَنْ عُرفوا برؤاد النهضة العربية إنما كان أثراً من آثار انفتاح العالم العربي نحو أوروبا في أواخر الخلافة العثمانية، واشتداد عود الدعوات القومية في البلاد العربية وغيرها، ونحو منها في داخل الدولة العلية من الأتراك كما جاء عن العلامة بديع الزمان النورسي رحمه الله^(٧٥). فلا غرابة أن يسطع نجم كاتب عربي أصدر كتاباً بعنوان (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) الذي عُدَّ أول دراسة دقيقة وعلمية للاستبداد في اللغة العربية^(٧٦).

وليكون هو وكتابه وما أثاره فيه أكبر نقلة لمصطلح الاستبداد في الدراسات العربية المعاصرة، وعلى ما كان في ذلك الوقت – وحتى يومنا هذا – من اختلاف الناس بين من يرى القومية فيُعطي من شأن دعائها، ومن يرى الإسلام هو الحل وأن أية رابطة دون الإسلام تُضعف وتهدم ولا تبني اختلاف الناس في الكواكبي وكتابه بين محذّر منه لدعوته للقومية العربية، وتأثره

(٧٤) انظر: إمام، الطاغية: ص ٤٤ - ٤٧. وخنافر، المصدر السابق: ص ٢٧٨. وكاظم الوالي، المصدر السابق: ص ٣٠٥. وحسن، السعيد، عبد الرحمن الكواكبي جدلية الاستبداد والدين، الكتاب الخامس من سلسلة رواد الإصلاح، إيران، ط ١، ٢٠٠٠: ص ٥٧. و س. م. لحام وآخرين، الأبعاد الدولية للاستبداد السياسي في النظم العربية ضمن (الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤: ص ٦.

(٧٥) في المصادر التركية كلام على علاقة السلطان عبد الحميد الثاني ببديع الزمان النورسي؛ انظر: مصطفى، أرمغان، السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب (ترجمة: مصطفى حمزة)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠١٣: ٢١١/١.

(٧٦) ماجدة، حمود، عبد الرحمن الكواكبي فارس النهضة والأدب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط ١، ٢٠٠٢: ص ٥٢.

بالغرب الأوربي وطعنه الخلافة الإسلامية العثمانية، ولدعوته للعلمانية ولفصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية؛ وهم قلة^(٧٧)، ومعجب به للسبب ذاته وهم الأكثر^(٧٨).

على أن ما يهتمنا هنا هو كلامه في الاستبداد الذي رآه الكواكبي أصل الداء، وفي تعريفه الاستبداد يقول: (يُراد بالاستبداد عند إطلاقه: استبداد الحكومات خاصة؛ لأنها أعظم مظاهر أضرارها التي جعلت الإنسان أشقى نوي الحياة. وأما تحكّم النفس على العقل، وتحكّم الأب والأستاذ والزّوج، ورؤساء بعض الأديان، وبعض الشركات، وبعض الطبقات؛ فيوصف بالاستبداد مجازاً أو مع الإضافة. الاستبداد في اصطلاح السياسيين هو: تصوّف فردٍ أو جمعٍ في حقوق قومٍ بالمشيئة وبلا خوفٍ تبعه...، وأما تعريفه بالوصف فهو: أنّ الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلاً أو حكماً، التي تتصرّف في شؤون الرّعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محقّقين)^(٧٩). ونقله عنه غيره من الباحثين والدارسين^(٨٠).

وممن تكرر عنده مصطلح الاستبداد جمال الدين الأفغاني^(٨١)، يقول:

(٧٧) انظر: محمد محمد، حسين، أزمة العصر، دار عكاظ، الرياض، ١٩٧٨: ص ١٨. وسفر، الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة المعاصرة، دار الهجرة: ص ٥٨٠، ومحمد، قطب، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، القاهرة، ط ٩، ٢٠٠١، وشكيب، أرسلان، ١٠٠ مشروع لتقسيم الدولة العثمانية، مكتبة الكوثر، الرياض، السعودية، ط ٢، ٢٠١٦.

(٧٨) انظر: سعد، زغلول، عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٨. وعباس محمود، العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢. ومحمد، عمارة، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٧، ومحمد، عمارة، عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانياً، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠. والسعيد، المصدر السابق. وحمود، المصدر السابق. وسهيل، عروسي، عبد الرحمن الكواكبي الجمر والرماد، دار رسلان للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠١٣.

(٧٩) عبد الرحمن، الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار الصحوة، القاهرة، ط ١، ٢٠١٦: ص ١٢.

(٨٠) انظر: محمد، العبد الكريم، تفكيك الاستبداد دراسة مقاصدية في فقه التحرر من التغلب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٣: ص ٣٧. والسعيد، المصدر السابق: ص ٥٠. وثناء، فؤاد عبد الله، آليات الاستبداد وإعادة إنتاجه في الواقع العربي، ضمن (الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤: ص ٣٨٨. ولحام، المصدر السابق: ص ٥٣١.

(٨١) هو محمد بن صفدر الحسني، من مواليد أفغانستان، تنقل في أرجاء الخلافة العثمانية، وكان له شأن، ويُعدّ من رواد النهضة. انظر: الزركلي، المصدر السابق: ١٦٨/٦.

قال السلطان عبد الحميد الثاني: (وقعت في يدي خطة أعدّها في وزارة الخارجية الإنجليزية مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني، وإنجليزي يدعى بلنت قالاً فيها بإقصاء الخلافة عن الأتراك، واقترحا على الإنجليزي إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين. كنت أعرف جمال الدين الأفغاني عن قرب، كان في مصر، وكان رجلاً خطراً، اقترح عليّ ذات مرة - وهو يدّعي المهديّة - أن يثير جميع مسلمي آسيا الصغرى. وكنت أعرف أنه غير قادر على هذا، وكان رجل الإنجليزية، ومن المحتمل جداً أن يكون الإنجليزي قد أعدوا هذا الرجل لاختباري؛ رفضت فوراً، فاتحد مع بلنت. استدعيته إلى إستانبول عن طريق أبي الهدى الصيادي الحلبي، الذي كان يلقي الاحترام في كل البلاد العربية... جاء جمال الدين الأفغاني إلى إستانبول ولم أسمح له مرة أخرى بالخروج منها). مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني (ترجمة: محمد حرب)، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٩٩١: ص ١٤٨.

(إن الحكومة الاستبدادية باعتبار عناصرها الذاتية وأقانيهما الحقيقية التي هي عبارة عن أمير أو سلطان ووزراء ومأموري إدارة وجباية)^(٨٢)؛ فمدار تعريفه حول التفرد بالسلطة مع القسوة والظلم.

ومن أعلام النهضة العرب المعاصرين الذين ذكروا الاستبداد العلامة محمد الخضر حسين، فتكلم على آثار الاستبداد، مع تناوب عنده في المصطلح فتارة يقول (استبداد) وتارة أخرى (استعباد) يعني به ما يكون من السلطة من تفرد بالسلطة وسطوة على مواطنيها^(٨٣). وبنحو هذا المعنى عند الخضر حسين استعمله في عدة مواضع من تفسيره (المنار) الأستاذ محمد رشيد رضا^(٨٤).

والأستاذ محمد عبده كانت له وقفات مع الاستبداد، يقول: (الاستبداد يقال على معنيين: أحدهما: تصرف الواحد في الكل، على وجه الإطلاق في الإرادة، إن شاء وافق الشرع والقانون وإن شاء خالفهما، فيكون اتباع النظام مفوضاً إليه وحده، إن أراد قام به وحده وإن لم يرد لا يؤخذ عليه، وهو الاستبداد المطلق. وثانيهما: استقلال الحاكم في تنفيذ المرسوم والشرع المسنون، بعد التحقق من موافقتها على قدر الإمكان، وهذا لا يسمى استبداداً إلا على ضرب من التساهل، وإنما يسمى في عرف السياسيين: توحيد السلطة المنفذة)^(٨٥).

وعرّفه علي الدباغ بقوله: (الاستبداد في أبسط تعريفاته: هو تفرد في الرأي في شؤون تخص الجماعة، وبالتالي فهو احتكار أو اغتصاب لحق الجماعة في إبداء رأيها، وفي النهاية فهو طغيان واعتداء على الآخر)^(٨٦)، وعند الكواكبي نحوه في قوله عن الاستبداد: أنه (التصرف في الشؤون المشتركة بمقتضى الهوى)^(٨٧).

-
- (٨٢) جمال الدين، الأفغاني، الحكومة الاستبدادية، مجلة المنار، مصر، المجلد ٣، نوفمبر، ١٩٠٠: ٥٧٧/٣.
- (٨٣) محمد الخضر، حسين، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني)، دار النوادر، سوريا، ط١، ٢٠١٠: ٥٤/٧.
- (٨٤) انظر: محمد رشيد، رضا، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠: ٢٧٢/١، ٩٨/٢، ١١٣/٥، ١٦٤/١١.
- (٨٥) محمد، عبده، الكتابات السياسية (تقديم: محمد عمارة)، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، ٢٠١٣: ص١٠٥.
- (٨٦) علي، الدباغ، الجذور الدينية للاستبداد، ضمن (الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤: ص٤٩.
- (٨٧) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق: ص٩.

وجاء عند باحث آخر: (هو فعل يقوم على الاستحواذ والاستيلاء والسيطرة على "شيء" هو حق مشترك مع الغير؛ فالمستبد يستولي على "الشيء" من دون وجه حق، فالسمة الجوهرية في الاستبداد هي "الانفراد دون وجه حق")^(٨٨).

وقال إبراهيم السكران: (الاستبداد في معناه العام: هو الخضوع لسلطة غير موضوعية، ويزيد الأمر أحياناً إلى محاولة خلق المستندات والحيثيات التي تبرر إكراهات هذا الاستبداد)^(٨٩).

وجاء في موسوعة السياسة: (استبداد: حكم أو نظام يستقل بالسلطة فيه فرد أو مجموعة من الأفراد دون خضوع لقانون أو قاعدة، ودون النظر إلى رأي المحكومين)^(٩٠).

وفي معجم المصطلحات الاجتماعية: (الحكم المطلق، الاستبدادية: أحد أشكال الحكم يتولى السلطة العليا فيه ملك أو جماعة صغيرة بمقتضى دستور أو بدونه، ويتميز بالسلطة غير المحدودة أو الاستبدادية)^(٩١).

وجاء في دائرة معارف القرن العشرين: (استبد برأيه: لم يشاور أحداً. الحكومة الاستبدادية: هي الحكومة التي يكون على رأسها ملك مطلق لا تقيد إدارته وزارة مسؤولة، ولا هيئة نيابية؛ وإنما سُميت استبدادية لأن الملك يستبدّ في أمر الحكومة برأيه فلا يستمع لمشورة أحد. نشأت الحكومات الاستبدادية مع الإنسان في نشأته الأولى، كان ينقاد بطبعه لأهل البطش والقوة، وكثيراً ما كان يُولي أمورَه لأجراً أهل عشيرته قلباً وأقوامهم جسماً، ثم يستنم إليه ويُطيعه طاعة عمياء .. ثم إن الأمم التي تقدمت في باحات الحضارة كالأمة اليونانية القديمة والرومانية توصلت لوضع حدود نظامية ضد الاستبداد)^(٩٢).

(٨٨) محمد هلال، الخلفي، جذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية المعاصرة ضمن (الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة): ص ٢٨٤.

(٨٩) إبراهيم بن عمر، السكران، سلطة الثقافة الغالبة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠١٤: ص ٢٤.

(٩٠) الكيالي، المصدر السابق: ١/١٦٦.

(٩١) أحمد زكي، بدوي، معجم المصطلحات الاجتماعية إنكليزي فرنسي عربي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢: ص ٣، ونحوه في المصدر ذاته عند الكلام على النزعة الاستبدادية: ص ١٠٥.

(٩٢) محمد فريد، وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثاني، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٧١: ٦٥/٢.

تحرير مصطلح الاستبداد:

أما وقد تداخل مصطلح الاستبداد بالطغيان عند أرسطو ومن بعده في الغرب، ودل المعجميون العرب بلفظ الاستبداد على معاني أحر فإنه لزم تحرير المصطلح، علماً أن القاعدة الأصولية المشهورة (لا مشاحة في الاصطلاح) حاضرة، لكن يتوجب معرفة حدود المصطلح وما يدخل فيه وما يخرج عنه، وما يتناوب في الدلالة على معناه من ألفاظ.

أول ذلك مصطلح (الطغيان) وقد مرّ أن التفريق فلسفي عند أرسطو ومونتسكيو وغيرهما من فلاسفة الغرب، والنتيجة أنهما مصطلحان بينهما نقاط اختلاف عندهم. لكننا إن نظرنا في تراثنا اللغوي والمعرفي العربي نجد أن لفظ (الطغيان) ورد في القرآن الكريم بخلاف لفظ (الاستبداد) الذي ورد في الحديث الشريف فحسب، وإن نظرنا فيما جاء عند المفسرين في لفظ (الطغيان) نجد أن الراغب الأصفهاني مثلاً يقول: (طَعَوْتُ وَطَعَيْتُ طَعَوَاناً وَطَعُيَاناً..، وذلك تجاوز الحد في العصيان. قال تعالى: {أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} [النازعات: ١٧]، {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٌ غَابِرٌ} [العلق: ٦]، وقال: {قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى} [طه: ٤٥]، {وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي} [طه: ٨١] ... قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ} [البقرة: ٢٥٦]، {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتِ} [الزمر: ١٧]، {أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ} [البقرة: ٢٥٧]، {يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} [النساء: ٦٠]، فعبارة عن كل متعدّد، ولما تقدّم سمي السّاحر، والكاهن، والمارد من الجنّ، والصارف عن طريق الخير: طاغوتاً^(٩٣).

وعند النظر في تعريف العلماء الطغيان والطاغية والطاغوت نجد الآتي:

الطغيان: مجاوزة الحد في الظلم والعسف والفساد والتمرد واستعباد الخلق^(٩٤).

(٩٣) الراغب، الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن (تحقيق: صفوان عدنان داوودي)، دار القلم – الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط٣، ١٤٢٣ - ٢٠٠٢: ص ٥٢٠.

(٩٤) انظر: محمد بن جرير، الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي)، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢ - ٢٠٠١: ٣٢٠/١، والسمعاني، المصدر السابق: ٣٢٧/٣، ومحمود بن عمر، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨ - ١٩٩٨: ٣٩١/٣، وفخر الدين محمد، الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الفخر الرازي)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١ - ١٩٨١: ٣٩/٣١، ومحمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣ - ١٩٩٣: ٣٣٦/٧. ولمزيد من التفصيل والتأصيل عن الطغيان في القرآن الكريم انظر: عمار يوسف، العباسي، مفهوم الطغيان والطغاة في القرآن الكريم، وهي أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، بغداد، عام ١٤٢٩ / ٢٠٠٨.

وعلى هذا فلا فرق في الدلالة عندهم بين (الاستبداد) و (الطغيان) من حيث مجاوز الحد والعدوان والتمرد.

ونجد في القرآن مما يدل على معنى الاستبداد لفظ (بغى)، وهو عند المفسرين في معانيه قريب من (طغى)، فقد جاء في تفسيرهم قوله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [البقرة: ٢١٣]، وقوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ} [ص: ٢٢]، قال المفسرون في معنى البغي فيها: الطغيان والعدوان بغير حق وقصد الفساد ومجاوز الحد^(٩٥).

ومما يتصل بالطغيان كذلك العتو، قال العسكري في الفروق: (الفرق بين الطغيان والعتو: أَنَّ الطغيَانَ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي الْمَكْرُوهِ مَعَ غَلْبَةٍ وَقَهْرٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ} الْآيَةَ [الحاقة: ١١]، يُقَالُ: طَغَا الْمَاءُ إِذَا جَاوَزَ الْحَدَّ فِي الظُّلْمِ. والعتو: المبالغة في المكروه، فهو دون الطغيان، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا} [مريم: ٨]، قَالُوا: كل مبالغ في كبر أو كفر أو فساد فقد عتا فيه، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَرِيحٌ صَرْصَرٌ عَاتِيَةٌ} [الحاقة: ٦]، أَي: مُبَالِغَةٌ فِي الشَّدَّةِ. وَيُقَالُ: جَبَّارٌ عَاتٍ، أَي: مبالغ في الجبرية، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَايُنَ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا} [الطلاق: ٨]، يَعْنِي: أَهْلَهَا تَكْبَرُوا عَلَى رَبِّهِمْ فَلَمْ يَطِيعُوهُ)^(٩٦).

علماً أن موسوعة السياسة جعلت (الاستبداد) و(الطغيان) و(الديكتاتورية) مصطلحات لمعنى واحد، والموسوعة العربية العالمية شرحت الاستبداد بما يفعله (الطغاة) وأن الاستبداد هو الديكتاتورية وبنحوه شرحت الطغيان^(٩٧).

ونصّ بعض الباحثين المعاصرين أن (الشائع استعمال اللفظين [الاستبداد والطغيان] كمرادفين لتلك الصورة القاسية من الحكم الفردي.. وفي العصر الحديث استخدم مفهوم الديكتاتورية ليدل على سياسية معينة تصبح فيه جميع السلطات بيد شخص واحد يمارسها بحسب

(٩٥) انظر: الطبري، التفسير: ٦٢٨/٣، و ٥٥/٢٠. وإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي)، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٩٨٨: ٢٤٤/١. والرازي، المصدر السابق: ١٩٣/٥، وأبو حيان الأندلسي، المصدر السابق: ٤٧٨/١.

(٩٦) الحسن بن عبد الله بن سهل، أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية (حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة: ص ٢٣٠.

(٩٧) الكيالي، المصدر السابق: ٧٨٣/٣، والموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٩٩٩: ٦٥٨/١ - ٦٥٩، ٦٠٥/١٥. ونحوها: أحمد بدوي، المصدر السابق: ٤٣٢، ١٠٨.

مشيئته، وهناك من عبّر عن الاستبداد بمفهوم التسلطية..، ومن المفاهيم الحديثة التي تفيد معنى الاستبداد مفهوم الشمولية؛ وهو يتفق مع المفاهيم السابقة في سيطرة فرد أو مجموعة أفراد على الحكم، ويسعى لصهر أفراد المجتمع في بوتقة أيديولوجية واحدة^(٩٨). وقال باحث آخر: (في إطار اللغة العربية فإننا نواجه ثراءً بالغاً في المفاهيم التي توحى بالشدة أو القوة، مثل: التسلط، والقهر، والاستبداد، والعبودية، والإكراه، والعنف، والعدوان، والإرهاب.. الخ)^(٩٩).

ومن عزّف التسلّط قال مثلاً: (التسلّط: هو الإسراف في استخدام السلطة وأساليب القمع والإكراه لغايات لا تتحقق فيها المصالح المشتركة لأفراد المجتمع ولا تعبّر عن طموحات الخاضعين لها، فهو تأكيد للنزعة الاستبدادية للتسلط؛ لأن التسلّط هو تأكيد لجانب السيطرة والقوة والخضوع لأوامر المتسلّط ونواهيته وإنزال العقاب بالآخرين)^(١٠٠)؛ فعادَ وذكرَ الاستبداد في شرحه.

ومن ميّزوا بين أنواع الحكومات قالوا: (إن الفارق بين الحكم الاستبدادي والحكم الملكي ليس فارقاً في الطبيعة، وإنما هو مجرد فارق في الدرجة، كما قال فولتير: إنه ليس ثمة فارق جوهرى بين الحكومة الاستبدادية "المجردة من القوانين" والحكومة الملكية المحضة "التي يضع القانون فيها شخص واحد"، بل نحن هنا إزاء حكمين متشابهين)^(١٠١)؛ فرجعنا هنا للتفريق في الاسم الموروث عن فلاسفة الإغريق والرومان لامتناح حال الحكم عندهم مقابل الحكم عند غيرهم.

وجدنا أنه حتى القرن الثالث الهجري كان لفظ (الاستبداد) يستعمل بالمعنى الحرفي للانفراد، دون أي وجه ذم.

فخاتمة الكلام هنا: (تضج اللغة العربية بمفاهيم القسر والشدة، مثل: الاضطهاد، والتعصب، والعدوان، والتشدد، والعنف، والتغالب، والإرهاب، والقهر، والعبودية، والإكراه، والتسلّط، والسلطوية، والاستبداد. من حيث المبدأ يصح أي مفهوم من المفاهيم السابقة ليوظف مكان

(٩٨) الخلفي، المصدر السابق: ٢٨٢٨ - ٢٨٣.

(٩٩) فؤاد عبد الله، المصدر السابق: ص ٣٨٧.

(١٠٠) علي أسعد، وطفة، بين السلطة والتسلط دراسة تحليلية: بحث في مجلة الفكر السياسي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٣، ١٩٩٨: ص ١١، وانظر في التسلط أيضاً: موريس، دوفرجيه، المؤسسات السياسية والقانون الدستوي الأنظمة السياسية الكبرى، ترجمة: جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٢: ص ٣٢٣.

(١٠١) إبراهيم، زكريا، مشكلة الحرية (ضمن سلسلة مشكلات فلسفية)، مكتبة مصر، ط ٣، ١٩٧٢: ص ٢٣٩، وانظر: عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق: ص ١٢. وخنافر، المصدر السابق: ١٥٧، وثامر، الخزرجي، النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة (دراسة معاصرة في استراتيجية إدارة السلطة)، دار مجدلاوي، الأردن، ط ١، ٢٠٠٤: ص ٢٦٧ - ٢٦٩.

الأخر؛ فالخط الفاصل بين هذه المفاهيم لا يُرى بالعين المجردة، وقد يكون هناك من الحدود التي لا تُكتشف إلا بالمجهر. ولا نعتقد بوجود محاولات سوسولوجية عربية أو محاولات لغوية متطورة للفصل بين هذه المفاهيم^(١٠٢)، ووجدنا أن معنى الاستبدال في التفرد والتمرد والسطوة تم تضمينه في لفظ الطغيان، وبعض هذه المعاني لفظ الغي والعتوّ في تراثنا وفي المصنفات العربية المعاصرة، مع التسوية في أكثر الدلالة على معنى الاستبدال في التسلّط والقهر والإرهاب والعنف والاضطهاد، وإن كان بعض ما ذُكر ينطوي تحت الاستبدال ويكون من وسائله كالاستعباد والعبودية والاضطهاد والإكراه.

وعليه فلا يحكم تراثنا الاختلافُ الفلسفي الذي وجدناه عند فلاسفة الغرب بين الاستبدال والطغيان مثلاً.

وإن كان يتحتم اليوم بعد امتزاج الحضارات وعلومها وشيوع المصطلحات بينها الامتناع عن استعمال اللفظ بمعناه الحرفي، فلا يمتنع قبول عائلته من المصطلحات المقاربة دون تضييقه بما ضيقوه هم على أنفسهم أحياناً.

وحيث إننا سنكون في دراسة للاستبدال في الأدب القديم من خلال نصوص شعرية جاهلية، نتعامل فيها مع النص الأدبي وجهاً لوجه دون واسطات، وحيث إنه أدب مرحلة لم تعرف الاحتكاك بتراث الأمم الأخرى وفكرها إلا على نطاق محدود؛ فإنني سأجري في مصطلح الاستبدال بعيداً عن المعنى الفلسفي المعقد، ليكون الاستبدال في تضاعيف البحث مستنداً للمعنى اللغوي كما جاء في معاجمنا العربية وفي تراثنا وعند المعاصرين الذين لم يغرقوا في تفاصيل المعنى الفلسفي؛ فالاستبدال هنا: الانفراد بالسلطة مما حقه الاشتراك والمشورة، وغلبة الآخرين وقهرهم والتسلط عليهم، وانتزاع ما في أيديهم بغير حق.

أنواع الاستبدال:

تقدم تعدد الألفاظ الدالة على الاستبدال، بين الشرق والغرب والقدامى والمعاصرين، وبأكثر من ذلك تعددت الأنواع التي ذكروها للاستبدال، وسبب الأنواع الكثيرة التي تطالعنا عناوينها في الكتب الشرقية والغربية القديمة منها والحديثة هي تنوع زاوية الناظر في هذا الاستبدال، مع أنه هو هو بالمعنى الذي انتهينا إليه.

(١٠٢) وطفة، المصدر السابق: ص ٦، وانظر: الخلفي، المصدر السابق: ٨. وإمام، الطاغية: ص ٣٩، و ٤٦.

ففي الدراسات الغربية ومن انتهج نهجها تتكرر مفردات كثيرة تصف الاستبداد لتتعدد أنواعه، منها ولعله أولها: الاستبداد الشرقي، وهو ما تقدم ذكره عن أرسطو ومونتسكيو خاصة^(١٠٣).

ومن غريب ما جاء عند الكواكبي قوله في التمييز بين الاستبداد الشرقي والاستبداد الغربي: (أمّا السياسيون فلا يهتمّهم إلا أن تستغني الرعية بأي وسيلة كانت، والغربيون منهم يُعينون الأمة على الكسب ليشاركوها، والشرقيون لا يفتكرون في غير سلب الموجود، وهذه من جملة الفروق بين الاستبدادين الغربي والشرقي، التي منها أنّ الاستبداد الغربي يكون أحكم وأرسخ وأشدّ وطأةً، ولكنّ مع اللّين، والشرقي يكون مقلقلًا سريع الزوال، ولكنّه يكون مزعجاً. ومنها أنّ الاستبداد الغربي إذا زال تبدل بحكومة عادلة تُقيم ما ساعدت الظروف أن تقيم، أما الشرقي فيزول ويخلفه استبداد شرٌّ منه؛ لأنّ من دأب الشرقيين أن لا يفتكروا في مستقبل قريب، كأنّ أكبر همهم منصرف إلى ما بعد الموت فقط، أو أنهم مبتلون بقصر النظر)^(١٠٤). ولعمري هذا استبداد كبير يخجل من التصريح به أكثر الغربيين !!

ويذكرون بعده ما عُرف بالاستبداد الديمقراطي: ويعنون به استغلال بعض الممارسات الديمقراطية لتحقيق أهداف استبدادية، ومعنى هذا أنه يتم في مجتمع منظم يحكمه دستور ويسوده القانون، ويتميز الاستبداد الديمقراطي بإشراك الشعب في اتخاذ القرار، وهو ما يصلح ستاراً مروعاً لتغطية القرارات الفردية أو التي تعبّر عن إرادة الأقلية، فكل استفتاء شعبي ينطوي على مخالفة للدستور هو ستار ديمقراطي للاستبداد. فكّل ما ينزع إلى تجاوز القانون يبدو استبدادياً، إلا أن الاستبداد الحقيقي يسود حتى في ظل القانون، فأشد أشكال الطغيان الذي يمارس في ظل القوانين وتحت ألوان العدالة^(١٠٥).

(١٠٣) انظر: خنافر، المصدر السابق: ص ١٣٩، وإمام، الطاغية: ص ٢٥٩، والكيالي، المصدر السابق: ١٦٧/١، والخليفي، المصدر السابق: ص ٢٨١، والسعيد، المصدر السابق: ص ٥٣، وفؤاد عبد الله، المصدر السابق: ص ٣٩١ - ٣٩٢.

(١٠٤) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق: ص ٧٦ و ٨٩.

(١٠٥) عصمت، سيف الدولة، الاستبداد الديمقراطي، دار المستقبل العربي للنشر، ١٩٩٨: ص ١٩٤ وما بعدها، ٢٢٩. وانظر: إمام عبد الفتاح، إمام، الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠١: ص ٣٨١. وسلين، بولمي، جذور الاستبداد في الشرق الأوسط، ترجمة: جلال خشيب، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، إسطنبول، آذار ٢٠١٧: ص ٧. وخنافر، المصدر السابق: ص ١٧٠. والخليفي، المصدر السابق: ص ٢٨١.

ويزداد المستبدون ودعاتهم في تلميع الاستبداد فنجد عنواناً للاستبداد أشد بريقاً، وهو الاستبداد المستنير أو الدكتاتورية المستنيرة أو الطاغية الخير أو الطاغية الصالح أو الملكية المستنيرة: وهو تعبير سياسي استعمله الأوربيون في القرن الثامن عشر ويجمع الملكية المطلقة مع مفاهيم عصر التنوير، فيعمل الملك في أمور تعطيه صورة حسنة مع شعبه في قضايا العقد الاجتماعي، لكنه مستبد في أمور الدولة لا يشاركه أحد ولا يعارضه. وهو استبداد بلبوس أدبي لا تغير حقيقته القبيحة^(١٠٦).

وهذا ما يسميه البعض الاستبداد المتحضر^(١٠٧)، ويجعلونه مقابلاً للاستبداد المتخلف^(١٠٨)، ويسميه آخرون: الاستبداد الحداثي ويجعلون مقابله الاستبداد التقليدي^(١٠٩).

ولا يمكن - ونحن في أنواع الاستبداد وفق الدراسات والفلسفات الغربية - أن نتجاوز ما عُرف في تاريخ أوروبا باستبداد الكنيسة أو استبداد البابوات أو الاستبداد الكنسي: ويتحدد هذا بنجاح الكنيسة في أوروبا في القضاء على استبداد الملوك والإقطاعيين واستعادة السلطة للبابا والكنيسة بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، وهي المرحلة التي عاشتها أوروبا في العصور الوسطى تحت وطأة الاستبداد الكنسي، وكانت السلطات كلها بيد البابا والقساوسة. وتجلت استبداد الكنيسة بمحاربة الحرية الفكرية عبر تهمة الهرطقة وحرق الكتب والنفي والقتل، واستبداد السلطة السياسية ما كان من حروب أوقدوا نارها باسم الرب، مع ما كانت تجمعها من ضرائب وأموال بالقوة لاسيما لتمويل حروبها الصليبية^(١١٠).

(١٠٦) انظر: إمام، الطاغية: ص ٦٠ - ٦٧. ودورجيه، المؤسسات السياسية: ص ٣٤١. وخنافر، المصدر السابق: ص ١٧٣. و ول، ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس. دار الجبل، بيروت، ١٩٨٨: ١٥٥/٣٧، ٢٨٥/٣٩. والخليفي، المصدر السابق: ص ٢٨١. وسيف الدولة، المصدر السابق: ص ٢١٢ - ٢٢. ولحام، المصدر السابق: ص ٥٤٤. والكيالي، المصدر السابق: ١/١٦٧.

(١٠٧) انظر: غوستاف، لوبون، روح السياسة (ترجمة: عادل زعيتن)، دار كلمات عربية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٢: ١٢٨-١٣١. وسيف الدولة، المصدر السابق: ص ٧٦، ١٤٨.

(١٠٨) انظر: سيف الدولة، المصدر السابق: ص ٤٨.

(١٠٩) انظر: رفيق عبد السلام، بوشلاكة، الاستبداد الحداثي العربي، التجربة التونسية نموذجاً، ضمن (الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة): ص ٨٥ - ٨٦.

(١١٠) انظر: سيف الدولة، المصدر السابق: ص ٥٦ وبعدها. وإمام، الطاغية: ص ١٤٢. وعبد الرحمن، السلمي، حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٢٠٠٩: ص ٣٠. ومحمد، بريش، الاستبداد الديني، الألوكة. ومحمد، أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، ط ٤، ١٤٠٤: ص ٢٠٤. والحوالي، المصدر السابق: ص ١٢٣.

كل هذه أنواع الاستبداد التي ارتبطت بتاريخ أوروبا في أكثرها، وإن كانت لا تخلو دول أخرى ولا أوقات غير التي أرخت لظهورها أول مرة منها.

وهناك تقسيم آخر ينظر في الاستبداد على أنه داخلي وخارجي، وهذا تقسيم عام لا يخلو منه زمان أو مكان، ويقصدون به ما يكون داخل الدولة من استبداد الحكومات بمواطنيها أو قادة القبائل بأفرادها، والخارجي ما يكون بين الدول أو القبائل أو الأمم من غزو واستعمار وحروب ووصاية^(١١١).

ولإبراهيم بن عمر السكران في هذا التقسيم كلام طريف يلامس واقعنا اليوم: (فالاستبداد في حقيقته ليس نوعاً واحداً كما يتصور الكثيرون، بل هو على مستويات من أهمها: الاستبداد السياسي، والاستبداد الثقافي، ولكل نوعٍ من نوعي الاستبداد ضحاياه؛ فضحايا (الاستبداد السياسي) يغالون في مفهوم الطاعة السياسية فوق القدر الشرعي المأمور به، وينفرون من الاحتساب الولائي، ويميلون للتفهم الشرعي لكل أمر سلطاني، ويبحثون في النصوص الشرعية أو التراث الإسلامي لتبرير وتسويغ أوامر المستبد، حتى لو كان بنوع من التطويع، ويتحدثون عن المستبد الداخلي بعبارات الانبهار والتفخيم، وكل ذلك نتيجة (انهيارهم النفسي) أمام نفوذ المستبد الداخلي. وضحايا (الاستبداد الثقافي) يميلون للتفهم الشرعي قدر الإمكان لثقافة الغرب الغالب في السياسة والاجتماع والحكم، ويبحثون في النصوص الشرعية أو التراث الإسلامي لتبرير وتسويغ مفاهيم الثقافة الغربية، حتى لو كان بنوع من التطويع، ويتحدثون عن المستبد الثقافي بعبارات الانبهار والتفخيم مثل: المعجزة الغربية، الحضارة الغربية، ونحو ذلك، وكل ذلك نتيجة (انهيارهم النفسي) أمام نفوذ المستبد الثقافي.

وتجد ضحايا (المستبد السياسي) لو قلت لهم: أنتم تميلون لتطويع النصوص والتراث لأوامر المستبد السياسي لغضبوا عليكم، ورأوك جائراً ظالماً في الحكم والتقييم، ويرددون لك بأنهم لديهم نصوص وهم أقرب للشريعة منك. وهكذا أيضاً: تجد ضحايا (المستبد الثقافي) لو قلت لهم: أنتم تميلون لتطويع النصوص والتراث لثقافة المستبد الثقافي لغضبوا عليكم، ورأوك جائراً ظالماً في

(١١١) انظر: محمد جمال الدين بن محمد سعيد، القاسمي، تفسير القاسمي (محاسن التأويل) (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨: ٢/٢٢٩. وعبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق: ص١٤، ٧١. ولحام، المصدر السابق: ص٥٤١.

الحكم والتقييم، ويرددون لك بأنهم لديهم نصوص وهم أقرب للشريعة منك^(١١٢). وما ذينك الاستبدادان إلا الاستبداد الداخلي والاستبداد الخارجي.

وفي هذين الاستبدادين نجدنا خرجنا قليلاً عن السياسة نحو مكان سقوط سوط الاستبداد في الأمة، ولعل هذا أشهر تقسيم للاستبداد، ففيه يقال: استبداد سياسي، واستبداد اقتصادي، واستبداد ديني وفكري.

وعلى هذه سيكون مدار البحث، لأننا إن نظرنا في التقسيمات السابقة لوجدنا التقسيم الأول إلى: شرقي وديمقراطي ومستنير وتفرعاته، يخرج من عباءة الفلسفة الغربية؛ وهي لا تعنينا هنا. ولو نظرنا في التقسيم إلى داخلي وخارجي لوجدناه عاماً تنتوع مظاهره في كل منهما. ونحن في بحثنا هذا نمضي على استقصاء الشواهد من بطون الشعراء لا من بطون كتب الفلسفة والتاريخ، وما خرجنا به من شواهد وجدناها تحكي أنواع الاستبداد هذه: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والفكرية، وسيأتي في الفصول اللاحقة تفصيل كل منها.

وحيث إن الاستبداد واضح الدلالة واسع الطيف يدخل شتى مناحي الحياة ويمكن أن يكون في أي منها وجدنا تسميات كثيرة منه غير ما تقدم، منها: استبداد الذوق العام، يقول الأستاذ أحمد أمين: (وهذا الذوق العام للأمة يستبد بالأفراد استبداداً لا حد له؛ فالناس جميعاً خاضعون لأنواع شتى من الاستبداد كاستبداد النظم السياسية، واستبداد العقول، واستبداد الرؤساء. ولكن هذه كلها محدودة الدائرة، أما استبداد الذوق العام فلا حد له، ولا سلطان يشبه سلطانه؛ ذلك أنه بجانب الذوق العام للأمة ذوق خاص بالفرد، فكل فرد له ذوقه الخاص يستجيد به بعض الأشياء ولا يستجيد بعضاً، ويستحسن به ويستهن، ويستجمل ويستقبح، ولكنه في ذلك مسلوب الحرية خاضع خضوعاً تاماً للذوق العام)^(١١٣).

ومنها: استبداد الأكثرية واستبداد الأقلية^(١١٤).

ومن تفرعات بعض المعاصرين: الاستبداد الدعوي، يقول الصويان: (والاستبداد صفة من صفات التسلط وفرض الرأي بالقوة، وهو يقتضي تكميم الأفواه وقطع الألسن؛ فلا تتحدث إلا في

(١١٢) السكران، سلطان الثقافة الغالبة: ص ٢٤ - ٢٥.

(١١٣) أحمد، أمين، الذوق العام، مجلة الرسالة، أنشأها أحمد حسن الزيات باشا، العدد ٢٢، القاهرة، ١٩٣٣: ١١/٢٢.

(١١٤) انظر: سيف الدولة، المصدر السابق: ص ١٣. والديمقراطية أكثريات وأقلية وتشرية، مجلة الرسالة: ١٩/٢٠.

مجال محدود لا تتجاوزه وبطريقة معينة لا تتغير، بل ينطلق الاستبداد أحياناً ليحجر على أفكار الإنسان وخواطره، بل أنفاسه وزفراته^(١١٥).

الاستبداد بين العرب والأمم الأخرى:

إننا إذ ندرس الاستبداد في الأدب العربي القديم فليس ذلك لأن الاستبداد منبته ومستقره الشرق كما ادعى أرسطو وغيره، وبنظرة عجلية في التاريخ المعاصر والقريب نعرف حجم المآسي التي أهرقت فيها دماء الإنسانية هنا وهناك شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً، مع تعدد أسباب ذلك. وما التاريخ القديم ببديع عن التاريخ المعاصر.

فقد سبق أن أفلاطون وقد بنى مدينته الفاضلة وأصل وفصل في الاستبداد، وتابع خطاه تلميذه أرسطو فكان له ضربٌ عميق في فلسفة الاستبداد؛ لكنهما لم يُنَجُوا من الاستبداد (أو الطغيان) الذي حذرًا فاستبدًا بالأغيار ممن هم غير الإغريق، فكان الاستبداد عندهما هو أنسب ما يليق بمن هم دونهم، مع أن أستاذهما عظيم فلاسفة الإغريق سقراط كان واحداً من أقدم ضحايا الاستبداد الذي امتدحاه، فقد أعدمته أثينا عام ٣٩٩ قبل الميلاد بتهمتي الهرطقة وإفساد الشبيبة، فتم الحكم عليه بالإعدام بسبب آرائه بجرعة سمّ مع تصويت بالأغلبية على مقتله^(١١٦).

وفي مصر كان فرعون مثلاً للحاكم الفرد المستبد، حتى ادعى الربوبية واستعبد الناس، فهو الحاكم والمشرّع والقاضي، وكانت مصر كلها له مائدة، فهي عندهم مائدة فرعون الحاكم الإله^(١١٧).

وإن نظرنا في تاريخ الكنيسة في أوروبا طالعنا صنوف وألوان من استبداد الكنيسة، ليسترجع المرء وهو يقرأ دعواهم في الاستبداد الشرقي ويقول: رمتني بدائها وانسلت!! حتى لتجد للحظة تاريخ أوروبا الوثنية والمسيحية أحمر بدماء ملايين من أبنائها على أيدي المستبدين من أبنائها أيضاً، منذ استبداد الأباطرة الوثنيين بالمسيحيين، مروراً باستبداد الملوك والإقطاعيين بالناس،

(١١٥) أحمد بن عبد الرحمن، الصويان، الاستبداد الدعوي، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ٧٣، رمضان ١٤١٤، فبراير ١٩٩٤: ٤٧/٧٣.

(١١٦) جلبي، المصدر السابق: ص ٧٤.

(١١٧) انظر: سيف الدولة، المصدر السابق: ص ٤٤ وما بعدها.

فاستبداد الكنائس رعايا الكنائس الأخرى، بما في ذلك من قتل الإخوة والأبناء والآباء، وليس آخرها محاكم التفتيش وما نكلوا بالمسلمين في الأندلس^(١١٨).

لذا قال الشيخ الأديب علي الطنطاوي: (أما إنَّ استبداد لويس الرابع عشر هو استبداد روبسبير، وهو هو استبداد هتلر، لم تنجُ أوروبا من الاستبداد في الحكم يوماً واحداً، ولم يحقق النظام البرلماني شيئاً من أمانها الديمقراطية ومبادئها البراقة التي تخدع بها الأطفال الكبار من الشرقيين!!)^(١١٩).

دون أن تُحرم منصفين لتاريخهم منهم، فهذا الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون يقول: (الحاجة إلى الاستبداد عاطفة قومية ملازمة لمزاجنا النفسي .. الميل إلى الاستبداد واحتقار الحرية عام في فرنسا .. نعم، إن للحرية أنصاراً من أصحاب العلوم النظرية، ولكن الاستبداد هو الذي يستهوي الجماعات وقادتها)^(١٢٠).

وليس كلامي هنا رداً للتعصب الغربي تجاه الشرق بتعصب مثله، ولا دعوى أن شرقنا من أقصاه حتى أبواب أوروبا وصحراء أفريقيا واحة حريات قديماً وحديثاً، فلو كان كذلك لم يكن هذا البحث، وسيأتي الكلام على ما حفظه لنا الشعر العربي الجاهلي من شواهد على الاستبداد، وفي (جذور الاستبداد) للدكتور عبد الغفار مكاوي عودة للبعيد أكثر في الحكمة البابلية وسيط الاستبداد في صفحاتها^(١٢١).

لذا ليس مغامرة أن نقول: ظاهرة الاستبداد^(١٢٢)؛ فهو ظاهرة بشرية مرضية عامة^(١٢٣) في مختلف المجتمعات ومختلف العصور، بل لعل أول ما أوقد جذوتها قتل الأخ أخاه في قصة قابيل وهابيل.

(١١٨) انظر: لويس، بروال، الإجرام السياسي، ترجمة: حسن الجداوي، دار نهوض للدراسات والنشر، الكويت، ط ٢، ٢٠١٨: ص ٨٢-٨٧. والسلمي، المصدر السابق: ص ١٧ - ٤١. وأبو زهرة، المصدر السابق: ٢٠٥-٢١١. وبريش، المصدر السابق.

(١١٩) علي، الطنطاوي، التاريخ الإسلامي، مجلة الرسالة: ٢٣/٨٢.

(١٢٠) غوستاف، لوبون، سيكيولوجيا الجماهير، مركز إبحار للنشر والترجمة، الأردن: ص ١٣٠ - ١٣١.

(١٢١) انظر: عبد الغفار، مكاوي، جذور الاستبداد قراءة في أدب قديم، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٩٢، ١٩٩٤، رقم: ١٩٢. وحسنين، توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، أطروحة دكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩.

(١٢٢) انظر تعريف الظاهرة في: صليبا، المصدر السابق: ٣٠/٢.

(١٢٣) انظر: لحام، المصدر السابق: ص ٥٣٠ - ٥٣٢. وسالم، النجفي، الاستبداد في نظام الحكم في العراق متضمنات الماضي ورؤية المستقبل، ضمن (الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة): ص ٤٥٨ - ٤٦٠. وجلي، المصدر السابق: ص ٤٨.

أسباب الاستبداد:

أما وقد تقرر أن الاستبداد ظاهرة عالمية، ضربت بسياطها الحادة ظهر الإنسانية في مختلف المجتمعات منذ أقدم العصور، ولا يزال ضحايا الاستبداد ثرائاً دماؤهم على منححر الحرية والكرامة حتى اليوم؛ فليس الأمر بهيّن ولا يمكن اختصارها في سبب ما لاستبداد هذا القائد هنا وسبب آخر لاستبداد ذلك هناك.

يُرجع موريس دوفرجه^(١٢٤) الصراع – والاستبداد صراع في وجهه أو وجوه – إلى عدة عوامل تختصر العوامل التي تدفع إلى الاستبداد عموماً، وهذه العوامل هي:

العوامل البيولوجية^(١٢٥): ومختصرها في النظرية العرقية وتنازع البقاء، والنظريات العرقية تعني أن بعض العرقيات أدنى من بعض، وأن العروق الدنيا عاجزة عن إقامة مجتمعات حديثة وبناء دول حديثة. والاستبداد الناتج عن هذا قد يكون في البلد الواحد أو القبيلة الواحدة وقد يكون بين دولة وأخرى، ولا يكون ذلك ناتجاً عن طبيعة العروق من الناحية الفيزيولوجية، بل عن التصورات الجماعية التي تقوم في الأذهان بصدد العروق، وعن أنواع السلوك التي تترتب على ذلك. وهنا يدخل كثير من الاستبداد قديماً وحديثاً؛ ولعل أشهر صورته قديماً ما كان تجاه السود كما سيأتي. يرى إيتين دي لابواسيه^(١٢٦) (١٥٦٢م) في علم الاجتماع والفلسفة السياسية أنه لا يُوثق بالإنسان؛ لأن في جبلته الاستعداد للطغيان مع كل امتلاك ما لم توجد ضوابط ومراقبة، ولا يُعول عليه لأنه خُلِقَ هلوياً جزوعاً منوعاً. وبقدّر التعطش للسلطة بقدر الفراغ

(١٢٤) موريس دوفرجه: عالم سياسي فرنسي، وُلد سنة ١٩١٧م، درس القانون ودّرّسه، ونال شهرة كبيرة داخل فرنسا وخارجها، ترك العديد من المصنفات القيّمة، منها: مدخل إلى علم السياسة، والأحزاب السياسية، والمؤسسات السياسية والقانون الدستوري الأنظمة السياسية الكبرى، وعلم اجتماع السياسة. وكانت له مواقف إيجابية من القضايا العربية والقضية الفلسطينية، وتوفي سنة ٢٠١٤م. انظر: الكيالي، المصدر السابق: ٦٩٧/٢.

(١٢٥) موريس دوفرجه، مدخل إلى علم السياسة (ترجمة: د. جمال الأتاسي و د. سامي الدروبي)، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٩: ص ٢٤.

(١٢٦) دي لابواسيه: قاضٍ وفيلسوف فرنسي، وُلد لأسرة ميسورة مثقفة، ودرس الحقوق، وكان مولعاً بالثقافة الإغريقية والرومانية ونقل بعض آثار الفلاسفة الإغريق إلى الفرنسية، وأهم آثاره كتابه: مقالة العبودية الطوعية، ألفه في الوقت الذي كانت فيه أوروبا في الظلم والاستبداد، وشكّل كتابه وجهة نظر في السياسة وفي أسباب الاستبداد والطاعة، واهتم بالدوافع النفسية المحددة للسلوك الاجتماعي والسياسي للأفراد والجماعات، وتوفي لابواسيه سنة ١٥٦٣م. انظر: إيتين، دي لا بوسيه، مقالة العبودية الطوعية (ترجمة: عبود كاسوحة)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨: ص ٢١. ومولاي، عبد الصمد صابر، قراءة في كتاب "مقالة في العبودية المختارة"، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ١٥ نوفمبر ٢٠١٤.

والنقص الداخلي عنده، والسلطة بدون مراقبة ومحاسبة تُفسد، وقليلٌ من السلطة تعني قليلاً من الفساد، وسلطةٌ مطلقةٌ تعني فساداً مطلقاً^(١٢٧).

العوامل النفسية^(١٢٨): وأولها شهوة السيطرة والسلطة التي تكون في بعض الناس، وما يكون في الطفولة الأولى وينشأ الفرد عليه ويكبر معه فتكون ظاهرة التعويض؛ فكما يكون الاستبداد بسبب قوة طافحة وعزم شديد قد يكون بسبب ضعف نفسي وبلبلة داخلية لعجز الفرد عن السيطرة على نفسه وعن فرض احترامه على الآخرين، فيختبئ هذا العجز وراء الموقف المناقض تخفياً وتسترأ، أو أن يكون نتيجة إخفاق عاشه الفرد أو حالة مرضية وقع فيها فيميل للانتقام والوحشية. وليس بأقل أهمية من هذا هنا ما يكون في طبيعة المحكومين المستبد بهم؛ لأن قوة المستبد يستمدّها مع قوته من صمت المستبدّ بهم واحتمالهم أذاه.

العوامل الديموغرافية^(١٢٩): وهذا مما تكلم فيه أرسطو وأفلاطون إذ ذهبوا إلى أن فرط ازدياد السكان يؤدي إلى اضطرابات سياسية. وتعبّر نظرية الضغط الديمغرافي الآن عن وضع البلاد المتخلفة التي يتسارع فيها تزايد عدد السكان تسارعاً هائلاً، وتتفاقم الصراعات السياسية وتتنوع مظاهر الاستبداد كذلك. فهناك نوعان من التوازن الديمغرافي يتحققان حالياً بسبب عدة عوامل: توازن في البلدان المتطورة حيث تقلّ الوفيات لكن تقلّ الولادات؛ ولا صراعات. وتوازن عكس ذلك في البلدان المتخلفة حيث تكثر الولادات وتكثر الوفيات لكثرة الصراعات والاستبداد، لكن هذه البلدان تتطور فيحدث خلل في التوازن الديمغرافي بسبب القصور في النمو الاقتصادي، ما يخلق مجدداً صراعات وحروباً واستبداداً.

العوامل الجغرافية^(١٣٠): وهذه كذلك نظرية قديمة تربط السياسة والصراعات بطبيعة جغرافية كل بلد، أو في موقع كل قبيلة؛ وإن تراجع أثر هذه النظرية في العصر الحاضر بسبب تطور البشرية لكن كثيراً من الاستبداد القديم في جزيرة العرب وغيرها قد يرجع إلى العوامل الجغرافية من الأرض والماء والمناخ. مع ما أكده القدامى من أثر كبير للمناخ والطبيعة في الإنسان. وما يكون لتوزيع السكان في المكان وطرق المواصلات.

(١٢٧) هشام، حافظ وآخرون، كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢: ص١٦٣.

(١٢٨) دوفرجيه، مدخل إلى علم السياسة: ص٣٩. وانظر: الخلفي، المصدر السابق: ٢٩٧-٢٩٨. وسيف الدولة، المصدر السابق: ص٣، ٣٧. وبروال، المصدر السابق: ص١٤٢.

(١٢٩) دوفرجيه، مدخل إلى علم السياسة: ص٥١.

(١٣٠) دوفرجيه، مدخل إلى علم السياسة: ص٦١. وانظر: رفيق عبد السلام، بوشلاكة، المصدر السابق: ص١١٣.

العوامل الاجتماعية والاقتصادية^(١٣١): وتتجلى في معاناة كل المجتمعات الإنسانية من العوز كون الخيرات المتوفرة فيها أقل من الحاجات التي يجب تلبيتها، مع تفاوت بين المجتمعات في مقدار العوز وأشكاله. ولأن الناس في العوز والاكتفاء ليسوا سواء تكون الطبقات؛ فيتمتع أناس ويُحرم أناس، ويستبد الغني بالفقير ويثور الفقير على الغني المستبد. وتغدو هذه الطبقة وهذه الصراعات أفكاراً وتصوراتٍ تقوم في الأذهان، ولهذه العوامل كذلك نصيب كبير في تراثنا القديم كما سيأتي في الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي.

العوامل الثقافية^(١٣٢): وهنا تصبّ جميع العوامل السابقة؛ فالاعتقادات الخاصة بالقابليات الفردية وتنازع البقاء والوضع الجغرافي والطبقات والعروق والضغط الديمغرافي تصبح ثقافية، فالمؤسسات والصراعات تبقى زمناً طويلاً بعد اختفاء العوامل التي كانت قد ولّدتها، فيكون الاستمرار الاجتماعي، وهذه القناعات والثقافة التي تبقى بعد زوال أسبابها تكون سبباً في الصراع والاستبداد فيما بعد، وبهذا تتولد الأيديولوجيات، ويصير لكل طبقة أيديولوجيتها وللحاكم أيديولوجيته، وللأمة عامة أيديولوجيتها التي ترسم حضارتها.

فهذه جملة عوامل ذكره الباحثون في تفسير وقوع الاستبداد من إنسان ما تجاه أخيه الإنسان، لا يشترط أن تجتمع كلها في تفسير استبداد واحد، ولا نقاش في صحتها وخطئها؛ لأنها اجتهادات كانت لعلماء في تفسير ظاهرة عالمية تنتوّع وتلبس ملابس شتى، فما قد يصح منها في تفسير استبداد ملوك أوربا في العصور الوسطى بأهلها قد لا يصح في تفسير الجاهلي العربي بأخيه سياسياً أو اقتصادياً أو فكرياً، أو العكس. وما يحمل مستبداً على إجرامه الاقتصادي قد يختلف عما يحمله على الاستبداد السياسي، وقد تتشابك الأسباب؛ فهذه اجتهادات في تفسير الظاهرة سردتها عن أصحابها دون تقييم، والاجتهاد يصيب ويخطئ.

(١٣١) دوفرجيه، مدخل إلى علم السياسة: ص ٧٢. وانظر: لويون، المصدر السابق: ص ١٠، ٥٩. والخلفي، المصدر السابق: ص ٣٠١. وبوشلاكة، المصدر السابق: ص ١١٥.

(١٣٢) دوفرجيه، مدخل إلى علم السياسة: ص ٩٠. وانظر: إسماعيل، الربيعي، الثقافة والاستبداد ضمن (الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة): ص ٣٤٧. والدباغ، المصدر السابق: ص ٥٠.

خلاصة

معنى الاستبداد في اللغة العربية: الانفراد بالرأي والأمر والأموال، والانعزال عن الناس والتعالي عليهم، وإمضاء المراد بالقوة، مما يصيب المرء ويغلب عليه فيصير له طبعاً.

ضعف التأصيل النظري لمصطلح الاستبداد في التراث العربي، ومرجعه لضعف العرب عن غيرهم من الأمم في السياسة والفلسفة.

تقدّم الإغريق في الفلسفة والسياسة خلف تراثاً كبيراً منذ أفلاطون وأرسطو في الاستبداد وفلسفته.

كانت آراء بعض فلاسفة الإغريق وأوروبا في العصور الوسطى حول الاستبداد عنصرية تجاه من سواهم.

أكثر رواد النهضة العربية عرّفوا الاستبداد وتكلموا فيه بناء على المعارف والفلسفات الغربية.

تنوّع أشكال الاستبداد واختلاف الفلاسفة والباحثين المعاصرين في تصنيفها.

تصنيف الأوربيين لأنواع الاستبداد جاء من تشخيص تاريخ أوروبا ومعرفة أنواع الاستبداد التي شهدته عبر تاريخها.

التقسيم الأكثر مناسبة لتراثنا العربي القديم هو تقسيم الاستبداد حسب المجالات الحياتية: السياسة والاقتصاد والاجتماع والدين والفكر.

الاستبداد ظاهرة عالمية شهدتها مختلف المجتمعات الإنسانية في مختلف العصور قديماً وحديثاً.

تنوّع أسباب ظاهرة الاستبداد بين بيولوجية ونفسية وديموغرافية واجتماعية واقتصادية وثقافية.

* * *

* الفصل الأول:

الاستبداد السياسي

❖ تمهيد عن الحياة السياسية في الجاهلية
❖ تعريف الاستبداد السياسي

- مظاهره.
- الزعيم رب والناس عبيد وعليهم تعظيمه.
- التماذي في الثأر عند مقتل زعيم ورفض الدية.
- تحريق الناس بالنار.
- النفي عن الوطن والتهجير القسري.
- مهاجمة الناس على الظن دون تثبت دون ندم.
- الغدر ونقض العهد وقتل المستأمنين.
- قتل المقربين من الملك وأقاربه لهوى دون ذنب.
- السجن والأسر: تعذيب السجين وقتله.
- طلب الفدية لفكالك الأسير.
- قتل الأسير إن تأخر أهله عن دفع الدية.
- أخذ الرهائن وقتلهم.
- الحرمان من الطعام والشراب.
- العذاب النفسي للأسير.
- حبس الأسرى في حظائر البهائم.
- سبي النساء وإذلالهن وتعذيبهن.
- نزع الأكتاف.
- استيراد وسائل التعذيب.
- قتل الملوك وتعذيبهم.
- الغدر بالأمين عبر العملاء.
- إثارة الفتن بين الناس وتحريضهم ضد بعضهم.
- الاستبداد الدولي العابر للحدود.
- التهديد بالغزو والقتل عند رفض أوامر الملك.

الحياة السياسية في الجاهلية:

لم تكن الخارطة السياسية في جزيرة العرب كثيرة التعقيد في العصر الجاهلي^(١٣٣)، فقد تناثر العرب في الجاهلية على امتداد صحراء جزيرتهم العربية، بين مدن كانت مراكز تجارية أو دينية أو سياسية، وقبائل منثورة في الخيام على طول الجزيرة وعرضها، تحوطها أعظم دولتين وقتذاك (فارس والروم)، وبين جزيرة العرب ودينك الدولتين إمارتان تضربان برزخاً بين القبائل العربية وأراضي فارس والروم، هما من العرب غير أن قيادتهما في يد فارس والروم، حتى إنهم ليبطشون بأهليهم من العرب إن أمرهم أسيادهم من فارس أو الروم، ولا يمنعون استبدادهم وأذاهم عن قومهم من العرب^(١٣٤)؛ إذ كانوا والزمان لهم يستصغرون العرب ويحتقرونهم قبل أن يملكوا بالإسلام ما تحت أقدامهم.

لكن رمال الصحراء كانت تضرب القبائل في خيامها والمدن، فكان للعامل الجغرافي عظيم الأثر في حال الجزيرة وحياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ دون تفصيل أثر باقي العوامل ومناقشة أثر العامل الجغرافي بدقة في الحياة السياسية للأمم^(١٣٥). وهذا ما نفهمه من كلام الدكتور جواد علي: (وقد حالت البراري بين العرب وبين تكوين المجتمعات الكبيرة، وعرقلت الاتصال بين المستوطنات التي بعثرتها ونشرتها هنا وهناك، وبعثرت الأعراب في البوادي على شكل قبائل وعشائر، تغزو بعضها بعضاً طمعاً في رزقٍ هي في حاجة إليه، وتعقد أحلاقاً فيما بينها للدفاع عن نفسها، ثم هي توجه كل أنظارها نحو المستوطنات ومواضع

(١٣٣) وهو المنفق عليه من كلام الجاحظ أنه كان لنحو ١٥٠ سنة أو ٢٠٠ قبل الإسلام. انظر: عمرو بن بحر، أبو عثمان الجاحظ، كتاب الحيوان (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار الجليل، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦: ٧٤/١. وفي كتب التاريخ تفاصيل الممالك التي عرفتها الجزيرة العربية قبل ذلك، انظر: جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت: الأجزاء (٣ - ٤ - ٥ - ٦). ومجتبى علي، إبراهيم محمد، التنظيمات السياسية في بلاد العرب قبل الإسلام، بحث دكتوراه، جامعة الخرطوم، السودان، ٢٠٠٩.

(١٣٤) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ١٥٥/٥، ٧٧/٦. ومحمد، بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: ص ٥٦١، وص ٥٧٧. وعبد العزيز، سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت: ص ٢٢١. ومحمد علي، دقة: السياسة في بلاد العرب قبل الإسلام، بحث في مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٢٧ والعدد ٢٨، ١٩٨٧. وعائشة، الترابي: الصلات الأدبية بين عرب الحيرة والفرس في العصر الجاهلي، بحث في مجلة جامعة الخرطوم، العدد ٧، السنة ٥، ١٤٣٤. ومحمد فتحي، أبو شارب: العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي، دار عالم الكتاب، الرياض، ط ١، ١٩٩٦. وثيودور، نولدكه، أمراء غسان (ترجمة: بندلي جوري وقسطنطين زريق)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣.

(١٣٥) انظر: محمد جابر، الأنصاري، التأزم السياسي عند العرب وموقف الإسلام منه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٥. ومحمد، بحري، تطور نظم الحكم في الجزيرة العربية منذ بداية العصور التاريخية حتى القرن الثالث قبل الميلاد، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٦. ورناء طعيمة، الصافي، الأنظمة الاجتماعية والسياسية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، العراق، ٢٠٠٥: ص ٢٢.

الحضر، لتجد فيها غفلة أو موضع ضعف تدخل منه إلى ديارهم لتأخذ منها كل ما يمكن أخذه، وكل شيء يقع في أيديهم هو ثمين بالنسبة لهم؛ لأنهم لا يملكون شيئاً، والذي لا يملك شيئاً ويجهل قيم الأشياء يحسب كل شيء يقع في يديه ثميناً له قيمة، وهكذا صارت البوادي والأعرابية من عوامل القلق وعدم الاستقرار في جزيرة العرب، ومن عوامل التحاسد والتباغض والتناحر فيما بين سكانها لأتفه الأسباب، حتى صارت من الأمراض المستعصية عند العرب، التي لا تزال باقية حية(١٣٦).

وهنا تتوضح الصورة أكثر في تبدي بعض الجاهليين في صحراء الجزيرة وتحضر بعضهم في مدنٍ معدودة قامت في أودية الأنهار وحول الواحات وعلى السواحل البحرية، وما كان بين هذه التجمعات من تحالفات من جهة أو عدا و حروب من جهة أخرى. لكن ما سبق لا يعني أن سياسة عند العرب في الجاهلية، فالسياسة في تعريفها: (فن حكم المجتمعات الإنسانية)(١٣٧)؛ أيّاً تكن هذه المجتمعات صغيرة أو كبيرة، والسلطة السياسية أو علاقة الحاكم والمحكوم ضرورة من ضرورات الحياة البشرية، ولكن اختلفت طريقة ومستوى الاهتمام بحسب الحاجة لذلك وإدراك الناس المعنيين لتلك الحقيقة(١٣٨). وكان يعي الجاهليون أهمية التنظيم وسياسة الناس حسب واقعهم، وهذا ما نجد صداه في نحو قول الأفوه الأودي(١٣٩):

وَالْبَيْتُ لَا يُبَيِّنُنِي إِلَّا عَلَى عُمْدٍ وَلَا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْ تَادُ
فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْ تَادُ وَأَعْمَدَةٌ يَوْمًا فَقَدْ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا
لَا يَصْلِحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَا لَهُمْ وَلَا سَرَا إِذَا جُهَّأ لَهُمْ سَادُوا(١٤٠)

(١٣٦) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ١١٨/١٣.

(١٣٧) دوفرجيه، مدخل إلى علم السياسة: ص ١٣، وفيه بسط الخلاف بين من يرى السياسة علماً ومن يراها فناً، انظر: ص ١٤. وفارس، إشتي، مفهوم السياسة عند العرب قبل الإسلام، مجلة الاجتهاد، بيروت العدد ١٢، السنة ٣، ١٩٩١: ص ١٨.

(١٣٨) انظر: حيدر، إبراهيم علي، تجدد الاستبداد في الدول العربية ودور الأمتوقراطية (ضمن: الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة): ص ١٧٧.

(١٣٩) الأفوه، الأودي، ديوانه (تحقيق: محمد ألتونجي)، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٨: ص ٦٦. والأفوه: شاعر جاهلي من سادة مذحج وفرسانها، اسمه أبو ربيعة صلاءة بن عمر، وعُرف بالأفوه لفصاحته أو لغلظ شفثيه، وكان يُلقب الأفكل لردة كانت فيه. انظر: الزركلي، المصدر السابق: ٢٠٧/٣، ومقبل، الأحمد، شعراء مذحج أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية، مطبوعات مجمع العربية السعيدة، ط ٢، ٢٠١٤: ص ٣٥٧.

(١٤٠) سَرا القوم: سادتهم وأعيانهم.

أمانة العبي أن تلقي الجميع لدى الـ إبرام للأمر والأذئاب أكتاذ(١٤١)

وسراة القوم سادتهم، وهم الذين كانوا يتولون قيادة المجتمع سياسياً وعسكرياً في الجاهلية؛ فليس صحيحاً أن يكون الناس جميعاً لدى إبرام الأمور وإصدار القرارات التي تهم القبيلة، بل من الضلال أن يلتقي أذئاب القوم ورؤساؤهم عند الملمات؛ فلا بد من نظام وقيادة. وعلى اختلاف أنظمة الحكم أو الإدارة جزئياً بين التشكيلات السياسية الثلاث هذه (قبيلة – مدينة – إمارة) إلا أن الجامع بينها أنها كلها تقوم على العشائرية أو القبلية، إذ القبيلة هي عماد المجتمع العربي في الجاهلية، فهي فوق أنها وحدة اجتماعية تجتمع في جدّ مشترك(١٤٢)؛ كانت وحدة سياسية حتى في المدن، فالانتساب كان للقبائل وليس للمدن؛ فالفكرة القبلية كانت جوهر الحياة السياسية، والقبيلة هي الدولة الصغيرة عندهم، فلم تكن للمجتمع الجاهلي نزعة قومية شاملة؛ لأن الوعي السياسي كان ضيقاً محدوداً، لا يتجاوز حدود القبيلة أو القبائل المنتمية إلى جدّ واحد(١٤٣).

وأما تشكيل القبيلة السياسي فيرأسها (شيخ القبيلة) وهو القائد السياسي والعسكري فيها، وهو إن كان في الغالب وراثياً إلا أنه يتوافق عليه من مجلس القبيلة الذي يضم كبارها ورؤوسها، لذا أنكر بعض القادة أنه تولى الأمر وراثته فحسب، فهذا عامر بن الطفيل(١٤٤) مع كرم محتده وعراقة نسبه في السيادة والمجد يقول(١٤٥):

فإني وإن كنتُ ابن فارس عامر وفارسها المندوب في كل موكب

(١٤١) الأكتاذ مفرد: كئذ، وهو مجتمع الكتفين من الإنسان.

(١٤٢) انظر: الكيالي، المصدر السابق: ٧٥٨/٤، وجواد علي، المصدر السابق: ١٦١/٢.

(١٤٣) انظر: إبراهيم محمد، المصدر السابق: ص ٦٤. ومحمد عمر، الشاهين، نشأة الدولة عند العرب قبل الإسلام، بحث علمي في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد ٦، العدد ٢، ٢٠٠٧. وأحمد إبراهيم، الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥: ص ٣٥. وجواد علي، المصدر السابق: ١٦٣/٢. وشوقي، ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط ٢٢: ص ٥٧. وعبد العزيز سالم، المصدر السابق: ص ٤١١. وبحري، المصدر السابق: ص ١١٨.

(١٤٤) عامر بن الطفيل: فارس بني عامر بن صعصعة وسيدهم، شاعر جاهلي أدرك الإسلام شيخاً ووفد على الرسول الكريم، ورفض الإسلام، وكان قد غدر بالصحابية الذين أرسلهم الرسول لتعليم قومه وقتلهم في بئر معونة، ومات عامر في طريق عودته من المدينة إلى ديار قومه، وهو ابن عم الشاعر لبدي بن ربيعة العامري، وكان أعور ففقت عينه في معركة. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٣٣٤/١، والزركلي، المصدر السابق: ٢٥١/٢.

(١٤٥) عامر بن الطفيل، ديوانه (تحقيق: هدى جنهوينثي)، دار البشير ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧: ص ٦٠.

فما سوّدتني عامر عن وراثته أبى الله أن أسمو بأبٍ ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكب
وأتركها تسمو إلى كل غاية وتفخر حيّ مشرق بعد مغرب^(١٤٦)

ويقول لقيط بن يعمر الإيادي^(١٤٧):

وقلّدوا الأمر - لله دركم - رحب الذراع بأمر الحرب مضطعاً
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عضّ مكروه به خشعاً^(١٤٨)
فالقائد لا بد أن يُختار شجاعاً له خبرته بأمر الحرب وإدارة القبيلة في عسرها ويسرها.
يقول حبيب الأعمى الهذلي^(١٤٩):

وإن السيد المعلوم منا وجود بما يرضنّ به البخيل
وإن سيادة الأقسام فاعلم لها صعداء مطلعها طويل^(١٥٠)

فلا يصلح أي فرد في القبيلة ليكون القائد؛ لأن السيادة مرقى صعب لا يقوى على أعبائها كل أحد. وقد نقل الألويسي عن الجاحظ قوله: (كانت العرب تسوّد على أشياء؛ أمّا مضر فتسوّد ذا رأيها، وأمّا ربيعة فمّن أطمع الطعام، وأمّا اليمن فعلى النسب. وكان أهل الجاهلية لا يسوّدون إلا مّن تكاملت فيه ستّ خصال: السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان)^(١٥١).

(١٤٦) والمنكب: العرفاء القادة، يريد: أرمي مّن يرميها بقيادة شجعان، وتفخر حيّ مشرق بعد حيّ مغرب: تغزو المشرق والمغرب وتظفر وتفخر على المشرق والمغرب.

(١٤٧) لقيط بن يعمر، الإيادي، ديوانه (تحقيق: عبد المعيد خان)، دار الرسالة، بيروت، ١٩٧١: ص ٤٧.
ولقيط: شاعر جاهلي قديم مقلّ، كان يعرف الفارسية، وأقام عند كسرى، فلما أراد غزو قومه أنذرهم في قصيدة، فوقع في يد كسرى فسجنه وعذبّه وقتله. انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣٥٥/٢٢، والزركلي، المصدر السابق: ٢٤٣/٥.

(١٤٨) عضّ به مكروه: نزل به.

(١٤٩) ديوان الهذليين، مطبوعات دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ٤، ٢٠١٢: ٨٧/٢.

والأعمى الهذلي: اسمه حبيب بن عبد الله، شاعر من هذيل، وهو أخو صخر العيّ الهذلي، كان من أشهر العدائين في الجاهلية، ومن الشعراء الصعاليك. انظر: الحسن بن بشر، الأمدي، المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم (تحقيق: المستشرق ف. كرنكو)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١: ص ١١٩. والحسن بن الحسين، أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين (تحقيق: عبد الستار فراج ومحمود شاكر)، مكتبة دار العروبة: ٣١٢/١، ويوسف، خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط ٣: ص ٢١٢، ص ٢١٩.

(١٥٠) صعداء: موضع شديد التصعد.

(١٥١) محمود شكري، الألويسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثري)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩: ١٨٧/٢.

وما ذكروه من الصفات نجد شعر المديح في الجاهلية طافحاً بها على الحقيقة أو المبالغة الشعرية^(١٥٢). دون أن يُفهم براءة هؤلاء الشيوخ الزعماء من المعاييب، فقد قال الأصمعي: (ذكر أبو عمرو بن العلاء عيوب جميع السادة وما كان فيهم من الخلال المذمومة، إلى أن قال: ما رأيت شيئاً يمنع من السؤدد إلا قد رأيناه في سيّد)، ثم ذكر أمثلة لنقائض السؤدد مع أسماء من تسؤدوا وهي فيهم، لكنه ختم بقوله: (وينبغي أن الذي يسؤده قومه لا يسؤدونه إلا لشيء من الخصال الجميلة والأمور المحمودة رأها قومه فيه، فسؤدوه لأجلها)^(١٥٣)، فلا عجب أن يبلغوا بزعمائهم وأمرائهم أو قادتهم من التعظيم والمكانة أن يجعلوا ديته ألف ناقعة مقابل مئة لغيره، وأن يببالغوا في خطابهم بل وتقديسهم أحياناً^(١٥٤).

وإن كان الرابط بين أفراد القبيلة الواحدة هو الدم، ولم يكن لقبيلة في مجاهيل صحراء الجزيرة العربية أن تقوى وحدها على كل المخاطر فإن رابطاً آخر اشتهر بين القبائل هو الحلف، فكانت تجتمع أكثر من قبيلة على التحالف والتناصر والولاء بطقوس خاصة يقومون بها، واشتهرت أحلاف كثيرة في الجاهلية، كحلف تنوخ وحلف المطيبين وحلف أعقة الدم، ولا ننسى حلف الفضول الذي حضره النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قبل البعثة وامتدحه^(١٥٥).

لكن هذه الأحلاف لم تكن لتطبع جزيرة العرب بالسلام والهدوء في الجاهلية، بل كانت عوناً لهم على بعضهم أو على من يهاجمهم من وراء حدود جزيرتهم (الفرس أو الروم). فكانت الجزيرة العربية مع العصبية القبلية والفقر وشح الموارد تعجّ بالدماء في جاهليتهم، أكلتها الحروب وأنهكت قبائلها وأفرادها، فكانت حياة حربية بامتياز، وكانوا يسمون الوقائع أو الحروب والغزوات بينهم: أياماً، يضيفونها إلى الموقع الذي حصلت فيه أو غيره، فكثرت أيام العرب في الجاهلية حتى استقلت بمؤلفات قديماً وحديثاً^(١٥٦).

(١٥٢) انظر: توفيق، إبراهيم صالح، المسؤد في الشعر الجاهلية دراسة في الرؤية السياسية، بحث علمي في مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق، ٢٠٠٧.

(١٥٣) الألويسي، المصدر السابق: ١٨٨/٢.

(١٥٤) انظر: مهيبة، خضر ناصيف، الملك في الشعر الجاهلي، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، ٢٠٠٩: ص ٢٣، ٤٧.

(١٥٥) انظر: الألويسي، المصدر السابق: ١٨٨/٢. والشريف، المصدر السابق: ٥٥. وفاطمة، علي باخشوين، أشكال الولاء عند العرب قبل الإسلام: بحث علمي، مجلة العلوم العربية والإسلامية، جامعة القصيم، العدد ٢، المجلد ٩، يناير ٢٠١٦. وجواد علي، المصدر السابق: ٣٧٠/٧.

(١٥٦) انظر: محمد، جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩. وعلي، الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٦. وجواد علي، المصدر السابق: ٥/١٠. وضيف، المصدر السابق: ص ٥٢. وعبد العزيز سالم، المصدر السابق: ص ٤٢٧.

ومع غياب شكل الدولة عن جزيرة العرب في الجاهلية، وانتفاء أي شكل من الوحدة السياسية فيما بينهم لصالح كيانات سياسية صغيرة هي القبائل أو الإمارات الصغيرة، وتعدد المرجعيات إذ لكل قبيلة قيادتها ومجلسها وأعرافها التي تنظم أمرها، وكثرة القادة والملوك والأمراء والزعماء؛ لم يكن عجباً أن يكثر الخروج عن جادة العدل إلى الجور، لنرى ممارسات سياسية استبدادية شتى ترشح في اليسير الذي حفظه لنا التاريخ من الشعر العربي في تلك المرحلة.

الاستبداد السياسي في الجاهلية:

تعريفه:

إن كان الاستبداد وفق ما تم تحريره في المدخل هو: الانفراد بالسلطة مما حقه الاشتراك والمشورة، وغلبة الآخرين وقهرهم والتسلط عليهم، وانتزاع ما في أيديهم بغير حق. وكانت السياسة ما يتصل بالحكم وإدارة (الدولة) أياً يكن نوعها، وعرفنا من تقديمنا عن الحياة السياسية حال العرب الجاهليين سياسياً؛ فيكون الكلام في الاستبداد السياسي على الممارسات الاستبدادية للملوك والحكام، وفق ما أسعفتنا به الشواهد الشعرية التي صحت لنا من الشعر الجاهلي.

مظاهره:

يحسن بالقارئ الكريم أن يكون على ذكر مما سبق بيانه في أسباب الاستبداد^(١٥٧)، قبل معاينة ممارسات المستبدين؛ لاسيما في الحكم وسياسة الأمة، فما مرّ في الأسباب النفسية والبيولوجية قد ينفع ونحن نقرأ صرخات بعض ملوك الجاهلية يشرحون نظرتهم للناس والمُلك؛ فجذيمة الأبرش كان ملك العرب في العراق، ونقل الطبري عن ابن الكلبي فيه: «وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مغاراً، وأشدّهم نكايَةً، وأظهرهم حزماً، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق، وضمّ إليه العرب، وغزا بالجيوش ... وتُجبي إليه الأموال، وتقدّ إليه الوفود .. وفي مغازيه وغاراته على الأمم الخالية من العرب الأولى يقول الشاعر في الجاهلية^(١٥٨):

أضحى جذيمةً في بَيْرينَ منزلهِ قد حازَ ما جَمَعَتْ في دهرها عاد^(١٥٩)

يقول مفتخر^(١٦٠):

(١٥٧) انظر: ص ٢٥.
(١٥٨) محمد بن جرير، الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٨٧ - ١٩٦٧: ٦١٣/١.
(١٥٩) بَيْرين: (رملٌ لا تدرِك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حَجْر اليمامة)؛ ياقوت، الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥: بَيْرين.
(١٦٠) ياسين، جمول، أسجاع الكهان الجاهليين وأشعارهم جمع وتحقيق ودراسة، هيئة أبو ظبي للسياحة

رُبَّمَا أُوفِيْتُ فِي عِلْمٍ	تَرَفَعَنْ بُرْدِي شَمَالَاتٍ (١٦١)
فِي فُتُوِّ أَنَا كَالنُّهْمِ	فِي بَلَايَا عَزْوَةٍ بَاتُوا (١٦٢)
ثُبَّةُ الْأَخْيَارِ شَاهِدَةٌ	ذَاكُمُ قَوْمِي وَأَهْلَاتِي (١٦٣)
قَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ وَسَطَّهْمُ	نَاعِمًا فِي غَيْرِ أَصْوَاتٍ (١٦٤)
فَعَلَى مَا كَانَ مِنْ كَرَمٍ	فَسَتَبْكِينِي بُنَيَاتِي
أَنَا رَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ	غَيْرَ رَبِّي الْكَافِتِ الْفَاتِي (١٦٥)

فهذا الملك على ما امتدح به قومه من شجاعة وإقدام، كان الصوت الأقوى في أبياته لما يعيشه من أبهة الملك؛ فهو في عيش ناعم تهابه الناس فلا ترفع أصواتها عنده، فهو يرى نفسه

والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٣: ص ١٨٥.

(١٦١) البيت شاهد عند اللغويين على دخول إحدى نوّتي التوكيد في الواجب؛ وإنما تدخل فيما ليس بواجب، وانظر أقوالهم في: عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه، الكتاب (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨: ٥١٧/٣، وسعيد بن أوس بن ثابت، أبو زيد الأنصاري، النوادر في اللغة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٨: ص ٢١٠، وأبو سعيد، السيرافي، ضرورة الشعر (تحقيق: رمضان عبد التواب)، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤١٥ - ١٩٨٥: ص ٧٥، والحسن بن رشيق، أبو علي القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده (تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠: ٢/١٠٥٠، وعبد القادر، البغدادي، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٠: ٤٠٤/١١.

غير أن الأستاذ محمود شاكر قال في تعليقه على البيت: (ويقول النحاة: زاد النون في (ترفعن) ضرورة، وأقول: إنها لغة قديمة لم يجلبها اضطراراً)؛ محمد بن سلام، الجمحي، طبقات فحول الشعراء (تحقيق: محمود محمد شاكر)، دار المدني، جدة، السعودية: ٣٨/١.

وأطال البغدادي في شرح البيت في: عبد القادر البغدادي، المصدر السابق: ٤٠٥/١١، وأوفيت على الشيء: أشرفت عليه، والعلم: الجبل، والشمالات جمع: شمال، والشمال بالفتح ويجوز الكسر بقلّة: الريح التي تهبّ من ناحية القطب، وقيل: في قوله: (ترفعن...) إلخ إشارة إلى أن قميصه لا يلصق بجلده لخُمصه، وهذا مدح عندهم، لا سيما من كان مثله من أهل النعمة.

(١٦٢) الكالئ: الحافظ الحارس، و(باتوا) هنا بمعنى: ماتوا، والكلال: التعب، قال الأستاذ محمود شاكر: (يقول: هم عند مواضع العورات التي يُخشى منها العدو يُميتون له الصوت؛ حتى يأخذه على غزّة) الجمحي، المصدر السابق: ٣٨/١، وعند: عبد القادر البغدادي، المصدر السابق: ٤٠٥/١١، ٤٠٨/١١: (يصف سرية أسرى بها، أو انقطاعاً عرض له من جيشه في بعض مغازيه، فكان ربيّة لهم، ولم يكُل ذلك إلى أحدٍ أخذاً بالحزم والثقة)، أو أنه أراد بالموت مقاساة الأهوال والشدائد.

(١٦٣) الثبّة: الجماعة، والغصبة من الفرسان؛ وفي البيت وما بعده إقواء.

(١٦٤) التتعم: الترفه، وانعدام الأصوات أمانة الهيبة وجلال المُلْك.

(١٦٥) ربُّ كل شيء: مالكة ومستحقّه، أو صاحبه؛ قال الطبري بعد هذا البيت: (يعني بالكافت: الذي يكفُّ أرواحهم، والفات: الذي يُفِيثهم أنفسهم؛ يعني: الله عزَّ وجلَّ)؛ انظر: الطبري، التاريخ: ٦١٤/١، ويكفُّ أرواحهم: يقبضها، ويُؤبِثهم أنفسهم: يسلبهم إياها، وموت الفوات: الفجأة، وفي قوله: (الفاتي) قلبٌ مكاني، لأنه اسم فاعل من فات يُؤبِث، فهو الفائت، فقدم التاء على الهمزة فصارت الفاتي، وسهل الهمزة إلى ياء فصارت (الفاتي).

رَبَّهُمْ وَمَالِكَ رِقَابِهِمْ، وَأَمَّا شَرْبُهُ الْخَمْرَ فَافْتَخَرَ بِهِ أَنَّهُ يَشْرِبُهُ وَسَطَهُمْ لَكِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى ذِكْرِ الشَّرْبِ مِمَّنْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءِ الْمَاجِنُونَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِمْ كَلَمَا دَارَتِ الْخَمْرَةُ فِي رُؤُوسِهِمْ، لَذَا كَانَ جَذِيمَةً يُعْرَفُ أَنَّهُ مُنَادِمُ الْفَرْقَدَيْنِ، قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: (كَانَ جَذِيمَةً الْأَبْرَشُ ... لَا يَنَادِمُ أَحَدًا ذَهَابًا بِنَفْسِهِ، وَقَالَ: أَنَا أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أُنَادِمَ إِلَّا الْفَرْقَدَيْنِ؛ فَكَانَ يَشْرِبُ كَأَسَاءٍ وَيَصَبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي الْأَرْضِ كَأَسَاءً...) (١٦٦).

وليس بعيداً عن منطق جذيمة قال امرؤ القيس الشاعر (١٦٧):

ما ينكر الناس منا حين نملكهم كانوا عبيداً لنا ونحن أربابا

وقال (١٦٨):

أرقتُ لبرقِ بليلٍ أهْلٍ يُضيء سنّاه بأعلى الجبلِ
أتاني حديثٌ فكذبته بأمرٍ تزعزع منه القُللُ (١٦٩)
بقتل بني أسدٍ ربّهم ألا كلُّ شيءٍ سواه جَللُ (١٧٠)
أين ربيعةٌ عن ربّها وأين تميمٌ وأين الخولُ
ألا يحضرون لدى بابهِ كما يحضرون إذا ما استهل

وقال (١٧١):

قولاً لدودان عبيد العصا ما غرّكم بالأسد الباسل (١٧٢)

فامرؤ القيس هنا ليس الشاعر الماجن المتهتك الذي خلعه أبوه لتهتكه ومجونه، بل الملك ابن الملوك صاحب الملك الضائع والدم المهدور، فلا نجد تغنيته بصحبه ومعشوقاته، بل هدير ملك

(١٦٦) عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة الديوري، عيون الأخبار (تحقيق: منذر محمد سعيد أبو شعر)، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ٢٧٤/١.

(١٦٧) امرؤ القيس، شرح ديوان امرؤ القيس (جمع وتحقيق: حسن السندوبي)، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص٨٧.

(١٦٨) امرؤ القيس، المصدر السابق: ص٢٠١.

(١٦٩) بأمرٍ تزعزع منه القُللُ: تضطرب منه أعالي الجبال.

(١٧٠) جَللُ هنا: تافه وهين، وتأتي بمعنى عظيم؛ فهي من الأضداد، وبيت امرؤ القيس هذا من الشواهد عليها، انظر: عبد الواحد بن علي، أبو الطيب اللغوي الحلبي، كتاب الأضداد في كلام العرب (تحقيق عزة حسن)، دار طلاس، دمشق، ط٢، ١٩٩٦، ص١١٤.

(١٧١) امرؤ القيس، المصدر السابق: ص١٩٣.

(١٧٢) دودان: بطن من بني أسد، وعبيد العصا: سُموا بذلك لأنهم عندما منعوا الأناوة التي كانت عليهم لحجر والد امرؤ القيس جاءهم بجيش كبير فأخذ سراتهم، (وجعل يقتلهم بالعصا؛ فسَمُوا عبيد العصا، وأباح الأموال، وصيرهم إلى تهامة، وآلى بالله ألا يساكنوهم في بلدٍ أبداً). علي بن الحسين، أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، إحياء التراث العربي (مصورة عن طبعة دار الكتب)، بيروت، دت: ٥٩/٩.

مستبَدَّ يحتقر الناس أن يقتلوا أباه وهو ربُّهم مالك رقابهم وسيدهم، فحُقَّ للجبال أن تتزعزع لهذا الحدث الذي تصغر بجانب عظمتة كل الحوادث مهما عظمت، فهو الملك الذي كانت تجتمع القبائل ببابه لتقديم فروض الطاعة والولاء. فإن غضب امرؤ القيس وحلف ألا يمسه رأسه طيب وألا يشرب الخمر حتى يثأر لأبيه فهو إنما لأنه ينظر لمن يحكمونهم على أنهم عبيد كما قال، ليأتي على بني أسد بكاملهم ويفني قبيلة بأكملها؛ وما الضير فهو عند نفسه ربُّهم ومالكهم وهم عبيده، وإن أبوا العبودية وانتفضوا قتلهم بالعصا وأتخن فيهم(١٧٣)!!

وعمر بن هندُ الملك لم يقف في عُجبه وجبروته عند نفسه، بل تجاوزَ ذلك إلى الأمهات، فما سمع عن امرأة عزيزة عفيفة إلا أراد إذلالها لأُمَّه، فليس لامرأة أن تأنف من خدمة أُمَّه، حتى كانت الوقعة المشهورة له ولأُمَّه مع عمرو بن كلثوم وقد سمع عن أنفة عمرو واعتزازه بأُمَّه، فأراد اختبار ذلك، فكان أن ساقه حظُّه العائر لعربي شهيم عزيز إن طرقتُ الذلُّ بابَه خلعه ومضى فوقه. فضربه عمرو بن كلثوم وأطارَ رأسه حينما صرخت أُمَّه، وكان مما قال(١٧٤):

بأيِّ مَشِيئَةٍ عَمَرَو بِنَ هِنْدٍ نَكُونُ لَقَيْلُكُم فِيهَا قَطِينَا(١٧٥)
تَهَدَّدْنَا وَأُوْعِدْنَا رُوَيْدًا مَتَى كُنَّا لِأَمِّكَ مَقْتُونَا(١٧٦)
فإنَّ قَنَاتِنَا يَا عَمْرُو أَعِيَتْ على الأعداءِ قَبْلَكَ أن تَلِينَا(١٧٧)

وهذا كُليب الملك التغلبي تتعلَّقه امرأته جلييلة ترجو ثنَّيه عن عقر الناقة وتحدي أخيها جسَّاس، فتقع مصيبة وتقطع الأرحام، فيصرخ(١٧٨):

سَأرْكَبُ قَطْفًا لِلْقَرِينِ بِمَا أَتَى وَأَقْطَعُ عَنْهُ قَطْبَهَا فَأَذُوْدُهَا(١٧٩)
مَخَافَةَ قَوْلِي أَنْ أَخَالِفَ فِعْلَهُ وَسُنَّةَ عِرِّي أَنْ يَمِيلَ عَمُوْدُهَا
إِذَا مَا الْمَوَالِي خَالَفَتْ عَنْ سَفَاهَةٍ مَوَالِيهَا تَاهَتْ وَضَلَّ حُدُوْدُهَا

(١٧٣) انظر أخبار امرئ القيس في: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٥٥/٩.
(١٧٤) انظر: علي، أبو زيد، شعراء تغلب في الجاهلية أخبارهم وأشعارهم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٢: ص٣٠٨، وأبو بكر، ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (تحقيق: عبد السلام هارون)، دار المعارف، مصر، ط٥: ص٤٠١.
(١٧٥) القَيْل، والجمع أقيال: ملوك باليمن دون الملك الأعظم، والقَطِين: الخدم.
(١٧٦) المَقْتُون: الخدم، واحدهم: مَقْتَوِي، والاسم منه: القَتْو.
(١٧٧) قَنَاتِنَا: عودنا وأصلنا، يريد أن كل من نازعنا وأراد مغالبتنا خاب وفرنا بالظفر به.
(١٧٨) أبو زيد، المصدر السابق: ص٣٢٤.
(١٧٩) القَطْف: ضرب من مشي الخيل؛ الزبيدي، المصدر السابق: قطف. والقطب: القطع، والذود هنا: الدفع والمنع.

فهو راكبٌ نحو جساس لا محالة؛ حتى يفي بما قطعه من القول فهو ملك لا يقول شيئاً لا يفعله، وإلا انهارت عزّته وتضعضع مُلكه؛ ليثبت لرعيته أنه يُقيم بالسيف من يتجرأ فيخالف الملك، فهو الضلال البعيد إن خالفوا، وعليه - وهو الملك - أن يهديهم للرشد ويُعيد للملك هيئته ويرسم لكل شخص حدوده التي يجب ألا يتعدّها. فكانت من هذه الحادثة حرب أنت على القبيلتين عقوداً!! فهو لم يكن سيد تغلب وحدها، بل كان سيد ربيعة كلها، وقد ذُكر أنه لعزّته إذا مرّ بروضةٍ أو موضع يعجبه أرسل كلباً له في ذلك المكان، وهو يصيح ويعوي، فلا يسمع عوآه أحدٌ إلا تجنّبته ولم يقربه، فضُرب به المثل: أعزّ من كُليب وائل^(١٨٠)، فكُليب بعد الانتصارات التي حققها ساد وعزّ، لكنه جارَ واستبدّ، فحمى الحمى ومنع أن يُجار أحد دون إذنه أو أن تُوقد نارٌ مع ناره^(١٨١). فانتماضته ضد جساس وقد خرق حدوده التي رسمها لرعيته وقبلوا بها لم تكن عجباً. وهذا أبعد مما ذكره الجاحظ في صفات الملك: (ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا شيئاً تعجز عنه الرعية، أو يتزوّوا بزويّ يهون الرعية عن مثله. فمن ذلك أردشير بن بابك - وكان من أنبل ملوك بني ساسان - كان إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحدٌ في المملكة على رأسه قضيبَ ريحانٍ متشبهاً به، وكان إذا ركب في لبسة لم يُر على أحدٍ مثلها، وإذا تختم بخاتم فحرامٌ على أهل المملكة أن يتختموا بمثل ذلك الفصّ، وإن بُعد في التشابه. وهذه من فضائل الملوك، وطاعةُ أهل المملكة أن تتحمى أكثر زويّ الملك وأكثر أحواله وشيمه، حتى لا يأتي ما لا بد لها منه. وهذا أبو أحيحة سعيد بن العاص؛ كان إذا اعتم بمكة لم يعتم أحدٌ بعمّة ما دامت على رأسه)^(١٨٢)!!

وحيث إننا ذكرنا كُليباً ومقتله على يد جساس فإننا نكمل فيما حصل بعدها؛ فهل انتهى الاستبداد بمقتله؟ قد ورث كُليباً في ثاره ومُلكه أخوه المهلهل، وحيث إن القاعدة الجاهلية تجعل فدية الملك ألف بغير مقابل عشر للصريح وأقل من ذلك للحليف والضعيف^(١٨٣)، لكن المهلهل ما كان ليقبل بذلك، والعرب تعير من يقبل الدية دون الثأر، فما زالت صرخات كبشة أخت عمرو

(١٨٠) المفضل بن سلمة بن عاصم، الفاخر (تحقيق: عبد العليم الطحاوي)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، ط١، ١٩٦٠: ص٩٣. وأبو الفضل، النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، مكتبة السنة المحمدية، مصر، ١٩٥٥: ٤٢٧/١.

(١٨١) انظر: أبو زيد، المصدر السابق: ص٩٩، ص١٣٣.

(١٨٢) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك: ص٤٥.

(١٨٣) انظر: محمد، ابن حبيب، أسماء المغتالين، ضمن نواذر المخطوطات (تحقيق: عبد السلام هارون)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١: ١٤١/٢. وجواد علي، المصدر السابق: ٢٦٤/١٠.

بن معدي كرب الزبيدي تجلجل في أرجاء الجزيرة في الجاهلية عندما مال أخوها إلى التهدة وأخذ الدية بأخيه، فقالت (١٨٤):

وأرسلَ عبدُ الله إذ حانَ يومُه إلى قومِه: لا تَعقِلُوا لهم دَمي
ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبْكرأ وأتْرَكَ في بيتِ بصْعةٍ مُظْلِم
ودَغْ عنك عَمراً إنَّ عَمراً مُسالِم وهل بطن عمرو غيرُ شبرٍ لمُطْعِم
فإن أنتم لم تقبلوا واتديتُم فمشُّوا بأذان التَّعام المصلِّم
ولا تَرُدُّوا إلا فضولَ نسانكم إذا ارتملتُ أعقابهنَّ من الدَّم

فالمقتول يحضُّ أهله ألا يقبلوا الدية مهما بلغت من الدواب والأنعام، ولأن عمراً قبل ذلك فهو جبان - وإن كان فارس العرب في زمانه - همُّه بطنه؛ ومَن يقبل الدية فليس له السيادة والقيادة ولا يعرف الشجاعة ويلحق بالنساء!! فكأن هذه الصرخات قيلت في مقتل كليب وطرقت مسمع المهلهل، فأشعلها حرباً على بكر من أبناء عمومته، حرباً خُلدت في تاريخنا بحرب البسوس، وذهبت تطحن بالعرب عقوداً، ولما صاح صوت العقل بمهلهل ليقف عن سفك الدماء ونصح الحارث بن عباد البكري ألا ينساق للجهل صاح المهلهل (١٨٥):

يا حارٍ لا تجهلُ على أشياخنا إننا ذؤو السَّورات والأحلام (١٨٦)
ومنا إذا بلغ الصَّبي فطامه ساسَ الأمور وحارب الأقوام
قتلوا كليباً ثمَّ قالوا: اربعوا كذبوا وربَّ الحلِّ والإحرام (١٨٧)
حتَّى تُبيدَ قبيلةً وقبيلةً قهراً ونفلقَ بالسيوفِ الهام
ويُفمنَّ ربَّاتُ الخدورِ حواسراً يمسحنَ عرضَ ذوائبِ الأيتام (١٨٨)

فلا ألف بعير ولا ألف قتيل تكفي المهلهل ليهدا؛ بل حتى يبيد قبيلة وإن لم يشبع هذا ظمأه للدم واستبداده فيبيد قبيلة أخرى بأخيه؛ فهل بعد قتلكم كليباً تدعون للصلح؟! ألا لا صلح حتى يبيد ما

(١٨٤) رغاء، مارديني، شواعر الجاهلية دراسة نقدية، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٢: ص٢٩٣، وانظر ترجمتها في المصدر نفسه: ص١٠٦.

(١٨٥) عبد الملك بن قريش، الأصمعي، الأصمعيات (تحقيق: أحمد شاکر وعبد السلام هارون)، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٩٣: ص١٧٦.

(١٨٦) يا حارٍ: ترخيم الحارث، يقصد الحارث بن عباد البكري، والسَّورات: جمع (سورة): وهي الحدة أو السطوة والاعتداء.

(١٨٧) اربعوا: كفوا، وقطع همزة الفعل لضرورة الشعر.

(١٨٨) ربات الخدور: النساء، وحواسر: كاشفات الرؤوس، والذوائب: الضفائر.

نرى الدم يجري والنساء تائيم والأطفال تئيم بما يكافئ الملك كليباً !! حتى ليفتخر المهلهل بكثرة من قتل من بني بكر، حتى لم يجدوا من يبكي عليهم، يقول (١٨٩):

أكثرُ قتلَ بني بكر برّبهم حتى بكيتُ وما يبكي لهم أحدُ

ويقول في تبريره تقتيل بني بكر؛ فكل ما فعله من الأخذ بالثأر (١٩٠):
فقتلاً بتقتيلٍ وعقراً بعقركم جزاء العطاس لا يموت من أثارُ

وامرؤ القيس وقد مرّت بنا نظرتة للناس ممن كانوا تحت حكمهم لا يقلّ في الثأر لأبيه عما قاله المهلهل، فبعد أن ظفر ببني أسد، وقتل قتلة أبيه، وأنكى فيهم وألبسهم الدروع البيض محمّاة، وكحلهم بالنار. قال (١٩١):

يَا دَارَ مَاوِيَّةَ بِالْحَائِلِ فَالسَّهْبِ فَالْخَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ (١٩٢)
صُمَّ صَدَاهَا وَعَقَا رَسْمَهَا وَاسْتَعَجَمْتُ عَنْ مَنْطِقِ السَّائِلِ (١٩٣)
فُؤَلَا لِدُودَانَ عَيْبِدِ الْعَصَا مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ
قَدْ قَرَّتِ الْعَيْبَانِ مِنْ مَالِكِ وَمِنْ بَنِي عَمْرٍو وَمِنْ كَاهِلِ
وَمِنْ بَنِي غَنَمِ بْنِ دُودَانَ إِذْ نَقَذَفَ أَعْلَاهُمْ عَلَى السَّافِلِ
نَطَعْنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لِأَمِينِ عَلَى نَابِلِ (١٩٤)
إِذْ هُنَّ أَقْسَاطُ كَرَجْلِ الدَّبَا أَوْ كَقَطَا كَاظِمَةَ النَّاهِلِ (١٩٥)
حَتَّى تَرَكْنَاهُمْ لَدَى مَعْرَكِ أَرْجُلُهُمْ كَالْخَشَبِ الشَّائِلِ (١٩٦)

(١٨٩) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٢٢٦.

(١٩٠) المهلهل، ديوانه (تحقيق: أنطوان محسن القوّال)، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٥: ص ٢٧، وعقر النخل: قطعها من رأسها، والعطاس: الهلاك، وأثار: أخذ ثأره.

(١٩١) امرؤ القيس، المصدر السابق: ص ١٩٣.

(١٩٢) الحائل والسهب والخبتين وعائل: أسماء مواضع.

(١٩٣) صُمَّ صداها: بادت حتى لا صدى يُسمع فيها، واستعجمت عن منطق السائل: لا تجيب السائل لأنه لا أحد فيها.

(١٩٤) سُلْكَى ومخلوجة: مستقيمة ومعوجة، واللأم: السهم، والنايل: من يرمي النبل.

(١٩٥) أقساط: جماعات، وكرجل الدبا: كفرق الجراد، وكاظمة: بلدة يكثر فيها طير القطا، والناهل: من يرد الماء ينهل منه.

(١٩٦) الشائل: كل ما ارتفع، يريد أنه تركهم قتلى في ميدان المعركة كأن أرجلهم خشب مرتفع.

وزهير بن جذيمة العبسي كان سيد غطفان في الجاهلية وقاد غطفان كلها، قُتل له ولد اسمه شأس، قتلته قبيلة غني، فما كان منه أن يقبل الدية أو قتل القاتل وراح يبكي ابنه شعراً وسجعاً، من ذلك قوله (١٩٧):

بكيث لشأس حين أخبرت أنه بماء غني آخر الليل يُسلب
لقد كان ماتاه الرداء لحتفه وما كان لولا غرة الليل يُغلب (١٩٨)
قتيل غني ليس شكك كشكله كذاك لعمري الحين للمرء يُجلب (١٩٩)
سأبكي عليه إن بكيث بعبرة وحق لشأس عبرة حين تُسكب

لكن هذا البكاء على كثرته من زهير لابنه لم يكن بكاء أب متفجع يحو حزنه غضبه فتطفئ حكمته نار الثأر في قلبه، فالسيد المستبد أبي الحكمة وقال: لا أرضى حتى أقتل غنياً عن آخرها؛ فكان لا يقدر على غنوي إلا قتله، حتى عده أبو عبيدة من الباغين الثلاثة (٢٠٠). قال ابن الأثير بعد ذكره مقتل شأس بن زهير: «فسار زهير إلى ديار غني، وهم حلفاء بني عامر بن صعصعة، فاجتمعوا عنده، فسألهم عن ابنه، فحلفوا أنهم لم يعلموا بخبره، قال: لكني أعلمه، فقال له أبو عامر: فما الذي يرضيك منا؟ قال: واحدة من ثلاث: إما تُحيون ولدي، وإما تُسلمون إلي غنياً حتى أقتلهم بولدي، وإما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتهم، فقالوا: ما جعلت لنا في هذه مخرجاً... ولكن إن شئت الدية، وإن شئت تطلب قاتل ابنك فنسلمه إليك، أو تهب دمّه؛ فإنه لا يضيع في القرابة والجوار، فقال: لا أفعل إلا ما ذكرت، فلما رأى خالد بن جعفر بن كلاب [العامري] تعدي زهير على أخواله من غني قال: والله ما رأينا كاليوم تعدي رجل على قومه، فقال له زهير: فهل لك أن تكون طئبتي عندك وأترك غنياً؟ قال: نعم، فانصرف زهير وهو يقول:

فلولا كلاب قد أخذت قرينتي برد غني أعبداً ومواليا (٢٠١)

(١٩٧) جمول، المصدر السابق: ص ٢٠٦.

(١٩٨) الرداء جمع: ردهة، وهي النقرة في الجبل أو في صخرة يُستتق فيها الماء؛ ابن منظور، المصدر السابق: رده. والغرة: الغفلة.

(١٩٩) الحين: الموت والهلاك.

(٢٠٠) معمر بن المثنى، أبو عبيدة، كتاب الديباج (تحقيق: عبد الله الجربوع وعبد الرحمن العثيمين)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩١: ص ٧٠.

(٢٠١) معمر بن المثنى، الديباج: ص ٧٠. يريد بـ (كلاب): بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وخالد بن جعفر منهم، انظر: علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب (تحقيق: عبد السلام هارون)، دار المعارف، القاهرة، ط ٦: ٢٨٢، وقرينة: لعلها هنا بمعنى: النفس، وكأنه قال: أخذت نفسي على ردهم أعبداً وموالياً.

ولكن حَمَتْهُمْ عُصْبَةُ عَامِرِيَّةٌ يَهْزُونَ فِي الْأَرْضِ الْقَفَارَ الْعَوَالِيَا(٢٠٢)

وفارس يربوع عصمة بن حذرة(٢٠٣) يقتل عمه بنو عبس، فينذر ألا يشرب خمراً ولا يأكل لحماً ولا يقرب امرأة ولا يغتسل؛ حتى يقتل سبعين رجلاً من عبس ثأراً لعمه، حتى كان يوم الصرائم وانتصرت فيه بنو يربوع على عبس وقتلوا منهم كثيرين، وقتل عصمة وحده سبعين رجلاً من عبس، وقال(٢٠٤):

اللَّهُ أَمْكَتَنِي مِنْ عَبْسٍ

سَاعَ شَرَابِي وَشَفَيْتُ نَفْسِي

وَكُنْتُ لَا أَقْرَبُ طَهْرَ عِرْسِي

وَلَا أَشَدُّ بِالْوَخَافِ رَأْسِي(٢٠٥)

ولم أكن أشرب صفو الكأس

ومن حديث يوم أواره الثاني(٢٠٦) عندما وضع المنذر بن ماء السماء ملك المناذرة - وهو والد عمرو بن هند؛ وهند أمه - ابناً له أو أخواً، فاعتدى على ناقة لرجل من بني حنظلة، فضربه صاحب الناقة فمات، فلما علم عمرو - ولقبه مضرط الحجارة لشدته وبأسه واستبداده - بهذا حلف أن يقتل مئة رجل من قوم القاتل، وجعل ذلك في موضع في البحرين يُعرف بأوراة، فحفر أخوداً أضرم فيه ناراً عظيمةً وأحرقهم فيه، حتى إنه أراد أن يسلي عن نفسه بامرأة منهم، فلم ترسخ له وافتخرت، فرماها في الأخدود وأحرقها، وكان مما جاء من الشعر في هذه الفاجعة بيد عمرو المستبد ما أجابته به المرأة الشاعرة الحمراء بنت ضمرة التميمية(٢٠٧) وقد خاطبها الملك عمرو بن هند: إني لأظنك أعجمية، فردت عليه: ما أنا بعجمية ولا ولدني الأعاجم، وارتجت(٢٠٨):

إِنِّي لَبِنْتُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ

سَادَ مَعْدًا كَابِرًا عَنِ كَابِرٍ

(٢٠٢) عز الدين، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧: ٥٠٠/١، وانظر: جمول، المصدر السابق: ص٢٠٩.

(٢٠٣) عصمة بن حذرة: شاعر جاهلي، وفارس من بني يربوع من تميم، خاض أياماً كثيرة مع قومه. انظر: عبد الحميد، المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، منشورات نادي القصيم الأدبي، الإصدار رقم٧، السعودية، ١٩٨٢: ص٢٣٦.

(٢٠٤) المعيني، المصدر السابق: ص٢٣٦.

(٢٠٥) الوخاف: ما يُدهن به الرأس.

(٢٠٦) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٤٠١/٢٢، وجاد المولى، المصدر السابق: ص١٠٠.

(٢٠٧) الحمراء بنت ضمرة: شاعرة مقلدة من بني نَهْشَل من بني تميم، والدها ضمرة بن جابر سيد معدّ، وزوجها هُوذة بن جرول بن نهشل، واجهت عمرو بن هند يوم أواره الثاني حين أوقع بقومها، فقتلها معهم. انظر: مارديني، المصدر السابق: ص٥٠.

(٢٠٨) المعيني، المصدر السابق: ص٣٠٦.

إِنِّي لَأَخْتُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ

إِذَا الْبِلَادُ لُفِعَتْ بِجَمْرَةَ (٢٠٩)

وتابعت إجابتها له بعزة، فرماها في النار وأحرقها (٢١٠). وفي قتلهم وتحريقهم قال أقيط بن زُرارة يُعِيرُ بني حنظلة ويلومهم، وهم الذين يقومون بخدمة الملك المستبد الذي أحرقهم (٢١١):

فَأُبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي مَالِكٍ مُغْلَغَلَةً وَسِرَاةَ الرَّبَابِ (٢١٢)

فَإِنَّ امْرَأًا أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَحْفُونَ قُبَّتَهُ بِالْقَبَابِ

يُهِينُ سَرَاتِكُمْ عَمِداً وَيَقْتُلُكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكِلَابِ

فَلَوْ كُنْتُمْ إِبِلًا أَمْحَلْتُمْ لَقَدْ نَزَعْتُمْ لِلْمِيَاهِ الْعِدَابِ (٢١٣)

وَلَكِنَّكُمْ غَنَمٌ تُصْطَفَى وَيُشْرِكُ سَائِرُهَا لِلذَّبَابِ

فمنطق المستبدين ملوكاً وقادةً هو ذاته؛ فلا يُقبل بالملك المقتول ديةً ولا قصاصاً، بل هي الحرب المجنونة على مَنْ تجاوزوا الحدَّ، وكيف يتجاوزنه وهم عبيد؟! فلا بد من تقتيلهم وإن بالعصا، فنبيد قبيلةً أو أكثر تاراً للملك المقتول؛ دون أن يكون لأحد السؤال عن سبب قتله ابتداءً. ومَنْ ذكرت من الزعماء والملوك المقتولين وجدنا مَنْ يقوم بدمهم يطلب ثأرهم، وإن كان يغلو ويستبد في الثأر، وقد سبق أن الملك أو الزعيم يكون من بيت مُلك وزعامة غالباً، فإن حصل ولم يكن له قوم ينهضون بأمره ويطلبون ثأره إن قُتل هانَّ أمره على رعيته، على نحو ما كان من أمر بني سُليم وقد ملكوا سيدهم العباس بن أنس الرِّعلي وتوجوه، فلما خالفهم في بعض الأمر وثبوا عليه؛ وكان سبب ذلك قلة رهطه، فقال يزيد بن الصعق (٢١٤) لبني سُليم (٢١٥):

(٢٠٩) أُنْفَعَتْ بجمرة: التهيت واشتعلت حرباً.

(٢١٠) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٤٠٣/٢٢.

(٢١١) المعيني، المصدر السابق: ص ٣١٢.

(٢١٢) بنو مالك: من بني حنظلة، ومغلغلة: رسالة محمولة من مكان إلى آخر، وسرابة الرباب: سادة الرباب الذين كانوا يجاورون بني حنظلة.

(٢١٣) أمحلت: أسقيت الماء المالح.

(٢١٤) يزيد بن الصعق: أبوه الصَّعْق عمرو بن خُوَيْلِد بن نُفَيْل، من بني كلاب بن عامر بن صعصعة، شاعر فارس، قيل إنه أسلم وشارك في الفتوحات، لكن ذلك لا يصح وإن كان أدرك الإسلام لكنه مات مشركاً، برز اسمه في يوم جَبَلَة وأسرَ أخا النعمان بن المنذر. انظر: محمد بن عمران، أبو عبيد الله المرزباني، معجم الشعراء (تحقيق: فاروق أسليم)، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥: ص ٥٥٤، وعبد الكريم يعقوب، أشعار العامريين الجاهليين، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ١٩٨٢: ص ٩٢، والزركلي، المصدر السابق: ١٨٥/٨.

(٢١٥) عبد الكريم يعقوب، المصدر السابق: ص ٦٣.

وإنَّ اللهَ ذاقَ حُلُومَ قيسٍ فلما ذاقَ خَفَّتْهَا قَلاها^(٢١٦)

رأها لا تُطيعُ لها أميراً فخلَّها تَرَدَّدُ في خَلاها

وعند ذلك قال عباس الرّعلي^(٢١٧) يخبر عن قلته وكثرتهم^(٢١٨):

وأُمُّكم تُزجي التُّوامَ لِبعلِها وأمُّ أخيكم كرزُ الرّحمِ عاقرُ

فقد ضاق هذا الزعيم بنقطة الضعف التي حرّمته الزعامة وهي القلة العددية، إذ لم تشفع له مع أقاربه الذين يفوقونه عدداً؛ إذ أمهاتهم لا تلد إلا توائم، في حين أن أمه عاقر لا تلد.

فإن لم يكن القتل فقد يكون من المستبدين ما لا يقلّ عنه من النفي والتهجير. وعندما قتل الغنويّ ابنَ عروة الرّحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب سيد هوازن^(٢١٩)، ورفضت بنو جعفر أن تقبل الدية من غنيّ، فلا يُودي جعفريّ من غنويّ، فما كان لغنيّ إلا أن ترحل عن بني جعفر، فذلك قول طفيل الغنوي^(٢٢٠) بعد عام من التهجير القسري عن الوطن يذكر المربع ويتودد لبني جعفر بالقرابة وأيام خلت بينهم في القتال جنباً إلى جنب، يقول^(٢٢١):

غشيت بقرّي فرطَ حَولٍ مكَمَّل مغاني دارٍ من سعادٍ ومنزل^(٢٢٢)

ترى جُلّ ما أبقى السواري كأنه بُعيدَ السوافي أثرُ سيفٍ مفَلّ^(٢٢٣)

بني جعفر لا تكفروا حُسنَ سعيّنا وأنثوا بحُسنِ القول في كلِّ محفل^(٢٢٤)

(٢١٦) ذاق هنا: علم وجزّب، انظر: العسكري، جمهرة الأمثال: ٢٤/١. وأبو حيان الأندلسي، المصدر السابق: ١٩/٣.

(٢١٧) عباس بن أنس الرّعلي: سيد رئيس من بني سليم، ويُنسب إلى أمه رَيْطَة، شاعر مخضرم، كان شريك والد النبي صلى الله عليه وسلم، شهد الخندق مع المشركين، وأسلم ومات في عهد النبي. انظر: المرزباني، المصدر السابق: ص ١٣٥، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٢٦٩/١٧.

(٢١٨) الجاحظ، كتاب الحيوان: ٣١/٥. وتزجي: تسوق وتدفع، والكزّة: قليلة الخير والولد. قال الجاحظ بعد بيت الرعلي: (وجعل عباس أمه عاقراً إذ كانت تزوراً)؛ يريد: قليلة الولد.

(٢١٩) انظر: محمد، ابن حبيب، المحبّر برواية أبي سعيد السكري (تحقيق: إيلزه ليختن شتيتز)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت: ص ٢٥٣.

(٢٢٠) طفيل الغنوي: هو طفيل بن كعب: وقيل: ابن عوف، من بني غنيّ من قيس عيلان، كان من أوصف الناس للخيل، وكان يقال له في الجاهلية: المحبّر لحسن شعره، ويُكنى أبا قرّان، شاعر جاهلي من الفحول المعدودين. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٤٥٣/١، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٨٥/١٤، والزركلي، المصدر السابق: ٢٢٨/٣.

(٢٢١) طفيل، الغنوي، ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي (تحقيق: حسان فلاح أوغلي)، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٠: ص ٨٣.

(٢٢٢) غشيت: أتيت، وقُزّا: موضع، فرط حول: بعد عامٍ مضى وكمل.

(٢٢٣) السواري: الأمطار تأتي بالليل وتسري، والسوافي: الرياح، وأثر السيف: تسلسله ودياجته، والفَلّ في السيف: التلم.

(٢٢٤) لا تكفروا: لا تجحدوا.

ولا تكفروا في النائبات بلاءنا إذا مسكم منها العدو بكلل(٢٢٥)

والمستبدون في صمم عن مثل هذا، فجيروت الملك والطغيان يعمي قلوبهم، فيستبدون بأقرب الناس إليهم رَجماً وجواراً، على نحو ما قاله الفند الزماني(٢٢٦) يناقض المهلهل بعد بغيه على بني بكر(٢٢٧):

ليس يَشْكُو ألم الجرح امرؤً نالَ حيناً سعةً من بعدِ ضيقِ
ورمى بالوتر منه جانباً فرمى الأعداء بالطعن المُرِيقِ
ذاك ما ذاك ولو ذا حفظةً بطلٌ يقطعُ أقرابَ الصديقِ
من رئيسٍ لم يُراقب إذ غداً حرمةَ الجار ولا حقَّ الرفيقِ
رفض القوم ولم يرحمهم ورمانا رميةَ المولى العفوقِ
نحن لم نبتدع ظمماً به فتصدى وبغى الظلم السحيقِ

فهل البطولة أن تقطع أوامر القربى والصدقة؟! وهل من أخلاق الرئاسة والقيادة ألا تراعي حرمة الدم والجوار؟! حتى ترفض الناس وهم أهلك وتأخذهم بلا رحمة تعاقبهم كما لو أنهم عبيد عندك؟! إنك بهذا تهوي في دركات الظلم والاستبداد، لاسيما وأننا لم نظلمك أو نسيء إليك.

فهذا الخطاب اللين الهادئ يحاول به الفند مقارعة المهلهل ليصحو من غفلته، ويرجع عن بغيه بعد مقتل أخيه كليب، لكن مهلهلاً أصرَّ على جوره واستبداده. على أن صوتاً رقيقاً كان ينبعث في تلك الأرجاء من امرأة كليب تصوّر حقيقة ما حدث في مقتل زوجها على يد أخيها، فنقول جلييلة بنت مرّة(٢٢٨) زوجة كليب(٢٢٩):

-
- (٢٢٥) النائبات: الشدائد، والكلل: الصدر، يعني: إذا مسكم العدو بأمرٍ عظيم يلقونه بصدورهم.
- (٢٢٦) الفند: لقبٌ غلب عليه، واسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان، من ربيعة بن نزار، وقيل: ليس في العرب شهل بالمعجمة غيره. كان أحد فرسان ربيعة المشهورين المعدودين، وشهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المئة. انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٩٣/٢٤، والزركلي، المصدر السابق: ١٧٩/٣، وحاتم، الضامن، عشرة شعراء مقلون، جامعة بغداد، العراق، ١٩٩٠: ص ٩.
- (٢٢٧) الضامن، المصدر السابق: ص ١٧.
- (٢٢٨) جلييلة بنت مرّة الشيبانية: زوجة كليب التغلبي سيد ربيعة، وأخت جساس بن مرّة قاتل زوجها كليب، وخالتها اليسوس التي كانت سبب قتل جساس كليياً واشتعال حرب اليسوس. وجلييلة شاعرة جاهلية مجيدة مكثره، كانت حكيمة عاقلة، حازت السيادة والمجد من أبيها وزوجها. انظر: مارديني، المصدر السابق: ص ٤٣، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٢٤/١٩، وبشير، يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام (تحقيق: عبد القادر محمد مايو)، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط ١، ١٩٩٨: ص ٥١، والزركلي، المصدر السابق: ١٣٢/٢.
- (٢٢٩) مارديني، المصدر السابق: ص ٢٣١.

تَحْمِلُ الْعَيْنُ قَدَى الْعَيْنِ كَمَا	تَحْمِلُ الْأُمُّ أَدَى مَا تَفْتَلِي
يَا قَتِيلًا خَرَّبَ الدَّهْرُ بِهِ	سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعاً مِنْ عِلِّ
هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحَدَّثْتُهُ	وَبَدَأَ فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
وَرَمَانِي قَتَلَهُ مِنْ كَتِّبِ	رَمِيَةَ الْمُصَمَى بِهِ الْمُسْتَأْصَلِ
يَا نِسَائِي دُونَكَ الْيَوْمَ قَدْ	خَصَّنِي الدَّهْرُ بِأَمْرٍ مُعْضِلِ
خَصَّنِي قَتْلُ كَلَيْبِ بِأَطْيِ	مِنْ وَرَائِي وَلَطْيِ مُسْتَقْبَلِي
لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمِيهِ	كَمَنْ إِنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمِ بَجَلِ
دَرَكُ الثَّائِرِ شَافِيهِ وَفِي	دَرَكِي ثَأْرِي تُكَلُّ الْمُتَكِلِ

فهذه المسكينة بمقتل زوجها على يد أخيها دُمِّر بيتاها، بيت زوجها وبيت أهلها، وإن كان الأخذ بالثأر من القاتل يشفي أهل المقتول فهو لها مزيد أسى وحرز؛ إذ كان القاتل أخاها، والثأر منه ثأر من أهلها لزوجها. وهذه حقيقة الحال مهما علا صراخ المهلهل فالرابط بينهم دمٌ ونسبٌ.

يقع القتل فيثور أصحاب الدم، فيردّون على القتل ويستبدون بالقتلة، بل وبأهلهم وقبيلتهم، هذا إن عرفوا القاتل وأدركوا الجاني عليهم، لكن الاستبداد يعظم أكثر عندما يضرب المستبدون على الظنّ؛ فامرؤ القيس ثأره كان في بني أسد قتلة أبيه، وبعد أن بالغ في قتلهم رحلوا إلى بني كنانة، ولما علموا مسير امرئ القيس نحوهم في مكانهم الجديد رحلوا عن بني كنانة، لكن هذا لم يوقف امرأ القيس بجيشه، ولم يضطر للتحري، فضربهم وهو يظنهم بني أسد قبل أن يتبين أنهم بنو كنانة لا بنو أسد، فصرخت به عجوز منهم: لسنا لك بثأر! فإن شئت فاطلب ثأرك من خصومك بني أسد فقد رحلوا مساءً، فقال امرؤ القيس(٢٣٠):

أَلَا يَا لَهْفَ هَنْدٍ مِنْ أَنْاسِ	هُمُ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِنِي أَبِيهِمْ	وَبِالْأَشْفِيْنَ مَا كَانَ الْعِقَابُ(٢٣١)
وَأَفْلَتْهِنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضاً	وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفْرَ الْوَطَابُ(٢٣٢)

(٢٣٠) الأصمعي، المصدر السابق: ص ١٣١، وامرؤ القيس، المصدر السابق: ص ٨٣.
(٢٣١) جدّهم: حظهم، ببني أبيهم: يريد بني كنانة، وهم إخوان بني أسد أبوهما خزيمة.
(٢٣٢) أفلتتهن: يعني أفلت الخيل التي طلبته فلم تلحقه وكادت تأخذه. وعلباء: هو ابن الحارث الذي أنذر بني أسد بأن امرأ القيس وراءهم. والجرىض والجريض: غصص الموت؛ فقد أفلت مجهوداً كاد يقضي. وصفّر: خلا، والوطاب: سقاء اللبن؛ والمعنى: لو أدركته الخيل لمات وبقي جسده مصفراً.

ففيران الثأر لا يُطفئها في نفسه ويشفيه مما به إلا أن يُوقع ببني أسد، ولا يُنجيهم منه أن يرحلوا، فهو يُلاحقهم أينما ذهبوا، فإن هربوا أمامه فهو يخبط خبط عشواء، لا يهّمه من يصيبهم أكانوا أعداءه المفترضين أم لا، فالحظ قفز ببني أسد من الموت تحت سيوف جيش امرئ القيس، لكنّه تعرّض ببني كنانة فشقوا وتعسوا مكانهم. وإن كنا نتأمل بعد التبيين أن يصحح أو يعتذر لمن أوقع بهم؛ لكن منطق المستبد يعلو فوق الإنسانية، فلا يعتذر من ينظر للناس أنهم عبيد وأنه السيد المطلق السيادة !!

ويبدو أن الظن بالملوك لم يكن غير هذا، وإن طلبوا أحداً فلا يأمنهم فهم لابد باطشون به، يقول خوليّ بن سهلة الطائي^(٢٣٣) وكان نصح قريبه ابن عمار الطائي^(٢٣٤) وحذّره بطش الحارث بن أبي شمّر الغساني الملك^(٢٣٥) وقد طلبه حتى أدركه وضرب عنقه^(٢٣٦):

إني نهيئت ابنَ عمارٍ وقلتُ له: لا تأمّننْ أحمرَ العينين والشعره
 إنّ الملوك متى تنزل بساحتهم تطرّ بنارك من نيرانهم شرّره
 إنّ يقتلوك فلا نكس ولا ورع عند اللقاء ولا هو هاءة همره^(٢٣٧)
 لقد نهيئتك عمّن لا كفاء له عند الحفاظ وعن غوث وعن فطره^(٢٣٨)

(٢٣٣) خولي بن سهلة: هو خولي بن أوس، وسهلة أمه، من بني حرّس بن جندب، من طيّي، شاعر جاهلي، أخباره قليلة. انظر: أحمد، حاله، شعراء طيّي في الجاهلية والإسلام أخبارهم وأشعارهم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٢: ص ٧٢٢.

(٢٣٤) ابن عمار: هو عبد عمرو بن عمار الطائي، شاعر طائي قتله الحارث الغساني لأنه هجاه، وأحمر العينين والشعر: النعمان بن المنذر وكانت هذه صفته، قال الجاحظ: (وكان النعمان أحمر العينين، أحمر الجلد أحمر الشعر، وكان شديد العريضة قتالاً للندماء) عمرو بن بحر، أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٩، ١٩٩٨: ٣٤٩/١.

(٢٣٥) أبو شمّر الغساني: ملك من ملوك غسان، وكان ملكهم في الشام، وعُرف أنه كان أعرج وعده ابن حبيب في العرجان الأشراف، وذكر ابن قتيبة أنه كان خير ملوك غسان، وأيمنهم طائراً، وأبعدهم مغاراً، وأشدّهم مكيدة، وعند ابن سلام الجمحي أنه هو الذي سار إلى السموع بن عاديا وطلبه بسلاح امرئ القيس، وهذّه يقتل ابنه إن لم يفعل، فوقى السموع وقتل ابنه، وهو الذي أرسل إليه رسول الله كتاباً عندما أرسل إلى كسرى فارس وقيصر الروم. وفي ترتيبه بين ملوك غسان وخط المصنفين في اسمه وحكمه كلامٌ للدكتور جواد علي. انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٤٠١/٣، وابن حبيب، المحبر: ص ٣٠٤، وابن قتيبة: المعارف: ص ٦٤٢، وعبد الملك بن هشام، الحميري، السيرة النبوية (تحقيق: مصطفى السقا وآخرون)، دار الخلود، بيروت: ٦٠٧/٢، ونولدكه، المصدر السابق: ص ٩ وص ٥٨، والزركلي، المصدر السابق: ١٥٥/٢.

(٢٣٦) أحمد حاله: المصدر السابق: ص ٧٢٣.

(٢٣٧) النكس: الرجل الضعيف المقصر عن النجدة، والورع: الجبان، وهو هاءة: أحرق، وهُمرة: كثير الكلام واللغو.

(٢٣٨) لا كفاء له: لا نظير له، وغوث وفطرة: بطون من طيّي.

ما قَتَلُوهُ عَلَى ذَنْبِ الْمَمِّ بِهِ إِلَّا تَوَاصَوْا وَقَالُوا: قَوْمُهُ خَسِرَهُ (٢٣٩)

فالمملوك مستبدون في نظر الشاعر، ومن يقترب منهم فينال بعض النعيم لكنه لن ينعم به فنيان استبدادهم ستحرقه وإن تأخرت عنه قليلاً، فإن بدا لهم أن يقتلوا أحداً فلا ينتظرون دليلاً أو جنائيةً، فلا حساب ولا عقاب، فالأمر إليهم يوقعون العقاب على من يريدون. والمتلمس وقد عانى من استبداد المملوك ما عانى يقول عن الملك المستبد عمرو بن هند (٢٤٠):

والظلمُ مربوطٌ بأفـ نية البيوتِ أغرُّ أبلق

فاستبداد المملوك معروف لكل الناس، ولا نجد في الناس من سلم ظهره من سياط استبداد هذا الملك وظلمه، لكن القليل من الناس من يتكلم ويصرخ في وجه الظلم؛ فالشاعر هنا لم يذهب في هجائه الملك مذهباً شخصياً، بل انتقد ممارساته الاستبدادية التي يعرفها الناس ودهم بها الملك المستبد كل البيوت. وسيأتي في الاستبداد الديني والفكري قصة المتلمس وطرفة مع الملك المستبد عمرو بن هند (٢٤١).

ومن ذلك أن يغدر بالعهد وينقض ما يبصره للناس من موثيق؛ فعمرو بن هند نفسه كان قد عاقد طيناً ألا يغزروهم، وفي طريق عودته من غزو اليمامة حسن له بعض مرافقيه أن يأخذ بعض نسانهم وأموالهم، ففعل بعد إلحاح مرافقه، فقال عارق الطائي (٢٤٢) شعراً حمل الملك المستبد أن يتراجع ويخلي سبيلهم، من ذلك قوله (٢٤٣):

إن نساءً غير ما قال قائلٌ غنيمَةٌ سَوِّءٌ بَيْنَهُنَّ مَهَارِقُهُ (٢٤٤)

وَلَوْ نِيلٌ فِي عَهْدٍ لَنَا لَحُمٌ أَرْنَبٍ وَفِينَا وَهَذَا الْعَهْدُ أَنْتَ مَعَالِقُهُ (٢٤٥)

(٢٣٩) قومه خسرته: لعله من الخسر، بالضمة. وهو العُوبةُ بالذنب، وبه فسّر قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}؛ الزبيدي، المصدر السابق: خسر.

(٢٤٠) الضبعي، المصدر السابق: ص ٢٥٣.

(٢٤١) انظر: ص ١١٢.

(٢٤٢) عارق الطائي: هو قيس بن جروة بن سيف، وعارق لقبه، شاعر جاهلي من أجأ طيئ، كان من ذوي الجحى والرأي في قومه، واشتهر بهجائه الملك عمرو بن هند لإغارته على قومه. انظر: المرزباني، المصدر السابق: ص ٢٤٧، وأحمد حالو، المصدر السابق: ص ٧٥٤، والزركلي، المصدر السابق: ٢٠٥/٥.

(٢٤٣) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة (تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون)، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩١: ١٧٤٤/٤، وأحمد حالو، المصدر السابق: ص ٧٥٠.

(٢٤٤) المهارق: جمع مهرق: الصحيفة البيضاء، قال المرزوقي في شرحه: (إن نساءً مخالفةً صفتها لما قاله قائل، يعني من حسن في عين الملك الإيقاع بهن، هن غنيمه سوء، معهن كتب العهد والذمة اللذين يخرجن بهما عن كونهن غنيمه)؛ المرزوقي، المصدر السابق: ١٧٤٤/٤.

(٢٤٥) الأرنب: ذكره تحقيراً؛ لأن صيده مستباح، فهو مضرب المثل في الذلة، ومعالقه: عهد النسوة اللاتي أسرتهن عالق في ذمتك ورقبتك.

وَهَبَكَ ابْنَ هُنْدٍ لَمْ تَعْفِكَ مَلَامَةً
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا عَهْدُهُ وَخَلَائِفُهُ (٢٤٦)

أَكَلُ خَمِيسٍ أَخْطَأَ الْغَنَمَ مَرَّةً
وَصَادَفَتْ حَيًّا دَائِنًا فَهُوَ سَائِقُهُ (٢٤٧)

فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنِيَّ
وَمَا خَبَّ فِي بَطْحَانِهِنَّ دَرَادِقُهُ (٢٤٨)

لَئِنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدْ فَعَلْتُمْ
لَأَنْتَحِينَ الْعِظَمَ ذُو أَنَا عَارِقُهُ (٢٤٩)

فهؤلاء النسوة الحرائر اللاتي زينهن في عينك امرؤ سوءٍ معهن كتاب عهد منك كيف تنقضه معنا ونحن لا ننقض العهد في أحسن الأمور؛ وماذا يبقى لك وأنت الملك إن غدرت ولم تف بعهدك والمرء إنما هو بأخلاقه ووعده؟! فهل نحمل فشل جيشك في إدراك ما رمى إليه من الغنائم؟!!

فهذه الصرخات من هذا الشاعر الحرّ الأبيّ صرخات تقريع وتهديد ما ضاعت أدراج الرياح، بل أثمرت إطلاق سراح النسوة والأموال التي ساقها الملك المستبد الذي لا يحترم العهد والميثاق.

وندماء الملوك هم أقرب الناس إليهم وأسعدهم حظاً بهم، لكنهم لم يكونوا بمنجى عن بطشهم واستبدادهم، ومن أشهر ما حفظه لنا تراثنا قصة الملك المستبد المنذر الأكبر اللخمي مع نديميه عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الأسديين (٢٥٠)؛ فيروي ابن حبيب أنهما كانا يفدان عليه

(٢٤٦) عاقه عن الأمر: حبسه وصرقه عنه.

(٢٤٧) الخميس: الجيش، والغنم: الفوز بالشيء من غير مشقة. قال المرزوقي شارحاً: (وقوله: أكل خميس، لفظه استفهام ومعناه تقريع. فيقول: أكل جيش أخفق في وجه قدر الغنم فيه، وصادف في منصرفه حياً في طاعته يسوقه ويوقع به. أي: إن ذلك غير مستجاز في السياسة والديانة، ولا مستحسن في المروءة؛ والغدر مغبته ذميمة، وعاقبته قبيحة ذميمة)؛ المرزوقي، المصدر السابق: ١٧٤٤/٤.

(٢٤٨) الخيب: ضرب من السير، والدرادق: جمع دردق: صغار الإبل.

(٢٤٩) الانتحاء: الميل إلى الشيء، وذو: بمعنى الذي في لغة طيبي. قال المرزوقي في شرحه البيت: (يقول: البيت إن لم تغير أيها الملك بعض صنيعك، ولم تتدارك ما فائتاً من عدلك ووفائك لأقصدن في مقاتلتك كسر العظم الذي صرت أعرفه فينتزع العظم منه. جعل تقيحه لما أتاه وشكواه كالعرق، وهو انتزاع اللحم وما بعده، إن لم يغير معاملته، تأثيراً في العظم نفسه. وقد أحسن في التوعد، وفي الكناية عن فعله وعماء بهم به بعده)؛ المرزوقي، المصدر السابق: ١٧٤٤/٤.

(٢٥٠) خالد بن نضلة: هو خالد بن نضلة بن الأشتر، من فقعس من بني أسد، سيد فارس شاعر، كان وقاداً على الملوك، ورأس بني أسد في حروبهم، وكان ذا رأي وحزم، رفض دخول بني أسد في دين المناذرة ودفع حياته ثمناً لذلك.

وعمر بن مسعود: هو ابن عبد مرارة من فقعس من بني أسد كذلك، وكان سيداً شاعراً، أخذته حجر الكندي مع عبيد بن الأبرص رهينتين لما نفي بني أسد إلى تهامة. وقد قتل المنذر بن النعمان خالد بن نضلة وعمر بن مسعود الأسديين وبني عليهما ما عرف بالغريرين. انظر غير أسماء المغتالين لابن حبيب: محمد علي، دقة، ديوان بني أسد، دار صادر بيروت - ط ١٩٩٩: ص ١٣٧، ص ١٩٥. وجواد علي، المصدر السابق: ٢٣٦/٣.

وينادمانه، وكانت أسد وغطفان حلفاء لا يدينون للملوك ويُغيرون عليهم، فوفدا سنةً من السنين عليه، فسأل خالدًا وهما على الشراب: مَنْ رَبُّكَ؟ فقال خالد: عمرو بن مسعود رَبِّي وربُّكَ؛ فأمسك عليهما، ثم قال لهما بعد: ما يمنعكما من الدخول في طاعتي وأن تذبّوا عني كما ذبّت تميم وربيعة؟ فقالا: أبيت اللعن! هذه البلاد لا تلائم مواشينا، ونحن مع هذا قريب منك. فعلم أنهم لا يدينون له، فأوماً إلى الساقى فسقاها سماً، فانصرفا من عنده وماتا في الليل. ثم ندم على ما فعل، فأمرَ بقبرين لهما بنى عليهما منارتين، وهما العريّان، وعقر على كل قبر خمسين فرساً وخمسين بعيراً، وغزّاهما بدمائهما، ثم ابتدع يومَي النعيم والبؤس، فجعل يوم نادّمهما يوم نعيم ويوم دفنهما يوم بؤس^(٢٥١). فكان من رثائهما في شعر بني أسد^(٢٥٢):

ألا بكرَ الناعي بخير بني أسد بعمر بن مسعود وبالسّيّد الصّمّد^(٢٥٣)
فمن كان يعيّا بالجواب فإنّه أبو مَعْقِلٍ لا حَجَرَ عنه ولا صَدَدُ^(٢٥٤)
أثاروا بصحراء الثويّة قبره وما كنتُ أخشى إن تَنَاءى به البَلَدُ^(٢٥٥)

وعلى عظم المصيبة بمقتل اثنين من السادة المشهورين فإنّنا نجد أن رثاءهما كان بكاء يسيراً، لا يوازي حجم المصاب؛ ولا يبعد أن يكون ذلك خوفاً من الملك المستبدّ الذي بطش باثنين من الزعماء في ليلة واحدة، وإن كان احتال في ذلك فجعل موتها خارج قصره لعدم إثارة قومها. وإنما بطش بهما لفرط غروره واستبداده، فهو لا يحتمل أن يكون سيّد حراً وقبيلة حرة لا تدين له، وإن أعجزه البطش بها احتال لذلك بالسّم ففتك بمن يأبى الخضوع له.

وقد ذكر ابن حبيب في أسماء المغتالين عدداً ممن قتلوا أقرب الناس إليهم، فبؤب (أسماء من قتل حميمه من الملوك)، ثم ذكر منهم (عمرو بن تبع، قتل أخاه حسان بن تبع، وسلمة بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حُجر أكل المُرار الكندي قتل أخاه شرحبيل بن الحارث، وكان الحارث ملك ولد سلمة على حنظلة وتغلب، وشرحبيل على الرّباب وبكر بن وائل،

(٢٥١) انظر: ابن حبيب، أسماء المغتالين: ١٥٠/٢.

(٢٥٢) في نسبة الأبيات اختلاف بين شعراء وشواعر من بني أسد، انظر: دقة، ديوان بني أسد: ١١١/٢. ويموت: المصدر السابق: ص ٣٩.

(٢٥٣) الصّمّد: الذي يُصمد إليه وتُرفع له الحاجات، والمقصود السيد الثاني وهو خالد بن نضلة؛ ولعل هذا يرجح أن الأبيات لابنة خالد بن نضلة، فوق أن أقدم المصادر نسبتها إليها أو إلى شاعرة أخرى من بني أسد كما في: دقة، ديوان بني أسد: ص ٦٢٢.

(٢٥٤) الحَجْر: المنع والدفع، والصدد: الإعراض والانصراف.

(٢٥٥) الثوية: موضع بناحية الكوفة، تناءى: تباعد.

وحُجراً على كنانة وأسد ابني خزيمة، ومعد ي كرب على قيس عيلان. فوثبت بنو أسد فقتلوا حُجراً، وسعى المفسدون بين سلمة وشُرْحبيل حتى احتربا، فقتل سلمة شُرْحبيل(٢٥٦).

وهذه آفة من آفات الاستبداد في الملك، ولم تكن في العرب وحدهم، يقول عدي بن زيد العبادي - وكان قريباً من بلاط فارس - يذكر كسرى أبرويز وكيف سعى ابنه شيرويه في قتل أبيه ليأخذ ملكه(٢٥٧):

وِكْسَرَى إِذْ تَقَسَّمَهُ بُوهُ بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتَسِمَ اللَّحَامُ(٢٥٨)

تَمَخَّضَتِ الْمُنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَتَى؛ وَلِكَلِّ حَامِلَةٍ تِمَامُ(٢٥٩)

فلا عجب أن يستبد الملوك بالناس إن بلغ فيهم الاستبداد أن يقتلوا الأب أو الأخ والحميم. على أن الممارسات السياسية الاستبدادية في الجاهلية لم تقف عند القتل والنفي، فالعقوبات عند الملوك المستبدين متنوعة، والسجن والأسر من أشهرها في كل زمان ومكان، لتتكون منها مادة أدبية شعراً ونثراً تتطرق ألاماً وحرزناً تارةً وتضج بالوعيد والتهديد لمن صادر الحرية تارةً أخرى فيما اشتهر في الدراسات الأدبية بأدب السجون، الذي كان ميداناً لكثير من الدراسات العلمية(٢٦٠).

(٢٥٦) ابن حبيب، أسماء المعتالين: ٢٢١/٢.

(٢٥٧) عدي بن زيد، العبادي، ديوانه (تحقيق: محمد جبار المعبيد)، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٦٥: ص ٢٠٣. وانظر: إسماعيل بن كثير، أبو الفداء دمشقي، البداية والنهاية (تحقيق: عبد المحسن التركي وجماعة)، دار هجر، ط ٢، ٢٠٠٣ م.: ٤٢٨/٩.

(٢٥٨) اللحام: جمع لحم.

(٢٥٩) المخاض: آلام الولادة، قال الزمخشري: (ومن المجاز: وتمخضت له المنون بيوم: إذا مات) واستشهد بهذا البيت، الزمخشري، أساس البلاغة: ١٩٨/٢. والتمام: ولدته لتمام: أي على تمام الخلق. والحامل والحاملة: الحبل، قال أبو نصر الجوهري: (قال ابن السكيت: الحَمْلُ: ما كان في بطن أو على رأس شجرة والحمل بالكسر: ما كان على ظهر أو رأس. يقال: امرأة حاملٌ وحاملَةٌ، إذا كانت حُبلى. فمن قال: حاملٌ قال هذا نعتٌ لا يكون إلا للإناث. ومن قال: حاملَةٌ بناه على: حَمَلَتْ فهي حاملَةٌ)، وذكر هذا البيت شاهداً، وقال: (فإذا حملت شيئاً على ظهرها أو على رأسها فهي حاملَةٌ لا غير، لأن الهاء إنما تلحق للفرق، فأما ما لا يكون للمذكر فقد استغنى فيه عن علامة التأنيث، فإن أتى بها فإنما هو على الأصل. هذا قول أهل الكوفة، وأما أهل البصرة فإنهم يقولون: هذا غير مستمر.. الجوهري، المصدر السابق: ١٦٧٦/٤. وانظر: كمال الدين، أبو البركات الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣: ٢٠٥/٢.

(٢٦٠) انظر من هذه الدراسات: حسن، نعيمة، شعراء وراء القضبان، دار الحقائق، بيروت، ط ١، ١٩٨٦. وواضح، عبد الصمد، السجون وأثرها في الأدب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥. وسكينة، فنور، الحبسيات في الشعر العربي، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧. وأريج، السليم، شعر الأسر والسجن في العصر الجاهلي الروية والتشكيل الجمالي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠١٠ - ٢٠١١. وأحمد مختار، البرزة، الأسر والسجن في شعر العرب تاريخ ودراسة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق وبيروت، ط ١، ١٩٨٥. وسالم، المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣. وبرايمي

ولا يعني هنا الخوض في المترادفات وتحرير مصطلحات السجن والحبس والأسر، إذ كانت تترادف كلمتا الأسر والسجن في الجاهلية^(٢٦١). وأياً يكن المعنى الدقيق للمصطلح فعماد الأسر أو السجن (ثلاثة عناصر: سلب الحرية، وتعطيل الحركة، والإقامة الجبرية، لكنها لا تتساوى قيمةً ومقداراً. وأهم ما فيها العنصر الأول من غير شك، ولا يزال المرء يشعر أنه لا يملك أمره ولا نفسه إذا حيل بينه وبين التصرف الحرّ الإرادي، ولو كان مطلق اليدين مفسوحاً له في الأرض، وعندئذ تكون الأرض كلها سجنًا كبيراً. إن المسألة أولاً وأخيراً مسألة سيادة الإنسان على ذاته من غير أن يكون لأحد مشاركة في هذه السيادة)^(٢٦٢). وقد سبق الكلام على استعظام الملوك المستبدين في الجاهلية السيادة والحرية على الناس في أقوالهم، ورأينا مصداق ذلك في أفعال غير واحد منهم.

وقد سبق بيان انقسام العرب في الجاهلية بين قبائل في الخيام وقبائل في المدن، والمدن أنسب لإقامة السجون؛ فضلاً عن أن المدن الرئيسية وقديماً كانت مراكز القوة التي تحكم الجزيرة وفيها أقوى الملوك، دون أن ينفي هذا عن القبائل خارج المدن السجون والأسر، فقد يكون الأسر للقتل والتعذيب^(٢٦٣). ولا تقوم دولة دون عقوبات سجنًا كانت أو غيره مما يهدف لتحقيق السلامة العامة، فليس السجن بذاته استبداداً، بل هو ضرورة لإقامة الدولة^(٢٦٤)، لذا فالسجون قديمة وعرفت كل الحضارات؛ إنما الاستبداد أن يكون السجن عن هوى ودون جرم، وهذا ما كان في الجاهلية في كثير من الأحيان، فما كان فيه السجن على قدر الجرم بحكم وأدلة فليس من الاستبداد في شيء، لكن أكثر ما وصلنا من الشواهد على قتلها تحكي غصصاً وآلاماً لمظلومين لم يكن السجن آخر عقوبة لهم، فالسجن يكون فيه التعذيب والتكيل ويكون القتل. ومن قليل تلك الشواهد التي انتهت إلينا أبيات المنخل اليشكري^(٢٦٥) في قصته مع امرأة الملك النعمان بن المنذر، فقد قال وقد سجنه ليقتله^(٢٦٦):

فوزية، شعر السجون في الأندلس، رسالة ماجستير، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥.

(٢٦١) انظر: قدور، المصدر السابق: ص ١٧، والبرزة، المصدر السابق: ص ٢٤.

(٢٦٢) البرزة، المصدر السابق: ص ٢٣.

(٢٦٣) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٢٥٦/١٠. وفيه يذكر أنه إذ كان من غير الممكن للقبائل الحكم بالسجن على المجرمين لعدم توفر السجون لجأت إلى عقوبة الطرد؛ وهذا الكلام فيه نظر، فقد يكون السجن والأسر لإيقاع عقوبة القتل أو التعذيب بالسجين، كما في الشواهد التي يعرض لها البحث.

(٢٦٤) انظر: محمد، الجريوي، السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٩٩١: ص ١٥٩.

(٢٦٥) المنخل اليشكري: هو المنخل بن مسعود بن عامر، من بني يشكر، شاعر جاهلي، كان ينادم النعمان بن المنذر، وينافس النابغة الذبياني عندهم، وكان سبب هروب النابغة إلى الشام، قتله النعمان بن المنذر بامرأته المتجردة، وذكر ابن حبيب أنها هي التي علقتة وكانت سبب قتله. انظر: ابن حبيب، أسماء المعتالين: ٢٥٧/٢، والمرزباني، المصدر السابق: ص ٣٥٧، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق:

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الْخُرَيْنِ عَنِي مُغْلَغَلَةً، وَخُصَّ بِهَا أَبِيًّا (٢٦٧)
فَإِنْ لَمْ تَنْتَارَ لِي مِنْ عَكَبٍ فَلَا أَرْوِيثُهَا أَبَدًا صَدِيًّا (٢٦٨)
يُطَوِّفُ بِي عَكَبٌ فِي مَعَدِّ وَيَطْعَنُ بِالصُّمْلَةِ فِي قَفِيًّا (٢٦٩)

وفيه تفصيل أخذ المنذر للمنخل في قصته مع امرأته المتجرّدة، وعلى تعدد الروايات في ذلك إلا أنها تتفق في أن النعمان دفع المنخل لأحد رجاله واسمه عكب، فعذّبته حتى الموت، وأنه قال هذه الأبيات قبل مقتله.

وإن يكن للنعمان وجه حقّ في غيرته على أهل بيته، إلا أنه لا قيمة للإنسان عنده، فلا يُنتظر منه وهو الملك محاكمةً ولا سؤالاً عن الواقعة، ليتبين أن امرأته هي التي أوقعت المنخل في نفسها، ولا كآف نفسه عناء استجوابه معها! وما صراخ الشاعر المعذّب بأخويه إلا من شدة ألمه؛ فالسفاح عكب الذي رماه الملك المستبدّ بين يديه يتفنّن في تعذيبه، حتى ليطعنه في قفاه بعضاً تضطرب لها نفسه وينخلع قلبه.

وفي خبر الشاعر الطائي حوذة بن عثرم (٢٧٠) يرثي أباه بقوله (٢٧١):

إلى الله أشكو أن أؤوب وقد ثوى قتيلاً وأودى سيد القوم عثرم
فمات ضياعاً هكذا بيد امرئ لنعيم فلولا قيل ذو الوتر معلّم (٢٧٢)
ولكن ثوى لم يكلم السيف جيده ولا ناله رمح ولم يُرق الدّم (٢٧٣)
فأنت ابن شؤبوب فيا لهفنا له وما جزّ من أظفاره منك أكرم

١/٢١، والزركلي، المصدر السابق: ٢٩١/٧.

(٢٦٦) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٥/٢١.

(٢٦٧) الحرّان: الحرّ وأخوه أبيّ، وإذا كان أخوان أو صاجبان وكان أحدهما أشهر من الآخر سُمياً جميعاً باسم الأشهر. انظر: ابن السكيت، إصلاح المنطق: ص ٢٨٢، وابن منظور، المصدر السابق: حر.

(٢٦٨) الصدى: ما يبقى من الميت في قبره من جنته، وكان الجاهليون يعتقدون أن الصدى طائر يخرج من هامة الميت إذا بلي. انظر: جواد علي، المصدر السابق: ١٤٠/١١.

(٢٦٩) الصمّلة: العصا. الزبيدي، المصدر السابق: صمل.

(٢٧٠) حوذة بن عثرم: شاعر جاهلي من طيّ، ولا يعرف عنه إلا ما كان في سبب أبياته المذكورة. انظر: أحمد حالو، المصدر السابق: ص ٧١٧.

(٢٧١) أحمد حالو، المصدر السابق: ص ٧١٨.

(٢٧٢) الوتر هنا: الجناية، ومعلم: له علامة يُعرف بها.

(٢٧٣) يكلم: يُجرح، وذلك أن القاتل خنقه خنقاً ولم يضربه بالسيف.

سَأَسْقِيكَ قَبْلَ الْمَوْتِ كَأَسَا مَزَاجُهَا زُعَافٌ مِنَ السَّمِّ النَّقِيعِ وَعَقْلُمُ

أن كَلْحَبَ بن شُوْبُوْبِ الأَسْدِي (٢٧٤) كان رجلاً عاتياً، وكان يغير على طيئ، فتصدى له والد الشاعر واسمه عثرم ليأسره، فلم يقدر عليه وأسرّه ابن شُوْبُوْبِ، فنكّل به وقتله خنقاً. فالرجل في قبيلته يدفع عن نفسه وأهله شرّ المفسدين، فيقتل دون ماله وأهله، لكن المفسد المستبدّ تأبى نفسه الشريرة أن يواجهه أحد، فيبطش بمن يتحداه ويقف في وجهه، وإمعاناً في أذاه وقهره يقتله، لكن خنقاً وليس ضرباً بالسيف. وهنا لا نجد الملك هو الذي يستبدّ، بل عصابة من المجرمين المفسدين، وهذا من أثر انتشار استبداد الملوك والزعماء، حتى ليكاد أن يكون جواً عاماً من الاستبداد والظلم، فلا يقدر أحدٌ على أحدٍ إلا استبد به بطرق شتى، كما سيأتي في الاستبداد الاجتماعي.

ومن قبيح ما وصلنا من الشعر يحكي السجن والتعذيب والقتل مفضليّة عبد يغوث الحارثي (٢٧٥) المشهورة (٢٧٦):

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بَيَا وَمَا لَكُمْ فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمَعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَفُوا عَنِ لِسَانِيَا (٢٧٧)

أَمَعَشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكْتُمْ فَأَسْجَحُوا فَإِنَّ أَحَاكِمَ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا (٢٧٨)

(٢٧٤) كَلْحَبَ بن شُوْبُوْبِ: شاعر جاهلي من بني أسد، وكان خبياً عاتياً خبيثاً، يُغير على قبيلة طيئ وحده، وهو قاتل والد حوذة الطائي الشاعر، وله أبيات يهجو حوذة ويجيبه عما قاله فيه. انظر: دقة، ديوان بني أسد: ص ١٦١.

(٢٧٥) عبد يغوث الحارثي: هو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة، من بني الحارث بن كعب من مذحج، شاعر جاهلي وفارس جزّار، رأس قومه بني الحارث دهرأ، وهو من أهل بيت شعر مُعْرَق في الجاهلية والإسلام، وأسر يوم الكلاب الثاني وقُتِل في أسره. انظر: الأحمدي، شعراء مذحج: ص ٤٣٤، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣٣٣/١٦، والزركلي، المصدر السابق: ١٨٧/٤.

(٢٧٦) المفضل بن محمد، الضبي، المفضليات (تحقيق وشرح: أحمد شاكر وعبد السلام هارون)، دار المعارف، مصر، ط ٦: ص ١٥٥. وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣٣٣/١٦. والأحمدي، شعراء مذحج: ص ٤٣٦.

(٢٧٧) النِسْعَة: سير من جلد يُشد به، وشد اللسان بها هنا مجازي، قال ابن الأنباري: (هذا مثل، واللسان لا يُشد بنسعة، وإنما أراد: افعلوا بي خيراً لينطلق لساني بشركم، وإنكم ما لم تفعلوا فلساني مشدود لا أقدر على مدحكم) وذكر أنه سدوا فم الشاعر (مخافة أن يهجوهم، وقد كانوا سمعوه ينشد شعراً، فقال: أطلقوا لي عن لساني أدم أصحابي وأنوح على نفسي، فقالوا: إنك شاعر ونخشى أن تهجوننا، فجعل لهم ألا يهجوهم، فأطلقوا له عن لسانه) القاسم بن محمد، الأنباري، شرح المفضليات (غني بطبعه كارلوس يعقوب لاييل)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠: ص ٣١٧.

(٢٧٨) أسجحوا: سهّلوا ويسرّوا، أحاكم: هو النعمان بن جساس رئيس الرباب، والبواء: السواء، وفلان بواء فلان: أي كفّوه إن قُتل به.

فإن تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِي سيدا
 وإن تُطْفُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا (٢٧٩)
 أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعًا
 نشيد الرَّعَاءِ الْمُعْزَبِينَ الْمَتَالِيَا (٢٨٠)
 وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عِبْشَمِيَّةٌ
 كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيَا (٢٨١)
 وَظَلَّ نِسَاءَ الْحَيِّ حَوْلِي رُكْدًا
 يُرَاوِدُنَّ مِنِّي مَا تَرِيدُ نِسَائِيَا
 وَقَدْ عَلِمْتُ عَرْسِي مُلَيْكَةً أَنْتِي
 أَنَا اللَّيْثُ مَعْدُورًا عَلَيَّ وَعَادِيَا (٢٨٢)

وفي خبر الأبيات: أنه التقت مذحج وبنو تميم في يوم الكلاب الثاني، فهزمت اليمانية، وأسر عبد يغوث الحارثي، وكان قائد مذحج، فأراد أن يفدي نفسه، فأبت بنو تميم إلا أن تقتله بقائدها النعمان بن جساس، ولم يكن عبد يغوث قاتله، ولكن قالت تميم: قُتِلَ فَارِسْنَا، وَلَمْ يُقْتَلْ لَكُمْ فَارِسٌ مَذْكُورٌ. ولما أبوا أن يطلقوا سراحه بفدية سألهم أن يقتلوه قتيلا كريمة، فأجابوه. وسقوه الخمر وقطعوا له عرقاً يقال له: الأكل، وتركوه ينزف حتى مات. فقال هذه القصيدة حين جُهِزَ لِلْقَتْلِ. فاجتمع الاستبداد بهذا الأسير من جوانب؛ فقد رفضوا فكاكه بمقابل، وأردوا قتله برجلٍ آخر لهم قد قُتِلَ فأخذوه للقتل بجريسته، وزادوا فرضوا إطلاق سراحه بفدية، ولم يسمحوا له بالكلام لأنه شاعر وخوافوا هجاءه، أو أنهم شدوا بنسعة حقيقية كما رجح الألويسي وذكر ذلك عن الجاحظ والأصفهاني (٢٨٣)، ولولا أنهم أسلموه للقتل ووعد أن يهجو أصحابه قبل موته ما تركوه يتكلم. فهو مطروح في القبيلة تتحقق حوله النسوة يشتمن به، فيربط ويهان وهو السيد الجواد الفارس الجرار الذي رأس قومه من بني الحارث دهرأ (٢٨٤)، ولا يُسمح له بالكلام إلا ليقرا أبياتاً من الشعر ينعي فيها نفسه، ويطلب مينة كريمة فتكون بسقياه الخمر وقطع أكحله؛ فأبي استبداد أفتح وأشد من هذا !

يقول الجاحظ: (وليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث، وذلك أننا إذا قسنا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن

(٢٧٩) تحربوني بماليا: أي إن أخذكم الفدية يمنحك قوة ويسهل عليكم حربنا.
 (٢٨٠) الرعاء: جمع راع، والمعزب: المتحى بإبله، والمتالي: الإبل تُتج بعضها وبقي بعضها.
 (٢٨١) عبشمية: نسبة إلى عبد شمس، وفي بقاء الألف في (لم ترى) مع الجزم آراء بسطها الأحمدى: شعراء مذحج: ص ٤٣٩.
 (٢٨٢) عرسي: زوجتي.
 (٢٨٣) الألويسي، المصدر السابق: ١٧/٣
 (٢٨٤) انظر في ترجمته وأخباره: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣٣٣/١٦، والأحمدى، شعراء مذحج: ص ٤٣٤، والصد، المصدر السابق: ص ١٢٤، ونعيسة، المصدر السابق: ص ٣٣.

والرافاهية^(٢٨٥)؛ فهل ذلك من الاطمئنان لِمَا يموتان في سبيله أم لجهلها بالموت وما بعد الموت أم هو الثبات في وجه القتلة فلم يظهر الجزع في النفس ولا في الشّعر؟

ومن تعسّف سادات القبائل واستبدادهم بالناس في الأسر ما كان من أمر حنظلة بن الطفيل بن مالك مع زبان بن سيّار الفزاري^(٢٨٦)، فقد أسرَ زبان حنظلة يوماً، فمنّ عليه وأطلقه، وكان في نفسه أن له يداً عنده لا ينساها له، فركب ناقته إليه يسأله العطاء لقاء تلك اليد والمكرمة، فكان المقابل أن أسره وأساء إليه ولم يطلقه حتى افتداه أخوه، فكان مما قاله زبّان في أسره^(٢٨٧):

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عني طُفِيلاً وحنظلة الذي أبزى سؤالي^(٢٨٨)
بأن قلائصاً طوّحن شهراً ضلالاً ما رحلن إلى ضلال^(٢٨٩)
أأمّن بعد حنظلة ابن أنثى بشيء ما هدت قدمي قبالي^(٢٩٠)

فالشاعر قصد ابن الطفيل، وهو من بيت سيادة عريق، يريد مقابل منّه وكرمه؛ لكنها السيادة وأمراضها والاستبداد بالناس، فبعد أن تاه الشاعر وأضنى راحلته إلى هذا السيد راغباً بكرمه تنكّر له، وألقاه في السجن، وخرج بقناعة من هذه التجربة المرّة أن لا أمان لأحد بعد هذا السيد!! ثم راح يبكي نفسه ويصف أسره وآلام السجن حتى افتداه أخوه، فمما قال في أسره التعسفي^(٢٩١):

نُسَائِلُ عَنِّي الحَسَنَاءُ لَمَّا أتى مِنْ دُونِ وإفديها الشهورُ
عَلامٌ تقول: يَحْبِسُنِي، وِعندي مُواشِكَةٌ وأنساعٌ وكُورُ^(٢٩٢)

(٢٨٥) الجاحظ، البيان والتبيين: ٢٦٨/٢.

(٢٨٦) زبّان بن سيّار الفزاري: كان كبير بني فزارة من ذبيان في آخر العصر الجاهلي، وكان يفد على الحيرة، وهو شاعر جاهلي، كانت له منافرة مع عيينة بن حصن الفزاري. انظر: علي بن ناصر، الجَمّاح، شعر ذبيان من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات، ط١، ٢٠١٥: ص٣٦٩، والجمحي، المصدر السابق: ١١٢/١.

(٢٨٧) الجَمّاح، المصدر السابق: ص٣٧٢.

(٢٨٨) أبزى فلان فلاناً: غلبه وقهره.

(٢٨٩) القلائص من الإبل: الفتية، وطّوحن: سارت وتاهت هنا وهناك حتى شارفت على الهلاك. يريد أن هذه الإبل بعد كل ما عانتها للوصول إليك كان سيرها ضلالاً وضباعاً إذ لم ينل صاحبها ما تمنى. واختلف في فهم البيت مدحاً أو ذمّاً، انظر: الجَمّاح، المصدر السابق: ص٣٧٣.

(٢٩٠) هدت قدمي قبالي: يريد ما دمت حياً، وجاءت في شعر عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ص٣٤٦:

فما أنس من وُدِّ تقادم عهده فلسْتُ بناسٍ ما هدت قدمي نعلي

(٢٩١) الجَمّاح، المصدر السابق: ص٣٧٠.

(٢٩٢) المواشكة: الناقة السريعة، والأنساع: سيرٌ يشد زماماً للبعير، والكور: الرحل.

فَمَا زَالَ ابْتِغَاءُ الشُّكْرِ حَتَّى قَعَدْتُ رَهِينَةً وَأَخِي نَذِيرُ

أَسِيرٌ فِي بِلَادِ بَنِي طُفَيْلٍ وَكَيْفَ يَنَامُ فِي الْقَدِّ الْأَسِيرُ (٢٩٣)

فامرأته تقف حائرة تسائل الناس عن زوجها وسبب اختفائه القسري في بلاد بني طفيل، وهي تعرف أنه صاحب يد على سيد فيهم وذهب إليهم ليشكروا له فضله، فأخذوه رهينة وأسروه؛ لا تهدأ نفسه ولا تغمض له عين وهو مقيد في محبسه.

وهذا معنى كثير في أدب السجون، فكيف لأسير أن يخلص النوم إليه وهو بين مصيره المجهول وحال أهله، حتى ليرعى النجوم إن رآها، فيدرك نجماً يسامره حتى يغيب، فيخلفه آخر، فلا يشعر إلا والنجوم هربت أمام أشعة شمس النهار وهو لا ينام، على نحو ما عانى جعدة ابن طريف السعدي (٢٩٤)، فيقول (٢٩٥):

يَا طُولَ لَيْلِي مَا أَنَامُ كَأَنَّمَا فِي الْعَيْنِ مَنِّي عَائِرٌ مَسْجُورٌ (٢٩٦)

أَزْعَى النُّجُومِ إِذَا تَغَيَّبَ كَوَكَبٌ كَالَأُتِ أَحَرَ مَا يَكَادُ يَغُورُ (٢٩٧)

إِنْ طَالَ لَيْلِي فِي الْإِسَارِ لَقَدْ أَتَى فِيمَا مَضَى دَهْرٌ عَلَيَّ قَصِيرُ

فالليل في الأسر طويل لا ينتهي، وقد كان والشاعر حرّ طليق قصيراً لا يتسع لكل ما يشتهي، فمن رمى عيني بسهم حتى لا يصلها النوم؟!!

وحكايات الأسرى والمعتقلين مع الليل في الأسر لا تنتهي ما قامت سجون وبكى مسجونون (٢٩٨).

والشاعر زبان بن سيار الفزاري وإن ذاق في أسره ما ذاق، غير أن أخاه أدركه فافتداه وفقه من أنياب المستبدين، ويا ليؤس من يتأخر أهله أو يعجزون عن فدائه! فهذا معبد بن زرارة، سيد من سادات تميم وأخو حاجب بن زرارة كان من أمره أن أخاه حاجب بن زرارة التميمي قد أجار

(٢٩٣) القَدِّ: سير من جلد يُربط به الأسير.

(٢٩٤) لا ترجمة له سوى ما ذكر في مناسبة الأبيات، وعده الملوحى في الشعراء اللصوص. انظر: عبد المعين، الملوحى، أشعار اللصوص وأخبارهم، منشورات دار أسامة، سوريا: ص ٨.

(٢٩٥) الملوحى، المصدر السابق: ص ٨.

(٢٩٦) العائر من السهام: الذي لا يُعرف من رماه، والمسجور: المُحمى.

(٢٩٧) كالأ: رعى.

(٢٩٨) انظر نماذج من ليالي الأسرى في: عبد الله، المصورى، الليل في رؤية الشاعر العربي مهموماً ومحجاً، رسالة ماجستير في الأدب، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩٢: ص ٥٨ وما بعدها. والمصدر السابق: ص ٢٠٩.

الحارث بن ظالم المرّي قاتل خالد بن جعفر، وقال حاجب شعراً في إجارته هذه يفخر فيه بنفسه وبقومه، ويتحدى بني عامر الذين كانوا يطلبون الحارث، فلما وقعت الحرب بين بني عامر وبني تميم يوم رححان الثاني انهزمت تميم وأسر معبد بن زرارة، فأرسل معبد إلى رجلٍ بالطائف كان يعذب الأسرى وقُطِعَ إرباً إرباً، وكان لقيط أخو حاجب قد تأخر عن دفع فدية أخيه معبد لأنهم طلبوا أن تكون دية ملك ألف بعير^(٢٩٩)، وردّ عامر بن مالك بأبيات على أبيات حاجب وهي من الوزن والقافية نفسها^(٣٠٠)، وصار تأخر لقيط عن دفع دية أخيه سبباً عليه، من ذلك قول شريح بن الأحوص العامري^(٣٠١) يعيره^(٣٠٢):

لَقَيْطُ وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَاجِدٌ وَلَكِنَّ جِلْمَكَ لَا يَهْتَدِي
وَلَمَّا أَمِنْتَ وَسَاعَ الشَّرَا بُ وَاحْتَلَّ بَيْنَكَ فِي تَمَهْدٍ^(٣٠٣)
رَفَعْتَ بِرِجْلِكَ فَوْقَ الْوَرَا ش تَهْدِي الْقَصَائِدَ فِي مَعْبِدٍ
وَأَسْلَمْتَهُ عِنْدَ جِدِّ الْقِتَا ل وَتَبَخَّلُ بِالْمَالِ أَنْ تَفْنَدِي

فلم يكف غرورهم أن يأسروا سيد قومه، بل طلبوا أن تكون دية ملك، وعندما تأخر أخوه في دية لم يعذبوه بأنفسهم، بل دفعوه إلى الطائف إلى رجل متخصص في التعذيب والتنكيل فقطعه إرباً إرباً بكل سادية ووحشية، وزادوا فصار يعيرون أخاه لتقصيره في إنقاذه من أيديهم. وعندما يُبادر زعيمٌ شهمٌ لفكاك أسرى من قومه، حتى ليقدم ابنه رهينة لمن أسره، وبدلاً من إطلاقه كرامة لشهامة أبيه يتأخر الأب في فكاكه فيقتلونه، فهذا حال طريف العنبري^(٣٠٤) في يوم صعفوق^(٣٠٥)، وقد قال عندما قتلوا ابنه الرهينة^(٣٠٦):

-
- (٢٩٩) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٦٨/١١، وجاد المولى، المصدر السابق: ص ٤٤٤.
(٣٠٠) انظر: يعقوب، المصدر السابق: ص ٦٨.
(٣٠١) شريح بن الأحوص: هو شريح بن ربيعة (الأحوص) بن جعفر بن كلاب، من بني عامر، شاعر جاهلي مقل، كان فارساً في قومه وشارك في يوم جبلة وقيل: إنه قتل لقيط بن زرارة. انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٢٨/١١، ويعقوب، المصدر السابق: ص ١٤.
(٣٠٢) يعقوب، المصدر السابق: ص ٧١.
(٣٠٣) تمهد: موضع لبني تميم في نجد.
(٣٠٤) طريف العنبري: هو طريف بن تميم بن عمرو، من بني العنبر من تميم، شاعر جاهلي، كان رجلاً جسيماً فارساً خاض الكثير من أيام تميم، وكانت الفرسان لا تشهد سوق عكاظ إلا مبرقة مخافة الأسر أو الثأر، لكن طريفاً كان أول من ألقى قناعه فسُمي مُلقِي القناع. انظر: المعيني، المصدر السابق: ص ٤٥٨، والزركلي، المصدر السابق: ٢٢٦/٣.
(٣٠٥) صعفوق: يوم ليكر على تميم، انظر: ابن عبد ربه، الأندلسي، العقد الفريد (تحقيق: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون)، دار الكتاب العربي، بيروت: ٦٥/٦.
(٣٠٦) المعيني، المصدر السابق: ص ٤٦٤.

لَا تَأْمَنَنَّ سُلَيْمَى أَنْ أَفَارِقَهَا صَرَمِي الطَّعَائِنَ بَعْدَ الْيَوْمِ صَعْفُوقٍ (٣٠٧)

أَعْطَيْتُ أَعْدَاءَهُ طَوْعاً بَرَمَّتِهِ ثُمَّ انصَرَفْتُ وَظَنِّي غَيْرُ مَوْثُوقٍ

لَقَدْ صَرَمْتُ خَلِيلاً كَانَ يَأْلُفُنِي وَالْأَمْنَاتُ فِرَاقِي بَعْدَهُ خُوقٍ (٣٠٨)

والممارسات الاستبدادية بحق الأسرى كانت شائعة في الجاهلية بينهم فيما يبدو من كلام الشاعر أدهم بن حازم الضبي (٣٠٩) بقوله (٣١٠):

بَنِي عَامِرٍ صَرَمْتُمُ الْحَبْلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ

غَدَرْتُمْ وَلَمْ نَعْدُرْ وَقُمْتُمْ وَلَمْ تَقُمْ إِلَى حَرِبِنَا لَمَّا قَعَدْنَا عَنِ الْحَرْبِ

وَكُنَّا وَأَنْتُمْ مِثْلَ كَفِّ وَسَاعِدٍ فَصِرْنَا وَأَنْتُمْ مِثْلَ شَرْقٍ إِلَى عَرَبِ

فَمَا نَسَلْبُ الْقَتْلَى كَمَا قَدْ فَعَلْتُمْ وَلَا نَمْنَعُ الْأَسْرَى مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ

وَسَلْبُ ثِيَابِ الْمَيِّتِ عَارٌ وَذِلَّةٌ وَمَنْعُ الْأَسِيرِ الزَّادَ مِنْ أَقْبَحِ السَّبِّ

فكلام الشاعر ليس في الأسر وحده، بل في غصصه وآلامه مما يوقعه المستبد بأسيره، وما زاد هذه الممارسات الاستبدادية من منع الأسير الطعام والشراب على فظاعتها وأنها أشدُّ نُكْرًا من السب والشتم أنها جاءت من حلفاء الأُمس، ممن كانوا معهم يداً بيدٍ كَتَفًا بكَتَفٍ، فكانوا يداً واحدةً ثم فتكوا واستبدوا بهم. وفوق هذه الممارسات المحسوسة قد تجد العذاب النفسي والإرهاب النفسي للأسير، كالتأمر على قتله أمامه، مما يفوق كل آلام الأسر، على نحو ما شرحه قيس بن عيزارة الهذلي (٣١١) يوم أسرته فهُم، يقول (٣١٢):

(٣٠٧) صَعْفُوقٌ: قِيلَ هُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ ابْنُهُ، وَرُوي صَعْفُوقٌ. انظر: الأزهرى: المصدر السابق، ٢٨٣/٣، والزبيدي: المصدر السابق: صَعْفُوقٌ.

(٣٠٨) خُوقٌ: جَمْعُ خُوقَاءَ، وَهِيَ الْحَمَاءُ مِنَ النِّسَاءِ. وَفِي الْبَيْتِ إِقْوَاءٌ.

(٣٠٩) لَا تَرْجَمُهُ لَهُ سِوَى الْأَبْيَاتِ الْمَذْكُورَةِ. انظر: عبد اللطيف حمودي، الطائي، قبيلة ضبة أخبارها وأشعارها في الجاهلية و صدر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩: ص ١٢٩.

(٣١٠) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ وَأَبُو عَثْمَانَ سَعِيدٌ، الْخَالِدِيُّ، الْأَشْبَاهُ وَالنِّظَائِرُ مِنْ أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُخَضَّرِمِينَ (حَمَاسَةُ الْخَالِدِيِّينَ) (تَحْقِيقٌ: السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ يَوْسُفٌ)، مَطْبُوعَاتُ لَجْنَةِ التَّأْلِيفِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالنِّشْرِ، مِصْرَ، ١٩٦٥: ٢٧٨/٢. وَالطَّائِي، قَبِيلَةٌ ضَبَّةٌ: ص ١٢٩.

(٣١١) قَيْسُ بْنُ عِزَارَةَ: هُوَ قَيْسُ بْنُ خُوَيْلِدٍ، وَالْعِزَارَةُ أُمُّهُ وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ، شَاعِرٌ عَدَاءٌ مِنْ بَنِي هُذَيْلٍ، أَسْرَهُ تَابَطُ شَرًّا فَأَقْلَتَ مِنْهُ، وَشِعْرُهُ فِي دِيْوَانِ الْهُذَلِيِّينَ. انظر: السكري، شرح أشعار الهذليين: ٥٨٩/٢.

(٣١٢) السكري، شرح أشعار الهذليين: ٥٨٧/٢.

لَعْمُرُكَ أَنْسَى رَوْعَتِي يَوْمَ أَقْنُدِ وَهَل تَنْزُكُنْ نَفْسَ الْأَسِيرِ الرَّوَاعِجِ (٣١٣)
 غَدَاةً تَنَادُوا ثُمَّ قَامُوا وَأَجْمَعُوا بِقَتْلِي سُلْكَى أَيْسَ فِيهَا تَنَازُعُ (٣١٤)
 وَقَالُوا: عَدُوٌّ مُسْرِفٌ فِي دِمَائِكُمْ وَهَاجٍ لِأَعْرَاضِ الْعَشِيرَةِ قَاطِعُ (٣١٥)
 وَقَدْ أَمَرْتُ بِي رَبَّتِي أُمَّ جُنْدُبٍ لِأَقْتُلَ لَا يَسْمَعُ بِذَلِكَ سَامِعُ (٣١٦)
 تَقُولُ: اقْتُلُوا قَيْسًا وَخُزُوا لِسَانَهُ بِحَسْبِهِمْ أَنْ يَقْطَعَ الرَّأْسَ قَاطِعُ

فالخوف الذي مرّ به الشاعر في ذلك اليوم لا ينساه، وكيف ينسى أنهم تأمروا على قتله على مسمع منه، وإن مال بعضهم لقبول فكاكه أسرعت النساء لتحريضهم عليه؛ فأياها أشد على الأسير حرمانه الطعام والشراب أم تداول قتله وهو يسمع!؟

وإن كانت هذه الممارسات الاستبدادية تجاه الأسرى في القبائل بين بعضهم؛ فهي في المدن والحواضر أكبر، وإن كانت في القبائل على ما بينها من رجم ودمٍ كذلك فهي من الدول العظمى وأذرعها التي كانت تحوط الجزيرة العربية وقتها أشد وأنكى؛ فللغساسنة سجونهم وللمناذرة سجونهم، فضلاً عن سجون كسرى وقيصر، ولكلٍ منها رواد من ضحايا الاستبداد، منهم من انتهى إلينا بعض صوته ومنهم من قضى بسيف المستبدين دون أن يخلص من أذبه شيء. من ذلك أن قيصر الروم عمل على تمليك عثمان بن الحويرث على قريش في مكة، فكَادَ له عنده رجال من قريش، فعرف ذلك، فبحث فيمن كان وقتها في الشام من تجار قريش، فوجد اثنين منهم هما أبو أحيحة سعيد بن العاص (٣١٧) وابن أخته هشام أبو ذئب، فحبسهما عنده، فمات أبو ذئب في الحبس، فقال أبو أحيحة (٣١٨):

(٣١٣) أنسى: يريد لا أنسى، وأقند: موضع في بلاد فهم حيث أسر قيس، الروائع: ما يروعه ويُخيفه.

(٣١٤) سُلْكَى: يعني أنهم مُجمعون متتابعون على ذلك، قد أجمعوا على قتله لا اختلاف بينهم في ذلك.

(٣١٥) قاطع: للرحم.

(٣١٦) ربتى: يريد امرأة أسره أم جندب، تطلب قتله سرّاً حتى لا يُفتدى، وقد يكون معنى (لا يسمع بذلك سامع) أنه يدعو لنفسه، بمعنى: لا يكن ذلك.

(٣١٧) أبو أحيحة: هو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، من أشرف مكة ووجهاء قريش في الجاهلية، كان يُعرف بذي العمامة؛ لأنه كان إذا اعتَمَّ لا يعتَمُّ أحد بمكة بلون عمامته إعظماً له، كان تاجراً، وهو ممن أخذتهم العزة بالإثم فلم يقبل الدخول في الإسلام وأظهر عداوته للرسول صلى الله عليه وسلم، ومات في السنة الأولى أو الثانية من الهجرة. انظر: ابن حبيب، المحبر: ص ١٦٥، وجواد علي، المصدر السابق: ١٠٨/٤، والزركلي، المصدر السابق: ٩٦/٣.

(٣١٨) الزبير، بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها (تحقيق: محمود شاكر)، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨١: ص ٤٢٨. وأحمد بن حجر، العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة (تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥: ٢٣٦/٣.

قَوْمِي وَقَوْمِكَ يَا هِشَامُ قَدْ اجْمَعُوا تَرْكِي وَتَرْكَكَ آخِرَ الْأَعْصَارِ (٣١٩)

فابن أخته يموت بين يديه في سجن قيصر ظلماً وقهراً، واليأس يضرب نفس الشاعر، فيقترب من اليقين أن لا فكاك وأنه مُدْرِكُ ابْنِ أخته في سجن المستبد. لكن قومه لم يتركوه وجمعوا له مالاً وفيراً وافتدوه من سجن قيصر، فقال في ذلك (٣٢٠):

يَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي قَوْمِي بِرِيدَا (٣٢١)

عثمان أو عفان أو أبلغ مغلغلة أسيدا (٣٢٢)

فَلَأَمَدَحَنَّ الْوَأَفِيدِينَ بِمِدْحَةٍ تَأْتِي سَرُودَا (٣٢٣)

حَسَنًا دَوَابِرُهَا، أَحْبَرُهَا فَتَحْسِبُهَا بُرُودَا (٣٢٤)

فهذه وثيقة شعرية مهمة تسجل تطاول المستبدين وعبثهم بشأن العرب منذ القدم؛ فقيصر الروم أدرك من حينها أهمية مكة وأهلها، فاتخذ رجلاً من أهلها باع له نفسه ليجعله زعيم مكة، فينتفض أهلها ضد الزعيم المأجور المعين من وراء الحدود، فتكون الضريبة أن يُعاقبوا ويُؤسر من تناله يد الظالم منهم، وهم تجار ليس لهم إلا التجارة والمال، لكنهم من قوم يابون الضيم ويرفضون الزعامة المأجورة، فتكون العاقبة أن يقضي أحدهم في سجن المستبد ويشترى الآخر حريته بمال وفير يجتمع كل أهل بلده على جمعه لفك أسرهِ !!

وممن سُجن في سجون الغساسنة ولقي مصرعه فيه الحارث بن ظالم (٣٢٥)، حينما كان في حضرة الملك الغساني وقد أجاره، لكنه اعتدى على ناقة للملك كان حماها فلا يقربها أحد، ثم

(٣١٩) آخر الأعصار: آخر الدهر.

(٣٢٠) الزبير بن بكار، المصدر السابق: ص ٤٢٦، وابن حجر، المصدر السابق: ٢٣٦/٣.

(٣٢١) في هامش جمهرة نسب قريش: (البريد: الرسول، هكذا نص كتب اللغة، وأراد هنا بقول: (بريدا) رسالة، وهذا معنى لم تثبته المعاجم، وهو شبيه بقولهم: (الرسول)، الرسالة، وحامل الرسالة).

(٣٢٢) عثمان: كأنه يعني عثمان بن عفان، وأباه عفان بن أبي العاص بن أمية، وهم أبناء عمه، وأسيد: كأنه ابن عمه الآخر أسيد بن أبي العيص بن أمية. ومغلغلة: رسالة محمولة من بلد إلى بلد، من الغلغلة: وهي سرعة السير والنفاذ.

(٣٢٣) وتُرْوَى: شُرُوداً، فالسرود من: سرد الحديث وهو سياقه جيداً متتابعاً، والشُرود: السائرة في البلاد واسعة الانتشار.

(٣٢٤) حَبَّرَ الكلام: زَيَّنَهُ وحسنه.

(٣٢٥) الحارث بن ظالم: هو أبو ليلي الحارث بن ظالم بن يربوع، من مرة من بني ذبيان، كان مضرب المثل في الوفاء وفي الفتك حتى قيل: أفتك من الحارث بن ظالم، فتك بخالد بن جعفر بن كلاب العامري وبابن النعمان بن المنذر وغيرهما، وكان سبباً لمعارك كثيرة في الجاهلية، وفي مقتله روايات عدة. انظر: عادل جاسم، البياتي، الحارث بن ظالم المرّي الوافي الفاتك، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، العدد الخامس عشر، ١٩٧٢. وابن حبيب، المحبر: ص ١٩٢. والبلاذري، أنساب الأشراف (تحقيق: محمود الفردوس العظم)، دار البيضة العربية، دمشق، ١٩٩٧: ١١٤/١٣، والزركلي، المصدر السابق: ١٥٥/٢.

أكمل الحارث فقتل كاهناً أرشد الملك أنه قاتل الناقة، فحبسه الملك وقتله مع أنه كان أجازَه، فكان مما قاله الحارث في سجنه عند الغساسنة(٣٢٦):

لَقَدْ قَالَ لِي عِنْدَ الْمَجَاهِدِ صَاحِبِي وَقَدْ حِيلَ دُونَ الْعَيْشِ هَلْ أَنْتَ شَارِبُ(٣٢٧)

وَيَدْتُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ لَوْ أَنْبِي بِذِي أَرْوَى تَرْمِي وَرَائِي الثَّعَالِبُ(٣٢٨)

فمع الشدة التي كان فيها وهو في أسره عند الملك الغساني يسأله الحارس وقد بلغ منه التعب والإعياء مبلغه إن كان يريد الماء كأنه يسخر منه، فالملك المستبد يرى لنفسه أن يحمي ناقة، ويُطلقها ترعى، وليس لأحد أن يقربها، فإن اقترب منها أحدٌ وإن كان لحاجةٍ وشدةٍ ضربت الناس فيؤخذ بها؛ فليست نفس الإنسان عنده بأعلى من نفس الدابة التي حماها، وفوق ذلك أنه أجازَه، لكن حقَّ الجوار عنده والحماية يرتفع عندما يصل لحدود الملك المستبد.

ونظير قيصر ودولة ظلّه في شرق الجزيرة لم يكونوا أقل منهم؛ فللمنادرة كذلك سجونهم(٣٢٩) ولكسرى فارس سياط استبداد أكلت من أسرى ومسجونين خلص قليل من شعرٍ لبعضهم؛ فهذا أكتّم بن صيفي التميمي أشهر حكماء العرب وخطبائهم في الجاهلية وأحد المعمرين ومن قلَّ نظرائه في العرب وقتذاك مكانةً ورفعةً(٣٣٠)، يأخذ النعمان بن المنذر أسرى من بني تميم استبداداً وظلماً، فيلحق بهم أكتّم في رجالٍ من قومه، ويقوم نصف حَوْلٍ ينتظر لقاء النعمان كما حكى أبو حاتم السجستاني(٣٣١)، ولما أذن لهم النعمان وافق أن يعطيهم كل ما يطلبون إلا أسرى عنده، فطلب طلاب الدنيا والمال ما طلبوا، وأبى أكتّم إلا الأسرى، وما زال في حوار كبار مع الملك المنذري المستبد حتى أذن له بالأسرى فأطلقهم له، وفي ذلك قال أكتّم بن صيفي(٣٣٢):

تَوَيْنَا بِالْقَطَاقِ مَا تَوَيْنَا وَبِالْعَبْرَيْنِ حَوْلًا مَّا نَرِيمُ(٣٣٣)

وَأُخْبِرَ أَهْلُنَا أَنْ قَدْ هَلَكْنَا وَقَدْ أَعْيَا الْكَوَاهِنُ وَالْبُسُومُ(٣٣٤)

(٣٢٦) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١١٨/١١.

(٣٢٧) المجاهد: المتاعب والمصاعب.

(٣٢٨) أَرْوَى: مكان، الثعالب: من مرّة، وهم رماة، يقول: كانوا يرمون عني ويقومون بأمرى.

(٣٢٩) انظر: الصمد، المصدر السابق: ص ١٦.

(٣٣٠) انظر: شمس الإسلام، حالو، ديوان الشعراء المعمرين أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، ٢٠١٠: ص ٢٧٢.

(٣٣١) أبو حاتم، السجستاني، المعمرون والوصايا (تحقيق: عبد المنعم عامر)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١: ص ٢٠.

(٣٣٢) شمس الإسلام حالو، المصدر السابق: ص ٢٧٦. والمعيني، المصدر السابق: ص ٤٧٧.

(٣٣٣) تويننا: أقمنا، والقطاقت هي القططانة: موضع كان فيه سجن للمنادرة، وتصرف بالاسم لضرورة الشعر، والعبرين: موضع بالحيرة، وما نريم: ما نبرح.

وَأَسَانَا عَلَى مَا كَانَ أَوْسٌ وَبَعْضُ الْقَوْمِ مَلْجِيٍّ ذَمِيمٌ (٣٣٥)

وقال وهو ينتظر لقاء النعمان وأرسل إليه مع حاجب له اسمه حمل (٣٣٦):

يَا حَمْلُ بِنِ مَالِكِ بْنِ أَهْبَانَ

هَلْ تُبْلِغُنِي مَا أَقُولُ النَّعْمَانَ

إِنَّ الطَّعَامَ كَانَ عَيْشَ الْإِنْسَانِ

أَهْلَكُنَّا بِالْحَبْسِ بَعْدَ الْحَرَمَانِ

مِنْ بَيْنِ عَارٍ جَائِعٍ وَعَطْشَانِ

وَذَلِكَ مِنْ شَرِّ حِبَاءِ الضَّيْفَانِ (٣٣٧)

فإن كان هذا حال أكثم بن صيفي وهو أحد أشهر رجالات عصره، والعرب والعجم تعرف قَدْرَهُ ومكانته؛ يُترك نصف عام ينفض عنه الناس ويظنُّ أهله أن مات، حتى يُسمح له بالوقوف بين يدي الملك المستبد، ثم يُعرض عليه وعلى مَنْ معه الكلام في كل شيء إلا ما جاؤوا لأجله من أمر أسراهم، لكنه - وقد عانى وَمَنْ معه الجوع والعطش والعري فكيف بمن في قبضة الملك المستبد - يَأْبَى إلا ما جاء لأجله. فهو حبس جماعي ظالم للناس، مع التجويع والتعطيش، ولا يقف الاستبداد عندهم، بل يضرب مَنْ جاؤوا لفكاكهم بالسَّوط ذاته من التجويع والحرمان ومرَّ الانتظار.

ومن وراء النعمان والمناذرة كسرى فارس، وكان أن بلغ به من أسر العرب وأبناء الأماجد أن صنّف ابن الكلبي كتاباً في ذلك أسماه (أخذ كسرى رهن العرب) (٣٣٨)، ومن أولئك ابنُ للأصبغ بن عمرو، وهو واحدٌ من سادات بني كَلْبِ بْنِ وَبْرَةَ (٣٣٩)، اسمه جندب، وإن كان نجعل

(٣٣٤) أعيان: عجز، والكواهن: جمع كاهنة، ولعل البسوم في معناها وليست في المعاجم، كما ذكرت شمس الإسلام حالو، المصدر السابق: ص ٢٧٦.

(٣٣٥) أسانا: عزّانا، وأوس: كان قد أقام معه إذ تركه غيره، وملجئ: ملوم مذموم.

(٣٣٦) شمس الإسلام حالو، المصدر السابق: ص ٢٧٧. والمعيني، المصدر السابق: ص ٤٨٠.

(٣٣٧) الحباء: ما يُكرم به الضيف.

(٣٣٨) أبو الفرج، ابن النديم، الفهرست (تحقيق: إبراهيم رمضان)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧: ص ١٢٥.

(٣٣٩) انظر: شفيق، البيطار، ديوان شعراء بني كلب بن وبرة، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢: ص ٣٧٠.

سبب رهنه ابنه عند كسرى لكنه بلغنا أنين الأب المكلوم على ابنه الذي قضى في سجن كسرى رهيناً، يقول الأصبع(٣٤٠):

نَسَاتُهَا وَتَرَكَتْ خَلْفِي جُنْدُباً مَرَحَى كَأَيِّ رُحْتٍ فِي مِرْبَاعٍ(٣٤١)
وَبَكَى إِلَيَّ فَقُلْتُ: إِنَّكَ آيِبٌ وَلَكَانَ آخِرَ مَا أَقُولُ وَدَاعِي!
وَأَقُولُ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ إِذَا ارْتَقَتْ: صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَوْجَاعِي(٣٤٢)

وهذا موقف مفعم بالإنسانية مما يجهله المستبدون، إذ يغادر الرجل المكان تاركاً فيه قطعة من نفسه، ابنه الذي يقضي في قبضة المستبد، وهو ينتظر عودة أبيه إليه ليفكّه، فيكون الموت أسراً أقرب إليه، ولا يبقى للأب المحزون إلا أن يتجرّع غصص الفقدان ويبكي ابنه.

ولعل أشهر سجناء المناذرة السياسيين الشاعر عدي بن زيد العبادي(٣٤٣)، الشاعر الكاتب الذي بلغ من المكانة عند المناذرة وكسرى ما قلّ أن يبلغها عربي وقتذاك، لكن بالحسد والشايات أوغر عدو له قلب النعمان ملك المناذرة عليه، وقد كان لعدي الفضل في تملكه، فرماه في السجن ولبت فيه زمناً حتى دس له من قتله فيه خنقاً، وكان أول عربي يُقتل خنقاً كما ذكر العسكري(٣٤٤).

ويتندى ديوان عدي بالأسى، فأكثر قصائده التي انتهت إلينا مما قاله في سجنه، ولا غرابة أن يُكثر القول؛ فقد هوى به النعمان من ديوان كسرى إلى قعر سجن أشتهر أنه يرمي فيه من يريد قتلهم ممن عقوبتهم عنده الإعدام أو المؤبد(٣٤٥)، بعد أن كان لعدي بن زيد الفضل الأكبر في

(٣٤٠) البيطار، المصدر السابق: ص ٣٧٤.

(٣٤١) نسأتها: ضربتها بالمنسأة، وهي العصا الغليظة، وقوله مرحى: جاء في البيطار، المصدر السابق: ص ٣٧٤: مرحى إما أنه اسم ناقته، وهو من أسماء النوق، فتكون مرحى بدلاً من ضمير المفعول في (نسأتها)، وإما أن يكون الصواب فيها (مرحاً) على أنها حال من ضمير الفاعل في (نسأتها)، والمرباع: ربع الغنيمة وكان يأخذه الرئيس في الجاهلية.

وكانه يسخر من نفسه على تركه ابنه وخروجه سالمًا فرحاً بسلامته وماله.

(٣٤٢) اللجوج: كثير الإلحاح.

(٣٤٣) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٩٧/٢، وابن حبيب، أسماء المغتالين: ١٥٧/٢، وسناء عبد الله، توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي وأمّية بن أبي الصلت، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٤. وسعاد، غيابة، القيم الأخلاقية في شعر عدي بن زيد العبادي، بحث في مجلة كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا، العدد ٢٤، يونيو، ٢٠١٨. والصمد، المصدر السابق: ص ١٠٨.

(٣٤٤) انظر: أبو هلال، العسكري، كتاب الأوائل (تحقيق: محمد السيد الوكيل)، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، ١٩٨٧: ص ٩١.

(٣٤٥) انظر: العبادي، المصدر السابق: ص ١١٤.

تولية النعمان ملك المناذرة عند كسرى، فهو أجلس المستبد على عرشه، فكان ضحية من ضحايا استبداده، فكان مما قاله له(٣٤٦):

أَبَا مُنْذِرٍ جَارِيَتٍ بِالْوَدِّ سَخَطَةً فَمَاذَا جَزَاءُ الْمُبْغِضِ الْمُتَبَغِّضِ
فَجَارِيَتِهِ فِي ذَا الْمِثَالِ كَرَامَةً وَلَسْتَ لِشَيْءٍ بَعْدُ بِالْمُنْعَرِضِ

فإن كان الملك يقابل الودّ بما كان منه للشاعر فكيف يقابل من يبغضه؟! ولم يهدأ الشاعر في إنشاد الشعر لعله يطرق مسمع المستبد فيفتح مغاليق قلبه عليه ويفك أسرته، يقول(٣٤٧):

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ النُّعْمَانِ عَنِّي وَقَدْ تُهْدَى النَّصِيحَةُ بِالْمَغِيبِ
أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقِيداً وَغَلّاً وَالْبَيَانُ لَدَى الطَّيِّبِ
أَتَاكَ بَأَنَّنِي قَدْ طَالَ حَبْسِي فَلَمْ تَسْأَلْ بِمَسْجُونٍ حَرِيبِ(٣٤٨)
وَمَالِي نَاصِرٌ إِلَّا نِسَاءً أَرَامِلٌ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النَّحِيبِ
يُحْدِرْنَ الدُّمُوعَ عَلَى عَدِيٍّ كَثَنَ خَانَهُ حَرَزُ الرَّيِّبِ(٣٤٩)
فَإِنْ أَحْطَأْتُ أَوْ أَوْهَمْتُ أَمِراً فَقَدْ يَهُمُ الْمُصَافِي بِالْحَبِيبِ
وَإِنْ أَظْلِمَ فَقَدْ عَاقَبْتُمُونِي وَإِنْ أَظْلَمَ فَذَلِكَ مِنْ نَصِيبِي
وَإِنْ أَهْلَكَ تَجِدُ فُقْدِي وَتُحْذَلُ إِذَا نَقَّتِ الْعَوَالِي فِي الْخُطُوبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُغْلَبَ عَلَى الرُّشْدِ الْمُصِيبِ
وَإِنِّي قَدْ وَكَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ

فالشاعر طال سجنه وأوهن القيد عزمه وفنك بصحته، وما عاد ذلك خافياً على الملك، فلم يكثر له، ولا يهتم لأمره إلا أهل بيته ونسوته ممن هدهن البكاء عليه، وكان الشاعر وجد أن كلام العواطف لا يجدي مع المستبد الأصمّ، فخاطب عقله؛ فإن كنتُ قد أخطأت حقاً فما وجدته من السجن الطويل يكفي عقاباً حتى تفرج عني، وإن كنت مظلوماً فلا ملامة عليك وأقبل أن هذا نصيبي وحظي، ثم يعلو خطابه: لكن إن تركتني حتى أموت في سجنني فإنك ستلاقي مرّ خذلانك وتندم على التفريط بي، وما زال في الأمر سعةً للتدارك؛ ليصل في آخر القصيدة إلى تفويض

(٣٤٦) العبادي، المصدر السابق: ص ١٣٦.

(٣٤٧) العبادي، المصدر السابق: ص ٤٠.

(٣٤٨) الحريب: الذي سئلب ماله.

(٣٤٩) الشنّ: القرية الصغيرة، الربيب: الذي يُصلحه.

أمره لله فهو غاية كل معتقل ومظلوم، فمن يظلمه قاضي الأرض يُنصفه – لا محالة – قاضي السماء !

ومن أكثر قصائده التي تشرح حاله المأساوية في سجن المستبد ما كان عندما جاءته ابنته تزوره فعجزت عن عناقه لشدة الأغلال عليه وربط يديه إلى عنقه، وذكر العسكري(٣٥٠) أن عدي بن زيد قال الأبيات وقد ماتت امرأته أمية عنده في السجن(٣٥١):

ليس شَيْءٌ عَلَى المُنُونِ بِبِاقٍ	غَيْرُ وَجْهِ المَسْبَحِ الخَلَّاقِ
وَلَقَدْ سَاءَ نِي زِيَارَةُ ذِي قُرْ	بَى حَبِيبِ لَوْدِنَا مُشْتَاقِ
سَاءَهُ مَا بِنَا تَبَيَّنَ فِي الأَيْدِ	حَدِي وَإِشْنَاقُهَا إِلَى الأَعْنَاقِ(٣٥٢)
فَاذْهَبِي يَا أَمِيمُ غَيْرَ بَعِيدِ	لَا يُؤَاتِي العِنَاقُ مَنْ فِي الوَثَاقِ
وَاذْهَبِي يَا أَمِيمُ إِنْ يَشَاءُ اللّٰهُ	هُ يُنْفِسُ مِنْ أَرْمِ هَذَا الخِنَاقِ(٣٥٣)
يَا أَبَا مُسَهْرٍ فَابْلِغْ رَسُولاً	إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَحْنَ العِرَاقِ
أَبْلِغَا عَامِراً وَأَبْلِغَا أَخَاهُ	أَنَّ نِي مُوْتَقٌ شَدِيدٌ وَتَاقِي
فِي حَدِيدِ القِسْطَاسِ يَرْفُئُبْنِي الحَا	رِسُ وَالمرءُ كُلَّ شَيْءٍ يُلَاقِي(٣٥٤)
فِي حَدِيدِ مُضَاعَفٍ وَغُلُولِ	وَتِيَابِ مُنْضَحَاتِ خَلَّاقِ(٣٥٥)

فأية زيارة لسجين يفرح فيها بأهله إن عجز عن عناقهم لشدة ما عليه من الأغلال، وإن كان فيها عذاب لهم وقد رأوا ما عليه من الذلّ والضعف وآثار التعذيب والتكبير بعد العزّ والرفعة! ومصير عدي كان مصير كاتب كسرى العربي الآخر، وهو لقيط بن يعمر الأيادي، فكتب

(٣٥٠) انظر: العسكري، الأوائل: ص ٩٢. وتقرّد العسكري بهذا، وساق جزءاً من القصيدة المثبتة في الديوان والأغاني، ولعله وهم؛ إذ نقل الأبيات التي فيها ذكر أميم فحسب، وسياق الأبيات الأخرى يرجح أنها في زيارة أهله له في السجن.

(٣٥١) العبادي، المصدر السابق: ص ١٥٠.

(٣٥٢) الإشناق: أن تُغَلَّ اليد إلى العنق.

(٣٥٣) الأزم: الشدة.

(٣٥٤) حديد القسطاس: حديد القبان.

(٣٥٥) منضحات: جاء فيها: (كذا في جميع الأصول وشعراء النصرانية، ولم نر لها معنى واضحاً. ولعلها "منضحات" بالصاد المهملة، من: نصح الثوب إذا خاطه، وإن كنا لم نجد في المصادر التي بين أيدينا "نصح" بالتشديد، ولعل الفعل ضَعَفٌ للدلالة على كثرة ما بالثياب من ترفيع لبلاها وقدمها) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٠٦/٢.

التاريخ تنقل تحذيره قومَه هجومَ الفُرس عليهم، ما انتهى به إلى قطع لسانه ومقتله^(٣٥٦)، وليس بين أيدينا من الشِّعر ما يثبت ذلك من شعره أو شعر غيره.

فهذا بعضُ مما قضى به المستبدون ضد الناس سجنًا وتعذيباً وتجويعاً، وقتلاً في السجون، وما كان في حادثة إطلاق الأسرى لأكثر من صيفي لا ينقض استبداد الزعماء والملوك في الأسر والسَّجن، بل يؤكد المزاجية التي كانوا عليها في الأسر بلا ضابط من دين أو خلق أو نظام، ولا يخرج عن الاستهانة بحياة الناس؛ فالملك أو الزعيم المستبد استاق الناس رجالاً ونساءً واسترقَّهم، فإن كان فيهم مَنْ له عنده ثأر خاص نكَل به، وقد لا يرتضي فيه الفداء، وقد يكون باباً للابتزاز والافتداء، وقد يقف شاعر فيدغدغ مسامع المستبد بكلمات تهتز لها أعطافه فيخرج له عن الأسرى كما يخلع عليه بُردة أو يعطيه مالا؛ فالأسرى ليسوا عندهم أكثر من ذلك، وما يكسبه من الشِّعر والكلام السائر في أُمَّةٍ أغلى بضاعتها الكلام ومن أعلى الناس فيها الشعراء يفوق قيمة الأسرى عنده، وشواهد إطلاق الأسرى لشِّعر شاعر في الجاهلية كثيرة^(٣٥٧). ومما نجده يشير إلى هوان الأسرى إن لم يكونوا من ذوي الشَّان ما رُوي عن خزاعة وقد أغارت على اليمامة، فلم يظفروا منها بشيء، فهُزموا وأُسِرَ منهم أسرى، فلما كان أوان الحج أخرجهم مَنْ أسرهم إلى مكة في الأشهر الحُرْم ليبتاعهم قومهم، وفيهم قيس بن الخُدادية الشاعر الخليع الصعلوك^(٣٥٨)، فأخرجوهم وحملوهم، وجعلوهم في حظيرة ليحرقوهم إذ لم يشترهم أحد، فمرَّ بهم أحد وجهاء مكة وهو عدي بن نوفل، فاستجاروا به، فابتاعهم وأعتقهم، فقال قيس يمدحه^(٣٥٩):

دَعَوْتُ عَدِيًّا وَالْكُبُولُ تَكُبُّنِي
أَلَا يَا عَدِيُّ يَا عَدِيُّ بَنَ نَوْفَلٍ^(٣٦٠)

(٣٥٦) انظر: الإيادي، المصدر السابق: ص ١٢، أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣٥٧/٢٢، ويحيى، الجبوري، محن الشعراء والأدباء وما أصابهم من السجن والتعذيب والقتل والبلاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣: ص ٤٣.

(٣٥٧) انظر مثلاً دون ما مرَّ: الأعلم، الشنتمري، شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل (تحقيق: حنا الحتي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣: ص ٦١. والجمّاح، المصدر السابق: ص ٣٢٣. ويعقوب، المصدر السابق: ص ٦٩. وحاتم، الطائي، ديوان شعره وأخباره (تحقيق: عادل سليمان جمال)، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ٢٠١١: ص ١٧٣. وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٤٠١/٢٢.

(٣٥٨) قيس بن الخُدادية: هو قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد، من خُزاعة، والخُدادية أمه وإليها يُنسب، وهو شاعر فائق صعلوك خليع، خلعتَه خُزاعة في سوق عكاظ، وله في الصعلكة والخلع أحاديث وأشعار. انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٤٤/١٤، والضامن، المصدر السابق: ص ٢٧. والمرزباني، المصدر السابق: ص ٢٢٤، والزركلي، المصدر السابق: ٢٠٩/٥.

(٣٥٩) الضامن، المصدر السابق: ص ٤١.

(٣٦٠) الكبول: جمع كبل: وهو أعظم ما يكون من الاقتياد، وكبّه: قلبه وصرعه.

دَعَوْتُ عَدِيًّا وَالْمَنَايَا شَوَارِعُ أَلَا يَا عَدِيٌّ لِلْأَسِيرِ الْمَكْبَلِ (٣٦١)
فَمَا الْبَحْرُ يَجْرِي بِالسَّفِينِ إِذَا غَدَا بِأَجْوَدَ سَبِيًّا مِنْهُ فِي كُلِّ مَحْفَلِ (٣٦٢)
تَذَارَكْتُ أَصْحَابَ الْحَظِيرَةِ بَعْدَمَا أَصَابَهُمْ مَنَا حَرِيْقُ الْمَحَلِّ (٣٦٣)
وَأَتْبَعْتَ بَيْنَ الْمَشْعَرَيْنِ سِقَايَةً لِحَجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ أَكْرَمَ مَنَهْلِ (٣٦٤)

فهانت عليهم هنا حُرمة المكان وحُرمة الأشهر الحُرمة لهوان الأسرى لما أن كانوا بين خليع وطريد وعامي لا يهتم لفكاكه أحد، فألقوهم كالبهائم في حظيرة ليقتلوهم؛ ولهوانهم بعد لا حاجة للعناء بقتلهم بالسيف، فيحرقونهم جميعاً أقلّ عناء وربما أشفى للصدور المريضة. والأشد مرارةً فيما مرّ من ممارسات استبدادية في الأسر أن المرأة في الجاهلية لم تكن بمنأى عنها، وسيمرّ ذلك عند الكلام على الاستبداد ضد المرأة في الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي (٣٦٥).

ومن الممارسات الاستبدادية الشنيعة لبعض الملوك في الجاهلية ما حُكي عن نوال بن عتيك (٣٦٦) في اليمن أنه كان يخلع أكتاف معارضيه لفرط جبروته واستبداده، وقد ذكره أبان بن ميمون بن حريز الحميري (٣٦٧) في قوله (٣٦٨):

يَا خَلِيلِيَّ قَفَا أُخْبِرْكُمْ مَا بَعَجِيْبٍ مِنْ نَوَالِ بْنِ عَتِيْكَ
قَامَ يَرْدِي صَخْرَةً مَلْمُومَةً وَيُجَارِي فِي الْعَلَا عَبْدَ الْمَلِيْكَ (٣٦٩)

(٣٦١) شوارع: جمع شارعة، أي: مسددة.

(٣٦٢) السيب: العطاء.

(٣٦٣) المحلل: أي من حلل إحراقنا في الأشهر الحُرمة.

(٣٦٤) بين المشعرين: بين الصفا والمروة.

(٣٦٥) انظر: ص ١٧٥.

(٣٦٦) نوال بن عتيك: هو مولى سيف بن ذي يزن الملك الحميري، وكان مضرب المثل في القسوة ويُسمى: نازع الأكتاف، وإليه يُنسب بناء سد الخانق في اليمن. انظر: نشوان، الحميري، المصدر السابق: ٤٣٥٧/٧، وأبو عبيد، البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (تحقيق: مصطفى السقا)، علم الكتب، بيروت ط ٣، ١٩٨٣: ٦٤٣/٢.

(٣٦٧) أبان الحميري: هو أبان بن ميمون بن حريز، شاعر جاهلي من حمير، كان أبوه وعمه من سادة حمير وأقباؤها، ومن ولده شعراء فرسان. انظر: مقبل التام، الأحمدى، شعراء حمير أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠١٠: ص ١٥٨.

(٣٦٨) الأحمدى، شعراء حمير: ٤٤/٢.

(٣٦٩) يردي: يرمي.

عَبْدِ قَيْلٍ فِي بَنِي عَمْرِو ثَوَى يَخْلَعُ الْأَكْتَاْفَ مِنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ (٣٧٠)
 جُنُّهُ بِالنُّصْحِ مَنِّي جَاهِدًا فَجَرَى بِي جَرِي جَبَّارٍ مَحُوكِ (٣٧١)
 يَا لَهَا مِنْ غُرْضَةٍ بَلِّ فِتْنَةٍ سَاقَهَا سَيْفٌ إِلَيْنَا مِنْ تَبُوكِ (٣٧٢)

فالشاعر يرى استبداد نوالٍ هذا أمراً عجباً، بل غريباً عن بلده، حمله إليهم نوال من سيده سيف بن ذي يزن (٣٧٣) الذي أخذه من الفرس، وكان في الفرس ملكاً من ملوكهم أوقع بقوم من العرب وخلص أكتافهم حتى سُمي ذا الأكتاف (٣٧٤). فاستيراد أدوات الاستبداد لقمع الشعوب ليس بجديد على المستبدين !

وممارسة أشد نُكراً من مستبد آخر عرفته اليمن ابتدعها ملكٌ اسمه لَخْنِيعةُ ذو سَنَاتر، قال فيه ابن هشام (٣٧٥): (فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له: لخنيسة يُنُوف ذو سَنَاتر، فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، وكان لخنيسة فاسقاً، يعمل عمل قوم لوط) بأبناء الملوك من حمير، وكانت حمير إذا ليط بالغلام لم تملكه ولا ترتفع به. ثم يحكي الأخباريون كيف انتهى هذا المستبد على يد ذي نَواس وهو واحدٌ من أبناء الملوك أراد أن يفعل به ما فعله بغيره من أبناء ملوك حمير، فاحتال ذو نواس عليه وقتله (٣٧٦). وخلد شاعر حميري هذه الممارسة الاستبدادية القذرة من ذي سَنَاتر بقوله (٣٧٧):

تُقْتَلُ أَبْنَاهَا وَتَنْفِي سَرَائِهَا وَتَبْنِي بِأَيْدِيهَا لَهَا الذَّلَّ حَمِيرُ (٣٧٨)

-
- (٣٧٠) صيد الملوك: جمع أصيد، وهو الذي لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً.
 (٣٧١) مَحُوك: من المَحَك، وهو المشاركة والمنازعة في الكلام.
 (٣٧٢) غرصة: أراد: يا لها من شرِّ عرّضنا له. وفيه إشارة إلى استعانة سيف بن ذي يزن بالفرس، انظر: الأحمدي، شعراء حمير: ص ٤٥.
 (٣٧٣) سيف بن ذي يزن: هو أبو المنذر، وقيل: أبو مَرَّة سيف بن النعمان ذي يزن، كان أبوه النعمان القائم بأمر اليمن بعد ذي نواس، وسيف بن ذي يزن هو الذي أخرج الحبشة من اليمن، وجاءته وفود العرب مهتئة بهذا النصر، فكان أشهر ملوك حمير عند العرب قبيل الإسلام، وقُتل على يد بعض الأحباش الذين أبقاهم في خدمته، وله شعر في ديوان حمير. انظر: الأحمدي، شعراء حمير: ١/١٣٩، والزركلي، المصدر السابق: ١٤٩/٣.
 (٣٧٤) انظر: مجد الدين، ابن الأثير، المرصع في الأبياء والأمهات والبنين والبنات والأدواء والذوات (تحقيق: إبراهيم السامرائي)، دار الجبل، بيروت، ط ١، ١٩٩١: ص ٦٥.
 (٣٧٥) ابن هشام، المصدر السابق: ٣٠/١.
 (٣٧٦) انظر: ابن حبيب، أسماء المغتالين: ١٥٤/٢.
 (٣٧٧) الأحمدي، شعراء حمير: ٧٢/٢.
 (٣٧٨) أبناها: يريد أبناءها، وسهل للضرورة. وسراة القوم: سادتهم وخيارهم وأشرفهم.

كُدْمِرُ دُنْيَاهَا بِطَيْشِ حُلُومِهَا وَمَا ضَيَّعَتْ مِنْ دِينِهَا فَهِيَ أَكْثَرُ
كَذَلِكَ الْقُرُونُ قَبْلَ ذَلِكَ بِظُلْمِهَا وَإِسْرَافِهَا تَأْتِي الشَّرُورَ فَتَحْسَرُ

ومثل هذه الممارسات الاستبدادية الفاحشة بأسف المرء لذكرها، لكنها ثبتت في التاريخ بشعر صحيح، وليس أقل نُكْرًا واستبداداً وفجوراً منها ما رُوي عن بعض الملوك والكبراء المستبدين من اعتذار النساء قبل أزواجهن؛ من ذلك ما ذكره ابن حبيب عن عمليق ملك طسم في اليمامة، وكان سبب قتله أنه تمادى في الظلم والغشم والسيرة بغير الحق، ولفرط استبداده وظلمه خالفته امرأة من جدیس فأمر ألا تُزَوَّج بكرٌ من جدیس فتهدى إلى زوجها إلا يُؤتى بها عمليق فيفتنر عنها هو قبل زوجها، فلقوا من ذلك جُهداً وذللاً، ولم يزل يفعل ذلك أربعين سنةً، حتى كان زواج عُفيرة بنت غفار^(٣٧٩) أخت الأسود سيد جدیس، ففعل كما يفعل بغيرها، فخرجت على قومها بدمائها وحرّضت قومها، فغضبوا واحتالوا على عمليق حتى قتله الأسود^(٣٨٠)، فكان مما خلدته عُفيرة^(٣٨١):

أَيُصْلِحُ مَا يُؤْتَى إِلَى فِتْيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فِيكُمْ عَدَدُ النَّمْلِ
وَتُصْبِحُ تَمْشِي فِي الدِّمَاءِ عُفِيرَةٌ عَشِيَّةَ زُقْتٍ فِي النِّسَاءِ إِلَى بَعْلِ
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ فَكُونُوا نِسَاءً لَا تُعَابُ مِنَ الْكُحْلِ
فَلَوْ أَنَّكُمْ كُنَّا رِجَالًا وَأَنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا نُقِيمُ عَلَى ذَلِّ
فَبُعْدًا وَسُحْقًا لِلَّذِي لَيْسَ دَافِعًا وَيَخْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مِشِيَةَ الْفَحْلِ
فَمُوتُوا كِرَامًا أَوْ أَمِيثُوا عَدْوَكُمْ وَدَبُّوا لِنَارِ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ

وفي جمهرة اللغة^(٣٨٢): عن أبي عبيدة قال: كان ملك من ملوك غسان ينعذر النساء، لا يبلغه عن امرأة جمالاً إلا أخذها، فأخذ ابنه يزيد بن الصعق الكلابي، وكان أبوها غائباً فلما قدم أخبر،

(٣٧٩) عُفيرة بنت غفار: امرأة من جدیس، والخلاف في اسمها بين (عُفيرة) و (غفيرة) و (عميرة) من تصحيف الرواة، وكان يقال لها: الشمس؛ شاعرة جاهلية من أهل اليمامة، كانت من حكيما الجاهلية وسيدات قومها، وأخوها الأسود بن غفار سيد جدیس وعظيمها، واشتهرت بقصتها مع عمليق ملك طسم. انظر: مارديني، المصدر السابق: ص ٩٠، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٦٥/١١.

(٣٨٠) انظر: ابن حبيب، أسماء المغتالين: ١٣٤/٢، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١١٢/١١.

(٣٨١) مارديني، المصدر السابق: ص ٢٧٦، ويموت، المصدر السابق: ص ٤١.

(٣٨٢) أبو بكر، ابن دريد، جمهرة اللغة (تحقيق: رمزي بعلبكي)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.

فوفد إليه فصادفه متبدياً، وكان الملك إذا تبدى لم يُحجب عنه أحد، فوقف بين يديه بحيث يسمع كلامه، فقال (٣٨٣):

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُقِيْتُ أَمَا تَرَى لَيْلًا وَصُبْحًا كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ
هَلْ تَسْتَطِيعُ الشَّمْسُ أَنْ يُؤْتَى بِهَا لَيْلًا وَهَلْ لَكَ بِالْمَلِكِ يَدَانِ
وَاعْلَمْ وَأَيُّقِنَنَّ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ (٣٨٤)

فهذه حادثة أخرى عن ملك مستبد آخر، وذكر مثل هذه الممارسة الاستبدادية الفاجرة عن الفطيوّن اليهودي في يثرب وكانت نهايته على ما روي كنهاية عمليق ملك طسم (٣٨٥)، ولم أفهم على شعر فيها.

وهذه ممارسات استبدادية ترجع بنا للنظر فيما سبق من أسباب الاستبداد؛ فلا يمكن النظر لأناس أسوياء يفعلون هذا، فعلى قبح القتل والسجن والتعذيب لمن يخالف الملك ويعصيه قد يفهم المرء ذلك أما مثل هذه الممارسات فلا يمكن فهمها إلا أنهم فوق ما أصيبوا به من مرض السلطة والزعامة قد يكون فيه مرض نفسي أو شيء يُبحث فيه منفرداً !

ولا يقف استبداد الملوك عند استبدادهم بعامّة الناس، بل للملوك وأبنائهم نصيب من الأذى، كما للمقربين منهم أحياناً، ويحتالون للإيقاع ببعضهم، فإن عجزوا في ساحة المعركة عن الغلبة انتقلوا إلى ساحة السياسة والمكر للوقية، حتى إن قدر ملكٌ على آخر نكّل به، على نحو ما حكته لنا كتب التاريخ من قصة الزبّاء ملكة تدمر مع جذيمة الأبرش ملك الحيرة، فقد ذكر الطبري: أن جذيمة الأبرش قتل عمرو بن ظرب العمليقي والد الملكة الزبّاء، فملكّت الزبّاء بعده، ولما استجمعت أمرها عزمت على غزو جذيمة والثأر لأبيها، فأشارت عليها أختها أن تحتال وتستدرجه إليها، وذلك أن تدعوه إلى نفسها وملكها وأن يصل بلاده ببلادها، فاستخفت ذلك جذيمة، فشاور أصحابه، فأجمع أن يسير إليها مع أن بعض المقربين منه حذروه مغبة ذلك، فأبى جذيمة وسار إليها في وجوه من أصحابه، فلما وصل أحاطت به الخيل تستقبله وحالت بينه وبين قومه، حتى دخل على الزبّاء فلم يجدها بهيئة عروس، ففطن للمكيدة لكن متأخراً، وقالت له:

٦٨٨/٢.

(٣٨٣) يعقوب، المصدر السابق: ص ٦١.

(٣٨٤) في البيت إقواء.

(٣٨٥) انظر: ابن حبيب، أسماء المغتالين: ١٥٣/٢، والحموي، معجم البلدان: ٨٥/٥، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥٨٤/١. ونور الدين علي، السهمودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (تحقيق: قاسم السامرائي)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط ١، ٢٠٠١: ٣٢٨/١.

(إني أنبتت أن دماء الملوك شفاء من الكلب)، وكانت هذه من عقائد الجاهلية^(٣٨٦)، فأجلسته على نطع وسفته خمراً، ثم أمرت براهشيه ففطعا، وحُمل دمه في طست من ذهب، يقول الطبري: (وكانت الملوك لا تُقتل بضرب الأعناق إلا في قتالٍ، تَكْرمةً للملك)^(٣٨٧).
وفي القصة كثير من الأمثال التي سارت بها الناس من بعدهم مما جرى على لسان جذيمة والزبّاء^(٣٨٨). فكان ما دبّرت الزبّاء لجذيمة الملك على لسان الشعراء في الجاهلية، فقال عدي بن زيد العبادي^(٣٨٩):

أَلَا أَيُّهَا الْمُثْرِي الْمُزَجِّي أَلَمْ تَسْمَعْ بِخَطْبِ الْأَوْلِيَانَا^(٣٩٠)
دَعَا بِالْبَقَّةِ الْأَمْرَاءَ يَوْمًا جَذِيمَةٌ عَصَرَ يَنْجُوهُمْ ثُبَيْبَانَا^(٣٩١)
فَلَمْ يَرَ غَيْرَ مَا انْتَمَرُوا سِوَاهُ وَشَدَّ لِرَحْلِهِ السَّقَرَ الْوَضِيئَانَا^(٣٩٢)
فَطَاوَعَ أَمْرَهُمْ وَعَصَى قَصِيرًا وَكَانَ يَقُولُ لَوْ تَبِعَ الْيَقِينَانَا^(٣٩٣)
لَخَطْبَتِهِ الَّتِي عَدَرَتْ وَخَانَتْ وَهُنَّ ذَوَاتُ عَائِلَةٍ لِحِينَانَا^(٣٩٤)
وَدَسَّتْ فِي صَحِيفَتِهَا إِلَيْهِ لِيَمْلِكَ بُضْعَهَا وَلَأَنْ تَدِينَا
فَأَزْدَتْهُ وَرَغْبُ النَّفْسِ يُرْدِي وَيُبْدِي لَلْفَتَى الْحَيْنَ الْمُئِينَانَا^(٣٩٥)

- (٣٨٦) انظر: الجاحظ، كتاب الحيوان: ٢/٢٦١، وجواد علي، المصدر السابق: ٤٠٨/٨.
(٣٨٧) انظر: الطبري، التاريخ: ١/٦١٩، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣١٧/١٥، وابن حبيب، أسماء المغتالين: ١٣١/٢، وجمول، المصدر السابق: ص ١٨١.
(٣٨٨) انظر: الميداني، المصدر السابق، ١٩٥٥: ٢٣٣/١، والمفضل بن محمد، الضبي، أمثال العرب (تحقيق: إحسان عباس)، دار الرائد العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣: ص ١٤٥، والحسن بن عبد الله بن سهل، أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - عبد المجيد قطامش)، دار الجيل، بيروت، ط ٢: ٢٣٣/١.
(٣٨٩) العبادي، المصدر السابق: ص ١٨١.
(٣٩٠) المثري: الغني كثير الثراء، والمزجي: الذي ليس بنام الشرف ولا غيره من خلال المحمودة.
(٣٩١) بقعة: موضع أو حصن قريب من الحيرة، كان ينزله جذيمة الأبرش. ينجوهم: يُناجيهم ويسارهم، والثبون، بضم الثاء وكسرها: جمع ثبّة، وهي العصبة من الفرسان.
(٣٩٢) الوضين: حزام من شعر يشد به الرجل على البعير.
(٣٩٣) قصير: هو وزير جذيمة وكان حدّره أنها مكيدة وأشار عليه ألا يذهب أو يرد عليها بما يكشف تمام نيتها، لكن جذيمة خالفه وذهب، وكان كما قال قصير.
(٣٩٤) الغائلة: الفساد والشر والحقد الباطن، وأحينا: من الملاحاة وهي الخصومة والمنازعة.
(٣٩٥) يُردي: يُهلك، والحين: الموت والهلاك.

فَفَاجَأَهَا وَقَدْ جَمَعَتْ جُمُوعاً عَلَى أَبْوَابِ حِصْنِ مُصَلِّتَيْنَا (٣٩٦)

وَقَدَّمَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيِّناً (٣٩٧)

ثم يحكي قصة ثأر قوم جذيمة من الزبأ ومقتلها.

وعند الحديث عن استبداد الملوك ببعضهم البعض، أو الملك المستبد بوليّه أو عامله ومَن هو دونه، نستذكر مصير النعمان على يد كسرى، فالمناذرة في الحيرة كانوا عمال كسرى وحرس حدوده في وجه العرب، ولهم على قومهم سطوة ورأينا نماذج من استبدادهم بقومهم من العرب، لكن اليد الطويلة التي أجلستهم في المُلك تنزعه منهم إن خرجوا عن المرسوم لهم؛ فالنعمان بن المنذر بعد أن استبدَّ بعدي بن زيد العبادي الشاعر لم يسلم من الوشاية عند كسرى، حتى أوغروا صدر كسرى عليه، فطلبه إليه، ورماه في السجن وقُتل فيه. لكن النعمان كان قد أودع أهله وسلاحه عند بني شيبان، بعد أن رفض كثيرون استقباله مخافةً كسرى، ولما تمّ لكسرى أخذ النعمان أرسل عماله يطالبون بني شيبان بما تركه عندهم النعمان، وكان الموقف الذي غيّر لمدة قدر جزيرة العرب؛ فكسرى فارس يطلب من قبيلة تسليمها ما يريد - حتى من أهل النعمان وحرمه كما روي - وهو يهدد بجيشه وقوته، لكنه يصطدم بقيادة أعزة يابون الاستسلام ويرفضون الاستبداد، ويتحدون وإن من بطون وقبائل يسيرة، لكنهم باتحادهم وقفوا في وجه كسرى وكان اليوم الذي انتصفت فيه العرب من العجم (٣٩٨)؛ إنه يوم ذي قار (٣٩٩)، حينما رفض بنو شيبان تسليم كسرى ما أراده من أمانات النعمان عندهم، وتحقق للعرب في ذلك اليوم ما عجزوا عنه متفرقين وانتصروا لأول مرة على فارس، وقهروا من استبدَّ بهم من وراء الحدود!

حتى سَرَى ذكر ذي قار في العرب ودار على ألسنة الشعراء في الجاهلية (٤٠٠)، وكوّن مادة

أدبية مميزة في ديوان بني بكر ببطونها شيبان وعجل وقيس بن ثعلبة ممن كانوا قادة العرب في

(٣٩٦) مُصَلَّتْ: أصْلَتْ سَيْفَهُ: إذا جرّده من غمده.

(٣٩٧) الأديم: اللّطع، والراهشان: عرقان في باطن الذراعين، والمين: الكذب.

(٣٩٨) يُروى في ذي قار حديثٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصّه: (هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم)؛ وذكر بعض المحدّثين أنه حديث ضعيف. انظر: علي بن أبي بكر، أبو الحسن الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (تحقيق: حسام الدين القدسي)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤: ٢١١/٦، وناصر الدين، الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٩٢: ٤٧/٢.

(٣٩٩) انظر: الطبري، التاريخ: ١٩٣/٢، وجاد المولى، المصدر السابق: ص٦، وجواد علي، المصدر السابق: ٢٩٣/٣، وعبد العزيز السالم، المصدر السابق: ص٢٨٣، وعبد الوهاب، عزام، الصلات بين العرب والفرس وأدبهما في الجاهلية والإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢: ص٢٦.

(٤٠٠) انظر: الأصمعي، المصدر السابق: ص٧٩، وابن عبد ربه، المصدر السابق: ١١١/٦، والمرزوقي،

ذلك اليوم^(٤٠١)، فكان مما قيل فيه ويحكي كسر شوكة المستبدين قصيدة الأعشى البكري يرد على كسرى ما طلبه من رهائن من أبنائهم ضماناً عدم إغارتهم على السواد، وكان ذلك من أسباب واقعة ذي قار، يقول^(٤٠٢):

مَنْ مُبْلَغُ كِسْرَى إِذَا مَا جَاءَهُ عَنِّي مَالِكٌ مُحَمَّشَاتٍ شُرْدَا^(٤٠٣)
أَلَيْتَ لَا نُعْطِيهِ مِنْ أِبْنَائِنَا رُهْنًا فَيُفْسِدُهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا

وقال يمدح بني شيبان؛ وكانوا أحسن الناس بلاءً في ذي قار^(٤٠٤):

فَدَى لِبَنِي ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ وَقَلَّتِ^(٤٠٥)
هُمُ ضَرَبُوا بِالْجَنُوقِ قَرَاقِرٍ مُقَدِّمَةَ الْهَامِرِزِ حَتَّى تَوَلَّتِ^(٤٠٦)
كَفُوا إِذْ أَتَى الْهَامِرِزُ تَخْفِيقُ فَوْقَهُ كَظَلَّ الْعُقَابُ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتِ^(٤٠٧)
وَأَحْمُوا جَمِيَّ مَا يَمْنَعُونَ فَأَصْبَحَتْ لَنَا ظُعُنٌ كَانَتْ وَقُوفًا فَحَلَّتِ^(٤٠٨)

المصدر السابق: ٢٠٠/١، ودقة، ديوان بني أسد: ص ٤٨٩. وانظر: معمر بن المثنى، أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق (تحقيق: محمد إبراهيم حور ووليد خالص)، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات، ٢، ١٩٩٨: ٧٩١/٣؛ ففيه شواهد كثيرة في ذكر يوم ذي قار.

(٤٠١) انظر: عبد العزيز، نبوي، ديوان بني بكر في الجاهلية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٨٩: ص ٣٣١، ص ٣٣٢، ص ٣٦٧، ص ٤٣٩، ص ٤٤٠، ص ٤٦١، ص ٤٧٠، ص ٤٧٢، ص ٦٨٣، ص ٦٨٧؛ وهي قصائد ومقطعات مختلفة لشعراء من بكر قيلت في ذي قار.

(٤٠٢) ميمون بن قيس، الأعشى الكبير، ديوانه (شرح وتعليق: محمد محمد حسين)، مكتبة الآداب، مصر: ص ٢٢٩.

(٤٠٣) مالك: جمع مألكة، وهي الرسالة، ومخمشات: مغضبات، وشرد: أي تأتي في كل مكان لشهرتها وذيوها.

(٤٠٤) الأعشى الكبير، المصدر السابق: ص ٢٥٩.

(٤٠٥) قلت: قل الشيء علا وارتفع، والضمير فيها يعود إلى (ذهل بن شيبان).

(٤٠٦) الجنو: في اللغة كل شيء فيه اعوجاج، وكل منعرج فهو جنو، وحنو قراقر وحنو ذي قار: مواضع قرب الكوفة حيث جرت المعركة. والهامرز: أحد قادة كسرى في ذلك اليوم.

(٤٠٧) هوت العقاب: انقضت على فرستها، وتدلّت: نزلت وتعلقت.

(٤٠٨) الحمى: ما يُحمى من أرض أو شيء فلا يقربه أحد، وأحماء: منعه وحماه، وظعن: جمع ظعينة وهي الهودج فيه امرأة أو المرأة نفسها؛ وهنا يشير إلى ما فعله قادة المعركة من تقطيع أحزمة الهودج حتى لا تهرب النساء وينهزم الرجال، ثم طلب من كل رجل أن يقاتل عن حرمه. وحلت: نزلت؛ إذ نزلت النساء من الهودج بعد تقطيع الأحزمة.

فَمَا بَرَّحُوا حَتَّى اسْتُحِثَّتْ نِسَاؤُهُمْ وَأَجْرُوا عَلَيْهَا بِالسِّهَامِ فَذَلَّتْ (٤٠٩)

فقد جاء كسرى بجيوش فارس ومرترقة العرب ممن معه، لكن القوم لم يرهبوه، وتحفيزاً للمقاتلين لجأ قائد المعركة لإحراج المقاتلين بإنزال النساء في أرض المعركة فيشتد حماسهم ودفاعهم عن أهليهم؛ فما كان وقتٌ طويل ليمضي حتى أمنت نساؤنا وانتهت نساء المستبدين الغازين من وراء الحدود سبايا بأيدينا !

والنساء في ذي قار وقد قطعوا عنهن أسباب النجاة لم يكن أقل حماساً من الرجال الفرسان، فيومها قالت امرأة من بني عجل (٤١٠):

إِنْ تَهْزُمُوا نَعَانِقُ

وَنَفْرَشِ النَّمَارِقِ (٤١١)

أَوْ تَهْزُمُوا نُفَارِقُ

فِرَاقِ غَيْرِ وَامِقِ (٤١٢)

بل وجدنا في يوم ذي قار من امتدح الفرسان من غير قومه وقدمهم على بني قومه، فقال يزيد السكوني (٤١٣):

إِنِّي حَمَدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ حَمَدْتَ نَيْرَانَ قَوْمِي وَفِيهِمْ سَبَّتِ النَّارُ

فالشاعر شارك في ذي قار؛ ولما استبان له أن قوماً آخرين فاقوا قومه شجاعةً وقتالاً لم يجد غضاضة في مدحهم؛ فالتعالي على العصبية الضيقة، ووحدة الصف، وحسن التخطيط قاد العرب يومذاك لنصرٍ لم يسبق لهم مثله ولقهر الاستبداد الخارجي والداخلي؛ ولن يتحقق لهم مثله بغير ذلك؛ عندها يكسرون من يستبد بهم !!

وفي قول النابغة (٤١٤):

(٤٠٩) استُحِثَّتْ نِسَاؤُهُمْ: سيقت أمام القوم سبايا ويُدفعن طلباً للإسراع، وأجروا عليها السهام: اقترعوا عليهن بالسهام.

(٤١٠) نبوي، المصدر السابق: ص ٤٦١.

(٤١١) النمارق: جمع نمرق ونمرقة، وهي الوسادة؛ وهي كناية.

(٤١٢) الوامق: المحب.

(٤١٣) المرزوقي، المصدر السابق: ٣٠٠/١؛ وفي اسم والد الشاعر خلاف ذكره المحقق في الموضع المذكور.

إِذَا مَا تَدَاعَتْ مِنْ كِنَانَةٍ عُصْبَةٌ عَلَيْهِم سَرَابِيلُ الْحَدِيدِ أَوْ لَوْ بَأْسِ
هُم قَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا مِنْ سَرَائِنَا وَهُمْ حَبَسُوا الْأَمْلَكَ بِالْمَحْبَسِ الشَّائِسِ

إشارة إلى تخصيص سجن الملوك في أماكن عصية قاسية؛ فهم على سطوتهم واستبدادهم إن وقعوا في قبضة غيرهم فلن يكون أرحم بهم منهم بمن كانوا يستبدون بهم.

خلاصة

قد رأينا أن الملوك وزعماء القبائل بخلاف ما روي عما يُشترط فيهم من الأخلاق والصفات الحميدة شروطاً للزعامة والقيادة كانوا في كثير من الأحيان مستبدين، وأن استبدادهم يقع تارة

(٤١٤) النابغة، الذبياني، ديوانه (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، مصر، ط٢: ص١٦٣.

على مَنْ يخالفهم من أبناء قبائلهم أو ممالكهم، وتارةً أخرى يقع بصورة أشد نُكراً واستبداداً على أفراد القبائل الأخرى إن تمكّنوا من رقابهم في معركة أو خديعة.

وتبيّن لنا أن الاستبداد بالأسرى والمعتقلين والتنكيل بهم كان في القبائل ومراكز الممالك في الحيرة والشام على حد سواء؛ وإن كان استبداد المناذرة بالعرب من حولهم أشد وبطش كسرى وقيصر أشد وأنكى، وهكذا فإننا (نستطيع القول: إن هناك قانوناً يصل إلى حدّ الصديقة المطلقة، يحكم تصاعد علاقة التبعية للخارج (الاستبداد الداخلي)؛ وهو أنه كلما زادت التبعية للأجنبي تصاعد الاستبداد الداخلي، بحيث يكون المواطن هو عبد العبد، ويكون الأجنبي هو سيد السيد)^(٤١٥)، وهذا ما تكرر على مدار التاريخ حتى يومنا هذا !

وأن أساس استبداد الملوك من نظرتهم إلى الناس المحكومين بين مَنْ يراهم عبيداً له، ومَنْ تذهب به نفسه فيزعم أنه ربّ الناس ومالك أمرهم كجذيمة الأبرش وغيره، ومَنْ يقتل كلّ مَنْ يعظّم غيره، لتجد حقّاً أن (أخطر أنواع الاستبداد هو تلك الحالة المؤسّسة على رؤية دينية، لذلك اقترن الاستبداد في التاريخ الإنساني بحكام يدّعون أنهم آلهة، أو أنصاف آلهة، أو متحدّثون باسم الإله، أو يملكون حقّ الإله، أو معيّنون من الآلهة. والتألّه هنا ليس هو ذلك المعنى المرتبط بالدين السماوي؛ بل إن الأديان الأرضية أكثر خطورة، إذ إنها لا توفر مرجعية يستطيع الخاضعون للاستبداد معارضته على أساسها، وإنما مرجعيتها هي ما وضعه البشر المستبدّون، ومن ثمّ كانت الأيديولوجيات السياسية التي ادّعت أنها تملك الحقيقة المغلقة الأكثر استبداداً والأخطر على بني الإنسان من غيرها)^(٤١٦).

ورأينا أن الاستبداد لا يستثنى أحداً مهما كان مقرّباً من الملك، أو كان سبباً في ملكه وزعامته؛ فالاستبداد كأس يدور، ومَنْ يسكبه لغيره امتثالاً للملك فهو لابدّ شاربه يوماً، ومَنْ كان على خُلق فلا يجاور مستبدّاً، وإن قرّبه يوماً فلعايةٍ لأنه إن لم يسايره في استبداده بطش به، وإن عجز عن قتله علانيةً قتله مكرراً وخديعةً؛ إذ إن (المستبدّ يجزّب أحياناً في المناصب والمراتب بعض العقلاء الأذكياء أيضاً اغتراراً منه بأنه يقوى على تلبين طينتهم وتشكيلهم بالشكل الذي يريد، فيكونوا له أعواناً خبثاء ينفعونهم بدهائهم، ثم هو بعد التجربة إذا خاب ويئس من إفسادهم

(٤١٥) نصر، محمد عارف، الأبعاد الدولية للاستبداد السياسي في النظم العربية جدلية الداخلي والخارجي، (ضمن كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة): ص ٥٤١.

(٤١٦) محمد عارف، المصدر السابق: ص ٥٣١. وانظر: إمام، الطاغية: ص ١٣٣، ولوبون، المصدر السابق: ص ٨١. وعبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق: ص ٢٠.

يتبادر إبعادهم أو ينكل بهم. ولهذا لا يستقرّ عند المستبدّ إلا الجاهل العاجز الذي يعبده من دون الله، أو الخبيث الخائن الذي يُرضيه ويُغضب الله(٤١٧).

حتى الملك المستبد ذاته يشرب من الكأس ذاتها يوماً؛ فأكثر المستبدين تكون نهايتهم على أيدي من استبدوا بهم وقهروهم كما مرّ في نهاية حُجر والمهلهل وملك طسم والفطيون وغيرهم؛ غير أن استبدادهم الشخصي انقضى بموتهم، لكنه لم يحلّ الاستبداد ويقلب الحكم عادلاً راشداً، بل انتهى كما في مصرع حُجر والمهلهل بحروب أفنت من المستبدّ بهم أكثر مما كان يقضي بسياط استبداده.

وأن الاستبداد تنوعت مظاهره، وتفنّن المستبدّون في قتل الناس وإهانتهم والاستبداد بهم، ووجدنا أن أكثر المظاهر همجيةً ودمويةً ما كان في إطار الثأر والانتقام، وما كان من ملوك الحواضر والإمارات جاء أشد مما كان من زعماء القبائل فيما بينهم، لاسيما ما يتصل بانتهاك حرّيات الناس وأعراضهم.

لكن الاستبداد عند العرب في الجاهلية مع تعدّد مظاهره وقسوة أشكاله لم يقف عند الحياة السياسية وما كان من الزعماء والملوك، بل كان الاستبداد أثاره في مختلف مناحي الحياة الجاهلية الاقتصادية واجتماعية وفكرية، على نحو ما يأتي في الفصول الآتية.

* * *

(٤١٧) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق: ص ٥١.

* الفصل الثاني:

الاستبداد الديني والفكري

❖ تمهيد عن الحياة الدينية والفكرية في الجاهلية.

❖ تعريف الاستبداد الديني والفكري

- مظهره.
- لا استبداد ديني في الجاهلية العربية كما كان في أوربا.
- تغيير دين البلد قسراً.
- النفي عن الوطن بسبب تغيير الدين ومخالفة الحاكم.
- الحرب الدينية من الخارج.
- مفارقة الأزواج بعضهم عند تغيير أحدهما دينه.
- تقريع من يغيّر دينه والتشنيع عليه.
- الاستيلاء على أموال من يغير دينه ويخالف دين الحاكم.
- تحريض اليهود الناس على بعضهم وخرقهم المعهود في السلب والنهب.
- إجبار الشاعر على مدح الملك المستبد.
- قتل الشاعر بسبب هجاء الملك والمتنفذين أو مخالفة أمرهم.
- نفي الشاعر عن وطنه بسبب هجاء الملك.
- الشعراء والاستبداد بين الإذعان والتمرد.
- التضييق على الشاعر في المدح.

❖ خلاصة.

الحياة الدينية والفكرية في الجاهلية:

كانت الجزيرة العربية عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أخلاطاً من وثنيين يعبدون الأصنام، ونصارى، ويهود، وقلة تابعت الفرس في المجوسية. لكن الحالة العامة التي غلبت هي الوثنية، التي كانت في الجزيرة العربية بعد التغيير في الحنيفة دين إبراهيم التي انتشرت بعد دعوته عليه السلام وإقامته البيت الحرام في قلب الجزيرة العربية بأمر الله عز وجل. فلما كان عمرو بن لُحَيّ كان تغيير الحنيفة، فنصب عمرو هذا الأوثان، وبحرّ البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي^(٤١٨)، وبدأت عبادة الأصنام كما تذكر الروايات وانتشرت في شتى أنحاء الجزيرة^(٤١٩).

ومن شمال الجزيرة في فلسطين وأرض الكنانة سرى اليهود نحو جزيرة العرب عبر موجات من الهجرة، إن كان خوفاً من البطش أو للتجارة، فأقاموا في المدينة واليمن، وتهود بعض العرب على أيديهم، وحينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كانت قوة اليهود التجارية والسياسية والاجتماعية كبيرة^(٤٢٠).

وأما النصرانية في الجزيرة العربية فتختلف عن اليهودية في أنها لم تدخل الجزيرة عبر الهجرات والتجارة، بل عبر التبشير الذي تميّز به رجالها عن اليهودية عموماً، فدخلها عدد من المبشرين واتخذوا أديرةً يسكنونها يعتزلون الدنيا ولمذاتها في نواحي الجزيرة الصعبة، وكانت هذه الأديرة محطة لبعض العرب للتداوي الجسدي والروحي، فانتشرت النصرانية في العرب على نطاق غير كبير عبر هؤلاء المبشرين ومع بعض الرقيق الأبيض الذي كان يأتي

(٤١٨) البحيرة: قال الراغب الأصفهاني: (بَحْرُثُ البعير: شققت أذنه شقاً واسعاً، ومنه سُميت: البحيرة.. ذلك ما كانوا يجعلونه بالناقة إذا ولدت عشرة أبطن، شقوا أذنها فيسبونها، فلا تُركب ولا يُحمل عليها)؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ص ١٠٩، وقال عن السائبة: (السائبة: التي تُسبب في المزعى، فلا تُردُّ عن حوض ولا علف، وذلك إذا ولدت خمسة أبطن) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٣١، وعن الوصيلة: (وهو أن أحدهم إذا ولدت له شائته ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلا يذبحون أخاها من أجلها) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٨٧٣، وعن الحامي: (قيل: هو الفحل إذا ضرب عشرة أبطن، كان يقال: حمى ظهره فلا يُركب) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٢٥٩.

(٤١٩) انظر: جمول، المصدر السابق: ص ٧٣. وجواد علي، المصدر السابق: ٦/٦٨. والألوسي، المصدر السابق: ١٩٢/٢. ومحمد نعمان، الجارم، أديان العرب في الجاهلية، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤١ - ١٩٣٣: ص ١٢٨. محمد، الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ - ١٩٩٩: ص ٢٢٣.

(٤٢٠) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٦/٥١١. والألوسي، المصدر السابق: ٢/٢٣٢. والجارم، المصدر السابق: ص ١٩٩. وعبد الله جبريل، مقداد، شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام، دار عمار، عمان، ط ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩: ص ٢٣. الفيومي، المصدر السابق: ص ٨٤. وسميح، غنيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٩٥: ص ٥٥.

الجزيرة^(٤٢١)، ولا يخفى أثر وجود بيزنطة على حدود العرب في الشام في انتشار النصرانية هناك^(٤٢٢). ويذكر الدكتور علي أبو زيد (أن كثيرين ممن حملوا النصرانية من العرب إنما جاؤوا بها على أنهم حملوا معهم إلى قومهم أمراً جديداً يدلون به على اطلاعهم وتنقلهم، ويفخرون به، ويباهون بهذا البدع الجديد الذي وفد معهم، دون أن ينفذوا أحكامه أو أن يطبقوا أوامره ونواهيته. وآية ذلك ما وصل إلينا من أخبارهم ومعاملاتهم وأيامهم فيما بينهم، مما لا ينطبق على مبادئ أي دين سماوي، بل يبقى في دائرة القبيلة وأعرافها)^(٤٢٣).

وممن اشتهروا بدينهم في الجاهلية الذين عُرفوا بالحنفاء، أو من جاء وصفهم في المصادر العربية: (من كان على دين)^(٤٢٤)، ويعنون به من كان على الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، الذين أنكروا عبادة الأصنام وكانت لهم علامات فارقة من الاختتان وحج البيت الحرام وعدم الأكل مما يُذبح عند الأصنام، وذكر بعضهم لهم الاغتسال من الجنابة وتحريم الخمر على أنفسهم^(٤٢٥).

وعلى نحو أضيق بكثير من النصرانية واليهودية عرفت العرب في بعض أبنائها الزندقة والمجوسية، وجاءتهم من احتكاكهم بفارس في العراق واليمن^(٤٢٦). وكذلك قلّة عُرفوا بالصابئة عبدة الكواكب^(٤٢٧).

(٤٢١) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٥٨٢/٦. والألوسي، المصدر السابق: ٢٣٤/٢. والجارم، المصدر السابق: ص ٢٠٢. والفيومي، المصدر السابق: ص ٩١. وديفيد، هوجارث، اختراق الجزيرة العربية سجل لمعرفة الغرب بشبه الجزيرة العربية (ترجمة: صبري محمد حسن)، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٩. وفاصل، الربيعي، المسيح العربي: النصرانية في الجزيرة العربية والصراع البيزنطي - الفارسي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩.

(٤٢٢) ليث، شاكر: المسيحية العربية وعلاقتها بالإمبراطورية البيزنطية قبل الإسلام، Firat Üniversitesi İnkilap Tarihi Araştırmaları Merkezi (İlk çağlardan İslamiyetin Doğuşuna kadar orta Doğu Araştırmaları Merkezi orta Doğu) Elazığ, 29 - 31 Mayıs 2009.

(٤٢٣) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٤٥.

(٤٢٤) انظر: عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة الدينوري، المعارف (تحقيق: ثروت عكاشة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٢: ص ٥٨.

(٤٢٥) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٤٤٩/٦. والألوسي، المصدر السابق: ٢٣٦/٢. والجارم، المصدر السابق: ص ١٩٣. والفيومي، المصدر السابق: ص ١٤٢. وغنيم، المصدر السابق: ص ٤٧. وعماد، الصباغ، الأحناف دراسة في الفكر الديني التوحيدي في المنطقة العربية قبل الإسلام، دار الحصاد، دمشق، ط ١، ١٩٩٨.

(٤٢٦) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٦٩١/٦. والألوسي، المصدر السابق: ٢٢٢/٢. والجارم، المصدر السابق: ص ١٩٠. والفيومي، المصدر السابق: ص ١٩٨.

(٤٢٧) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٧٠١/٦. والألوسي، المصدر السابق: ٢١٧/٢. والجارم، المصدر السابق: ص ١٨٤. والفيومي، المصدر السابق: ص ١٢٥. وسالم، المصدر السابق: ص ٤٧٨.

ولما كان من طبيعة النفس الإنسانية التطلع لمعرفة الغيب وما يخفى، كما يقول ابن خلدون: (اعلم أن من خواص النفس البشرية التشؤف إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت، وخيرٍ وشرٍ، سيّما الحوادث العامة كعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مُدد الدول أو تفاوتها، والتطلع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها، ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام، والأخبار من الكهان)^(٤٢٨)، ولم يكن للعرب في الجاهلية شريعة أو رسل يجيبونهم عما تتشوق النفس لمعرفة فكثرت فيهم الكهانة وغيرها مما عُرف بأوابد العرب، قال القلقشندي: (أوابد العرب: وهي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية، بعضها يجري مجرى الديانات، وبعضها يجري مجرى الاصطلاحات والعادات، وبعضها يجري مجرى الخرافات، وجاء الإسلام بإبطالها)^(٤٢٩)، وذكر منها الكهانة^(٤٣٠)، والزجر والطيرة^(٤٣١)، والتفقتة والتعمية^(٤٣٢)، والاستقسام بالأزلام^(٤٣٣)، وحبس البلايا^(٤٣٤) وغيرها^(٤٣٥)؛ وحيث لا دين ولا شريعة فلا غرابة أن تكثر مثل هذه، فكان للعرب في جاهليتهم عادات وأساطير منها ما اختصوا بها ومنها ما كان عاماً عرفته غيرهم من الأمم^(٤٣٦). على أن المهم في أساطير الجاهليين وخرافاتهم أنها كانت لها شخصيتها وحدودها، وهي واقع حدث وإن كان الإطار

(٤٢٨) ابن خلدون، المصدر السابق: ٧٦٢/٢.

(٤٢٩) أحمد، أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢: ٣٩٨/١.

(٤٣٠) الكهانة: علم الغيب عن طريق تابع من الجن، وسيأتي مزيد تفصيل لها بعد قليل.

(٤٣١) وهي العيافة، وتعني زجر الطير والتفؤل بأسمائها وأصواتها وممرّها. انظر: الألوسي، المصدر السابق: ٢٦١/٣، وجواد علي، المصدر السابق: ٧٧٥/٦، وابن منظور، المصدر السابق، والزبيدي، المصدر السابق: مادة: (عيف - زجر).

(٤٣٢) التفقتة: أن يفقأ الرجل عين الفحل إن بلغت إبله ألفاً، وإن زادت على ذلك فقأ عينه الأخرى وهي التعمية؛ يزعمون أن ذلك يدفع العين. انظر: القلقشندي، المصدر السابق: ٤٠١/١.

(٤٣٣) الأزلام: أقذاح يضربون بها إذا أراد الرجل السفر أو الزواج أو أمراً ما، وهي سبعة، وهي سبعة أزلام، مكتوب على واحد منها «أمرني ربّي»، وعلى الثاني «نهاني ربّي»، وعلى الثالث «منكم»، وعلى الرابع «من غيركم»، وعلى الخامس «مُصَقّ»، وعلى السادس «العقل»، والسابع عُفْلٌ ليس عليه شيء؛ فالأول والثاني لمن أراد سفراً أو تجارةً أو نكاحاً، والثالث والرابع والخامس إذا اختلفوا في نسب أحدٍ أو أمر قتيلٍ، والسادس إذا اختلفوا في تحمّل الدية، والعقل: الدية، ومعنى الاستقسام بها: معرفة ما قُسم لهم دون ما لم يُقسم لهم بالأزلام. انظر: الألوسي، المصدر السابق: ٦٦/٣. وجواد علي، المصدر السابق: ٧٨٢/٦.

(٤٣٤) حبس البلايا: كانوا إذا مات الرجل يشدون ناقته إلى قبره؛ يزعمون أنهم إذا فعلوا ذلك حشرت معه في المعاد ليركبها. انظر: القلقشندي، المصدر السابق: ٤٠٣/١. وجواد علي، المصدر السابق: ١٣٣/٦.

(٤٣٥) انظر: سعد، عبود سمار، دراسات في المعتقدات الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، دار تموز، دمشق، ط١، ٢٠١٤. وأنور، أبو سويلم، دراسات في الشعر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

(٤٣٦) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٨٠٦/٦. ومحمد، عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٥.

الأدبي الذي صيغت به زيدَ فيه أو حُرِّفَ؛ فهي مفتاح فهم الحضارات القديمة، وأساس كثير من الأفكار الأنثروبولوجية المهمة^(٤٣٧).

وهذه العادات والأساطير مع ما سبق قريباً بيانه في انتشار الوثنية، وما سبقت الإشارة إليه في المدخل من علوم العرب تتأكد أهميتها في تكوين الفكر عند عرب الجاهلية، ولأن الشعر هو أعلى علوم العرب في الجاهلية جاءت هذه المعتقدات والأساطير والخرافات مكوّناً أساسياً فيه^(٤٣٨)، وكانت للشاعر أعلى مكانة في الجاهلية، كما كان الشعر من أقوى المؤثرات في نفس الإنسان الجاهلي، حتى وصل لادّعاء أن لكل شاعر شيطاناً من الجنّ يوحى إليه الشعر^(٤٣٩). فالشعر عند العرب - كما قال ابن سلام الجمحي-: (ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون،.. قال عمر بن الخطاب: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه)^(٤٤٠). وهذا العلم هو أعلى بضاعة عندهم يتنافسون فيها في المناسبات، ويتبارزون فيه مع مبارزات السيوف في المعارك، ويتناشدونه في الأسواق التي كانت تقام على طريقة المهرجانات اليوم، وسيأتي الكلام عليها عند الحديث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي^(٤٤١).

(٤٣٧) انظر: أحمد، كمال زكي، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩: ص١٠٩، ص٢٠١.

(٤٣٨) انظر: أبو سويلم، المصدر السابق: ص٧٠.

(٤٣٩) انظر: الألوسي، المصدر السابق: ٨٤/٣. وجواد علي، المصدر السابق: ٦٧/٩. وأبو سويلم، المصدر السابق: ص٧٨. وعبد المنعم، خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٩٢: ص٢٢٦. وعبد الرزاق، حميدة، شياطين الشعراء دراسة تاريخية نقدية مقارنة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

(٤٤٠) الجمحي، المصدر السابق: ٢٤/١.

(٤٤١) انظر: ص١٣٥.

الاستبداد الديني والفكري في الشعر الجاهلي:

تعريفه:

لما كان الاستبداد هو الانفراد بالسلطة مما حقه الاشرار والمشورة، وغلبة الآخرين وقهرهم والتسلط عليهم، وانتزاع ما في أيديهم بغير حق^(٤٢)؛ فيمكننا تعريف الاستبداد الفكري والديني في الجاهلية: أنه غلبة الناس وقهرهم ليكونوا على دين الملك أو الزعيم، واضطهادهم بسبب دينهم أو مذهبهم الفكري، وإلحاق الأذى بهم لفكر أو دين يعتنقونه أو كلام يقولونه.

مظاهره:

أول ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاق (الاستبداد الديني) هو ما عُرف في تاريخ أوروبا باستبداد الكنيسة أو استبداد البابوات أو الاستبداد الكنسي؛ ويتحدد هذا بنجاح الكنيسة في أوروبا في القضاء على استبداد الملوك والإقطاعيين واستعادة السلطة للبابا والكنيسة بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، وهي المرحلة التي عاشتها أوروبا في العصور الوسطى تحت وطأة الاستبداد الكنسي، وكانت السلطات كلها بيد البابا والقساوسة. وتجلّى استبداد الكنيسة بمحاربة الحرية الفكرية عبر تهمة الهرطقة وحرق الكتب والنفي والقتل، والاستبداد بالسلطة السياسية فيما كان من حروب أوقدوا نارها باسم الرب، مع ما كانت تجمعها من ضرائب وأموال بالقوة لاسيما لتمويل حروبها الصليبية على العالم الإسلامي^(٤٣).

وبالعودة إلى ما سبق ذكره من أطراف دينية كان عليها العرب الجاهليون في جزيرتهم، وتعايشهم فيما بينهم ومع جيرانهم الفرس المجوس من جهة، والروم النصارى من جهة أخرى، وما تركه ذلك من بصمات في القوم إذ تنصّر قومٌ منهم وانغمس قومٌ آخرون منهم في المجوسية، بل وفي اليهودية أيضاً؛ يتأكد أول فارقٍ وأكبره بين ما عاشته أوروبا أيام رزحت تحت الاستبداد الكنسي، وكلها كانت على دينٍ واحدٍ اختلفت مذاهب النصارى فيه أو اتفقت، وما كان عليه العرب في جاهليتهم من تنوع في أديان أهلها، وإن غلبت عليهم الوثنية.

ولا يكفي التنوع دليلاً على البراءة من الاستبداد الديني أو الفكري؛ وليس مقصودنا تبرئة الجاهليين من أمور لم نشهدّها، إنما بين أيدينا شعر ناطق وإن صمت قائلوه، يُعرب بلسان عربي

(٤٤٢) انظر: ص ٢٥.

(٤٤٣) انظر: سيف الدولة، المصدر السابق: ص ٥٦ وبعدها. وإمام، الطاغية: ص ١٤٢. والسلمي، المصدر السابق: ص ٣٠. وبريش، المصدر السابق. وأبو زهرة، المصدر السابق: ص ٢٠٤. والحوالي، المصدر السابق: ص ١٢٣.

فصيح عما عاشوه، وترجم عنه، وإنما هي أحوال تعيشها الأمم، فتحسن المقارنة لتفهم الصورة بشكل أفضل. لكن هذا التنوع قد يكون له ما يبزره ويشرح أسبابه، ولعل هذا مرده إلى حياتهم البدوية التي كانوا يعيشون، و(البدوي بطبيعته لا يكثر بالدوافع الروحية، ولا يميل كثيراً للدين، وإنما ينساق في هذا المجال وراء قبيلته بالقصور الذاتي؛ فإن قسوة الحياة في الصحراء لا تتفق مع الحياة الروحية، ولهذا فقد خلا الشعر العربي من أي أثر ديني، والبدوي يميل إلى المرح والسرور وتشغله الحياة اليومية عن التفكير في أي حياة أخرى. لهذا لم يكن للعرب عقيدة دينية شاملة، تشمل الخلق والبعث تُقارن بما كان لدى البابليين أو المصريين القدماء) (٤٤٤).

لكن هذا ليس عاماً؛ فالذين عُرفوا في تاريخنا باسم (الحنفاء) قضى بعضهم وهم يبحثون عن (دين)، وعاشوا ما يمكن أن يُسمى حرية دينية وقتذاك، فعبدوا ما شأوا ونبذوا كثيراً مما كان عليه الجاهليون، ففي المحبر مثلاً تواجهنا عدة مباحث تحكي بعض هذه (الحرية الدينية أو الفكرية) إن صحّ التعبير، من نحو: (أسماء الذين رفضوا عبادة الأوثان قبل مبعث النبي صلى الله عليه والتمسوا دين إبراهيم صلى الله عليه) (٤٤٥)، وذكر فيه بعض من عُرفوا بالحنفاء وما انتهوا إليه من الاعتقاد والعبادة في السبيل التي قصدوها، وسمى ابن حبيب منهم عثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل (٤٤٦) وزيد بن عمرو بن نفييل (٤٤٧) وعبيد الله بن جحش الأسدي. ومنهم من هجر أرض قومه وخرج يبحث عن دين يرتضيه دون أن يتعرض له أحد بأذى.

(٤٤٤) انظر: محمد، محمود فرغلي، البيئة الإدارية في الجاهلية وصدور الإسلام، سلسلة دعوة الحق، السنة الثانية، رجب ١٤٠٢: ص ١٧.

(٤٤٥) انظر: ابن حبيب، المحبر: ص ١٧١.

(٤٤٦) ورقة بن نوفل: وهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، من قريش، من الحنفاء في الجاهلية، ابن عم خديجة بنت خويلد، اعتزل الأوثان وحرم الخمر على نفسه وقرأ الكتب وكتب بالعبرانية، وامتنع عن أكل ذبائح المشركين في مكة، وعند ابتداء الوحي ذهبت السيدة خديجة برسول الله إليه فأخبرها أن ما جاءه هو الناموس الذي جاء موسى من قبل، وتمنى لو كان يقدر على نصرته، وعدّه بعضهم في الصحابة.

انظر: ابن حجر، المصدر السابق: ٤٧٤/٦، وابن هشام، المصدر السابق: ٢٢٢/١، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٢/٣، وابن حبيب، المحبر: ص ١٧١ ص ٢٣٧. والزركلي، المصدر السابق: ١١٤/٨.

(٤٤٧) زيد بن عمرو بن نفييل: هو زيد بن عمرو بن نفييل بن عبد العزى، من بني عدي بن كعب من قريش، ابن عم عمر بن الخطاب، كان من الحنفاء في الجاهلية، اعتزل الأوثان، وكان يعيب على قريش في الجاهلية ولا يأكل ذبائحهم، وكان يعادي وأد البنات، زار الشام والتقى اليهود والنصارى وسمع منهم، وكان على دين إبراهيم، ولم يدرك النبي عند البعثة فقال عنه رسول الله: يبعث يوم القيامة أمة وحده. انظر: ابن هشام، المصدر السابق: ٢٢٤/١، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٥/٣، وابن حبيب، المحبر: ص ١٧١، والزركلي، المصدر السابق: ٦٠/٣.

وعند ابن حبيب كذلك باب (مَنْ حَرَّمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْخَمْرَ وَالسُّكْرَ وَالْأَزْلَامَ) (٤٤٨)، وعند القالي في أماليه: (مطلب مَنْ حَرَّمَ الْخَمْرَ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَكْرَمًا وَصِيَانَةً لِنَفْسِهِ) (٤٤٩). وفي شأن هؤلاء يستوقف الباحث أمران: أولهما أن هؤلاء طائفة أكبر من الحنفاء؛ إذ عاف بعضهم الخمرَ وحرّمها على نفسه لسببٍ ما، وإن كان فيهم بعض مَنْ اشتهروا بالحنيفية مثل ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نُفيل. وثانيهما أنهم تغنّوا بمخالفة قومهم في تحريمهم الخمر على أنفسهم وعابوا عليهم شربَه. فممن ذكر ابن حبيب سبباً لتحريمه الخمرَ مقيس بن قيس السّهمي، فقد سكرَ فجعل يخطّ ببوله ويقول: نعامة أو بعير، فلما أفاق أُخبرَ بذلك؛ فحرّم الخمر على نفسه (٤٥٠). لكن العباس بن مرداس السّلمي حرّمها على نفسه لسببٍ آخر، إذ يقول عن نفسه: (لا أشرب شراباً؛ أصبح سيّدَ قومي، وأمسي سفيّههم) (٤٥١)؛ فتحريمه الخمرَ كان عن قناعة منه أن تحطّ من قيمة شاربها وتهوي به من موضع السيادة التي هو فيها إلى دَرَكَ السفهاء ممن تخمّر عقولهم فتحجب عنهم أنوار العقل والكياسة. وإن كان القالي زاد في تبويبه تعليلاً مجملاً (تكرماً وصيانةً لنفسه) فهل لنا أن نقرأ في سكوت ابن حبيب عن سبب تحريم مَنْ سمّاهم في هؤلاء من الحنفاء شيئاً مرجعه ما اعتنقوه؟ قد يكون.

وأما مَنْ ذكروا تحريمهم الخمرَ في شعرهم فكثير، منهم قيس بن عاصم (٤٥٢)، وكان سكرَ فغمزَ ابنته، فلما أُخبرَ بذلك حرّمها، يقول (٤٥٣):

رَأَيْتُ الْخَمْرَ مَصْلِحَةً وَفِيهَا خِصَالٌ تُفْسِدُ الرَّجُلَ الْكَرِيمَا (٤٥٤)

(٤٤٨) انظر: ابن حبيب، المحبّر: ص ٢٣٧.

(٤٤٩) انظر: إسماعيل بن القاسم، أبو علي القالي البغدادي، كتاب ذيل الأمالي والنوادر، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، دبت: ٢٠٤/١.

(٤٥٠) انظر: ابن حبيب، المحبّر: ص ٢٣٧.

(٤٥١) انظر: ابن حبيب، المحبّر: ص ٢٣٧.

(٤٥٢) قيس بن عاصم: هو قيس بن عاصم بن سنان بن منقر، من بني منقر من تميم، شاعر مخضرم صحابي، يكنى أبا علي، كان سيّداً بارزاً وشاعراً فارساً في الجاهلية، رأسَ قومَه في بعض أيامهم، وبقيت له السيادة على قومه في الإسلام وامتدحه رسول الله عندما وفدَ عليه مع قومه، وكان قيس حليماً عاقلاً، حتى قال عنه الأحنف بن قيس: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم.

انظر: المرزباني، المصدر السابق: ص ٢٤٢، والمعيني، المصدر السابق: ص ١٤٣، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٧٠/١٤، والبلاذري، المصدر السابق: ٢٦٣/١٢، وابن حجر، المصدر السابق: ٣٦٧/٥، والزركلي، المصدر السابق: ٢٠٦/٥.

(٤٥٣) المعيني، المصدر السابق: ص ١٥٤، وانظر: ابن حبيب، المحبّر: ص ٢٣٨، والقالي، المصدر السابق: ٢٠٤/١، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣٠٩/١٤.

(٤٥٤) مصلحة: هي كذا في المحبر، وفي الأغاني: جامحة، وفي بعض الروايات: منقصة؛ وجامحة ومنقصة أنسب للمقام.

فَلَا وَاللَّهِ أَشْرَبُهَا حَيَاتِي وَلَا أَدْعُو لَهَا أَبَدًا نَدِيمَا
فَإِنَّ الْخَمْرَ تَفْضَحُ شَارِبِيهَا وَتَجْنِيهِمْ بِهَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَا
إِذَا دَارَتْ حُمَيَّاهَا تَعَلَّتْ طَوَالِغَ تَسْفَهُ الرَّجُلِ الْخَلِيمَا (٤٥٥)

وقال الأسلوم اليامي (٤٥٦):

سَأَلَمْتُ قَوْمِي بَعْدَ طَوْلِ مِضَاضَةٍ وَالسُّلْمُ أَبْقَى فِي الْأُمُورِ وَأَعْرَفُ
وَتَرَكْتُ شُرْبَ الرَّاحِ وَهِيَ أَثِيرَةٌ وَالْمُومَسَاتِ؛ وَتَرَكَ ذَلِكَ أَشْرَفُ (٤٥٧)
وَعَفَفْتُ عَنْهُ يَا أَمِيمُ تَكْرَمًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ ذُو الْحِجَابِ الْمُتَعَفِّفُ (٤٥٨)

وقال حاتم الطائي في تحريم الخمر والفجور (٤٥٩):

وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَنْلُ مَتَاعًا مِنَ الدُّنْيَا فُجُورًا وَلَا خَمْرًا

فإن كانت الخمر وتحريمها من الدين فما نجده في أشعار هؤلاء وغيرهم ضرب من الحرية الدينية عاشه العرب الجاهليون، وتسامح لم يقف عند ذلك، حتى نجد زيد بن عمرو بن نفيل يقول (٤٦٠):

عَزَلْتُ الْجِنَّ وَالْجِنَّانَ عَنِّي كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصَّبُورُ (٤٦١)
فَلَا الْعَزَى أَدِينُ وَلَا ابْنَتِيهَا وَلَا صَنَمِي بَنِي عَنَمِ أُرُورُ (٤٦٢)

(٤٥٥) حميّاها: شدتها وسورتها، وتعلت: علت على مهل، وطوالغ: علامات وأمارات.

(٤٥٦) ابن حبيب، المحبر: ص ٢٣٩.

والأسلوم اليامي: شاعر من همدان، ذكره ابن حبيب فيمن حرّم الخمر على نفسه، وله هذه الأبيات في ديوان همدان. انظر: حسن عيسى، أبو ياسين، شعر همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ١٩٨٣.

(٤٥٧) الراح: الخمر، والمومسات: الفاجرات الزانيات.

(٤٥٨) الججى: العقل والفتنة.

(٤٥٩) ابن حبيب، المحبر: ص ٢٣٧، وحاتم الطائي، المصدر السابق: ص ٢٢٧. وقال محقق الديوان تعليقا على البيت المذكور: (... لكننا نعرف من شعر حاتم أنه كان يشرب الخمر، فيما أن يكون البيت قد نسب إلى حاتم وليس له، وإما أن يكون حاتم قد قال هذا البيت بعد أن أفلح عن شرب الخمر، وهناك في الجاهلية رجال شربوا الخمر زمناً ثم هجروها لما رأوا من سيئ أثارها).

(٤٦٠) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٢٥/٣.

(٤٦١) عزلت الجن عني: نخيتها عن نفسي، والجنان: جمع جان، وهم ضرب من الجن أفسدوا في الأرض.

(٤٦٢) العزى: من أصنامهم المشهورة في الجاهلية، ولعله أراد بابنتيها: مناة واللات.

ولا هُبلاً أدينُ وكان ربّاً
لنا في الدَّهرِ إذ جَلِمِي صَغِيرُ
أربباً واحداً أم ألفِ ربِّ
أدينُ إذا تُقسِمَتِ الأمورُ (٤٦٣)
ألم تَعَلِّم بَأَنَّ اللَّهَ أَفْنَى
رجالاً كانَ سَنَأَهُمُ الفُجورُ
وأبْقَى آخِرِينَ بَبِرِّ قومِ
فَيَرَبُّو مِنْهُمُ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ (٤٦٤)

فقال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نفيل:

رَشِدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنَّمَا
تَجَنَّبْتَ تَتَوَّراً مِنَ النَّارِ حَامِيَا
بِدِينِكَ رَبّاً لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ
وَتَرِكَ جَنَانَ الْجِبَالِ كَمَا هِيَا

وفي موقف آخر يقول ورقة بن نوفل (٤٦٥):

لَقَدْ نَصَحْتُ لِأَقْوَامٍ وَقُلْتُ لَهُمْ
أَنَا النَّذِيرُ فَلَا يَغْرُرْكُمْ أَحَدُ
لَا تَعْبُدُنَّ إِلَهًا غَيْرَ خَالِقِكُمْ
فَإِنْ دَعَوْكُمْ فَقُولُوا: بَيْنَنَا حَدُّ (٤٦٦)
سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ سُبْحَانًا يُعَادِلُهُ
رَبُّ الْبَرِّيَّةِ فَرْدٌ وَاحِدٌ صَمَدٌ
مُسَخَّرٌ كُلُّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ
لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَاوِيَ مُلْكُهُ أَحَدُ
لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَأْنَتِهِ
يَبْقَى الْإِلَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ (٤٦٧)
لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ
وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادُ فَمَا خَلَدُوا (٤٦٨)
وَلَا سُلَيْمَانَ إِذْ دَانَ الشُّعُوبُ لَهُ
وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ تَجْرِي بَيْنَهَا الْبُرْدُ (٤٦٩)

(٤٦٣) تُقسمت الأمور: دُبرت وقُدِّرت.

(٤٦٤) ربا يربو: نما وزاد.

(٤٦٥) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٢١/٣، والزمير بن بكار، المصدر السابق: ص ٤١٣. وانظر: علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم (المعروف بابن عساكر)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها (تحقيق: علي شيري)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ - ١٩٩٥: ٢٥/٦٣، والسُّهيلي، المصدر السابق: ٢٥٠/٢.

(٤٦٦) حدد: أي منيع حرام لا يحل ارتكابه.

(٤٦٧) البشاشة: في الأصل اللقاء الجميل وطلاقة الوجه، وعني بها هنا: حُسن الشيء وجدته وما يتنعم به المرء.

(٤٦٨) هرمز: من أشهر ملوك فارس.

وفي خبر الأبيات: أن سيدنا بلالاً الحبشي كان لجارية من بني جُمح بن عمرو، وكانوا يعذبونه في رَمضاء مكة، يُلصقون ظهره بالرَّمضاء لئيشرك بالله؛ فيقول: أَحَدٌ أَحَدٌ؛ فيمرّ عليه ورقة بن نوفل وهو على ذلك، فيقول ورقة بن نوفل: أَحَدٌ أَحَدٌ والله يا بلال ! والله لئن قتلنمُوه لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا، كأنه يقول: لَأَتَمَسَّحَنَّ بِهِ. وقال ورقة بن نوفل في ذلك: لقد نصحت .. الأبيات.

فهذا مما لم تشهده جزيرة العرب إلا عند إشراق نور الرسالة المحمدية فيها، وما كان من مشركي قريش تجاه مَنْ أَسْلَمَ كان بخلاف ما عُهد عن البدو والعرب، لكنه الدين الجديد الذي شعروا أنه سيغيّر موازين كثيرة؛ وقد كان.

في حين كان زيدٌ وورقةٌ في وسط مكة وبين ظهرائي مجرمي المشركين الذين أذاقوا المسلمين الأوائل الويلات؛ فهل هو تسامح القادة المستبدين مع مَنْ لا تؤثر دعوته في مكتسباتهم؟ وليس ببعيد ما نراه في الدول التي تحارب التديّن من ترويح في الوقت نفسه لدعاة تديّن يوافقونها؛ لأن التديّن الذي يدعون إليه يوافق هوى المستبدين ولا يهدّد عروشهم !

ولا يبعد عن تلك الأجواء في الحرية مع الحنفاء ما قاله الورل الطائي^(٤٧٠):

لَا دَرَّ دَرٌّ رَجَالٍ حَابَ سَعِيهِمْ يُسْتَمَطَّرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ^(٤٧١)

أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيَقُورًا مُسْلَعَةً ذَرِيعةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ^(٤٧٢)

ذكر البصري أن الورل يردّ بهذين البيتين على أمية بن أبي الصلت في شعر له عن عادة الجاهليين تُعرف بنار الاستمطار^(٤٧٣). وقال العسكري: «فأما نار الاستمطار فكانوا في الجاهلية الأولى إذا احتبسَ المطر يجمعون البقر ويعقدون في أذناها وعراقبيها السِّلَع والعُشْر، ويصعدون بها في الجبل الوعر ويُشعلون فيها النار، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر»^(٤٧٤). فالشاعر بما يجده في حياته من فسحة لم يمتنع من السخرية والتهكّم على شيء يعظّمه غيره ويستمطر به.

(٤٦٩) البُرْدُ: جمع بريد، وهو الرسول يخرج من بلد إلى بلد يبَلِّغ ما حُمِّل من أخبار.

(٤٧٠) أحمد حالي، المصدر السابق: ص ٨٢٩، والجاحظ، كتاب الحيوان: ٤/٤٦٨.

(٤٧١) الأزمات: السنون المجذبة، والعُشْر: ضرب من كبار الشجر.

(٤٧٢) بيقور: جمع بقرة، والمسْلَعَة: ما عُقد في أذناها السِّلَع، وهو بنت مرّ، وذريعة: وسيلة.

(٤٧٣) علي بن أبي الفرج بن الحسن، البصري، الحماسة البصرية (تحقيق: عادل سليمان جمال)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، د.ت: ٣٩٦/٢.

(٤٧٤) العسكري، كتاب الأوائل: ص ٣٦، وانظر: أمية، ابن أبي الصلت، ديوانه (جمع وتحقيق ودراسة: عبد الحفيظ السطلي)، دمشق، ١٩٧٤: ص ٣٩٦، وسائر مصادر البيتين؛ فمعظمها تحدثت عن هذه العادة.

أم ذلك تُراه مما ذُكر من عدم المبالاة التي كانوا عليها تجاه الدين لطبيعتهم البدوية، التي يخرج عنها حاتم الطائي في قوله(٤٧٥):

وَمَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَ خُصِّ وَدَارَةٍ بِلُحْيَانٍ حَتَّى خِفْتُ أَنْ أَتَنْصَرَ(٤٧٦)

فهنا نجد حاتمًا الطائيَّ يخشى على نفسه من الانتقال عن دينه إلى النصرانية، ما يدلّ أن تغيير الدين عنده ليس هينًا.

وهذا ما وجدنا أنه تطوّر إلى ألوانٍ أخرى عند بدء الإسلام سنأتي على ذكر بعضٍ منها.

ومما كان في الجاهلية ويُسلّك في الاستبداد الديني والفكري ما رواه الأزرقى في أخبار مكة في خبر ولاية خُزاعة مكة بعد جرهم(٤٧٧): أن عمرو بن لُحيّ كان أول من غيّر الحنيفية دين إبراهيم وأقام الأصنام، وكان بقي في مكة رجلٌ جرهميّ ما زال على الحنيفية دين إبراهيم، فلما غيّر ابن لُحيّ وبدل قال له:

يَا عَمْرُو لَا تَظْلِمْ بِمَكَّةَ إِنَّهَا بَلَدٌ حَرَامٌ

سَائِلٌ بِعَادٍ أَيْنَ هُمْ كَذَلِكَ تُخْتَرَمُ الْأَنَامُ(٤٧٨)

وَبَنِي الْعَمَالِيقِ الَّذِينَ لَهُمْ بِهَا كَانَ السَّوَامُ(٤٧٩)

فما كان من عمرو بن لُحيّ إلا أن نفاه عن مكّة، فخرج الجرهميّ نحو أطام المدينة، ثم هاج به الشوق لمكة فقال:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبْيَتَنَّ لَيْلَةً وَأَهْلِي مَعًا بِالْمَازَمِينِ حُلُولُ(٤٨٠)

وَهَلْ أَرَيْنَ الْعَيْسَ تَنْفُخُ فِي الْبُرَى لَهَا بِمَنْىَ وَالْمَازَمِينِ دَمِيلُ(٤٨١)

(٤٧٥) أحمد حالو، المصدر السابق: ص ٢٤٢.

(٤٧٦) خُصّ ودارة: موضعان، ولُحيان: قصرٌ كان بالحيرة.

(٤٧٧) محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الوليد الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (تحقيق: رشدي الصالح ملحق)، دار الأندلس، بيروت، ط٣، ١٣٨٩ - ١٩٦٩: ١٦٥/١.

(٤٧٨) تُخترم: تهلك وتموت.

(٤٧٩) السوام: الماشية والإبل الراعية، سام الماشية في المرعى: تركها ترعى.

(٤٨٠) المازمان: الموضع الذي بين المزدلفة وعرفات في مكة.

(٤٨١) العيس: الإبل البيض مع شقرة يسيرة، والبُرَى: جمع برة، وهي حلقة تُجعل في أنف البعير، والعيس إذا أوضعت في السير تنفخ، ونفخها يمر على تلك الحلقات المعلقة في أنوفها. والنميل: ضربٌ من السير.

مَنَارُلُ كُنَّا أَهْلَهَا لَمْ يَحُلْ بِنَا زَمَانٌ بِهَا فِيمَا أَرَاهُ يَحُولُ (٤٨٢)
مَضَى أَوْلُونَا رَاضِيِينَ بِشَأْنِهِمْ جَمِيعاً وَغَالِثِي بِمَكَّةَ غُولُ (٤٨٣)

فهذا الشاعر ضحية استبداد ديني فكري دفع ثمنه النفي عن وطنه الذي بات يبكيه من بعيد.

والأبيات من قديم الأخبار التي تُروى، فإن صحت فهي من الشواهد القليلة التي حفظها لنا التراث عن استبداد ديني فكري في الجاهلية؛ لم نجد لها إلا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وإجلاء قومه له عن مكة، وهذا حال المستبدين يضيقون بالكلمة الحرة ويضعفون عن مواجهتها بحرية، فيرفعون سوط الاستبداد في وجوه من يجروا على مواجهتهم بالكلمة؛ أبى أن يقرّ الخطأ وتغيير دين إبراهيم، فصدع في وجه المستبد، ففاه عن أرضه لأرض أخرى لا تعرفه ولا يعرفها؛ وكم نجدها اليوم !!

ومن قديم ما يُروى كذلك مما في بابة حديثنا عن الاستبداد الديني والفكري ما جاء عند الأصفهاني عن أبي عمرو (٤٨٤): (وزعموا أن قيس بن عيلان رغبت في البيت، وخزاعة يومئذ تليه، وطمعوا أن ينزعوه منهم، فساروا ومعهم قبائل من العرب ورأسوا عليهم عامر بن الظرب العدواني، فساروا إلى مكة في جمع لهام، فخرجت إليهم خزاعة فاقتتلوا، فهزمت قيس، ونجا عامر على فرس له جواد. فقال قيس بن الحدادية في ذلك:

لَقَدْ سُمِتَ نَفْسُكَ يَا بَنَ الظَّرْبِ وَجَسَّمْتَهُمْ مَنْزِلاً قَدْ صَعِبُ (٤٨٥)
وَحَمَلْتَهُمْ مَرَكَباً بَاهِظاً مِنْ العِبْءِ إِذْ سَقْتَهُمْ لِلسَّغْبِ (٤٨٦)
بِحَرْبِ خُزَاعَةَ أَهْلِ العُلَا وَأَهْلِ التَّنَاءِ وَأَهْلِ الحَسْبِ
هُمُ المَانِعُو البَيْتِ وَالدَّائِدُونَ عَنِ الحُرْمَاتِ جَمِيعِ العَرَبِ
نَفَوْا جُرْهُمًا وَنَفَوْا بَعْدَهُمْ كِنَانَةَ غَصْباً بَبِيضِ القُضْبِ (٤٨٧)

(٤٨٢) يحول: يتبدل ويتغير.

(٤٨٣) غال: أهلك، والغول: المنية والداهية.

(٤٨٤) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٤٩/١٤، والضامن، المصدر السابق: ص ٣٢.

(٤٨٥) سمت نفسك: يريد سمت نفسك خسفاً وسقتها إليه.

(٤٨٦) الشغب: الفتنة والخصام والاضطراب.

(٤٨٧) القضب: جمع قضيب، وهي هنا السيوف.

وسُمر الرِّمَاحِ وَجُرِدِ الْجِيَادِ عليها فَوَارِسُ صِدْقٍ نُجِبٌ (٤٨٨)
 وَهُمْ أَلْحَقُوا أَسْدًا عُنُوءَةً بأحياءِ طَيٍِّّ وَحَازُوا السَّلْبَ (٤٨٩)
 خُزَاعَةُ قَوْمِي فَإِنْ أَفْتَخِرُ بهم يَزُكُّ مُعْتَصِرِي وَالنَّسَبَ (٤٩٠)
 هُمُ الرَّأْسُ وَالنَّاسُ مِنْ بَعْدِهِمْ ذُنَابِي، وَمَا الرَّأْسُ مِثْلُ الذَّنْبِ

قال الأصفهاني بعد الأبيات: (قال أبو الفرج: هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بين التوليد).
 لكن حُكِمَ الأصفهاني على الشعر لا ينفي الحادثة؛ فأخرج خزاعة جرهماً من مكة ذكره
 المؤرخون^(٤٩١)، وذكروا في تعليل حرب خزاعة هذه وإجلالهم جرهماً عن مكة أنّ جرهماً بَعَا
 في مكة واستحلوا المحرمات، فضعف أمرهم، فاجتمعت كنانة وخزاعة على إخراجهم منها.

وتشتبه أن تكون حرباً دينيةً شهدتها الجاهلية العربية، فهي دينية لأنها في مكة حيث الحرم
 والكعبة محجّ الناس، وحملوا في حربهم راية مقدسة في الغيرة على مكة أن تُنتهك فيها
 المحرمات ويُظلم فيها أحد، يقول ابن هشام: (وكانت مكة في الجاهلية لا تقرّ فيها ظلماً ولا بغياً،
 ولا يبغى فيها أحدٌ إلا أخرجته، فكانت تُسمّى النّاسّة، ولا يريد لها ملكٌ يستحلّ حرمتها إلا هلك
 مكانه، فيقال: إنها ما سُمّيت ببيكة إلا أنها كانت تبتك أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئاً)^(٤٩٢).

فهي حربٌ على الزعامة الدينية للعرب؛ فمن يملك أمر مكة دانت له العرب وإن دينياً
 وروحياً، وهي تحجّ إليها وتعظّمها، فهي موئل الجاهليين من شتى أنحاء شبه الجزيرة العربية.
 وهذا يوصلنا إلى الحرب التي لا شك في صحتها وكانت كذلك تحمل طابعاً دينياً في
 الجاهلية، وهي غزو أبرهة الأشرم مكّة لهدم الكعبة كما زعم، وهذه الحادثة التي ثبتت في القرآن
 الكريم، وذكرها الشعراء قديماً تعني أن حرباً دينيةً وقعت في الجاهلية، لكنها لم تكن حرباً بين
 القبائل العربية على نحو ما كان بين جرهم وخزاعة، بل كانت كما تُسمى حديثاً: غزواً خارجياً،
 ومحاولةً استعماريةً فاشلةً طرقت أبواب الحرم المكي من خارج بلاد العرب، وغرّهم ما وجدوا
 من انتصارات على قومٍ هنا وقومٍ هناك وما وجدوا من خيانة أناس باعوا لهم ضمائرهم

(٤٨٨) النُّجِب: جمع نجيب، وهو السيد الكريم الفاضل.

(٤٨٩) السلب: ما يُغتَنَم من القَتِيل ويُسَلَب.

(٤٩٠) زكا يزكو: نما، والمعتصر: من اعتصره إذا انتجع عطاءه، وهو كريم المعتصر: أي جواد.

(٤٩١) انظر: ابن هشام، المصدر السابق: ١١٣/١، والسهيلي، المصدر السابق: ١٠/٢، والأزرقي، المصدر السابق: ١٥٣/١.

(٤٩٢) ابن هشام، المصدر السابق: ١١٤/١.

وأنفسهم، وساقطهم أطماعهم الدينية والدينيوية إلى حتوفهم التي شاء الله لهم أن تُخَلَّد في كتابه الكريم حتى يوم الدِّين. وقد استفاض الحديث عن حادثة الفيل في الشعر الجاهلي، من ذلك (٤٩٣):

يَا رَبِّ إِنَّ الْمَرْءَ يَمُ نَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ جِلَالِكَ (٤٩٤)
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمَحَالُهُمْ عَدُوًّا مَحَالِكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْلَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

ثروى لعبد المطلب جدّ النبيّ صلى الله عليه وسلم، وقد انصرف من عند أبرهة وهو على أبواب مكة يريد غزوها وهدم الكعبة، بعد أن فشل في إقامة البيت المعظم (القليس) في اليمن، فألى أن يغزو مكة ويهدم البيت الحرام، فقاومه بعض العرب في طريقه فغلبهم، وسار معه أبو رغال وأمثاله يُرشدونه إلى مكة، فلما رأت قريش قوته وغزوه بالفيلة خرجوا من مكة، وطالب عبد المطلب أبرهة بإبله التي أخذها، فاستغرب أبرهة طلبه وكان يظنه جاء يدافع عن البيت الحرام، فقال عبد المطلب كلمته المشهورة: إنما أنا ربُّ إبلي، وللبيت ربُّ سيمعه. وانصرف عن أبرهة الذي رفض نصيحة عبد المطلب بالعودة عن غزو البيت وقال هذه الأبيات: يا رب ... وقال أيضاً (٤٩٥):

فُلْتُ وَالْأَشْرَمُ تَرْدِي خَيْلُهُ إِنَّ ذَا الْأَشْرَمِ غَرٌّ بِالْحَرَمِ
كَادَهُ تُبَّعٌ فِيمَا جَنَّدَتْ حَمِيرٌ وَالْحَيُّ مِنْ آلِ قُذَمِ
فَأَنْتَنَى عَنْهُ وَفِي أَوْدَاجِهِ جَارِحٌ أَمْسَكَ مِنْهُ بِالْكَظْمِ
نَحْنُ أَهْلُ اللَّهِ فِي بِلَدَتِهِ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ عَهْدَ إِبْرَاهِمَ (٤٩٦)
نَعْبُدُ اللَّهَ وَفِينَا شَيْمَةٌ صَلَّةُ الْقُرْبَى وَإِيفَاءُ الذِّمِّ
إِنَّ لِلْبَيْتِ لَرَبًّا مَانِعًا مَنْ يُرُدُّهُ بِأَنَامٍ يُصْطَلَمُ (٤٩٧)

(٤٩٣) الأزرقى، المصدر السابق: ٢٢٤/١، والقالى، المصدر السابق: ٢٦٨/٢، والطبري، التاريخ: ١٣٨/٢، والعسكري، كتاب الأوائل: ص ٣٣.

(٤٩٤) الجلال: بالكسر: القوم المقيمون المتجاورون، يريد بهم سكان الحرم.

(٤٩٥) الأزرقى، المصدر السابق: ٢٢٤/١.

(٤٩٦) إبراهيم: يريد إبراهيم النبي عليه السلام.

(٤٩٧) يُصْطَلَمُ: يُباد ويُستأصل.

وإن يكن هذا حال القرشيين وقد خلص أبرهة إليهم فإن من قبلهم من العرب لم يستسلموا له جميعاً، فهذا نُفيل بن حبيب الخثعمي يحكي في شعره ما كان منه ومن قومه يقول (٤٩٨):

أَلَا حُيَيْتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَعْمَاكُمْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا (٤٩٩)
 رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ وَلَنْ تَرِيهِ لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا (٥٠٠)
 إِذَا لَعَذْرَتِي وَحَمِدْتَ أَمْرِي وَلَمْ تَأْسِي عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا (٥٠١)
 حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ عَايَنْتُ طَيْرًا وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا

قالها نُفيل بن حبيب الخثعمي، وكان قاومهم بقومه فغلبوهم وأسروه، فلما وصلوا مكة هرب منهم، وبعد أن رماهم الله بطيرٍ أبابيل أتت عليهم قام من بقي منهم يسألون عن نُفيل ليدلهم على طريق اليمن، فقال نُفيل: ألا حيبت ...

وقال ابنُ إسحاق: وقال أبو الصلتِ بنُ أبي ربيعة النَّقَّيُّ في شأنِ الفيلِ، ويذكرُ الحنيفةَ دينَ إبراهيمَ عليه السلامُ، قال ابنُ هشامٍ: تُروى لأُمِّيَّةَ بنِ أبي الصلتِ بنِ أبي ربيعة النَّقَّيِّ (٥٠٢):

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا ثاقِبَاتٌ لَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ (٥٠٣)
 خُلِقَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَكُلٌّ مُسْتَبِينٌ حَسَابُهُ مَقْدُورُ
 ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارُ رَبُّ رَحِيمٌ بِمَهَاةٍ شِعَاعُهَا مَنْشُورُ (٥٠٤)
 حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُعَمَّسِ حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْفُورُ (٥٠٥)

(٤٩٨) الأزرقي، المصدر السابق: ٢٢٤/١. وانظر: ابن هشام، المصدر السابق: ٥٣/١، والسهيلي، المصدر السابق: ٢٦٤/١، والطبري، التاريخ: ١٣٦/٢.

(٤٩٩) رُدين: مرخَّم رُدَيْنَة، اسم امرأة.

(٥٠٠) المحصَّب: بطحاء مكة.

(٥٠١) بينا: من: بانٌ يبينُ، وهو مصدر مؤكِّد لفات.

(٥٠٢) ابن هشام، المصدر السابق: ٦٠/١. وهي في: ماهر، فرج عمارة، شعر ثقيف حتى نهاية العصر الأموي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، ط١، ٢٠١٠: ص٣٢٩، وابن أبي الصلت، المصدر السابق: ص٣٩١.

(٥٠٣) الثاقب: المضيء، ويماري: يشكُّ ويجادل.

(٥٠٤) المهامة: الشمس، والمنشور: المنتشر.

(٥٠٥) المعمَّس: موضع قرب مكة في طريق الطائف، وحبا البعير: برك فلم يتحرك هُزالاً، والعقر: أن تُقطع إحدى قوائم البعير قبل نحره كيلا يشرد عند النحر.

لَا زِمًا حَلَقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قُطِّ
طَرَ مِنْ صَخْرٍ كَبْكَبٍ مَحْدُورٍ (٥٠٦)
حَوْلُهُ مِنْ مُلُوكٍ كِنْدَةَ أَبْطَا
لٌ مَلَاوِيثٌ فِي الْحُرُوبِ صُفُورٍ (٥٠٧)
خَلْفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُوا جَمِيعًا
كُلُّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ
كُلَّهُمْ عَظْمٌ سَاقِيهِ مَكْسُورٍ (٥٠٨)
لَهُ إِلَّا - دِينَ الْخَنِيْفَةَ - بُورٍ (٥٠٩)

قَالَ طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ - وَهُوَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ - (٥١٠):

تَرَعَى مَنَابِتَ وَسْمِيٍّ أَطَاعَ لَهُ
بِالْجَزْعِ حَيْثُ عَصَى أَصْحَابَهُ الْفَيْلُ (٥١١)

وَقَالَ صَيْفِيُّ بْنُ عَامِرٍ، وَهُوَ أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسَلْتِ الْخَزْرَجِيُّ يَعْنِي فُرَيْشًا (٥١٢):

فُورُمُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَعَوَّدُوا
بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ (٥١٣)
فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ وَمَصْدَقٌ
عِدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ (٥١٤)
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّهُمْ
جُنُودُ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ (٥١٥)
فَقُولُوا سِرَاعًا نَادِمِينَ وَلَمْ يَوُبْ
إِلَى أَهْلِهِ بِالْجَيْشِ غَيْرُ عَصَائِبِ

وَقَالَ طَالِبُ بْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (٥١٦):

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاجِسٍ
وَجَيْشِ أَبِي يَكْسُومَ إِذْ مَلَّوْا الشَّعْبَا
فَقُولُوا دِفَاعَ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ
لَأَصْبَحْتُمْ لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبًا (٥١٧)

(٥٠٦) الجران: باطن العنق، وقطر: ألقى من علو قطره، أي جانبه. وكبكب: جبل بمكة خلف عرفات. والمحدور: الذي ألقى من علو إلى أسفل.

(٥٠٧) ملاويث: أشداء، مفردها: ملاث وملوث.

(٥٠٨) ابذعروا: تفرقوا.

(٥٠٩) بُور: فاسد باطل.

(٥١٠) الغنوي، المصدر السابق: ص ٧٦.

(٥١١) أطاع له النبات: يريد جاء منه بما يريد، وعصى أصحابه الفيل: أي: حيث أقام بالتعمير وهو على أميال من مكة، لما بلغه الفيل الذي جاء به أبرهة لغزو البيت كفف ولم يدخل الحرم.

(٥١٢) ابن هشام، المصدر السابق: ٥٩/١.

(٥١٣) صلوا ربكم: ادعوا ربكم، والأخاشب: جبال مكة وجبال منى.

(٥١٤) أبو يكسوم: كنية أبرهة الحبشي.

(٥١٥) السافي هنا: الذي غطاه التراب، والحاصب: الذي أصابته الحجارة.

(٥١٦) ابن هشام، المصدر السابق: ٥٩/١. والسهيلي، المصدر السابق: ٢٩١/١.

(٥١٧) السرب: القطيع من المواشي، أو جماعة النساء.

وقال عبد الله بن قيس الرقيياتُ يذكُرُ أبرهَةَ والفيلَ (٥١٨):

كَادَهُ الْأَشْرَمُ الَّذِي جَاءَ بِالْفِيلِ لِي قَوْلِي وَجَيْشُهُ مَهْزُومٌ

وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِالْجَنِّ دَلَّ حَتَّى كَانَتْهُ مَرْجُومٌ

ذَلِكَ مَنْ يَغْزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجِعُ وَهُوَ فَلَ مِنَ الْجِيُوشِ دَمِيمٌ (٥١٩)

والمراد من ذكر كل هذه الشواهد التدليل على استفادة حرب أبرهة عند العرب الجاهليين واهتمامهم للأمر، بل وقتال بعضهم لصدّ أبرهة عن البيت الحرام، ولا يمكن لشهرة الحادثة أن يكون لها هذا النصيب في الشعر العربي القديم لولا الأهمية البالغة للحدث، ولمكة المكرمة والكعبة المعظمة في نفوس العرب، فكانوا في وجه المحتل القادم من الخارج لضرب مقدساتهم. وانتهى فصل الربيع الذي قرأنا عنه في أخبار الحنفاء الجاهليين، وارتفع ما وجدناه من حرية دينية وتسامح عند بدء الدعوة الإسلامية، وتطوّر خوف حاتم الطائي من تبديل دينه إلى حربٍ على كل من يغيّر دينه ويدخل في دين الإسلام، ولم تكن الحرب من المشركين ضد المسلمين الأوائل فحسب، بل وجدنا آثارها في حياة الناس فيما بينهم، ومن أقسى ما حفظه لنا الشعر ما كان من أهمها افتراق الأزواج عند تغيير أحدهما دينه دون أن يقبل الآخر منهما، فقد قال هبيرة ابن أبي وهب المخزومي (٥٢٠) حين بلغه إسلام زوجته أم هانئ (٥٢١):

وَعَاذِلَةٌ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي وَتَعْدَلُنِي بِاللَّيْلِ ضَلَّ ضَلَالُهَا (٥٢٢)

وَتَرَعُمُ أَتَيْتُ إِنْ أَطَعْتُ عَشِيرَتِي سَأَرَدِي وَهَلْ يَرْدِينِ إِلَّا زِيَالُهَا (٥٢٣)

وَإِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَالَنْبَلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا (٥٢٤)

(٥١٨) عبيد الله بن قيس، الرقييات، ديوانه (تحقيق: عزيزة فؤال بابتي)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥: ص٢٤٣.

(٥١٩) الفلّ: الجيش المنهزم.

(٥٢٠) كان شاعراً من رجال قريش المعدودين في الجاهلية، كانت عنده أم هانئ بنت أبي طالب، فلما أسلمت فارقتها وبقي على كفره، ولما فتحت مكة هرب ومات في اليمن، وشهد يوم أحد مع المشركين وبكى قتلاهم، وذكر ابن سلام أن له شعراً كثيراً، لكن ما في ديوان القرشيين له أبيات يسيرة فقد ضاع شعره. انظر: الجمحي، المصدر السابق: ٢٥٧/١، ومختار، الغوث، الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط١، ٢٠٠٧: ٤٧٧/٢، وابن حبيب، المحبر: ص٣٩٦، وابن هشام، المصدر السابق: ٤٢٠/٢.

(٥٢١) الغوث، المصدر السابق: ٤٧٧/٢. وابن هشام، المصدر السابق: ٤٢٠/٢.

(٥٢٢) هبتت: استيقظت، وضلّ ضلالها: دعاء عليها بالضلال.

(٥٢٣) سآردى: سأهلك، وزيالها: ذهابها.

(٥٢٤) كنهه: حقيقته.

فإن كنت قد تابعت دين محمد
وعطفت الأرحام منك جبالها (٥٢٥)

فكوني على أعلى سحيق بهضبة
ممتعة لا يستطاع بلالها (٥٢٦)

وليس هذا الحال للرجل فحسب؛ فامرأة العباس بن مرداس (٥٢٧) عندما بلغها إسلامه جمعت أغراضها وفارقت إلى قومها من المشركين، وقالت هذه الأبيات (٥٢٨):

ألم يئنه عباس بن مرداس أنني
رأيت الوري مخصوصة بالفجائع
أتاهم من الأنصار كل سميذع
من القوم يحيي قومه في الوقائع (٥٢٩)
لعمري لئن تابعت دين محمد
وفارقت إخوان الصفا والصنائع (٥٣٠)
ببدلت تلك النفس ذلاً بعزة
غداة اختلاف المرفقات القواطع (٥٣١)
وقوم هم الرأس المقدم في الوعى
وأهل الحجا فينا وأهل الدسائع (٥٣٢)

فأكبر هزة تعرضت لها جزيرة العرب، بل المعمورة كلها كانت بعثة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، ولولا ارتدادات الدعوة المحمدية لكان الشعر العربي القديم خلا تماماً أو كاد من الآثار الدينية فيه، ومن لم يكن متأهلاً روحياً لهذه الدعوة فقد يستبد حتى بمن يحب ويفارقه ويؤذيه، لأنه يرى الدين الجديد أعلى من أية رابطة وإن كانت الزوجية، دون أن نستبعد أنها العصبية للأهل والقرابة، العصبية التي كانت عند غالب العرب - رجالاً ونساءً - مقدمة على الزوجية وغيرها.

ولما أصاب عامر بن الطفيل ما أصابه من داءٍ ومات بعث بنو عامر لبيد بن ربيعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقالوا له: اقدم لنا على هذا الرجل، فاعلم لنا علمه. فقدم عليه،

(٥٢٥) في بعض المصادر: قطعت الأرحام، وهذا هو المراد.

(٥٢٦) السحيق: البعيد، والهضبة: الكدية العالية، وممتعة: لا يمكن الوصول إليها.

(٥٢٧) العباس بن مرداس: هو العباس بن مرداس بن أبي عامر، من بني سليم، يكنى أبا الهيثم، وأمه الخنساء الشاعرة، كان فارساً شاعراً، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وامرأته حبيبة بنت الضحاك بن سفيان السلمي، وكان ممن ذم الخمر وحرّمها في الجاهلية، وشهد فتح مكة مع المسلمين وغزوة حنين. انظر: ابن حجر، المصدر السابق: ٥١٢/٣، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣٠٢/١٤، وابن حبيب، المحبّر: ص ٢٣٧، وابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٧٤٦/٢، والزركلي، المصدر السابق: ٢٦٦/٣.

(٥٢٨) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣٠٦/١٤، وانظر: يموت، المصدر السابق: ص ١٨٩.

(٥٢٩) السميذع: الذكي الحاذق الشجاع.

(٥٣٠) الصنائع: جمع صنّاعة، وهي عمل الخير والإحسان.

(٥٣١) المرفقات: السيوف الرقيقة.

(٥٣٢) الدسائع: جمع دسيعة، وهي العطية الجزيلة.

فأسلم لبيد، وأصابه وجع هناك شديد من حمى، فرجع إلى قومه وجاءهم بذكر البعث والجنة والنار، فقال سراقه بن عوف بن الأحوص(٥٣٣) يلومه على ما جاء به من الأفكار والمعتقدات(٥٣٤):

لَعَمْرُ لَبِيدٍ إِنَّهُ لَابْنُ أُمِّهِ وَلَكِنْ أَبُوهُ مَسَّهُ قَدَمُ الْعَهْدِ(٥٣٥)
 دَفَعْنَاكَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَأَنَّمَا دَفَعْنَاكَ فَحَلًّا فَوْقَهُ قَزَعُ اللَّبِيدِ(٥٣٦)
 فَعَالَجْتَ حُمَاهُ وَدَاءَ ضُلُوعِهِ وَتَرْنِيقَ عَيْشٍ مَسَّهُ طَرْفُ الْجَهْدِ(٥٣٧)
 وَجِئْتَ بَدِينِ الصَّابِيِّنَ تَشْوِبُهُ بِأَلْوَابِ نَجْدٍ بَعْدَ عَهْدِكَ مِنْ عَهْدِ(٥٣٨)
 وَإِنَّ لَنَا دَاراً زَعَمْتَ وَمَرَجِعاً وَثُمَّ إِيَابُ الْقَارِظِينَ وَذِي الْبُرْدِ(٥٣٩)

فعدم تقبل تغيير الدين والاهتداء بنور الإسلام يحمل على الطعن في نسب الرجل وعقله؛ فبينما الرجل فيهم محموداً ينقلبون للطعن فيه والتشكيك بعقله وأخلاقه بل ونسبه، فقد أرسلوه رجلاً فحلاً عظيماً وراء عامر يعالجه، فارتد إليهم صابئاً بدين جديد ودعاوى البعث والحساب.

ومن قليل ما وصلنا عما كان في أول الدعوة الإسلامية قول أبي أحمد الأسدي(٥٤٠):

(٥٣٣) سراقه: هو ابن عوف بن الأحوص، من بني عامر، شاعر مقلد، له في ديوان العامريين أبياته هذه التي يعارض فيها لبيد بن ربيعة بعد إسلامه. انظر: يعقوب، المصدر السابق: ص ١٦.
 (٥٣٤) يعقوب، المصدر السابق: ص ٧٨.
 (٥٣٥) ابن أمه: يريد بهذا ذم لبيد؛ فأمه من بني عيس وأبو من زعماء بني عامر، فأثبت الشرف القديم لأبيه وذمه بنسبته لأنه من قوم آخرين. انظر: لبيد بن ربيعة، العامري، شرح ديوانه (تحقيق: إحسان عباس)، منشورات وزارة الإرشاد، الكويت، ١٩٦٢: ص ١٧.
 (٥٣٦) القزع: بقايا الشعر، واللبيد: ما يجعل على ظهر الفرس.
 (٥٣٧) الترنيق: التصفية، وهو من الأضداد، فيكون للتكدير، وهو المراد هنا، كدر العيش.
 (٥٣٨) الصابئ: من يخرج من دين إلى دين، وكان كفار العرب يسمون النبي محمداً وأصحابه: صابئاً؛ لأنهم خرجوا عن دين قريش. وألواح نجد: لعله يريد ما جاء به لبيد معه من القرآن مكتوباً في ألواح. وبعده عهدك من عهد: وكأنه دعاء عليه.
 (٥٣٩) إياب القارظين: القارظ: شجر يُدبغ به، والقارظان: رجلان من العرب خرجا يجمعانه فلم يرجعا، فضربت العرب بهما المثل في انقطاع الغيبة، فقالوا: لا أفعل كذا حتى يؤوب القارظان. انظر: ابن قتيبة، المعارف: ص ٦١٧، والعسكري، جمهرة الأمثال: ١/١٢١، والميداني، المصدر السابق: ٢/٢١٢، وابن الأثير، المرصع: ص ٢٨٤.
 (٥٤٠) دقة، ديوان بني أسد: ص ٤١٧.

وأبو أحمد الأسدي هو: عبد بن جحش بن رثاب، من بني أسد، يكنى أبا أحمد ولا يُعرف غيره اکتنى بأحمد في الجاهلية، أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، وامراته الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب، وأخته زينب بن جحش زوج رسول الله، كان شاعراً ضريراً يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، أسلم وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وشهد بدرًا والمشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: ابن

أَقَطَعْتَ عَهْدَكَ بَيْنَنَا	وَالْحَازِيَاثُ إِلَى نَدَامَهُ
أَلَا ذَكَرْتَ لِيَالِي الـ	عَيْشِ الَّتِي فِيهَا الْقَسَامَةُ
عَقْدِي وَعَقْدُكَ قَائِمٌ	أَلَا عُقُوقَ وَلَا أُنَامَهُ
أُبَلِّغُ أَبَا سُفْيَانَ عَن	أَمْرِ عَوَاقِبِهِ نَدَامَهُ
دَارُ ابْنِ عَمِّكَ بِعَثَّهَا	تَقْضِي بِهَا عَنكَ الْعَرَامَةَ
أَذْهَبُ بِهَا أَذْهَبُ بِهَا	طَوَّقَتْهَا طَوَّقَ الْحَمَامَةَ

وقد جاء في مناسبة الأبيات: هاجر أبو أحمد إلى المدينة، فعمد أبو سفيان إلى داره فباعها من ابن علقمة العامري بأربعمئة دينار، فقال أبو أحمد الأبيات. وهذا من الاستبداد في إجبار الناس على ترك موطنهم لاعتناقهم ديناً يخالف السادة، ثم يستولي المستبد على أموال الناس ولو كانوا ذوي قربي.

وبالنظر فيما سبق من ملامح الحياة الدينية عند العرب الجاهليين، وحيث لا قساوسة ولا أرباب شعائر يعظّمونهم تعظيم الأمم الأخرى أسيادهم الدينيين؛ فإننا نجد ظواهر شغلت حيزاً في الحياة الجاهلية كالكهانة كما مرّ، والكهانة هي علم الغيب عن طريق تابع من الجنّ، وقد راجت سوقها في الجاهلية، وعلت مكانة أصحابها من الكهّان والكواهن حتى قاربت مكانة الشاعر أو تفوقت عليه في بعض المواضع؛ لأن الكاهن كان الملجأ الذي يفزعون إليه عندما يختلفون أو تضيق بهم علوم الإنس عن إدراكه.

وهذه المكانة والأهمية منحت الكهّان ما يمكنهم به الاستبداد ببعض الأمر أو بالناس أحياناً؛ فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في خبر مقتل حُجْرِ أَبِي امْرِئِ الْقَيْسِ الشَّاعِرِ: أَنْ حُجْرًا بَعْدَ أَنْ أَوْقَعَ بِنِي أُسَدٍ، وَقَتَّلَهُمُ بِالْعَصَا صَيَّرَهُمْ إِلَى تَهَامَةٍ، وَلَمَّا اسْتَشْفَعَهُ عَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ فِيهِمْ رَقَّ لَهُمْ وَبَعَثَ فِي أَثْرِهِمْ، فَأَقْبَلُوا، قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: (حَتَّى إِذَا كَانُوا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْهُ تَكْهَنُ كَاهِنُهُمْ، وَهُوَ عَوْفُ بْنُ رَبِيعَةَ^(٥٤١))، فَقَالَ لِبْنِي أُسَدٍ: يَا عَبَادِي! قَالُوا: لَبَّيْكَ رَبَّنَا؛ قَالَ: مَنْ الْمَلِكُ الْأَصْهَبُ^(٥٤٢)، الْغَلَّابُ غَيْرُ الْمَغْلَبِ^(٥٤٣)، فِي الْإِبِلِ كَأَنَّهَا الرَّبْرَبُ^(٥٤٤)، لَا يَعْلُقُ رَأْسَهُ

هشام، المصدر السابق: ٤٧٠/١، وابن حجر، المصدر السابق: ٣٢٦/٤، وابن حبيب، المحرر: ص ٢٩٨، ودقة، ديوان بني أسد: ٤٠٩/٢.

(٥٤١) عوف بن ربيعة: هو عوف بن ربيعة بن عامر بن سؤاءة الأسدي، كاهن شاعر جاهلي، كان كاهناً معظماً في بني أسد، وهو الذي حرّضهم على قتل حُجْر الكندي، وله في مجموع الكهّان سجع وشعر. انظر: جمول، المصدر السابق: ص ٧٥ ص ٢٨٤.

(٥٤٢) الصُّهْبَةُ: حمرة تعلق سواد الشعر، ويسمى الأسد: الأصهب لذلك.

(٥٤٣) الغلاب: مبالغة من (الغالب)، والمُغْلَبُ: المغلوب.

الصَّخْبُ^(٥٤٥)؛ هذا دمه يَنْتَعِبُ^(٥٤٦)، وهذا غداً أولُ مَنْ يُسَلَّبُ. قالوا: مَنْ هو يا ربَّنَا؟ قال: لولا أن تجيشَ نفسُ جاشِيهِ^(٥٤٧)؛ لأخبرْتُكم أنه حُجْرٌ ضاحِيهِ^(٥٤٨). قال أبو الفرج بعد هذا: (فركبتُ بنو أسد كلَّ صعبٍ ودَّلُولٍ، فما أشرقَ لهم النهارُ حتى أتوا عسكرَ حُجْرٍ، فهجموا على قُبَّتِهِ) وقتلوه. فهذا نصٌّ متقدِّمٌ في استبداد الكهَّانِ بالناسِ والقرارِ عنهم، بل وتوجيههم وإن كان فيه مقتلٌ قائدٌ سيجرُّ على القبيلةِ بل جزيرةِ العربِ كلها الدماءَ. فضلاً عن مخاطبةِ الكاهنِ الناسَ من حوله بالعبوديةِ والردِّ عليه بالربوبيةِ، مما جاء كذلك عن بعضِ الحكَّامِ المستبدين في الجاهليةِ، كما مرَّ بنا من قولِ جَذِيمةِ الأبرشِ في معرضِ فخره بنفسه^(٥٤٩):

أنا رَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ غَيْرَ رَبِّي الكافِيتِ الفَاتي

وإنما سلكت هذه الحادثة للكهَّانِ في الاستبدادِ الفكري لأن الكهَّانةَ عند العرب لم تكن في الجاهليةِ ديناً يُدان، وإنما هي بعضُ أوابدِ الجاهليةِ كما سمَّها بعضُ مؤرخي الأدبِ العربِ أو هي من علومهم كما سمَّها آخرون، ولمَّا كان يتمتع به الكهنة فيهم من المكانةِ حتى قرنوه بالشاعر أحياناً؛ فالكهنة على هذا من قادةِ الفكرِ والمجتمعِ في الجاهليةِ عند العرب^(٥٥٠). وما جاء كان استبداداً من الكهَّانِ الذين لم يُخفوا في مواضعٍ أخرى حرصهم على إيهامِ الناسِ علمهم الغيبِ وسلطتهم وقوتهم؛ ففي حادثةٍ لملكٍ من ملوكِ الجاهليةِ مع أحدِ أشهرِ كهَّانِ العربِ (سطيحِ الغساني) جاء فيها^(٥٥١): قال الملك: (يا سطيح، ألا تخبرني عن علمك هذا؟ قال: إنَّ علمي ليس مَيِّ، ولا بحزْمٍ ولا تظنِّي^(٥٥٢)، ولكنَّ أخذتهُ من أخٍ لي جيِّ، قد سمعَ الوحيَ بطُورِ سَيِّ^(٥٥٣)). قال الملك: أرايت أخاك هذا الجيِّ؟ أهو معك لا يفارقك؟ قال: إنه ليزولُّ حيثُ أزلُّ^(٥٥٤)، ولا أنطقُ إلا بما يقولُ).

(٥٤٤) الربرب: القطيع من بقر الوحش.

(٥٤٥) الصخب: شدة الصوت.

(٥٤٦) ثعب الماء والدم: فجَّره فانفجر.

(٥٤٧) جاشت النفس: فاضت، وجاشت القدر: غلت.

(٥٤٨) ضاحيه: علانية.

(٥٤٩) جمول، المصدر السابق: ص ١٨٥. وانظر: ص ٤٦.

(٥٥٠) انظر: جمول، المصدر السابق: ص ٢٩ وما بعدها.

(٥٥١) جمول، المصدر السابق: ص ٢٢٢.

(٥٥٢) التظنِّي: إعمال الظن.

(٥٥٣) طور سَيِّ: طور سيناء، وجعلها (سني) لاستقامة السجع.

(٥٥٤) الزول: الحركة.

وهنا نعود لما ذُكر عن شياطين الشعراء، وإن كان التابع في الكهانة أقرب للتصديق منه في الشعير، لكن التعالي بهذا وتخويف الناس وإيهام القوة الخفية هي المراد هنا.

وعند القالي في أماليه: أن خمسة نفرٍ من طَيِّئٍ من ذوي الحجا والرأي، منهم: بُرَج بن مُسْهَر وهو أحد المعمرين، وأُنَيْف بن حارثة بن لَأَم، وعبد الله بن سعد بن الحَشْرَج أبو حاتم طَيِّئ، وعارقُ الشاعر، ومُرَّة بن عبد رُضَي؛ أرادوا امتحان علم سواد بن قارب الدَّوسِي (٥٥٥) وكان كاهناً في الجاهلية، فلما قربوا من السِّرَّة قالوا: لِيَحْبَأُ كُلُّ رَجُلٍ مَنَّا خَبِيئاً ولا يخبر به صاحبه؛ ليسأله عنه، فإن أصاب عرفنا علمه وإن أخطأ ارتحلنا عنه، فحَبَأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خَبِيئاً، ثم صاروا إليه، فأهدوا له إبلاً وطُرفاً من طُرف الحيرة، فضربَ عليهم قبةً ونَحَرَ لهم، فلما مضت ثلاث دعا بهم فدخلوا عليه، وسألوه عما أخفوا، وكان يجيب كل واحد منهم بسجعٍ من سجع الكهان، حتى تثبتوا من علمه وكهانتة، فقالوا له في آخر الخبر: (صدقت، وأنت أعلم من تحمل الأرض، ثم ارتحلوا عنه) (٥٥٦).

فهذا مراد الكاهن من تدليسه على الناس أن يتوهموا علمه الخارق، ليسهل عليه قيادتهم ويستسيغوا شيئاً من استبداده بهم وبآرائهم وفكرهم.

لكن الكهان وأسجاعهم في الجاهلية - على الحقيقة - لم تكن تشغل الساحة الفكرية على نحو ما كان الشعر والشعراء؛ فتأسيساً على العلاقة بين الفكر واللغة، وأن اللغة حاملة الفكر - بعيداً عن النظريات اللغوية والفلسفية في هذا وهي مبسطة في مظانها (٥٥٧) - وأن الفكر يُبَيَّنُّ باللغة قراءةً وكتابةً وسماعاً عبر العديد من سائل التواصل. فلا يُخالف أن الوسيلة الأقوى في الجاهلية للنشر كانت عبر ما يحبه العرب ويسهل عليهم حفظه وهو الشعر، فالشعر ديوان العرب ومستودع علومها كما قيل قديماً، وإن لم تكن جزيرة العرب قد شهدت فلاسفةً كفلاسفة الإغريق

(٥٥٥) سواد بن قارب: هو سواد بن قارب الدَّوسِي الأزدي، كان كاهناً شاعراً من أعلم أهل وقته وأشهرهم في الكهانة والشعر، وحكماً في الخصومات، أسلم سوادٌ وعُدَّ في الصحابة، وكان له مقام حميد في قومه دوس حينما بلغهم وفاة رسول الله وارتدَّ بعض العرب، فخطبَ في قومه وحذَّره من الفتن فوافقوه لما أحبَّ، وله سجعٌ من سجع الكهان وشعر وخطبة. انظر: جمول، المصدر السابق، ص ٦١، ص ٢٥٨. وابن حجر، المصدر السابق: ١٨٧/٣، والألوسي، المصدر السابق: ٢٩٩/٣.

(٥٥٦) القالي، المصدر السابق: ٢٨٩/٢.

(٥٥٧) انظر: نوري، جعفر، اللغة والفكر، بحث في مجلة المدى الثقافي العدد: ٧٥٤ لعام ٢٠٠٦. وثاني، بابويانا، علاقة اللغة والفكر بين اللغويين العرب الأقدمين والدرس اللغوي الحديث، بحث في مجلة بخت الرضا العلمية العدد السادس لعام ٢٠١٣. وحامد، كاظم عباس، جدلية اللغة والفكر دراسة في مفهوم الكلام عند الأمدي في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، بحث في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد العدد: ٩٧. وكريمة، الجابي، العلاقة بين اللغة والفكر، بحث في شبكة الألوكة.

والصين وآسيا، وعلماء كما كان عند فارس على نحو ما مرّ عند ذكر علوم هذه الأمم في الفصل الأول، فيمكننا النظر في حال الشعراء وأفكارهم كما جاءت في الشعر الصحيح، وكيف كان موقف الكبراء والحكام من الشعراء وفكرهم في أشعارهم؟ فذلك يرسم لنا الحياة الفكرية التي كانوا يعيشون. فحملة الفكر والقول عندهم شعراؤهم، هم الناطقون الرسميون في قبائلهم، والمراسلون الذين يجوبون صحراء الجزيرة العربية طويلاً وعرضاً، يوافوننا خارج حدود الزمان والمكان بشتى الأخبار؛ فالأدب عامة – والشعر خاصة – حقاً مرآة المجتمع.

وإن نظرنا في هذه المرأة لنرى ما كان فإننا واقفون على صور شتى تُسلك فيما نحن فيه من الاستبداد؛ إذ إنّ ما اشتهر من مكانة الشاعر في قومه لا تعطيه حصانة كاملة دائماً.

فمن ضحايا الاستبداد في الجاهلية الشاعر عبيد بن الأبرص^(٥٥٨)، الذي لم يكن من ذنبيه إلا أنه طلع على الملك المستبد المنذر بن ماء السماء في يوم ابتدع تسميته يوم البؤس؛ وهذه بدعة غليظة خرج بها بعض المستبدين عندما تغلي في رأسه حمى العظمة والملك، فيستعبد واحد منهم الناس، وآخر يفتزع النساء، ومستبد مجنون كهذا يعبت بالأيام يغيّر فيها لفرط استبداده وحماقته، فيبتدع يومين في السنة يُعرفان بيوم بؤس ويوم نعمة، فكان إذا خرج يوم بؤسه يذبح فيه أول من يلقاه كائناً من كان، وإذا خرج في يوم نعمته يصل أول من يلقاه ويحبوه ويُحسن إليه. فعثر القدر بالشاعر المنكوب عبيد بن الأبرص، وخرج على الملك في يوم بؤسه، فلم يشفع له ما عُرف عنه من الشعاعرية وما كسا الملك المنذر ذاته من المديح، ليكون القرار الجائر بقتله. ولفرط استبداده وجبروته واستخفافه بالدماء بينما أوقف الشاعر ليقتله استنشده؛ لعله يقول شيئاً يدفع به الموت عن نفسه ويستعطف قلب المستبد المجرم، فيأبى الشاعر أن يذل ويخضع، فيقول^(٥٥٩):

فوالله إن مت ما ضرني وإن عشت ما عشت في واجده

(٥٥٨) عبيد بن الأبرص: عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر، من دؤدان بن أسد، كان شاعراً جاهلياً قديماً من المعمرين، وكان عبيد معاصراً لامرئ القيس، وعاصر قتل بني أسد ملكهم حُجراً والد امرئ القيس، وذكره ابن حبيب فيمن حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية. قتله النعمان بن المنذر وقد طلع عليه في يوم بؤسه، وقيل: قاتله هو المنذر بن ماء السماء وهو المنذر الأكبر جد النعمان بن المنذر، وله قصيدة في المجهرات. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٢٦٧/١، وابن حبيب، المحرر: ص ٢٣٨، والجمحي، المصدر السابق: ١٣٨/١، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٨٢/٢٢، والزركلي، المصدر السابق: ١٨٨/٤.

(٥٥٩) عبيد بن الأبرص، ديوانه (تحقيق حسين نصار)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤: ص ٦٢.

فَأَبْلَغُ بَنِي وَأَعْمَامِهِم بَأَنَّ الْمَنَائِيَا هِيَ الْوَارِدَه
لَهَا مُدَّةٌ فَنُفُوسُ الْعِبَادِ إِلَيْهَا وَإِنْ كَرِهَتْ قَاصِدَه
فَلَا تَجْرُ عُوا لِحِمَامِ دَنَا فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَه (٥٦٠)
فَوَاللَّهِ إِنْ عَشِنْتُ مَا سَرَّنِي وَإِنْ مِتُّ مَا كَانَتْ الْعَائِدَه

فيقضي الشاعر ضحيةً لاستبداد الملك دون أن يرضى ببيع كلماته الحرّة في سوق الذلّ. ولعلّ أكثر ما بقي لنا في ذاكرة شعرنا الجاهلي مما يجسّد الاستبداد الفكري وقضى ضحيته الشعراء قصة طرفة بن العبد والمتلمس مع الملك عمرو بن هند. والقصة كما ترويه كتب الأدب لا تخرج عن خلافٍ لهما مع عمرو بن هند، كان لهما فيه له هجاء لاذع أضمره في نفسه ولم يبده لهما، ولأنه خشي عاقبة قتلها عنده أرسلهما بصحيفة ادّعى أن فيها مكافأةً لهما، ثم جرت بعدهما في العرب باسم (صحيفة المتلمس) (٥٦١)، وفيها حقيقةً أمرٌ منه لوالي البحرين أن يقتلها، فشعر المتلمس بذلك، ففتح صحيفته في الطريق ووجد ما ظنّ من الخديعة، وأبى طرفة الشاب المتفجّر حيويةً وحماسةً أن يفتح رسالته، فمضى نحو حتفه بقدميه وقضى شهيد الكلمة الحرّة في زمن الاستبداد (٥٦٢). فذلك قول المتلمس (٥٦٣):

مَنْ مَبْلَغُ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَحْوِيهِمْ خَبْرًا، فَتُصَدِّقُهُمْ بِذَاكَ الْأَنْفُسُ
أَوْدَى الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهَا وَتَجَا جِدَارَ جِبَائِهِ الْمَتَلَمَّسُ (٥٦٤)
أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كَوْرَه عَنَسُ مُدَاخِلَةَ الْفِقَارَةِ عِرْمِسُ (٥٦٥)
أَلِقِ الصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لَكَ إِنَّهُ يُخَشَى عَلَيْكَ مِنَ الْجَبَاءِ النَّقْرَسُ (٥٦٦)

- (٥٦٠) الجِمام: قضاء الله وقدره، من قولهم: حُمّه له، أي: قُدّر له.
(٥٦١) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٢٤/٢٦٠. والعسكري، جمهرة الأمثال: ٥٧٩/١، والميداني، المصدر السابق: ٣٩٩/١.
(٥٦٢) انظر في قصة طرفة ومصرعه: طرفة بن العبد، ديوانه (تحقيق علي الجندي)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٨: ص١١، وابن حبيب، أسماء المغتالين (فيمن قُتل غيلةً): ٢/٢٣٠، وجبرائيل، عبدوكة، طرفة بن العبد موقف فتى وصور التغيير، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ٢٠١١.
(٥٦٣) الضبيعي، المصدر السابق: ١٧٧، وانظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/١٧٧.
(٥٦٤) أودى: هلك، والحباء: العطية والهبة مما يحبو به – أي يُعطي – الرجلُ صاحبه ويكرمه به.
(٥٦٥) الكور: أداة الرجل، والعنس: الصخرة، والناقاة القوية شُبّهت بالصخرة لصلابتها، والفقارة: عظام السلسلة الظهرية الممتدة من الرأس إلى العنص، ومُداخلة: دُوخل بعضها ببعض. والعرمس: الناقاة القوية شُبّهت بالصخرة لصلابتها.
(٥٦٦) لا أبا لك: دعاء جرى في الكلام مجرى المثل لا تُراد حقيقته، وأكثر ما يكون في المدح. والحباء: العطية، والنقرس: هنا الداھية والمكر؛ يخاطب طرفة أن يحذر الداھية التي في الصحيفة على أنها عطية

وَتَرَكْتُ حَيَّ بَنِي ضُبَيْعَةَ خَشِيئَةً أَنْ يُوتِرُوا بِدَمِي وَجِلْدِي أَمْلَسُ (٥٦٧)

في هذه القصيدة والتي بعدها يحكي الشاعر ما وقع له ولطرفة بن العبد، وكيف نجا لأنه فتح الرسالة، في حين رفض طرفة فض الرسالة ووثق بالملك، فلقبي حتفه؛ فلا ثقة عند الشاعر بمستبد، لاسيما وهو يعلم ما قاله بحقه، ويعلم حقد الملوك وضيقهم بمن ينتقدهم، فضلاً عن يهجوهم. ولأنه يعرف الملك المستبد وبطشه هرب منه، لكنه لم يلجأ لقبيلته، فقد يوقع به وبها الملك، فصدق لنا بصوته الذي بلغنا عبر السنين أنه يترك أهله مضطراً إيثاراً لسلامتهم؛ حتى لا يأخذهم الملك المستبد بجريته كما هو دأب المستبدين.

ويكأنّ المتلمّس لا يغيّب عنه ما جرى فيقول (٥٦٨):

عَصَانِي فَمَا لَأَقَى الرَّشَادَ وَإِنَّمَا تَبَيَّنُ مِنْ أَمْرِ الْعَوِيِّ عَوَافِيهِ (٥٦٩)

فَأَصْبَحَ مَحْمُولاً عَلَى ظَهْرِ آلَةٍ يَمْجُجُ نَجِيعَ الْجَوْفِ مِنْهُ تَرَائِيهِ (٥٧٠)

بهذا التصوير المؤلم للمصير الأسود الذي رسمه المستبد لطرفة الشاعر الشاب، وقد وثق بكلام الملك ورفض نصيحة صاحبه، فانتهى به الأمر محمولاً جثّة هامدة فوق آلة حدياء.

صحيح أن المتلمّس نجى وقضى صاحبه، لكنه خسر صاحبه ووطنه، فلجأ إلى أرضٍ غير أرضه وأهلٍ غير أهله، يقول (٥٧١):

أَطْرَدْتَنِي حَذَرَ الْهَجَاءِ وَلَا وَاللَّاتِ وَالْأَنْصَابِ لَا تَتَلُّ (٥٧٢)

شَرُّ الْمُلُوكِ وَشَرُّهَا حَسَباً فِي النَّاسِ مَنْ عَلِمُوا وَمَنْ جَهَلُوا

الْعَدْرُ وَالْأَفَاثُ شِيَمَتُهُ فَافْهَمْ؛ فَعُرْقُوبٌ لَهُ مَثَلٌ (٥٧٣)

وهبة.

(٥٦٧) يُوتِرُوا: من الوتر، وهو الثأر والظلم. وجلدي أملس: لم يصبني شيء.

(٥٦٨) الضبيعي، المصدر السابق: ص ١٧٧.

(٥٦٩) العي والغواية: الخيبة والضلال، عوى يغوي عيياً وغوايةً.

(٥٧٠) الترائب: موضع القلادة من الصدر، والآلة هنا: سرير الموت، والنجيع: الدم، ويمجج الدم: يقذفه ويلفظه.

(٥٧١) الضبيعي، المصدر السابق: ص ٤٢، ونحوه في: ص ٩٢، وص ١٣٤.

(٥٧٢) أطردتني: صيرتني طريداً، واللات: صنم مشهورة في الجاهلية، والأنصاب: حجارة كانت حول الكعبة تُنصب فيذبحون عليها، وبها يُقسم الشاعر. وتتل: تتجو، ومنه: الموتل: المنجي والملجأ.

(٥٧٣) عُرقوب: رجل كان في الجاهلية الأولى، وكان أكذب أهل زمانه، ضرب العرب به المثل في الخلف فقالوا: مواعيد عُرقوب. انظر: الميداني، المصدر السابق: ٣١١/٢.

فهذا هو النفي عن الوطن من أجل الكلمة، والبيت الأول صريح بهذا: نفيتني خوف هجائي. وفيما بعد لا نجده يخطب ودّ الملك المستبد ليعفو عنه، بل يحلف ألا يسكت عن هجائه ويمضي في النيل منه وذمّه. ويقول (٥٧٤):

أُمِّي شَامِيَةٌ إِذْ لَا عِرَاقَ لَنَا قَوْمًا نُوذُّهُمْ إِذْ قَوْمُنَا شُوسٌ (٥٧٥)
لَنْ نَسْلُكِي سُبُلَ الْبَوَابَةِ مُنْجِدَةً مَا عَاشَ عَمْرُو وَمَا عُمِرَتْ قَابُوسٌ (٥٧٦)
آلِيَتَ حَبِّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمَهُ وَالْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ الشُّوسُ (٥٧٧)

وفيه تأكيد معنى النفي واليمين من الملك المستبد أن يحرمه من خيرات بلاده كما حرمه من أرضها ومائها، فيأبى عليه هذه ويسخر منه أنه يأكل من خيرات بلاده وهو في منفاه في الشام، بل رزق العراق وفير في الشام لدرجة أنه يفسد ويأكله السوس، وهذا يدل على طول النفي وطول الحرب الكلامية بين الشاعر والملك دون تراجع من الشاعر عن موقفه. ويقول في منفاه (٥٧٨):

إِنَّ الْحَبِيْبَةَ حُبُّهَا لَمْ يَنْفَدِ وَالْيَأْسُ يُسْلِي، لَوْ سَلَوْتُ، أَحَا دَدِ (٥٧٩)
قَدْ طَالَ مَا أَحَبَبْتُهَا وَوَدِدْتُهَا لَوْ كَانَ يُغْنِي عَنْكَ طَوْلُ تَوَدُّدِ
إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ كَانُوا الْهَوَى فَإِذَا نَأَى بِي وَدُّهُمْ فَلْيَبْعُدِ
فَإِذَا حَلَلْتُ وَدُونَ بَيْتِي غَاوَةٌ فَابْرِقْ بِأَرْضِكَ مَا بَدَا لَكَ وَارِعِدِ (٥٨٠)

وفي البيت الثاني تأكيد طول النفي والغربة عن الوطن الحبيب على قلب الشاعر مع استمراره في تحديّ الملك المستبد، حتى ليصرخ به بكل شموخ: تهدّذي ما بدا لك فإني لا أبالي.

-
- (٥٧٤) الضبيعي، المصدر السابق: ص ٩٢، وانظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/ ١٨٠.
- (٥٧٥) أمي: اقصدي، شامية: أي ناحية الشام، قوماً نوذّم: يريد أهل الشام وملوكها وهم الغساسنة، وشوس: أعداء، والأشوس: الذي ينظر إلى صاحبه شزراً كأنه يريد أن يبيطش به من البغضاء.
- (٥٧٦) لن تسلكي: يخاطب ناقته، والبوابة: ثنية في طريق نجد ينحدر منها صاحبها إلى العراق. مُنْجِدَةٌ: متجهة إلى نجد. وعمرو وقابوس: هما عمرو بن هند وأخوه قابوس، ابنا المنذر بن ماء السماء.
- (٥٧٧) آليت: حلفت، يخاطب عمرو بن هند. حَبٌّ: منصوب بنزع الخافض؛ حلفت على حَبِّ الْعِرَاقِ، فحذف الخافض ونصب. وكان حلف عمرو بن هند ألا يطعم الملتمس حب العراق.
- (٥٧٨) الضبيعي، المصدر السابق: ص ١٣٣.
- (٥٧٩) الدُّوُّ والدَدَى والدُّن: اللهو.
- (٥٨٠) غاوة: قرية، وبرق ورعد، ويقال: أبرق وأرعد: إذا تهدّد وأوعد.

وأما شريك المتلمس في المأساة الشاعر الشاب طرفة بن العبد فقد كان ضحية للاستبداد منذ صغره؛ فأولاد عمومته أبوا أن يقسموا له من ميراث أبيه الذي مات وهو غلام، فصرخ (٥٨١):

مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةٍ فِيكُمْ صِغْرُ الْبُنُونِ وَرَهْطٌ وَرْدَةٌ غُيِّبُ (٥٨٢)

فالذي جزأ أقاربه على أكل مال اليتامى طرفة وإخوته أنهم صغار، وأن أمه وردة غريبة في قوم أبيه وأهلها بعيدون. فكان هذا أول سوطٍ للاستبداد يجلد ظهر طرفة، ويمضي الشاب الشاعر فتكون له حظوة عند الملك، دون أن يفقه آداب السلاطين والخضوع، فيتأخر عليه الملك ويزدرية، فبينما هو يمدح الملك ويُطري له القول غضب، فانقلب مدحه هجاءً لاذعاً، فيقول في عمرو بن هند الملك المستبد الذي اشتهر بمضرت الحجارة لشدته وغلظته، وابتدع يوم النعمة ويوم البؤس، ففضح طرفة الشاعر الأبي حماقته وظلمه بقوله (٥٨٣):

فَأَيَّتْ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغُوثاً حَوْلَ قَبَائِنَا تَخُورُ (٥٨٤)
لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ لِيُخْلَطُ مُلْكُهُ نَوَكٌ كَثِيرُ (٥٨٥)
قَسَمْتُ الدَّهْرَ فِي زَمَنِ رَخِيٍّ كَذَلِكَ الْحُكْمُ يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ (٥٨٦)
فَلَمَّا أَنْ أَنْخْتُ إِلَى مَلِيكَ مَسَاكِنُهُ الْخَوْرَنُقُ وَالسَّيْدِيرُ (٥٨٧)
لِيُنْجِزَ لِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ بِطَيِّ صَحِيفَةٍ فِيهَا غُرُورُ (٥٨٨)
فَأَوْعَدَنِي فَأَخْلَفَ تَمَّ ظَنِّي وَبِئْسَ خَلِيقَةُ الْمَلِكِ الْفُجُورُ (٥٨٩)

(٥٨١) الجندي، ديوان طرفة: ص ٢٣، وانظر تنمة هذه القطعة مع الكلام عليها في موضعها من الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي: ص ١٤٥.

(٥٨٢) ما تنظرون: ما تنتظرون، ووردة: أم طرفة، ورهطها: قومها، وغيب: جمع غائب.

(٥٨٣) الجندي، ديوان طرفة: ص ٩٢.

(٥٨٤) الرغوث: النعجة المرضع، تخو: تصوت، وأصل الخوار للبقرة فجعله هنا للنعجة.

(٥٨٥) قابوس: أخو الملك عمرو بن هند، والنوك: الحماقة.

(٥٨٦) يقصد: يتوسط في الأمور ويعدل، ويجور: يظلم ويجاوز الحد.

(٥٨٧) أنخت: جعلت ناقتي تبرك، والخورنق والسديير: من قصور المناذرة.

(٥٨٨) يُنجز: يفي، وغرور: باطل.

(٥٨٩) أوعدني: معناها هنا وعدني، وهي من غير الكثير لأن الوعد يكثر في الخير والإبعاد في الشر، وأخلف: ضد وفى، والفجور: الفسوق والبعد عن الحق.

فكل ذلك أنه أنظره وتأخر عليه، مما لا يليق بالملوك، فأعلن طرفه سخطه وإنكاره هذا، وتابع ففضح ممارسات ذاك الملك المستبد، لكن هذا الهجاء اللاذع وإبء الظلم لا يناسب الملوك لا يكون فيمن يرونهم الملوك للوقوف بأبوابهم ونيل عطاياهم، فلما أن بلغ هذا الهجاء مسامع هذا المستبد أصدر فرماناً بقتل طرفه وصاحبه المتلمس، لكنه خشي على صورته - على عادة الحكام - فأرسلهما بالصحيفة كما مرّ. ولما أن وقع القدر به ورأى بعينه أوان حتفه أرسلها مدوية^(٥٩٠):

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ، فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضَ الشَّرِّ أَهْوُنُ مِنْ بَعْضِ (٥٩١)
 أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ غُرُوراً صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي الطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي (٥٩٢)
 رَدَيْتَ، وَنَجَى الْيَشْكُرِيُّ جِذَارَهُ وَحَادَ كَمَا حَادَ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّخْضِ (٥٩٣)

فالمالك بخداعه ومكره غرر بالشاعر، الذي أخطأ فصدقه؛ فقضى ضحية لاستبداد ابن هند، وأنجى المتلمس حذره من شرّ أرادته المستبد لكليهما. وإن يكن في هذه الأبيات شيء من الاستعطف للملك ألا يُفرط في القتل، فإن طرفه يعود ليصرخ في قومه^(٥٩٤):

فَمِيلُوا عَلَى النُّعْمَانِ فِي الْحَرْبِ مَيْلَةً وَكَعْبِ بْنِ زَيْدٍ فَاشْتَعْلُوهُ عَنِ الْمُحْضِ (٥٩٥)
 هُمَا أورداني الموت عمداً وجرّداً عَلَى الْمَوْتِ خَيْلاً مَا تَمَلُّ مِنْ الرِّكْضِ (٥٩٦)

فالذي أمر بموتي والذي حرّضه على قتلي والذي قام بالتنفيذ سواء في الإجماع، فالحاكم المستبد له أيادٍ يبطش بها، ومن أراد الثأر يلزمه أن يضرب الظالم ومن أعانه على ظلمه واستعمله فيه.

(٥٩٠) الجندي، ديوان طرفة: ص ٢٠٩، وانظر: البصري، المصدر السابق: ١٣٥/١.

(٥٩١) أبو منذر: كنية عمرو بن هند، وأفنييت: أصله (أفنييتنا) فحذف المفعول به، والحنان: الرحمة، والعرب إذا أرادت التأكيد ثنت، أي: حناناً بعد حنان، ونحوها: دوايك: مداولة بعد مداولة، ولئيك وسعديك.

(٥٩٢) كانت غروراً صحيفتي: كانت غرراً وخديعة، والطوع: الانتقاد.

(٥٩٣) رديت: هلكت، واليشكري: يريد المتلمس، وحاد: مال ورجع، والدخض: الانزلاق، دحضت رجله: زلقت.

(٥٩٤) الجندي، ديوان طرفة: ص ٢٠٧.

(٥٩٥) كعب بن زيد: لعله يريد الرجل الذي حرّض الملك عليه.

(٥٩٦) تملّ من الركض: تتعب وتتكرس من الحركة.

ويبدو أن الشام لبُعدها عن مركز جزيرة العرب ووجود الروم فيها كان ملجأ الهاريين من بطش المستبدين، فمع قول المتلمس السابق نستذكر ما قاله المرقش في السياق ذاته، وقد هرب من المنذر إلى الشام، يقول(٥٩٧):

أَبْلَعَا الْمُنْذِرَ الْمُنْقَبَ عَنِّي غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا مُسْتَعِينٍ (٥٩٨)
لَاتَ هُنَا وَلَيْتَنِي طَرَفَ الزَّج وَأَهْلِي بِالشَّامِ ذَاتِ الْقُرُونِ (٥٩٩)
بِامْرئٍ مَا فَعَلْتَ عَفِّ يُوُوسِ صَدَقْتَهُ الْمُنَى لِعَوْضِ الْحِينِ (٦٠٠)
غَيْرَ مُسْتَسْلِمٍ إِذَا اعْتَصَرَ الْعَا جَزَ بِالسَّكَّتِ فِي ظِلَالِ الْهُونِ (٦٠١)

فالملك لشدة طلبه الشاعر وإصراره على القبض عليه وصفه بالمنقَّب، وهو المستقصي في الطلب كأنه ينقب عنه(٦٠٢)؛ إنه الخوف من سلاح الكلمة الحرة. والشاعر العفيف الذي طرده الملك المستبد لم ييأس ولم يعجز ويلجأ إلى السكوت كغيره؛ لأنه يأبى الهوان.

على أن الاستبداد الفكري الذي قضى الشعراء ضحيته في الشعر القديم لم يقف عند طرفه والمتلمس وإن كانا قد صرخا عن ألم شديد من استبداده، وقد شاركهما في هجاء المستبد الذي أوقع بهما غيرهما من الشعراء كانوا أحسن حظاً منهما فلم تنل يد الاستبداد منهم ما نالت من المتلمس وطرفة(٦٠٣).

ولأن الاستبداد في أساسه التطاول والتمادي وجدنا أن المستبد قد لا يقف عند من يهجوهُ فيقتله أو ينفيه أو يسجنه، بل قد يستبدّ بقوم الشاعر؛ فهذا حارثة بن قيس الكناني الشاعر كان قد

(٥٩٧) نوري، حمودي القيسي، المرقش الأكبر أخباره وأشعاره (٢): مجلة العرب، السنة الرابعة، ربيع الثاني ١٣٩٠هـ، الجزء ١٠: ص٨٧٨. وانظر: الضبي، المفضليات: ص٢٢٨، والأنباري، شرح المفضليات: ص٣٤٧. ووهب ابن قتيبة فنسبها للمرقش الأصغر في: الشعر والشعراء: ٢١٧/١، انظر: القيسي، المرقش الأكبر: ص٨٩٣.

(٥٩٨) المنقَّب: المستقصي في الطلب كأنه ينقب عن طلبته.

(٥٩٩) لات هنا: أي ليس هذا وقت إرادتك، والرُّجّ موضع [الحموي، معجم البلدان: الزجاج]، وذات القرون يعنون بها الشام لأن الروم كانوا فيها ولهم ضفائر فهي القرون.

(٦٠٠) يوُوس: لا يطمع في شيء ولا يأسى عليه فهو لا يبالي، والعوض: الدهر.

(٦٠١) اعتصر: من العصرة، أي: التجأ. والهون: الهوان، والسكَّت: السكوت.

(٦٠٢) انظر: الأنباري، شرح المفضليات: ص٤٦٩.

(٦٠٣) انظر: حمدي، منصور، صورة الملك عمرو بن هند في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد ٢٠، سنة ٢٠٠٦.

مدح الحارث بن أبي شمر الغساني ووفد إليه، فأحسن جائزته فلما انصرف سُرق ما معه، فظنَّ الشاعر أن الحارث دسَّ إليه من يسرقه، فقال يهجوهُ:

أدِّ الدَّنَانِيرَ إِنَّ الغَدَرَ مَنقِصَةٌ وَإِنَّ جَدَّكَ لَمْ يَغْدُرْ وَلَمْ يُطِيقْ (٦٠٤)

فبلغ هجاؤه الحارث، فحلفت ألا يمسه غسل حتى يقتل حارثة بهجائه إياه، وليسهل عليه ذلك استهوى أحد ضعفاء النفوس من قوم الشاعر، فجعل لابن عروة الكناني جُعلًا على أن يدلّه على عورة قومه، فدله عليهم، فغزاهم الحارث بن أبي شمر، وقتل الشاعر حارثة بن قيس الكناني، وأوقع ببني كنانة قوم الشاعر؛ فالملك المستبدُّ قتل الشاعر لأنه هجاه، وأوقع بقوم الشاعر كلهم زيادةً في استبداده وظلمه؛ لكن المؤلم فوق هذه الدماء أنها أريقَت بمساعدة خائن من قوم الشاعر أزاغ الملك بصره وأفسد بصيرته بالمال، كدأب المجرمين في كل زمان !.

وهذا يقودنا لمحاولة تتبع مواقف الشعراء الجاهليين من الملوك والزعماء المستبدِّين، وهم على شرائح.

فأول أولئك الشعراء الذين ضجّت دواوينهم بمدح الملوك المستبدِّين، وإن اغتفر للشاعر المدّاح مديحه سيده ولي نعمته لعرض من أعراض الدنيا فمن الصعب قبول التذلل على نحو ما نقرأ في قول القائل (٦٠٥):

فَإِنْ كُنْتَ امْرَأً قَدْ سُوَّتَ ظَنًّا بَعِيدِكَ وَالخُطُوبُ إِلَى تَبَالٍ (٦٠٦)

فَأَرْسِلْ فِي بَنِي دُنْيَانَ فَاَسْأَلْ وَلَا تَعْجَلْ إِلَيَّ عَنِ السُّؤَالِ

فلا بدع أن ينظر المستبدُّ إلى الناس على أنهم عبيده إن كان فيهم من يعلن له العبودية!! فهذه من مبالغات النابغة في اعتذارياته، لاسيما وكلامه هذا في ملك مستبد كالنعمان قضى شعراء آخرون بيده، وتظهر في اعتذارياته فكرة أخرى تخالف ما أثار عن العرب من أنفة وكبرياء، وهي تذله وخضوعه للنعمان (٦٠٧)، من مثل قوله (٦٠٨):

(٦٠٤) ابن حبيب، أسماء المغتالين: ٢٥١/٢.

(٦٠٥) النابغة الذبياني، المصدر السابق: ص ١٥١، والجمّاح، المصدر السابق: ص ٢٤١.

(٦٠٦) الخطوب إلى تبال: إلى ابتلاء واختبار؛ يريد: تبلو وتختبر ما بلغت عني فتعلم حقه من باطله.

(٦٠٧) انظر: الجمّاح، المصدر السابق: ص ٢٤١.

(٦٠٨) النابغة الذبياني، المصدر السابق: ص ٧٣.

فَلَا تَنْرُكَّنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنَّنِي إِلَى النَّاسِ مَطْلِي بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ (٦٠٩)

فَإِنْ أَكَّ مَظْلُوماً فَعَبُدْ ظَلَمَتَهُ وَإِنْ تَكَّ ذَا عُنْتَبِي فَمِثْلَكَ يُعْتَبُ (٦١٠)

فالشاعر إن رفض الملك العفو عنه جملٌ أجرب تتحاشاه الناس خوفاً من الملك وسطوته، فهو يرى نفسه للملك عبداً لا بأس عليه إن ظلمه فهو الملك وهو السيد مالك أمره!! بل هو يرى الملك سيد الملوك الآخرين، وليس سيد العامة فحسب، يقول (٦١١):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَّبُ (٦١٢)

بِأَنَّكَ شَمَسُ الْمُلُوكِ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكِبُ

وربما لأنه امتهن مدح الملوك وخلص أكثر شعره للمناذرة كأنه أوقفه عليهم، لم يكن له أن يمتدح سوى المناذرة، لذا وجدناه في اعتذارياته يبرر لأسياده المناذرة قليلاً ما قاله في الغساسنة عندما لجأ إليهم، يقول (٦١٣):

وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبُ مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ

مُلُوكٍ وَإِخْوَانُ إِذَا مَا أَتَيْتُهُمْ أَحْكَمُ فِي أُمُومِ الْهَمِّ وَأَقْرَبُ

كَفَعَلِكَ فِي قَوْمِ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنُبُوا

فهو في موقف المعتذر المبرر لما خرج منه في مديح الغساسنة؛ والأمر كما بيّته لملك المناذرة أنه لا يعدو شكرهم على خير فعلوه له، كما يشكر من تفعل إليه معروفاً، فالمهم أن

(٦٠٩) القار: القطران، يريد: لا تدعني كأني بغير أجرب قد طلي بالقطران، يتحاماه الناس ويطردونه عن إبلهم لنلا يعديها بجريه؛ فالعرب سوف تتحاماه وترفض نصرته خوفاً من النعمان.

(٦١٠) يُعْتَبُ: عتب الرجل: إذا سخط، والاسم منه العتب والعتاب، وأعتب: إذا رضي، والاسم العُتْبِي والمصدر الإعتاب.

(٦١١) النابغة الذبياني، المصدر السابق: ص ٧٣، وص ٧٤.

(٦١٢) السورة: المنزلة الرفيعة، ويتذذب: يضطرب، وهذا مثل؛ يريد أن منازل الملوك دون منزلته، فكأنهم معلقون دونه.

(٦١٣) النابغة الذبياني، المصدر السابق: ص ٧٣.

تقبل اعتذاري وتُعيدني إلى جانبك، وإن كنتُ امتدحتُ ملكاً غيرك لمعروف له عندي فأنت الملك الذي تصغر أمامه الملوك^(٦١٤).

وليس هذا حال النابغة الذبياني وحده، بل أكثر من دخلوا على الملوك وعاشوا نعيم القصور في صحراء الجزيرة العربية باعوا موهبتهم وشعرهم للملك المستبد^(٦١٥)، ومن خرج عما يريد كان مصيره مصير المتلمس وطرفة وعبيد.

ولعلنا نستعظم هذا المديح من النابغة لملك مستبد، غير أن أكثر ما كان يضطر الشعراء – لاسيما المشاهير منهم – للوقوف أمام المستبدين ومديحهم هو ردّ ظلم أوقعه الملك أو أحد من معه، أو لإطلاق أسرى ساقهم معه الملك ظلماً وعدواناً، كما نجد لحاتم الطائي وقد ضرب طاغية الغساسنة بلاد طيئ وأسّر منهم عدداً، فطارَ إليه حاتم على جواده، حتى إذا وقف بين يديه قال^(٦١٦):

أَلَا إِنِّي قَدْ هَاجَنِي اللَّيْلَةُ الذِّكْرُ وَمَا ذَاكَ مِنْ حُبِّ النِّسَاءِ وَلَا الْأَشْرُ^(٦١٧)
وَلَكِنِّي مِمَّا أَصَابَ عَشِيرَتِي وَقَوْمِي بِأَقْرَانٍ، حَوَالِيَهُمُ الصِّيرُ^(٦١٨)
فَيَا لَيْتَ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا يُفُولُ لَنَا خَيْرًا، وَيُمِضِي الَّذِي انْتَمَرَ^(٦١٩)
فَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْعَزَاءُ، فَإِنَّا عَلَى وَقَعَاتِ الدَّهْرِ مِنْ قِبَلِهَا صَبْرُ^(٦٢٠)
سَقَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ سَحًّا وَدِيمَةً جُنُوبَ الشَّرَاةِ مِنْ مَّأَبٍ إِلَى زُعْرُ^(٦٢١)
بِلَادِ امْرِي لَا يَعْرِفُ الدَّمَ بَيْئُهُ لَهُ الْمَشْرَبُ الصَّافِي وَلَيْسَ لَهُ الْكَدْرُ

وفي خبر الأبيات أن حاتماً حينما أنشد الحارث الغساني هذه الأبيات أطلق له بعض أسرى قومه، فلما دعاه الملك إلى الطعام والمجلس زاده:

(٦١٤) انظر: سلامة عبد الله، السويدي، صور الخوف في اعتذاريات النابغة الذبياني، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة الكويت، الحولية ٢٦ سنة ٢٠٠٥.

(٦١٥) انظر: عبد الفتاح، الشطي، شعراء إمارة الحيرة في العصر الجاهلي، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨: ص ٣٨٧، ٣٩٦.

(٦١٦) حاتم الطائي، المصدر السابق: ص ١٧٦، وص ٢٣٥.

(٦١٧) الأشر: البطر والمرح.

(٦١٨) الصير: الحظائر، واحدها: صيرة.

(٦١٩) انتمر: قلب وجوه الرأي ثم أجمع على أحدها.

(٦٢٠) العزاء: أي أوجب العزاء، وهو الصبر.

(٦٢١) سحت السحابة: صبته صباً متتابعاً، والديمة: مطر يدوم يومين وثلاثة مع سكون، والشراة: أرض في ناحية الشام، وزغر ومأب: موضعان في أطراف الشام.

فَكَكَّتْ عَدِيًّا كُلَّهَا مِنْ إِسَارِهَا فَأَفْضِلْ وَشَقِّعْنِي بِقَيْسِ بْنِ جُحْدِرٍ
أَبُوهُ أَبِي وَالْأُمَّهَاتُ امَّهَاتُنَا فَأَنْعَمْ فَذُنُوكَ الْيَوْمَ قَوْمِي وَمَعْشَرِي
فَأُطْلِقْهُ لَهُ (٦٢٢).

فهنا نجد وقوفاً بين يدي ملك مستبَدِّ، لكنه وقوف عزيز، يقفه الشاعر بلا خوف أو تذلل وهو يطلب أسرى قومه، ولا يجلس مع الملك لطعامٍ وشرابٍ حتى يفكَّ له الأسرى الذين جاء من أجلهم. ويتأكد وقوفه لفكك أسرى قومه فحسب عندما وقف في وجه أوس بن سعد الطائي وقد أدخل الملك النعمان بن المنذر أرضَ قومه، دون علم منهم ولا استئذان، فقال حاتم (٦٢٣):

وَلَقَدْ بَعَى بِخُلَادَ أَوْسٍ قَوْمَهُ دُلًّا، وَقَدْ عَلِمْتُ بِذَلِكَ سِنْبِسُ (٦٢٤)
وَتَوَاعَدُوا وَرَدَ الْفُرْيَةَ غُدُوَّةً وَحَافَتُ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ لَنْحَبِسُ (٦٢٥)

ففي خبر الأبيات: أن أوس بن سعد كان قال للنعمان: أنا أدخلك بين جيبي طيئ حتى يدين لك أهلها، فبلغ ذلك حاتماً، فقال حاتم الشعر (٦٢٦). فأعوان المستبَدِّ من القبيلة ذاتها يضرب بها أهله وإخوانه، لكن شاعراً حرّاً عزيزاً ينتفض بالكلمة الحرة في وجه المعتدي وإن كان ملكاً.

وفي موقف آخر يتأكد عقل حاتم أمام الملوك المستبدين، فقد روى ابن الكلبي أن حاتماً الطائي وفد مع أوس بن حارثة بن لأم الطائي وناسٍ من العرب على النعمان بن المنذر بالحيرة، فقال لإياس بن قبيصة الطائي: أيُّهما أفضل؟ قال: أبيت اللعن! إني من أحدهما، ولكن سلُّهما عن أنفسهما يجيبانك. فدخل عليه أوس فقال: أنت أفضل أم حاتم؟ قال: أبيت اللعن! لو كنتُ أنا وولدي لحاتم لأنَّهَبْنَا في غداةٍ واحدة. ثم دخل عليه حاتم، فقال: يا حاتم أنت أفضل أم أوس؟ فقال: أبيت اللعن! لشرُّ أوسٍ خيرٌ منِّي. قال: فَتَقَلَّ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ، فقال حاتم (٦٢٧):

يُسَائِلُنِي النُّعْمَانُ كَيْ يَسْتَرْزَلْنِي وَهَيْهَاتَ لِي أَنْ أُسْتَضَامَ فَأَصْرَعَا
كَفَانِي نَقْصاً أَنْ أَضِيْمَ عَشِيرَتِي بِقَوْلِ أَرَى فِي غَيْرِهِ مُتَوَسَّعَا

(٦٢٢) انظر: حاتم الطائي، المصدر السابق: ص ١٧٤ – ص ١٧٦.

(٦٢٣) حاتم الطائي، المصدر السابق: ص ٢٣٨.

(٦٢٤) خلاد: موضع في بلاد طيئ، وبنو سنيس: قوم من طيئ، وسنيس هو ابن معاوية بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ، انظر: حاتم الطائي، المصدر السابق: ص ٢١٥.

(٦٢٥) الفرية: لبني سدوس من بني ذهل باليمامة.

(٦٢٦) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٢٥٠/١٧.

(٦٢٧) حاتم الطائي، المصدر السابق: ص ١٤٤، و ص ٢٣٩.

فلا يَهتأ للملك المستبد أن يرى اثنين متصاحبين، فيعبث بالصلة بينهما، فإما أن يستجيبا ويقعا في بعض فيصل الأمر إلى الاقتتال، وإما أن يكونا أعقل وأحكم من المستبد كما كان هنا. وقد يتوعد الملك قوماً كما توعد النابغة، لكن الرد يختلف؛ فيزيد بن الخدّاق الشنّي (٦٢٨) بلغه تهديد النعمان ليغزوتهم ويأخذنّ أموالهم، فكان جواب يزيد في أبيات منها (٦٢٩):

تَحَلَّلْ أُبَيْتَ اللَّعْنِ مِنْ قَوْلِ آئِمٍ عَلَى مَالِنَا لَيْفُسَمَنْ خُمُوسَا (٦٣٠)
أَقِيمُوا بَنِي النُّعْمَانِ عَنَّا صُدُورَكُمْ وَإِلَّا تُقِيمُوا كَارِهِينَ الرُّؤُوسَا (٦٣١)
أَكُلْ لَنِيْمٍ مِنْكُمْ وَمُعَلَّهَجٍ يَعُدُّ عَلَيْنَا غَارَةً فُخْبُوسَا (٦٣٢)

وطاغية آخر من مستبدي الغساسنة يتهدد بني كلب بن وبرة، ويرسل تهديده مع الشاعر عبد العزّي بن امرئ القيس (٦٣٣)، وكان وفد على الملك الحارث بن مارية الغساني بهدايا، وفقد للملك ابنٌ كان عند قوم الشاعر بني كلب بن وبرة، فهدده بأنه سيفعل ما يسوؤه بقومه وعليه أن يأتيه بهم، فأرسل إلى قومه ينذرهم يقول (٦٣٤):

وَمَا كَانَ عِنْدَ ابْنِ جَفْنَةَ - فَاغْلُمُوا - مِنْ الذَّنْبِ مَا أَلَى يَمِينًا عَلَى كَلْبِ (٦٣٥)
لَيْلَتِمَسَنَّ بِالْخَيْلِ عُقْرَ بِلَادِهِمْ تَحَلَّلْ - أُبَيْتَ اللَّعْنِ! - مِنْ قَوْلِكَ الْمُزْبِي (٦٣٦)
وَدُونَ الَّذِي مَنَى ابْنُ جَفْنَةَ نَفْسَهُ رَجَالٌ يَرُدُّونَ الظُّلْمَ عَنِ الشَّعْبِ (٦٣٧)

(٦٢٨) يزيد بن خدّاق: من بني شيب بن أفضى بن عبد القيس، وهو وأخوه سويد شاعران جمعهما ابن قتيبة في الشعر والشعراء بابني خدّاق، ويزيد شاعر جاهلي قديم كان في زمن عمرو بن هند، وهو من شعراء المفضليات.

انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٣٨٦/١، والمرزباني، المصدر السابق: ص ٥٥٦، والأنباري، شرح المفضليات: ٥٩٣، والزركلي، المصدر السابق: ١٤٥/٣.

(٦٢٩) الضبي، المفضليات: ص ٢٩٨، والأنباري، شرح المفضليات: ص ٤٢٦. وستأتي الأبيات في الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي: ص ١٩٧.

(٦٣٠) تحلّل: يريد من يمينك لأنه حلف أن يغزوهم ويقتسم أموالهم، والخموس: جمع خمس. (٦٣١) أقيموا صدوركم: أزيلوا عوجها، وعدى (أقيموا) ب (عن) لأنه فيه معنى (نحواً) أو (أزيلوا)، وإلا تقيموا: يعني وإلا تقيموا رؤوسكم عنا مكرهين.

(٦٣٢) مُعَلَّهَج: الذي ليس بخالص ولا كريم. (الخُبوس: الظلم. وهذا الحرف لم يكتب في المعاجم، بل فيها: الخباسة والخباساء بمعنى المغنم أو الظلامة)، انظر تعليق المحقق في: الضبي، المفضليات: ص ٢٩٨.

(٦٣٣) عبد العزّي بن امرئ القيس: هو عبد العزّي بن امرئ القيس بن عامر، من بني ربيعة من كلب بن وبرة، شاعر جاهلي، كان يُلقب بالهلقام وهو الأسد، وكان وسيماً جميلاً فصيحاً، وفد على الملك الغساني الحارث بن مارية، ولما هدّد قومه أرسل يخبرهم فقتله. انظر: البيطار، المصدر السابق: ١٠٢/١.

(٦٣٤) البيطار، المصدر السابق: ١٠٧/١.

(٦٣٥) ابن جفنة: أراد الحارث بن مارية، فنسبه إلى جدّه الأكبر جفنة بن عمرو مزريقاء. وآلى: حلف. وكلب: كلب بن وبرة قوم الشاعر.

(٦٣٦) عُقْر الشيء: أصله ووسطه، والقول المُزْبِي: المزعج المقلق.

وَقَد رَامَنَا مِنْ قَبْلِكَ الْمَرْءُ حَارِثٌ فَعُوِدِرَ مَسْلُوباً لَدَى الْأَكْمِ الصُّهْبِ (٦٣٨)

فلما أُنذِرَ قومَه وقال الأبيات قتله الملك الغساني؛ فهذا شاعر آخر يردّ يمين المستبدّ في وجهه، دون أن يذلّ ويخشى. ويقتل الملك عمرو بن هند أخاً لأشعر الرّقبان الأسدي (٦٣٩)، فيأتي الرد من الشاعر بسرقة ابْنين لابن هند ويذبحهما، ويقول (٦٤٠):

إِنَّا كَذَلِكَ كَانْ عَادَتْنَا لَمْ نُغْضِ مِنْ مَلِكٍ عَلَيَّ وَثِرَ (٦٤١)

وهذه العادة التي تحدّث عنها هذا الشاعر الأسدي نجد غيره يصيح بها في الجاهلية، فيقول بشامة بن الغدير (٦٤٢):

مَنْ عَهْدٍ عَادٍ كَانْ مَعْرُوفاً لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلَهَا وَقِتَالَهَا

ونجد تهديد الملوك وقتلها وأسرّها صار غرضاً رئيسياً في شعر قبيلة تغلب، وهو من معاني الفخر والحماسة التي تعاورها شعراء تغلب، وأكثرُوا منها إكثاراً جعل هذا المعنى يُعدّ سمة بارزة لشعراء تغلب دون سواها، وقد أَلفينا كثيراً من شعراء تغلب يهدّدون الملوك (٦٤٣)، كقول جابر بن حُنَيٍّ (٦٤٤):

(٦٣٧) مئى: من التّمّي، وهو إرادة حصول الشيء.
(٦٣٨) رامنا: طلبنا، الحارث: لعله جدّ الملك الحارث بن مارية وهو الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة والأكم: جمع أكمة، وهو الأشد ارتفاعاً عما حوله. والصُّهبة: حمرة يعلوها سواد.
(٦٣٩) هو عمرو بن حارثة بن ناشب، من بني أسد، شاعر جاهلي، كان جريئاً فاتكاً، عاصرَ الملك عمرو بن هند وذبح له ابْنين بأخ له قتله ابن هند، وفي شعره هجاء خبيث. انظر: المرزباني، المصدر السابق: ص ٣٧، ودقة، ديوان بني أسد: ١٢٨/٢.
(٦٤٠) دقة، ديوان بني أسد: ١٢٩/٢.
(٦٤١) لم نُغْضِ: لم نسكت، والوتر: الثأر.
(٦٤٢) المرزوقي، المصدر السابق: ٣٩٧/١، والجَمَاح، المصدر السابق: ص ١٣٢.
وبشامة بن الغدير: هو بشامة بن عمرو بن معاوية بن الغدير، من قيس عيلان، وفي نسبه خلاف. هو خال زهير بن أبي سلمى، وكان كثير المال موصوفاً بالحزم وأصالة الرأي، وكانت غطفان تستشيره وتصدر عن رأيه وتقسم له من غنائمها أفضلها، وكان أشعر غطفان في زمانه. وعدّه ابن سلام من الإسلاميين وإن كان ذكر أنه ممن فقا عين بعير في الجاهلية، وكان الرجل إذا ملك ألف بعير فقا عين فحلها.
انظر: الجمحي، المصدر السابق: ٧١٨/٢، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٤٥٩/١٠، والبلاذري، المصدر السابق: ١٣٢/١٣، والأمدي، المصدر السابق: ص ٨٠، والأنباري، شرح المفضليات: ص ٧٩، والزركلي، المصدر السابق: ٥٤/٢.
(٦٤٣) انظر: أبو زيد، المصدر السابق: ص ٢٢٦.
(٦٤٤) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٣٦٧.
وجابر بن حُنَيٍّ بن حارثة بن عمرو: من بني تغلب، شاعر جاهلي قديم، أدرك أمراً القيس بن حجر ورافقه في رحلته إلى الروم وحمله مع عمرو بن قميئة لما تقطّر جسده، ومن أخباره أنه وفد على المناذرة في الحيرة، فكانت له مكانة رفيعة، وله قصيدة في المفضليات. انظر: أبو زيد، المصدر السابق: ص ١٤٢، والضبي، المفضليات: ص ٤٢٢، والزركلي، المصدر السابق: ١٠٣/٢.

أَلَا تَسْتَحِي مِنَّا مُلُوكٌ وَتَتَّقِي مَحَارِمَنَا لَا يَبُوءُ الدَّمَ بِالْدَمِ (٦٤٥)

نُعَاطِي الْمُلُوكَ السِّلْمَ مَا قَصَدُوا بِنَا وَأَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمٍ (٦٤٦)

وَيَذْكُرُونَ جُرْأَتَهُمْ عَلَيْهِمْ وَقَتْلَهُمْ وَسَبِيهِمْ، كقول أبي حنشل (٦٤٧):

قَتَلْتُ شَرْحِبِيلَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ حَارِثٍ هُمَاماً عَلَيْهِ النَّاجُ وَابْنَ هُمَامٍ (٦٤٨)

فَلَا تَرْجُونَ يَا بَنَ الْمُرَارِ نَصِيحَتِي وَلَا وُدَّ قَوْمٍ مُغْضَبِينَ رَغَامٍ (٦٤٩)

قَتَلْتُ لَكَ السَّاعِي عَلَيْكَ وَحَوْلَهُ تَمِيمٌ وَرَامِيْتُ الَّذِينَ تُرَامِي

وكان شرحبيل قتل ولداً لأبي حنشل اسمه معبد، وعرض على أبيه الدية، فرفض أبو

حنشل (٦٥٠)، فزجره شرحبيل الملك وقال له: والله ما أتقيك ولا أتقي قومك – يستصغره وقومه –

ولكني أتقي لسانك، فقال أبو حنشل (٦٥١):

أَمَّا الْهَجَاءُ الَّذِي تَخَافُ فَلَا تَسْمَعُهُ سَيِّئاً وَلَا حَسَنًا

أَكْرَمُ نَفْسِي وَأَتَّقِيكَ فَإِنْ أَغْلَكَ يَوْمًا فِي نَجْدَةٍ نَخِنَا

أَجْزَكَ مَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَلَا بُقْيَا لِمَنْ كَانَ يَطْلُبُ الدِّمْنَا

وَالجَارُ كَالضَّيْفِ لَا مَحَالَةَ أَنْ يَطْعَنَ يَوْمًا وَإِنْ ثَوَى زَمْنَا

وقال لشرحبيل (٦٥٢):

لَعْمُرِكَ مَالِي فِي جَوَارِكَ حَاجَةٌ وَلَا خَيْرَ عَيْشٍ بَعْدَ قَتْلِكَ مَعْبَدًا

(٦٤٥) باء دمه بدمه: أي عدله، أراد: حذار أن تبوء دماؤهم بدماء من قتلوه.

(٦٤٦) يريد: نُسالم الملوك ما داموا يسبرون بالسيرة المثلى، فإن عدلوا عن منهج الحق بنا قاتلناهم.

(٦٤٧) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٣٨٢.

(٦٤٨) شرحبيل: هو ابن عمرو بن الحارث: ملكه أبوه الحارث بن عمرو المقصور بن حُجر أكل المُرار على بني بكر بن وائل، وقتله أبو حنشل في يوم الكلاب الأول. انظر: جاد المولى، المصدر السابق: ص ٤٦.

(٦٤٩) رغام: غضاب، والمراغمة: المغاضبة.

(٦٥٠) أبو حنشل هو: عُصم بن النعمان بن مالك بن عتّاب، من بني تغلب، وهو ابن عم عمرو بن كلثوم، كان أحد فرسان تغلب في الجاهلية عظيم القدر زوراً للملوك، وقتل شرحبيل الملك الكندي بابنه معبد في يوم الكلاب الأول.

انظر: أبو زيد، المصدر السابق: ص ١٤٥، وابن حبيب، المحبّر: ص ٢٠٤، والمرزباني، المصدر السابق: ص ١٥٨.

(٦٥١) ابن حبيب، المحبّر: ص ٢٠٦، وأبو زيد، المصدر السابق: ص ٣٨٢.

(٦٥٢) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٣٨١.

فَإِنْ تُبْقِنِي الْإَيَّامُ أَجْزِكَ مِثْلَهَا شُرْحُ حَبِيبٍ فِي شِبْلَيْكَ عَمْرٍو وَأَسْوَدًا

كان له ما قال من تأره بشرحبيل الملك، فعده ابن حبيب في فتاك الجاهلية(٦٥٣).

ولا يغيب ما مرّ من فتك عمرو بن كلثوم بالملك عمرو بن هند لما أرادت أمّه أن تستنلّ أمّ عمرو، وابن كلثوم معدود في فتاك الجاهلية كذلك(٦٥٤)، فليس هذا الموقف الوحيد لعمرو بن كلثوم؛ فحين تركوا ديارهم إلى الشام بعد الصدام مع المناذرة، وأقاموا قريباً من الغساسنة مرّ بهم الملك الغساني الحارث بن أبي شمر، فلم يعظّموه، فتوعدهم بغزوة ليعرفوا قدره كما زعم، فلم يرتجف عمرو لو عيده، بل جمع قومه وأعدّهم للقائه، وخاطب الحارث الغساني بقوله(٦٥٥):

أَلَا فَاغْلَمْ - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنَا عَلَى عَمْدٍ سَنَأْتِي مَا تُرِيدُ

تَعَلَّمْ أَنَّ مَحْمَلَنَا ثَقِيلٌ وَأَنَّ زِنَادَ كَبَبِنَا شَدِيدٌ(٦٥٦)

وَأَنَا لَيْسَ حَيٌّ مِنْ مَعَدِّ يُوَارِيزُنَا إِذَا لَيْسَ الْحَدِيدُ

وكان ما قال عمرو، فلما دارت الحرب بينهم وبين الغساسنة ظفروا بهم وقتلوا أخا الحارث الغساني. وشعر عمرو بن كلثوم في أكثره صارخ ضد الملوك بإبائه وفخر لا يخلو من الغرور(٦٥٧).

ومن فتاك الجاهلية الشعراء الحارث بن ظالم المرّي(٦٥٨)، ومرّ ما انتهى إليه أمره في سجون الغساسنة(٦٥٩)، وكان له قبل ذلك مع المناذرة خبر؛ فقد اعتدى جنّد للنعمان بن المنذر على جارٍ للحارث من بني ديهث، وطلبه الحارث من الملك النعمان، فأبى وتوعّد الحارث وعيداً شديداً؛ فما كان من الحارث وقد اعتدى الملك على جاره وهده إلا أن يخطف ابناً للملك كان في جوار أخت له ويقتله، ويقول(٦٦٠):

(٦٥٣) انظر: ابن حبيب، المحبّر: ص ٢٠٤.

(٦٥٤) انظر: ابن حبيب، المحبّر: ص ٢٠٢.

(٦٥٥) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٥٧.

(٦٥٦) الكبّة: الحملة في الحرب والدفعة في القتال.

(٦٥٧) انظر: أبو زيد، المصدر السابق: ص ٣١٦، ص ٣٠٨، ص ٣٠٥.

(٦٥٨) انظر: ابن حبيب، المحبّر: ص ١٩٢.

(٦٥٩) انظر: ص ٥٧.

(٦٦٠) الأنباري، شرح المفضليات: ص ٦١٥. وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٧١/١١، وعادل،

حَسِبْتُ أَبَا قَابُوسَ أَنَّكَ سَالِمٌ وَلَمَّا نُصِبْتُ دُلًّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ (٦٦١)
فَإِنْ تَكُ أَذْوَادُ أَصْبِنَ وَصَبِيَّةٌ فَهَذَا ابْنُ سَلْمَى رَأْسُهُ مُتَفَاقِمٌ (٦٦٢)
عَلَوْتُ بِذِي الْحَيَّاتِ مَفْرَقَ رَأْسِهِ وَهَلْ يَرْكَبُ الْمَكْرُوهَ إِلَّا الْأَكَارِمُ (٦٦٣)
شَفَيْتُ غَلِيلَ الصَّدْرِ مِنْهُ بَضْرَبَةً كَذَلِكَ يَا أَبَى الْمُغْضَبُونَ الْقَمَاقِمُ (٦٦٤)

فالشاعر هنا ردّ عدوان الملك بعدوان أشد منه، دون أن يرفع بتهديده رأساً، فهو يرى نفسه نداءً للملك ليس له بمُلكه ما يرفعه فوق الشاعر؛ فيقتل عزيزاً للملك ولو كان ابنه إن قتل الملك جاره، ثم يرميه بسهام شعره فيردّ الدم بالدم وزيادة، والتهديد بالتهديد وزيادة. ولما أراد زهير بن جناب أن يستنلّ بني تغلب وبني بكر تسلل ابن زيّابة البكري (٦٦٥) إليه ليلاً فطعنه، لكن زهيراً لم يمت وعزم أن يعزو تغلباً وبكراً لأنهم اجتمعوا عليه، فقال ابن زيّابة (٦٦٦):

طَعْنَةً مَا طَعَنْتُ فِي غَبَشِ اللَّيْلِ لِي زُهَيْرًا وَقَدْ تَوَافَى الْخُصُومُ (٦٦٧)
حِينَ تَجْبِي لَهُ الْمَوَاسِمَ بَكْرٌ أَيْنَ بَكْرٌ؟ وَأَيْنَ مِنْهَا الْخُلُومُ
خَاتَنِي السَّيْفِ إِذْ طَعَنْتُ زُهَيْرًا وَهُوَ سَيْفٌ مُضَلَّلٌ مَشُؤُومٌ

جاسم، الحارث بن ظالم المري الوفيّ الفاتك، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد ١٥، سنة ١٩٧٢: ص ٣٧٤.
(٦٦١) الرّغام: التراب، وأنفك راغم: لزق بالتراب إذلالاً.
(٦٦٢) أذواد: جمع دود، وهو جماعة الإبل. وابن سلمى: هو ابن النعمان الذي قتله الحارث، ومتفاقم: غير ملتئم.
(٦٦٣) ذو الحيات: سيف الحارث وكان صورة حية.
(٦٦٤) القماقم: جمع قماقم، وهو السيد كثير الخير الجامع للسيادة.

(٦٦٥) ابن زيّابة: هو سلمة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة، من بكر بن وائل، رجل فاتك، حاول قتل زهير بن جناب الكلبي بعد أن استبدّ بقومه، لكنه لم يفلح.
انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٨/١٩، والبيطار، المصدر السابق: ٣٤/١.
(٦٦٦) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٦٦.
(٦٦٧) الغبش: شدة الظلمة وسوادها. وتوافى القوم: تتاموا، وهنا يريد انتصف الخصوم من بعض.

ومن قبيلة طيبي يصرخ عارق الطائي بعمر بن هند، وقد مرّ بنا ابن هند بطيبي بعد أن أعطاهم الأمان، فغزاهم واستاق نساءهم، وكيف عيّره عارق بذلك وهجاه^(٦٦٨)، فبلغ ذلك عمراً فتوعد عارقاً وحلف أن يقتله، فقال عارق^(٦٦٩):

مَنْ مُبْلِغُ عَمْرٍو بِنَ هِنْدٍ رِسَالَةً إِذَا اسْتَحَقَّبَتْهَا الْعَيْسُ تُنْضَى مِنَ الْبُعْدِ^(٦٧٠)
 أَيُوعِدُنِي وَالرَّمْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ تَأْمَلُ رُويِدًا مَا أُمَامَةٌ مِنْ هِنْدِ^(٦٧١)
 حَصَانٌ، وَأُخْرَى لَا نَقَاءَ لِعَهْدِهَا ثَلَاعِبُ شَبَّانِ الضُّيُوفِ عَلَى عَمْدِ^(٦٧٢)
 وَمِنْ أَجَا حَوْلِي رَعَانٌ كَانَتْهَا قَنَابِلُ حَيْلٍ مِنْ كُمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدِ^(٦٧٣)
 عَدْرَتٍ بِأَمْرِ كُنْتَ أَنْتَ دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ وَيُسُّ الشَّيْمَةَ الْعَدْرُ بِالْعَهْدِ

ومن تميم نسمع عبد القيس بن خُفاف البرجمي^(٦٧٤) يهجو الملك النعمان بن المنذر، ويزيد في الهجاء فيدعي أنه ليس سليل المناذرة، وإنما هو ابن صانع في الحيرة، يقول^(٦٧٥):

لَعَنَّ اللَّهَ ثُمَّ نَأَى بِالْعَيْنِ ابْنُ ذَا الصَّانِعِ الظَّلُومِ الْجَهُولَا
 يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأُلوْفِ وَيَعْرُو ثُمَّ لَا يِرْزَأُ الْعَدُوَّ فَتِيلاً^(٦٧٦)

وهذا هجاء لا يختلف كثيراً عما مرّ لطرفة والتلمس وعبيد بن الأبرص وغيرهم من ضحايا استبداد الملوك من الشعراء.

(٦٦٨) انظر: حادثة غدر عمرو بن هند بطيبي وأسر نسائهم في الاستبداد السياسي: ص ٥٧.

(٦٦٩) أحمد حالي، المصدر السابق: ص ٧٤٦.

(٦٧٠) استحققتها: حملتها في الحقائق، والعيس: الإبل البيض، وتُنْضَى: تهزل.

(٦٧١) يوعدني: يهددني، وأمامة: هي أم الشاعر، وهند: هي أم الملك عمرو بن المنذر وإليها يُنسب؛ يريد أن أمّه أمامة أفضل من هند أم الملك.

(٦٧٢) الحصان: العفيفة.

(٦٧٣) أجأ: أحد جبلي طيبي، ورعان: جمع رَعْن، وهي أنف يتقدم من الجبل، والقنابل: جماعات الخيل، وجعلها الشاعر مختلفة الألوان بين كمييت وورد.

(٦٧٤) عبد القيس البرجمي: هو عبد القيس بن خُفاف، من براجم بني عمرو بن حنظلة في تميم، يكنى أبا جُبيل، كان شريفاً شجاعاً شاعراً حكيماً، عاش في زمن النعمان بن المنذر وله هجاء فيه، جاء حاتماً الطائي في دماء حملها فوقى له بها حاتم فمدح حاتماً.

انظر: المعيني، المصدر السابق: ص ٣٤٨، والأنباري، شرح المفضليات: ص ٧٥٠، والزركلي، المصدر السابق: ٤/٤٩.

(٦٧٥) المعيني، المصدر السابق: ص ٣٥٧.

(٦٧٦) يرزأ: ينقص.

لنجد بعدُ أن صوتَ مَنْ يتذللُ للملكِ يُعلنُ عبوديته قد ضاع بين الأصواتِ الحرّة الأبية، وأنه إن ذكر التاريخ رجلاً أدخلَ ملكاً أرضَ قومه فالتاريخ ذاته حفظ ذلكم الرجل ليُعلن على لسان قومه، كما حُفظ ذكر أبي رغال حيث يُرجم. لنجد أن أكثر الشعراء حملوا الكلمة بأمانة، وكان حدُّ شعرهم لا يقلُّ عن حدِّ سيوفهم في وجوه المستبدين.

ووجدنا في شعر الشعراء الجاهليين ضد المستبدين سهاماً من الهجاء، والهجاء فنُّ من فنون الشعر التي قد تُودي بصاحبها^(٦٧٧)، وإن لم يقع فيه بملكٍ أو أميرٍ؛ فسالم بن دارة الغطفاني^(٦٧٨) وقع في هجاء فزارةٍ وأقدع، فدفعَ حياته ثم هجائه، إذ إن المهجورَ لم يرَ خيراً من السيف يمحو به عارَ هجائه، فقتله. ومن ذلك قوله:

أُبْلِغُ فَزَارَةَ أَيُّ لَنْ أَصَالِحَهَا حَتَّى يَنِيكَ زُمَيْلُ أُمِّ دِينَارِ

وزُميل هو ابن أم دينار، وكان إمعاناً في هجائه يقول له حينما يقابله: يا زميل ألا تفعل بأَمَك حتى أصالح قومي؟! حتى سمَّه الفزاريّ واغتناله^(٦٧٩). وفيه كان المثل: مَحَا السَيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعًا، فهو من قول الكمي^(٦٨٠):

أَبَتْ أُمُّ دِينَارٍ فَأَصْبَحَ فَرْجُهَا حَصَانًا وَقُلْدَتْهُمُ قَلَابِدُ قَوْزِ عَا
خُذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمْ الْعَقْلَ قَوْمُكُمْ وَكُونُوا كَمَنْ سَيِّمَ الْهَوَانَ فَارْتَعَا
وَلَا تُكْثِرُوا فِيهِ الضَّجَاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا

(٦٧٧) انظر: ريام، حاجم وكاظم محراث، الشاعر مقتله بين فكيه، بحث علمي في مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، العدد: ٢٢، سنة ٢٠١٦.

(٦٧٨) سالم بن دارة: هو سالم بن مسافع، من ولد عبد الله بن غطفان بن سعد، ودارة أمه من بني أسد سُميت دارة لجمالها شُبِهت بدارة القمر، وكان هجاء، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وُعِدَّ في الصحابة. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٣٨٩/١ و ٤٠١، والأمدي، المصدر السابق: ص ١١٦، وابن حجر، المصدر السابق: ٢٠٤/٣، وعبد القادر البغدادي، المصدر السابق: ١٤١/٢، والزركلي، المصدر السابق: ٧٣/٣.

(٦٧٩) ابن حبيب، أسماء المغتالين: ١٧٤/٢.

(٦٨٠) انظر: القاسم بن سلام، المصدر السابق: ص ٣٢٢، والمرزباني، المصدر السابق: ص ٣٤٧، وابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٣٩٠/١، والعسكري، جمهرة الأمثال: ٢٨٨/٢، والميداني، المصدر السابق: ٢٧٩/٢.

وهذا كما قال أبو هلال في كلامه على المثل: (يُضْرَبُ مَثَلًا لِلرَّجُلِ يُجَازَى عَلَى الْمَكْرُوهِ بِأَكْثَرِ مِنْهُ) (٦٨١)؛ فإن كان الشاعر قد أخطأ في هجائه فإن قاتله لم يكن مُصِيبًا في قتله، ليقضي شاعر آخر ضحيةً من ضحايا الاستبداد الفكري.

وما عظم الجزاء هذا على الهجاء إلا لأن العرب أمة الشعر، ولأن الشعر إن مشى في الناس مدحاً أو هجاءً فلا يُمحي، وإن قدر السيف فمحا ابن دارة لكنه أعجز من أن يمحو ما قاله. وحادثة أشد غرابة من حوادث الهجاء ضحيته امرأة، اکتوى قلبها بنار الغيرة بعد أن تزوج زوجها امرأة أخرى، فنالت منه ومن قومه تهجوهم، تلك هي غضوب إحدى بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وكانت شاعرةً، وكانت ناكحاً في بني طهية ثم في بني سبيع، فكانت مع زوجها زماناً، ثم تزوج عليها امرأة منهم، فأولعت بهم تهجوهم، فقالت (٦٨٢):

بُنُو سُبَيْعٍ رَمَعِ الْكِلَابِ

لَيْسُوا إِلَى سَعْدِ وَلَا الرَّبَابِ (٦٨٣)

وَلَا إِلَى الْقَبَائِلِ الرَّغَابِ

كَمْ فِيهِمْ مِنْ طَفَلَةٍ كَعَابِ (٦٨٤)

وَكَعَاءَ ذَاتِ رَكْبٍ قَبْقَابِ

خَبِيثَةِ الْمَشْعَرِ فِي الثِّيَابِ (٦٨٥)

تَتَّبِعُ كُلَّ عَرَبٍ وَثَابِ

فأوعدها رجالاً منهم، فلم تأبه لهم ونالت منهم تهجوهم. فلما سمعوا ذلك مشوا إليها، فضربوها، فقتلت.

حتى المرأة دفعت ثمن الكلمة وما أقساه من ثمن! إنه الحياة. دفعت حياتها ثمن هجاء قاتله حميةً منها وغيره نسويةً، فضاقت بها أناس محسوبون رجالاً!

(٦٨١) العسكري، جمهرة الأمثال: ٢٨٨/٢.

(٦٨٢) ابن حبيب، أسماء المغتالين: ٢٩٢/٢، ومارديني، المصدر السابق: ص ٢٨٧. وانظر: البلاذري، المصدر السابق: ٢٨٣/١١.

(٦٨٣) الرَّمَعُ: جمع زمعة، وهي الشعرة المدلاة في مخر رجل الشاة؛ تريد أنهم أرادوا الناس.

(٦٨٤) الرغاب: الكثيرة النفع، والكعاب: الفتاة نهد ثديها وارتفع، وامرأة طفلة الأنامل: ناعمتها.

(٦٨٥) وكعاء: حمقاء، والرَّكْبُ: العانة أو الفرج نفسه، والقبقاب: الفرج الواسع، والمشعر والشِّعَار: ما ولي شعر جسد الإنسان ويُكنى به عن البطانة.

أمّا وقد وقع سوط الاستبداد في ظهر المرأة العربية في الجاهلية على رقّتها وشدة حساسيتها عندهم، فوق أنها لم تخرج بغير الكلام فوق المستبدين؛ فلا عجب أن نقف على حادثة أخرى تحكي الاستبداد الفكري ضد المرأة عبر التضييق عليها حتى في القول، فقد روى الأصفهاني(٦٨٦):

أن يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعب اليمينيون أغاروا على بني عامر، فأسر يزيدُ عامرَ بنَ مالكٍ ملاعب الأستة وأخاه عبيدة (الوضّاح) بن مالك، ثم أنعمَ عليهما وأطلقهما، فلما مات يزيد بن عبد المدان قالت زينب بنت مالك(٦٨٧) أخت ملاعب الأستة تراثيه(٦٨٨):

بَكَيْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
شَرِيكُ الْمُلُوكِ وَمِنْ فَضْلِهِ يُفَضِّلُ فِي الْمَجْدِ أَفْضَالَهَا
فَكَكَّتْ أَسَارَى بَنِي جَعْفَرٍ وَكُنْدَةً إِذْ نَلَّتْ أَقْوَالَهَا(٦٨٩)
وَرَهْطُ الْمُجَالِدِ قَدْ جَلَّتْ فَوَاضَلُ نُعْمَاكَ أَجْبَالَهَا

فلام بنو عامر زينب بنت مالك على بكائها يزيد بن عبد المدان وراثتها له، لأنه يمانّي وهم نزاريون، فقالت زينب(٦٩٠):

أَلَا أَيُّهَا الزَّرَّارِيُّ عَلَيَّ بِأَنْتَنِي نِزَارِيَّةٌ أَبْكِي كَرِيمًا يَمَانِيًّا(٦٩١)
وَمَالِي لَا أَبْكِي يَزِيدَ وَرَدَّنِي أَجْرٌ جَدِيدًا مِدْرَعِي وَرَدَائِيًّا(٦٩٢)

وهذا من التحجير على الشعراء في القول؛ فليس له أو لها مدحٌ من يخالف قومهم أو من يروونه عدواً لهم، فيحجرون عليهم أن يقولوا فيما لا يوافق مذهب القبيلة. وسيأتي الكلام على

(٦٨٦) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٢١/١٢، ويعقوب، المصدر السابق: ص ٨٧.
(٦٨٧) زينب بن مالك: هي زينب بن مالك بن جعفر بن كلاب، من بني عامر، شاعرة مقلّة، وهي أخت أبي البراء عامر بن مالك المشهور بملاعب الأستة، وأمها أم البنين من النساء المنجبات، ولها أخوة كثير، وزينب هي عمة الشاعر لبيد بن ربيعة العامري.
انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٢١/١٢، ومارديني، المصدر السابق: ص ٧٧، ويعقوب، المصدر السابق: ص ٢٠.

(٦٨٨) مارديني، المصدر السابق: ص ٢٦٠.
(٦٨٩) بنو جعفر: هم قوم الشاعرة، والأقوال والأقبال: جمع قَيْل، وهو الملك عند أهل اليمن.
(٦٩٠) مارديني، المصدر السابق: ص ٢٦١.
(٦٩١) الزاري: الذي ينكر على الإنسان فعله، زَرَى عليه فعله: عَابَهُ عليه وعَقَفَهُ.
(٦٩٢) المدرع: ضرب من الثياب.

الاستبداد ضد المرأة في الجاهلية^(٦٩٣)، وسبق الكلام على المرأة التميمية وقد أحرق الملك المستبد أهلها ورغبَ بها، فأجابته بإباء وعزّة، فدفعت الثمن حياتها وأحرقها مع قومها^(٦٩٤).

وحيث إن الكلام في الدين والفكر، وكما مرّ فجزيرة العرب ضمت مع الأكثرية الوثنية بعض اليهود والنصارى، ومع البحث فيما وصل إلينا ليس فيه شيء يدل على استبداد ديني تجاه اليهود والنصارى. بل في الخبر أن قبائل اليهود (قريظة والنضير) تحالفت مع الأوس على الخزرج في يوم بُعث، فانهزمت الخزرج، ويقال: إن الأوس امتنعت عن انتهاب بيوت الخزرج، وإنما سلبهم قريظة والنضير، فذكر قيس بن الخطيم ترُفَعُ قومه عن نهب خصومهم وقد قدروا على ذلك في قصيدة له، فأجابه عبد الله بن رواحة^(٦٩٥):

يَا قَيْسُ أَنْتُمْ شِرَارُ قَوْمِكُمْ قَدِمَا، وَأَنْتُمْ أَغْتُهُمْ نَسَبًا^(٦٩٦)
حَالَفْتُمْ الْفُحْشَ وَالْخِيَانَةَ وَالـ بُخَلَ جَمِيعًا وَاللَّوْمَ وَالْكَذِبَا^(٦٩٧)
يَا قَيْسُ إِنَّ الْأَسْلَابَ أَحْرَزَهَا مَنْ كَانَ يُغْشِي الذُّوَابَ الْقُضْبَا^(٦٩٨)

فاليهود لم يكونوا واقفين على الحياد دائماً، بل يُعينون هؤلاء على أولئك، ويفعلون بالناس ما يمسك الجاهليون العرب المشركون عن فعله أحياناً، لفحشهم وخيانتهم ولؤمهم كما يقول الشاعر. وفي الاستبداد السياسي رأينا كيف كان الفطيون يفعل بالنساء عندما ملك وعظم شأنه في يثرب^(٦٩٩).

(٦٩٣) انظر: ص ١٧٥.

(٦٩٤) انظر: ص ٥١.

(٦٩٥) عبد الله بن رواحة، ديوانه (تحقيق: وليد قصاب)، دار العلوم للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨١: ص ١٢٥.

(٦٩٦) الغت: الهزيل الفاسد.

(٦٩٧) يشير إلى مخالفة الأوس لقريظة والنضير من اليهود.

(٦٩٨) الأسلاب: جمع سلب، وهو ما يُسلب من القتل أو الأسير، والذوائب: جمع ذُؤابة، وهي مقد شعر الرأس، والقضب: السيوف، جمع قضيب.

(٦٩٩) انظر: ص ٧٩.

خلاصة

وهكذا وجدنا العرب الجاهليين كانوا أكثر ميلاً للحرية الدينية، أو اللامبالاة في أمر الدين بشكل أدق، وكيف انقلب ذلك شدةً وغلظةً مع بداية الدعوة الإسلامية ضد من يعتنق الدين الجديد. فلم تقع حرب بسبب الدين في الجاهلية^(٧٠٠)، وما كان من حروب تشتبه أن تكون دينيةً كان نحواً من أيام العرب في الجاهلية حول الزعامة وقيادة العرب، وليس بسبب الدين.

لكن جزيرة العرب في الجاهلية كانت مفتوحة أمام الدول المجاورة بمذاهبها الفكرية والدينية، فتسربت إليها النصرانية واليهودية والمجوسية، دون أن تُسجّل أية ممارسات استبدادية ضد من ينتسب لهذه الأديان أو المذاهب وقتذاك.

ووجدنا الاستبداد يضرب حملة الفكر من الشعراء، الذين عرفوا للكلمة أهميتها وأبوا أن يبيعوا ضمائرهم وأشعارهم على موائد الملوك المستبدين، فكان عدد يسير من الشعراء ممن تملقوا ومدحوا الملوك المستبدين بخضوع وتذلل لم يُعرف عن العرب في جاهليتهم؛ ومثل هؤلاء يكونون عوناً للمستبدين في كل مكان وكل زمان، فإنه (حيث يوجد السادة المتكبرون يوجد الأتباع المتملقون والأشباع المُرءؤون. وجوّ الحكم المطلق أحفلُ الأجواء بجماهير العبيد الراضخين للهُون عن طواعيةٍ أو كراهيةٍ. وطبيعة المستضعفين أن يُسارعوا إلى مرضاة رؤسائهم وإجابة رغائبهم، ولو داسوا في ذلك مقدسات الأديان والأخلاق. والحاكم المستبد يبارك هذه الطبيعة الدنسة ويُغدق عليها. ولو راجعنا الصحائف السود لتاريخ الاستبداد السياسي في الأرض لوجدنا مُراءاة الحكّام وقد وطّأت أكتاف المنكر، وأقامت للأكاذيب سوقاً رائجة، وقلبت الحقائق وصنعت الدواهي. عندما تفسد الدولة بالاستبداد، وعندما تفسد الأمة بالاستعباد يعتبر الرياء هو "العملة" السائدة، وقاعدة تقرير الأمجاد لطلاب المجد الكاذب، وتقريب المنفعة لطلاب المنفعة الزائلة، وهو حينئذ خلق السادة والعبيد)^(٧٠١).

والقسم الأكبر من الشعراء كان على ما عُرف عن عرب الجاهلية من إباء الضيم ورفض المهانة، وإن كان مع الملوك الجبابرة المستبدين، حتى وإن دفع الثمن حريته أو دمه، فلا يرضخ لتهديد أو وعيد ولا يذلّ.

(٧٠٠) انظر: فرغلي، المصدر السابق: ص ١٧.

(٧٠١) محمد، الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ٦، ٢٠٠٥: ص ٣٨، وص ٤٣.

وقد ضرب الاستبداد الفكري الشعراء والشواعر في الجاهلية؛ فلم تكن المرأة في مأمّن منه، لكنها كذلك لم تخضع، بل تأبّت وقالت شعراً وصل إلينا - على قَلْتَه - وفيه إباء وعزّة وحرية. إنّ الاستبداد الفكري وإنّ كنا نعيش منه ألواناً شتى هذه الأيام لكنه قديم؛ وكما عرفه العرب في جاهليتهم عرفته الأمم الأخرى، فسقراط أعدمته أثينا عام ٣٩٩ قبل الميلاد بتهمّتي الهرطقة وإفساد الشبيبة، فتّم الحكم عليه بالإعدام بسبب آرائه بجرعة سمّ مع تصويت بالأغلبية على مقتله. وفي القرن السابع عشر أيضاً أعلنت الكنيسة لعن الفيلسوف باروخ إسبينوزا ونفيه مع تحريم الاقتراب منه وقراءة كتبه، وفي بداية عام ١٦٠٠ للميلاد تم إحراق المفكر الإيطالي (جيوردانو برونو) حيّاً في ساحة عامة^(٧٠٢). فيأخذ الاستبداد الديني والفكري في كل زمان ومكان ألواناً جديدة^(٧٠٣).

لذا لا يبعد ما قاله الجاحظ قديماً بعدما رأينا ضريبة الكلمة الحرة في الجاهلية، يقول: (وإذا تأملت أخبار الماضين لم تُحصِ عددَ مَنْ قَتَلَهُ لسانه وكان هلاكه في كلمةٍ بدرت منه)^(٧٠٤).

وأعاد غوستاف لوبون نحو ما جاء عند الجاحظ، فقال: (تبيّن عند البحث في الجماعات أنها تتأثر على الأخصّ بالصور، وليست الصور ممكنة في كل وقت، لكن من السهل استحضارها بالذهن في استعمال الألفاظ والجمل، ومتى كان المستعمل لها بارعاً فلها قوة السحر عند معتقديه في الزمن السابق، فهي التي تثير في نفوس الجماعات أشد صواعق الغضب، وهي التي تسكّنها إذا جاشت، ولو جُمعت عظام الذين ذهبوا ضحية الألفاظ والجمل لأمكن أن يُقام منها هرمٌ أرفع من هرم خيوبس القديم)^(٧٠٥). وهذا تأكيدٌ لخطورة الكلمة، وأنها أخطر ما تكون إن خرجت من شاعر يعرف ما يقول وكيف يقول، فتتحرك بكلماته جماهير، لكن المأساة الحقيقية أن ضحايا الكلمة في كل زمان وكل مكان وفي كل الأمم أكثر من أن يأتي عليهم الحصر والعدّ.

(٧٠٢) جلبي، المصدر السابق: ص ٧٤.

(٧٠٣) انظر: كاظم الوالي، المصدر السابق: ص ٣١٠.

(٧٠٤) عمرو بن بحر، أبو عثمان الجاحظ، رسائل الجاحظ (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٧٩: ١٧٠/١.

(٧٠٥) لوبون، المصدر السابق: ١١٢.

* الفصل الثالث:

الاستبدال الاجتماعي والاقتصادي

❖ تمهيد عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجاهلية

❖ تعريف الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي

- مظاهره.
- الاستيلاء على أموال الناس بالقوة وقتلهم للاستحواذ على أموالهم.
- ضد الوالدين.
- الاستبداد بالميراث والدية والغنيمة دون بقية المستحقين.
- التمييز بين الإخوة في العطاء.
- تقاتل الإخوة والأقارب بسبب الاستبداد بالمال.
- إيذاء الآخرين وتعييرهم.
- احتقار الفقراء والمحتاجين.
- استضعاف الغريب وإيذاء المستجير.
- الصعلكة.
- الخلع من القبيلة واستضعاف الخليع.
- احتقار السود من العبيد والإماء وإذلالهم.
- ضد المرأة:
- كره البنات.
- الإكراه في الزواج.
- قتل العاشق بسبب العشق والغزال.
- خصي الرجل بسبب التقدم للزواج.
- عضل النساء ومنعهن من الزواج.
- تعرية المرأة من لباسها وإذلالها.
- استبداد الحكام بالأموال دون الرعية.
- فرض الملوك والحكام الضرائب وأخذها بالقوة وقتال من يمنعها.

❖ خلاصة

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجاهلية:

بيّن ابن خلدون في أحوال العمران البشري أن العمران منه ما يكون بدوياً، وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحِلل المنتجعة في القفار وأطراف الرمال، ومنه ما يكون حضرياً، وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن والمدنر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها، ويرى أن وجود البدو متقدّم على وجود المدن والأمصار^(٧٠٦). فالمجتمع العربي في الجاهلية كان موزعاً في الجزيرة العربية بين بدو أهل وَبَر وحضر أهل مَدَر؛ يعيش أهل المدر في الحواضر من الزرع والنخل والتجارة والحرف اليدوية والتجارة، ويعيش أهل الوبر في الصحارى من الأنعام وألبانها ولحومها منتجين منابت المطر في حلّ وترحال. مع اختلافات يسيرة بين عرب الشمال وعرب الجنوب وقتذاك.

وسبق أن الغالب على جزيرة العرب الجفاف^(٧٠٧)، وكان لهذه الطبيعة أثرها في حياة العرب الجاهليين السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فغلبت البداوة عليهم، حتى من سكنوا الحواضر لم يكونوا كحضر الروم وفارس، بل كانت النظم الاجتماعية والسياسية متطابقة في أكثرها^(٧٠٨)، وكان للصحراء كبير الأثر في نفوسهم وأخلاقهم.

وسبق أن النظام السياسي في الجاهلية كان يقوم على القبليّة؛ فالقبيلة هي عماد الحياة العربية في الجاهلية، وتحت مسمى القبيلة تنضوي عدة أقسام حتى تنتهي إلى أصغر دائرة اجتماعية وهي الرّهط، وتعني الرجل وأسرته^(٧٠٩). والقبائل مثل الدول منها القوية التي تدافع عن نفسها وأبنائها وأرزاقها^(٧١٠) ومنها الضعيفة التي قد يُعتدى عليها فلا تقوى على الصمود في وجه المعتدين حتى تتحالف مع غيرها أو تلجأ إلى قبيلة أقوى منها.

(٧٠٦) ابن خلدون: المصدر السابق: ٣٣٦/١، ٤٧٢/٢.

(٧٠٧) انظر: علي، معطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط١، ٢٠٠٣: ص ٣٨.

(٧٠٨) انظر: بحري، المصدر السابق: ص ٤١، وجواد علي، المصدر السابق: ٢٨٤/٤.

(٧٠٩) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٣١٩/٤؛ وينقل عن النويري أنها عشر طبقات، هي: الجذم وهو الأصل، ثم الجماهير، ثم الشعب، ثم القبيلة، وبعدها البطون، وبعدها الأفخاذ، وبعدها العشائر، وبعدها الفصائل، وعاشرها الرّهط. مع خلاف بين العلماء في هذه التقسيمات والمسميات وما تعنيه.

(٧١٠) لذلك اشتهرت ألقاب تدل على ذلك لبعض القبائل، فعُرفت بعضها بأَمّ القبائل، وغيرها بالجمام أو الجمرات أو الأثافي. انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٣٣٤/٤.

وحيث إن مبنى القبيلة اجتماعها في الانتساب إلى جدّ واحد فالنسب هو أصل هذه الرابطة وعمادها، قريباً كان في الرجل وأهل بيته أو بعيداً لجد القبيلة الأكبر، وعليه كانت طبقات الناس في المجتمع القبلي الجاهلي، وهم: الصرحاء، والحلفاء والجيران والموالي، والعبيد^(٧١١)؛ فالصرحاء هم ذوو النسب الخالص المنحدرون من جد القبيلة، ودون الصريح الهجين وهو ولد العربي من غير العربية، وأكثر هؤلاء من أبناء الإمام السود، وهؤلاء الهجناء هم من عرفوا بأغربة العرب لغلبة السواد عليهم من أمهاتهم، وكانوا في منزلة منحطة دون العربي الصريح في الجاهلية للدم الأعجمي الذي فيهم؛ فميّزوا الهجناء بكلمة الأغرّة تشبيهاً لهم بالطائر البغيض المشؤوم في لونه^(٧١٢).

والموالي: عبيد أعتقوا بفكّك أو مكاتبه أو تدبير فصاروا خدماً لمعتقهم بعد أن كانوا مملوكين، وهؤلاء الموالي كانوا أقلّ شأناً في الجاهلية من الأحرار، حتى إنه قلّ أن يزوّج الأحرار بناتهم للموالي. والحلفاء من كان نسبهم نسب استلحاق بأن يضمّ إنساناً شخصاً إلى نسبه ويُلحقه به ويجعله في حمايته، وقد يُنسى مع الزمن أصل الاستلحاق فيصير نسب الاستلحاق نسباً صريحاً، ويُسمّون بالنواقل.

والجوار كالحلف يكون في الأفراد كما يكون في القبائل، وتكون الإجارة على أنواع^(٧١٣)، ويكتسب الجوار حكمه بإعلان الطرفين قبولهم له على المأ في أعمال وطقوس هي أقرب ما تكون للإجراءات الإدارية لإنجاز الإجارة^(٧١٤)، وقد يدخل نسب المستجير بنسب المجير ويلحق به، وإذا أرادوا إنهاء تحالفهم أعلنوا ذلك أيضاً، وإن تمّ إنهاؤه من طرف واحد وقت الحاجة إليه كان ذلك عندهم غدراً وخيانةً، ومن جهة المستجير عليه أن يلتزم بأداب مجيره فلا يفعل ما يسيء إليه ويحمله على إلغاء الجوار ونقض حمايته.

ومما اشتهر في النظام القبلي الجاهلي الخلع^(٧١٥)، فمع شدة اعتداد الجاهليين بالقبليّة وعصبيّتهم كانت القبيلة تضطرّ عندما يخرج شخص منها على أعراف القبيلة ويكسرهما أو يجرم

(٧١١) رنا الصافي، المصدر السابق: ص ٤٢.

(٧١٢) انظر: عبده، بدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨: ص ٢١.

(٧١٣) انظر: سمار، المصدر السابق: ص ٩٨.

(٧١٤) انظر: سمار، المصدر السابق: ص ١٠٩.

(٧١٥) انظر: عبد الغني، زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ٢٠٠١: ص ٩٢، وجواد علي، المصدر السابق: ٤/٤١٠، وضيف، المصدر السابق: ص ٦٧.

جرماً ينافي شرف القبيلة دون أن يسمع نصائح أهله وعشيرته أن يخسر انتماءه للقبيلة، فتُعلن القبيلة تبرؤها منه وتُسقط انتماءه إليها، فيهيم طريداً شريداً بين القبائل، حتى لَيْسَمُونَه: اللعين^(٧١٦)، فكانت عيشة الخلعاء صعبة في الجاهلية، وقد تدفعهم إلى مزيد من التمرد لحماية أنفسهم وتأمين معاشهم.

ومن هذه التقسيمات كانت أكبر مشكلة ضربت المجتمع الجاهلي، وهي الطبقة الاجتماعية والاقتصادية؛ فالهجين دون الصريح في النسب، والعبد دون الحرّ، والأمة دون الحرّة. وظهرت هذه الطبقة في عدة أمور، منها: أثمان الديات وفدية الأسرى؛ فدية الملوك ألف من الإبل تتناقص في طبقات الناس حتى تصل خمساً من الإبل في العامة والمغمورين^(٧١٧).

ومنه ما مرّ من وهم في شفاء دم الملوك من بعض الأمراض^(٧١٨). وكذلك امتناع العرب الأحرار عن تزويج بناتهم للموالي والعبيد، بل للأعاجم عامة وإن كان ملكاً لأنهم يرون الأعاجم دونهم في المنزلة^(٧١٩). وكذلك ما كان من سوء معاملة العبيد والفقراء والاستبداد بهم من أسيادهم في أكثر الأحيان، فطبقة العبيد كانت كبيرة مقهورة في الجاهلية^(٧٢٠)، فقد مرّ أن الحرب كانت غالبية على الحياة الجاهلية، وكانت هذه الحروب أكبر مورد للعبيد، فمن يقع أسيراً - ذكراً أو أنثى - صار ملكاً لأسره، وكانت تجارة الرقيق رائجة في ذلك الوقت في كل الحضارات مما رُفد الجزيرة العربية برقيقٍ من مختلف الجنسيات، وكانوا يسترقون من يعجز عن سداد ديونه^(٧٢١).

ولا يكتمل الحديث عن الحياة الاجتماعية الجاهلية دون الحديث عن نصف المجتمع، وهي المرأة؛ وإذ مرّ اسم الزبّاء ملكة تدمر^(٧٢٢) وأمّ الملك عمرو بن هند^(٧٢٣) فذلك إشارة لما قد بلغته

(٧١٦) انظر: الألويسي، المصدر السابق: ٢٨/٣.

(٧١٧) الألويسي، المصدر السابق: ٢٢/٣.

(٧١٨) انظر: ص ٨٠.

(٧١٩) انظر: أحمد، الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢: ص ١٧٦، ص ١٧٨.

(٧٢٠) انظر: هاني، حمزة، شعر المهتمّشين في عصر ما قبل الإسلام دراسة وفق الأنساق الثقافية، دار الفكر، البصرة، العراق، ط ١، ٢٠١٣: ص ٢٧.

(٧٢١) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٥٦٧/٤.

(٧٢٢) انظر: ص ٨٠.

(٧٢٣) انظر: ص ٤٦.

المرأة في الجاهلية من المكانة أن تسود قومها أحياناً وتغزو بهم^(٧٢٤)، وكان من النساء شوارع كثيرات^(٧٢٥) وكواهن بلغن مكانة عالية في الكهانة^(٧٢٦)، وحكيما ترفع إليهن ويحكمن في الخصومات^(٧٢٧)، وكان للمرأة ذات الشرف والسؤدد أن تُجبر كما يجبر السادة الرجال^(٧٢٨). لكن النساء لم تكن كلهن ذوات جاه وسؤدد، ولم تكن النظرة إلى المرأة دائماً نظرة إيجابية؛ فالمرأة الأمة ذاقت من الظلم ما ذاقه العبيد الرجال^(٧٢٩)، وكانوا ينظرون إلى المرأة نظرة انتقاص، فهي منبع المكر والخداع ومضرب المثل بالكيد فقالوا: كيد النساء^(٧٣٠)، ويتمثلون بالزبّاء وما فعلت بجذيمة الملك، وضربوا الأمثال بالمرأة ورأيها في الحمق والضعف فقالوا: رأي النساء^(٧٣١).

وهذه النظرة زادت أحياناً لتصل لما ذكره القرآن الكريم عن الجاهليين من كره البنات فقال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [النحل: ٥٨]، وقد يزداد كربه من البنت فيدسّها في التراب يوارى عورته بزعمه، وهو ما عُرف عن الجاهليين بوأد البنات^(٧٣٢)، فيحفر الرجل للأنتى المولودة حفرة يدفنها فيها وهي حيّة، على تفاوت بين القبائل في انتشار هذه الجريمة واشتهار بعض الوجهاء بإحياء الموءدة ومنع الوأد^(٧٣٣)، وذكر الباحثون أسباباً عديدة لهذه الجريمة في الجاهلية^(٧٣٤) لا تخرج عن الخلل في الحياة الجاهلية سياسياً وفكرياً واقتصادياً واجتماعياً؛ وكل ما ذكره لا يغفر لأحد هذه الجريمة بحق الإنسان. ليبقى العامل الاقتصادي هو الأقوى كما بيّن القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٣١].

(٧٢٤) انظر: الحوفي، المصدر السابق: ص ٤١١، ص ٤٣٥.

(٧٢٥) انظر في الشوارع من النساء: يموت، المصدر السابق. ومارديني، المصدر السابق. والحوفي، المصدر السابق: ص ٦٠٣.

(٧٢٦) من الكواهن المشهورات في الجاهلية: زرقاء اليمامة، وطريفة الجميرية، وفاطمة بنت مرّ الخثعمية، وسوداء بنت زهرة القرشية. انظر: جمول، المصدر السابق: ص ٩٥ وما بعدها.

(٧٢٧) من الحكيمات المشهورات: ابنة الخسّ، وجمعة بنت حابس الإيادي، وحذام بنت الريان. انظر: الألوسي، المصدر السابق: ٣٣٨/١.

(٧٢٨) انظر: الحوفي، المصدر السابق: ص ٥٣٥.

(٧٢٩) انظر: عبده بدوي، المصدر السابق: ص ٢٨٢، والحوفي، المصدر السابق: ص ٥٠٤، ص ٥١١.

(٧٣٠) انظر: عبد الملك، أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣: ٢٥١/١.

(٧٣١) الثعالبي، المصدر السابق: ٢٥٠/١.

(٧٣٢) انظر: الألوسي، المصدر السابق: ٤٢/٣.

(٧٣٣) انظر: الحوفي، المصدر السابق: ص ٢٩٩، ص ٣٠١.

(٧٣٤) انظر تفصيل ما ذكر عن أسباب وأد البنات في: الألوسي، المصدر السابق: ٤٣/٣، والحوفي، المصدر السابق: ص ٢٩٢، وعبد العزيز سالم، المصدر السابق: ص ٤٤٩.

ومما سبق في بيان انقسام العرب الجاهليين بين البدو والحضر، وشدة أثر العامل الجغرافي في مساكن الناس ومعاشهم، وتفاوت أقسام شبه جزيرة العرب خصباً وجفافاً وغنىً وفقراً؛ نفهم قيام اقتصاد البدو على الأنعام ورعيها، فالمال عندهم الإبل والنوق، وبها يُقدَّرُ الغنى والديات والمهور وفداء الأسرى، فهي عندهم محل الدراهم والدنانير والذهب والفضة^(٧٣٥). وتشارك كل قبيلة في مراعيها ومياها تنود عنها بكل قوتها، فإن غلبت عليها رحلت وتركت أرضها لأن عليها اعتمادها في معاشها، فهذه المراعي العامة لكل أبناء القبيلة^(٧٣٦)، واشتهر عندهم مراعي خاصة كانت تُعرف بالجمي^(٧٣٧)، ابتدعها بعض الملوك فجعلوا لأنفسهم مراعي خاصة تكون لمواشيهم دون باقي القبيلة، كما مرَّ عن كليب^(٧٣٨).

وكذلك نفهم ضعف اهتمام الجاهليين بالزراعة^(٧٣٩) لغلبة الجفاف وقلة الأمطار في أكثر مساحات الجزيرة العربية، بل كانوا يكرهون الزراعة ويعيبون من يشتغل بها، وانحصرت الزراعة عند عرب الجنوب في اليمن^(٧٤٠) وفي بعض حواضر الجزيرة التي يتوفر فيها الماء كثير وبخير، وعليها قامت الحصون والمستوطنات في الحواضر لحماية الأراضي والممتلكات، واستبد بعض الملوك بهذه الممتلكات والأرزاق وملكوا الأرض ومن يعمل فيها وما يخرج منها.

واشتهرت هذه الحواضر والحصون بحرف وصنائع احترفها أهل المدر فيما يلزمهم في حياتهم اليومية كالنجارة والحدادة والحياكة والخياطة^(٧٤١)، مما كان الأعراب يزدرونها وينظرون إلى المشتغلين بها نظرة احتقار وأنها للعبيد والموالي دون الأحرار^(٧٤٢).

لكن جفاف أرض جزيرة العرب لا يخفف من استراتيجية موقعها على طرق التجارة العالمية البرية والبحرية في ذلك الوقت بين حضارات العالم القديم^(٧٤٣)، لهذا ولتفاوت أقاليم الجزيرة

(٧٣٥) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ١٨/٧.

(٧٣٦) انظر: معطي، المصدر السابق: ص ١٢٨، وجواد علي، المصدر السابق: ٩٧/٧.

(٧٣٧) انظر: الألوسي، المصدر السابق: ٣١/٣.

(٧٣٨) انظر: ص ٤٧.

(٧٣٩) انظر: معطي، المصدر السابق: ص ١١٨، والألوسي، المصدر السابق: ٤١٧/٣، وجواد علي، المصدر السابق: ١٤١/٧.

(٧٤٠) انظر: يحيى، العنسي، التراث الزراعي ومعارفه في اليمن، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، اليمن، ط ١، ٢٠٠٨.

(٧٤١) انظر: جمال، علي عامر، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، مصر. ويحيى، الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩.

(٧٤٢) انظر: الألوسي، المصدر السابق: ٣٨٨/٣، وجواد علي، المصدر السابق: ٥٤٣/٧.

العربية فيما بينها اشتغل العرب بالتجارة وكانت عندهم أشرف المهن، حتى كان لبعض الملوك تجاراتهم، وكذلك لبعض النساء^(٧٤٤). وكان لأهل مكة الصدارة في التجارة بين عرب الجاهلية، وأشار إليها القرآن الكريم في ذكره رحلة الإيلاف^(٧٤٥). وتنتقل التجارة البرية في قوافل يكون لها من يحميها في مجاهل الصحراء من اللصوص وقطاع الطرق ممن كانوا يعيشون على السلب والنهب من الخلعاء والصعاليك، فليجأ التجار والملوك لتولية أشد الفرسان حماية تجاراتهم وقوافلهم على جُعلٍ يجعلونه لهم.

وعند الحديث عن التجارة والحياة الاقتصادية عند العرب الجاهليين تلزم الإشارة لما كان يقوم فيها من أسواق^(٧٤٦)، خرجت عن كونها مكاناً محدداً للبيع والشراء وحسب، بل كانت أقرب ما تكون في عصرنا الحاضر للمعارض الموسمية والمهرجانات، فهي تُقام في مختلف مناطق جزيرة العرب، ولتسهيل حضور الناس فيها كانت أشهرها تُقام في الأشهر الحُرْم^(٧٤٧)، وينتقل الناس بينها لحضورها والمشاركة فيما يكون فيها من بيوع وأنشطة أخرى؛ فقد كانت مجامع للشعراء والأدباء والخطباء، وفيها تُعلن الأحلاف والمعاهدات، والخلع والولاء، ويجلس فيها الناس للتحاكم إلى حكام العرب فيما يشجر بينهم^(٧٤٨). وأشهر هذه الأسواق: عكاظ وذو المجاز ودومة الجندل وهجر والشحر. ويكون لها من يديرها، ويقصدها بعض الملوك والزعماء من العرب وغيرهم يسلبون روادها ضرائب وإتاوات يستوفون نصيبهم من الربح^(٧٤٩).

ومع عدم انتظام العرب في مجتمعات سياسية كبرى، تحكمها إدارة واحدة تسيّر أمورها وتوزّع الخيرات فيها كما توزّع الأعمال وُجدت الطبقة الاقتصادية^(٧٥٠) على نحو ما عاشوه من طبقية اجتماعية، بل تعززت الطبقة الاجتماعية بالمال، فكانت قوة الأشراف والأسياد بما يملكون من أموال وتجارة، وأكثر من ذلك عند الملوك المستبدين. وكان مما زاد في الطبقة

(٧٤٣) انظر: محمد حمزة، الشمري، موائئ شبه جزيرة العرب وأثرها في التجاري البحري قبل الإسلام، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠٤. ومعطي، المصدر السابق: ص ١٨٦.

(٧٤٤) انظر: الحوفي، المصدر السابق: ص ٣٣٠.

(٧٤٥) انظر: فكتور، سخاب، إيلاف قريش رحلة الصيف والشتاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٢. والألوسي، المصدر السابق: ٣/٣٨٥، وجواد علي، المصدر السابق: ٧/٢٨٥، وعبد العزيز سالم، المصدر السابق: ص ٣٥٧.

(٧٤٦) انظر: سعيد، الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط ٢، دمشق.

(٧٤٧) لكن العرب لم يكونوا سواء في تعظيم حرمة الأسواق، فقد كان منهم من يخرق حرمتها ويتجاوز فيها. انظر: سعيد الأفغاني، المصدر السابق: ص ٨٠، ص ٢٠٢.

(٧٤٨) انظر: سعيد الأفغاني، المصدر السابق: ص ٢٠٥، وجواد علي، المصدر السابق: ٧/٣٨٣.

(٧٤٩) كانت بعض هذه الأسواق تُقام تحت حماية كسرى كسوق المشقر ويتحكم فيه وفي تجارته. انظر: سعيد الأفغاني، المصدر السابق: ص ١٩٥.

(٧٥٠) انظر: عبد العزيز سالم، المصدر السابق: ص ٤٣٧.

الاقتصادية ما انتشر عندهم من أمر الربا؛ ففي الظروف الاقتصادية التي كانت سائدة في ذلك العهد من عدم وجود صناعات وحرف يستثمر فيها أصحاب الأموال أموالهم وجدوا في إقراضه والاستفادة من رباها باباً لتكثير المال، فكانوا يشتتون في الربا، وأكثر المرابين كانوا من اليهود وهم زادوه في الجزيرة العربية عندما دخلوها وإن لم تقتصر عليهم^(٧٥١). وكذلك ما كان يفرضه الملوك وسادات القبائل وأصحاب الأموال من مكوس^(٧٥٢) وإتاوات^(٧٥٣) وأعشار^(٧٥٤) على الناس في مختلف أرزاقهم ومعاشهم. يقول الأستاذ الأفغاني: (وقد امتدّ تحكّم تجار العرب إلى القوت الضروري، فكانوا يحتكرونه على الفقراء، فيتلقون الركبان ويشترون منهم الطعام، وربما باعوه في مكانه قبل أن يبلغ السوق وقبل أن ينقلوه، ومنهم من كان يشتري ويبيع لحساب أهل البادية فيلحق بهؤلاء الضرر البالغ لجهلهم أمور التجارة، بعيدون عما يباع ويشتري لهم، .. فلما كان الإسلام نهى عن جميع هذه المفاصد جملةً)^(٧٥٥).

ومن هذه الأحوال الاجتماعية والاقتصادية المختلّة في الجاهلية كانت ظاهرة الصعلكة^(٧٥٦)، فالصعاليك فئة ظهرت في الجاهلية لأسباب اقتصادية واجتماعية أهمّها النظام الطبقي واختلال توزّع الثروة^(٧٥٧)، واتخذ الصعاليك من الغزو والنهب سبيلاً لكسب قوتهم وإعادة التوازن للنظام الاجتماعي والاقتصادي في نظرهم. وكانت عصابات الصعاليك تتألف من ثلاث طوائف: خلاء شدّاذ خلعتهم قبائلهم وتبرأت منهم لجرائهم، وأغربة سود ظلّموا لأنهم أبناء حبشيات لم يعترف بهم أبائهم غالباً، وتمرّدون امتهنوا الصعلكة حرفاً. واشتهر من الصعاليك عروة بن الورد

(٧٥١) انظر: جواد علي، المصدر السابق: ٤٢١/٧. وسعيد الأفغاني، المصدر السابق: ص ٦٠.

(٧٥٢) مكس في البيع يمكس مكساً: إذا جبي مالا، هذا أصل معنى المكس، وهو ما يأخذ العشار، والمكس: دراهم كانت من بائعي الأسواق في الجاهلية. انظر: الزبيدي، المصدر السابق: مكس.

(٧٥٣) الإتاوة: الجباية، وأدى إتاوة أرضه أي: خراجها. الزبيدي، المصدر السابق: أتو.

(٧٥٤) المراد بالعشر: عشر أموال الناس التي يأخذونها منهم.

(٧٥٥) سعيد الأفغاني، المصدر السابق: ص ٥٦.

(٧٥٦) انظر: خليف: المصدر السابق. ولعلها أفضل الدراسات المعاصرة وأقدمها في موضوع الصعلكة. وانظر: فضل، العماري، الصعاليك قراءة أخرى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط ١، ٢٠١٢. وعبد الحليم، حفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧. والأمين، عبد القادر، القيم الاجتماعية في شعر الصعاليك، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، السودان، ٢٠٠٨. وغيثاء، قادرة، لغة الجسد في أشعار الصعاليك، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٣. وحسن، ربابعة، الغارة عن الشعراء الصعاليك في الجاهلية، بحث علمي في مجلة جامعة الملك سعود، السعودية، المجلد ١٠، ١٩٩٨. ويحيى، جبر (بالاشتراك مع عبيد حمد)، بذور النقد السياسي في شعر الصعاليك، بحث علمي مقدم لمؤتمر الأدب والأديب والحاكم، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٩.

(٧٥٧) ذكر الدكتور خليف ثلاثة تفاسير للصعلكة: جغرافي واجتماعي واقتصادي. انظر: خليف، المصدر السابق: ص ٦٣، ص ٨٩، ص ١٢٣.

والشغرى وتأبط شراً والسليك بن السلكة. ورأى معاصرون في ظاهرة الصعلكة دعوة اشتراكية قديمة تشرك الفقراء في مال الأغنياء وتجعل لهم نصيباً، بل حقاً يغتصبونه إن لم يُؤدَّ إليهم، وتهدف إلى تحقيق لون من ألوان العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي^(٧٥٨).

الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي:

تعريفه:

لما كان الاستبداد الانفراد بالسلطة مما حقه الاشتراك والمشورة، وغلبة الآخرين وقهرهم والتسلط عليهم، وانتزاع ما في أيديهم بغير حق؛ نجد الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي: غلبة الناس على أملاكهم والاستئثار دونهم بما هو حقّ مشترك، وقهر الناس والتسلط عليهم بسبب اللون أو العرق أو الجنس.

مظاهره:

لما كان رهطُ الرجل أسرته أصغر وحدة اجتماعية في المجتمع العربي الجاهلي فالنظر فيما كان فيها من تجاوزات أو ممارسات استبدادية من باب الأولى، فالإنسان يعيش حياته الأولى في أسرته وبين أقاربه، ومع ما عرفنا عن الجاهليين من العصبية للدم، ومع شواهد تعظيم الأبوين لا سيما الأم^(٧٥٩)؛ نفترض ألا نجد خللاً في الدوائر الاجتماعية الصغرى في المجتمع، لكننا مع الجاهليين في ظل الاستبداد نجد من ملك قوة قد ينحرف فيها، حتى لنجد أمّاً تقول^(٧٦٠):

رَبِّيْته وَهوَ مِثْلُ الفَرخِ أَعْظَمُهُ	أُمُّ الطَّعامِ، تَرى فِي جِدِّهِ رَغَبًا ^(٧٦١)
حَتَّى إِذَا أَضَ كَالْفَحَّالِ شَدَّبَهُ	أَبَارُهُ وَنَفَى عَن مَتْنِهِ الكَرَبَا ^(٧٦٢)
أَنْشَا يُمَرِّقُ أَثوابِي يُؤدِّبُنِي	أَبْعَدَ شَيْبِي عِنْدِي تَبْتَغِي الأَدْبَا ^(٧٦٣)
قَالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْمًا لِنُسْمَعَنِي	مَهْلًا فَإِنَّ لَنَا فِي أُمَّنَا أَرْبَا ^(٧٦٤)

(٧٥٨) انظر: نوري، حمودي القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ٢٠٠٤. وبوجمعة، بويحيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١: ص٧٠. وخليف، المصدر السابق: ص٤٩.

(٧٥٩) انظر: زيتوني، المصدر السابق: ص١٣٠.

(٧٦٠) المرزوقي، المصدر السابق: ٧٥٦/٢، ومارديني، المصدر السابق: ص٢١١، ومعمر بن المثنى، أبو عبيدة، العقبة والبصرة (ضمن نوادر المخطوطات): ٣٩٠/٢.

وأم ثواب: شاعرة جاهلية لا ذكر لها إلا في مناسبة هذه الأبيات.

(٧٦١) أم الطعام: البطن، والزغب: ما يبدو من ريش الفرخ.

(٧٦٢) أض: صارَ وتحولَ عن حاله، والفحّال: فحل النخل، والتأبير: التلقيح، والأبار: الملقح للنخل، والمتن: الظهر، والكرب: أصول السعف؛ تريد أنه كبر واستقام ووجد القوة باستصلاح نفسه.

(٧٦٣) أنشا: ابتداءً، وخفف الهمزة للضرورة. ويمزق أثوابي: كناية عن الإهانة والتقريع.

وَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي نَارٍ مُسْعَرَةٍ ثم استطاعتْ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطْبًا(٧٦٥)

فهذه أمُّ ثَوَابِ الهَزَانِيَةِ تشكو ابناً لها حملته وربَّته تُطعمه من لحمها ليقوى لحمه وتكسر من عظمها ليشدد عظمه، فلما بلغ أشده قابلاً بالبرِّ عقوقاً وبالتضحية إهانةً وتقريباً؛ ليس إلا لأن امرأته أرتته على أمه؛ فالعلاقة مضطربة في البيت، والأمُّ المسنَّة التي هي في أمسِّ الحاجة لردِّ الجميل والمعاملة بالحسنى تعاني عقوق ابنها. وهذا أبُّ يصرخ(٧٦٦):

غَدَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعُلْتُكَ يَافِعاً تُعَلُّ بِمَا أُذْنِي إِلَيْكَ وَتُنْهَلُّ(٧٦٧)
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشُّكُوِّ لَمْ أَبْتَ لِشُكُوكِ إِلَّا سَاهِراً أَتَمَلَّمُ(٧٦٨)
كَأَنِّي أَنَا المَطْرُوقُ دُونَكَ بِالذِّي طَرَقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمَلُ(٧٦٩)
فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمَلُّ
جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهاً وَغِلْظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُنْتَفِضِلُّ(٧٧٠)
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبْوْتِي فَعَلْتَ كَمَا الجَارُ المُجَاوِرُ يَفْعَلُ
وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ المُقَدِّدِ رَأْيُهُ وَفِي رَأْيِكَ التَّقْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ(٧٧١)

إنه أمية بن أبي الصلت الشاعر الحكيم، لكنها لوعة أبٍ هذه استبداد ابنه به، بعد أن غذاه وربَّاه وكان إن مرض هو عنه يسهر على راحته، فلما استوى رجلاً كما كان يحلم أبوه انقلبَ فظاً على أبيه غليظاً يسفه أباه – وهو من هو في العلم والحكمة وقتذاك- حتى ليتمنى الأب المكلوم أن يعامله كما يعامل جاره لهول ما يجد من عقوقه.

(٧٦٤) عرسه: امرأته زوجته، والأرب: الحاجة.

(٧٦٥) مسعرة: موقدة محرقة.

(٧٦٦) المرزوقي، المصدر السابق: ٧٥٣/٢، وابن أبي الصلت، المصدر السابق: ص ٤٣٠؛ وفي الأبيات خلاف قديم في نسبتها، رجح الدكتور عبد الحفيظ السطلي محقق ديوان أمية أنها لأمية بن أبي الصلت، انظر: ابن أبي الصلت، المصدر السابق: ص ١٦٥.

(٧٦٧) غدوتك: من الغذاء: الطعام والشراب، وعلتک: أنفقت عليك. واليافع: مقتبل الشباب، تُعل: من العَلل وهي الشربة الثانية، وتنهل: من النهل وهو أول الشرب.

(٧٦٨) نابتك: أصابتك، وتململ الإنسان: تقلب.

(٧٦٩) المطروق: مفعول من طرقه: إذا جاءه ليلاً، وتهمل: تفيض بالدمع وتسيل.

(٧٧٠) الجبه: الاستقبال بالمكروه.

(٧٧١) القند: الخرف وإنكار العقل من مرض أو هرم.

ويزيد العقوق ويقسو بالوالدين استبداد الأبناء لنسمع هجاء الأبوين، كما هو حال الحطيئة إذ يقول في هجاء أمه (٧٧٢):

تَنَحِّي فَاجْلِسِي مِنِّي بَعِيداً أَرَاخَ اللَّهُ مِنكَ الْعَالَمِينَ
أَغْرَبَالاً إِذَا اسْتُودِعْتَ سِرّاً وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ (٧٧٣)
حَيَاتُكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةً سُوءٍ وَمَوْتُكَ قَدْ يَسِرُّ الصَّالِحِينَ

وقال يهجو أباه وأمّه (٧٧٤):

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي النَّسَاءِ فَسُوِّتِي وَأَبَا بَنِيكَ فَسَاءَنِي فِي الْمَجْلِسِ

وهذا من قبيح القول وشنيع الاستبداد بالأبوين، لكن ما يكون من زنى والعياذ بالله يترك في المجتمع ضحايا يكون بعضهم وبالاً على المجتمع وبنائه وأفراده، ففي أخبار الحطيئة عند الأصفهاني وغيره أنه كان مغمور النسب ابن زنى، ولعل هذا ما يفسر كما مر في الأسباب النفسية (٧٧٥) استبداده في الهجاء كما نرى؛ إذ لا يُتصوّر من شخص سليم العقل والنسب هجاء كهذا في الوالدين، دون أن نبرّر له بذاءته هذه فهو شاعر هجاء يُنازل بلسانه البذيء الكثير من الشعراء وكون نسبه غير معروف فهو مادة دسمة لمن يهجوّه، فاشتدت سطوته اللسانية وبذاءته بأمّه وأبيه.

وفي شعرٍ غير هذا للحطيئة يكشف استبداداً اجتماعياً من لون آخر ساعد في انهيار أخلاقه وبذاءة لسانه، إذ يقول:

تَمَنَيْتُ بَكْرًا أَنْ يَكُونُوا عَمَارَتِي وَقَوْمِي وَبَكْرٌ شَرُّ تِلْكَ الْقَبَائِلِ
إِذَا قُلْتُ بَكْرِي نَبَوْتُمْ بِحَاجَتِي فَيَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ بَكْرٍ بَنٍ وَإِئِلِ

(٧٧٢) الحطيئة، ديوانه برواية وشرح ابن السكيت (تحقيق: نعمان محمد أمين طه)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧: ص١٠٠. وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٥٧/٢.

(٧٧٣) غربالاً: يريد أنت بمنزلة الغربال الذي لا يمسك ما يُجعل فيه، وكذلك السرّ عندك. وكانوناً: يريد أنها ثقيلة على المتحدثين أو أنها نمامة.

(٧٧٤) الحطيئة، المصدر السابق: ص١٠٢، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٥٧/٢.

(٧٧٥) انظر: ص٣٣.

ففي خبر الأبيات^(٧٧٦): أن الحطيئة طلب من إخوته ميراثه فأعطوه نخلاتٍ من نخل أبيهم تُدعى نخلات أم ملىكة، ثم لم تُقنعه النُخيلات، وقد أقام فيهم زماناً، فسألهم ميراثه كاملاً، فلم يعطوه شيئاً وضربوه، فغضب عليهم وقال: تمنيت...

إن مشاكل الميراث بين الإخوة والأقارب –حتى يومنا هذا للأسف- تدمر الروابط الاجتماعية والعائلية وتُحيل الإخوة أعداء، وبذاعة الحطيئة في الهجاء الذي بلغ به والديه لا تخفف من شدة هذه الأبيات، لاسيما وأنها لم تنفرد في تصوير مشاكل الميراث وما يكون من استبداد بعض الورثة بالميراث ضد غيرهم وأكل أموال الآخرين بالباطل، حتى ليترك المستبد به المحروم من الميراث نسبه فينتسب لآخرين إن كان مزعزع النسب والهوى كالحطيئة!

ويبدو أن هذا اللون من الاستبداد الاجتماعي الاقتصادي كان شائعاً في الجاهلية؛ كما يشيع في كل جاهلية! فهذا طرفة ضحية الاستبداد المشهور يئن من استبداد قرابته فيقول^(٧٧٧):

مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةٍ فِيكُمْ صَعَرَ الْبُنُونَ وَرَهْطَ وَرْدَةَ غُيِّبُ^(٧٧٨)
 قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَظَلَّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّبُ^(٧٧٩)
 وَالظَّلْمُ فَرَّقَ بَيْنَ حَيِّي وَائِلٍ بَكَرُ تُسَاقِيهَا الْمَنَائِيَا تَغْلِبُ^(٧٨٠)
 وَالْإِثْمُ دَاءٌ لَيْسَ يُرْجَى بُرْؤُهُ وَالْبِرُّ بُرٌّ لَيْسَ فِيهِ مَعْطَبُ^(٧٨١)
 أَدُّوا الْحُقُوقَ تَفِرْ لَكُمْ أَعْرَاضُكُمْ إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا يُحَرَّبُ يَعْضَبُ^(٧٨٢)

وفي مناسبة القصيدة: أن أبا طرفة كان قد مات وطرفه غلام، فأبى أعمامه أن يقتسموا له ماله. وهذا من الظلم الذي يقع بين الأرحام ويترك في النفس أسوأ الأثر حتى يصرخ في المدى طرفة ما بلغ مسامعنا:

(٧٧٦) الحطيئة، المصدر السابق: ص ٣٣٢، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٦٢/٢.

(٧٧٧) الجندي، ديوان طرفة: ص ٢٣.

(٧٧٨) مضى البيت ص ١١٤، ووردة أم طرفة.

(٧٧٩) يبعث الأمر: يهيجه، وتصيب: تُسْفح وتسيل.

(٧٨٠) حياً وائلاً: بكر وتغلب، يريد ما كان بينهما من حرب البسوس، وسببها استبداد كليب وطغيانه، ما أدى إلى حرب قطعت الأرحام وفرقت الأخوة وأبناء العم.

(٧٨١) معطب: هلاك.

(٧٨٢) تفر: من الوفرة، وهي الكمال وعدم النقص، يريد تكمل وتُحفظ ولا تُتشم أعراضكم. ويُحَرَّب: يُهَيَّج ويُثار.

وَوَظَلُّمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَيَّبِ (٧٨٣)

فلما مات أبوه وكانت أمه غريبة في قومه، وكان قومها بعيدين عنها لا تسند إليهم ظهرها استبدت بها وبأطفالها ذوو الميت فأكلوا حقه في الميراث. مع علمهم بما كان من عواقب الاستبداد وأكل حقوق الناس في قبيلتي تغلب وبكر ابني وائل.

بل حتى إن قُتل ولا مال له، ووقعت دية لأهله فقد يستبد بها من يقوى عليها؛ فهذا الأسعر الجعفي (٧٨٤) يقول (٧٨٥):

أُبْلِغُ أَبَا عِمْرَانَ أَنْ عَشِيرَتِي نَاجُوا وَلِلْقَوْمِ الْمُنَاجِينَ النَّوَى (٧٨٦)
بَاعُوا جَوَادَهُمْ لِتَسْمَنَ أُمَّهُمْ وَلِكِي يَعُودَ عَلَى فِرَاشِهِمْ قَتَى (٧٨٧)
عَلَجٌ إِذَا مَا بَزَّ عَنْهَا ثَوْبَهَا وَتَخَامَصَتْ قَالَتْ لَهُ: مَاذَا تَرَى (٧٨٨)
لَكِنْ قَعِيدَةٌ بَيْتِنَا مَجْفُوءَةٌ بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرَهَا وَلَهَا غِنَى (٧٨٩)
تُقْفِي بَعِيثَةَ أَهْلِهَا وَثَابَةً أَوْ جُرْشُعًا عَبَلِ الْمَحَازِمِ وَالشَّوَى (٧٩٠)
وَأَلَدٌ عَلِمَتْ عَلَى تَجَشُّمِي الرَّدَى أَنْ الْحُصُونِ الْخَيْلُ لَا مَدَرَ الْقُرَى (٧٩١)

فالأسعرُ هذا كان أبوه قد قُتل وهو غلام، فوثب إخوته لأبيه فأخذوا الدية فأكلوها، وباعوا فرسَ أبيهم فأكلوا ثمنها، فلما شبَّ الأسعر أدرك بثأر أبيه، فهو يهجو إخوته لأبيه ويرميهم بأنهم آثروا تزويج أمهم بعد تسمينها، لكن قعيدة بيته - وهي أم أو زوجة - بقيت تؤثر الخيل على

(٧٨٣) الجندي، ديوان طرفة: ص ٥٧.

(٧٨٤) الأسعر الجعفي: هو مرثد بن أبي حمران الجعفي، ولقب بالأسعر لبيتِ قاله، شاعر فارس مشهور، له قصيدة في الأصمعيات. انظر: الأمدي، المصدر السابق: ص ٥٧، والأحمدي، شعراء مذحج: ص ٤٧٤، والزركلي، المصدر السابق: ٢٠١/٧.

(٧٨٥) الأصمعي، المصدر السابق: ص ١٤٠.

(٧٨٦) النَّوَى: الهلاك؛ يريد أنهم تهامسوا فيما بينهم على أمر أكل دية أبيهم دون إخوتهم.

(٧٨٧) قِيلَ فِي شَرْحِ الْبَيْتِ: آثَرُوا أُمَّهُمْ بِاللِّبْنِ وَعِيَالَهُمْ عَلَى خَيْلِهِمْ، فَإِذَا سَمِنَتْ أُمَّهُمُ زَوْجُوهَا. انظر هامش: الأصمعي، المصدر السابق: ص ١٤٠.

(٧٨٨) العَلَجُ: الرجل الشديد الغليظ، وبزَّ الثوبُ: انتزعه، وتخامصت: تجافت عن الفراش ليظهر خصمها وضمورها. وذكر هذا البيت شاهداً على الهجاء لتزويج غير العربي وذكروا أنه المقصود بكلمة عالج. انظر: الحوفي، المصدر السابق: ص ١٧٦.

(٧٨٩) قعيدة البيت أو الرجل: امرأته، والجنانج: عظام الصدر.

(٧٩٠) تُقْفِي: تفضّل وتؤثر، وثابة: يريد بها الخيل لأنها تشب، والجرشع: الغليظ المنتفخ الجنبين، والعبل: الممتلئ، والمحازم: جمع محزم وهو موضع الحزام، والشوى: الأطراف والقوائم.

(٧٩١) تجشم الردى: ركوبه على كره ومشقة، والمدر: الطين اليابس.

نفسها حتى سعى إليها الهزال. فإن كان الإخوة فيما بينهم يجلدون ظهر الأضعف منهم بسوط الاستبداد يوم يمسكون بخيط قوة؛ فلعله يكون من غيرهم أهون عن النفس!

وقد يكون الوالدان سبب الوقعة بين الإخوة عند تمييزهم بينهم في العطاء، فتوَعَّر الصدور وتثور النفوس وتتأهب للانتقام، يقول شاعرٌ كانت أمُّه تُؤثر أخاه جُنْدباً عليه(٧٩٢):

يَا جُنْدُبُ أَخِيرَنِي وَلَسْتَ بِمُخْبِرِي وَأَخُوكَ نَاصِحُكَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَعْنَيْتُمْ وَأَمْنَتُمْ فَأَنَا الْبَعِيدُ الْأَجْرَبُ
وَإِذَا الشَّدَائِدُ بِالشَّدَائِدِ مَرَّةً أَشَجَّتْكُمْ فَأَنَا الْمُحَبُّ الْأَقْرَبُ(٧٩٣)
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَدْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ(٧٩٤)
وَلِجُنْدُبِ سَهْلُ الْبِلَادِ وَعَذْبُهَا وَلِي الْمِلَاحُ وَخَبْتُهُنَّ الْمُجْدِبُ(٧٩٥)
عَجَبٌ لِتِلْكَ قَضِيَّةٍ وَإِقَامَتِي فِيكُمْ عَلَى تِلْكَ الْقَضِيَّةِ أَعْجَبُ(٧٩٦)
هَذَا وَجَدِكُمْ الصَّعَارُ بِعَيْنِهِ لَا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَلِكَ وَلَا أَبُ

فالذي يضرب الأسرة بالتفكك ويدفعها إلى الانهيار في الخصام والنزاعات عدم المساواة والاستبداد بالأموال دون الآخرين.

وهذا العباس بن مرداس السلمي يموت والده فيجدد قريبه كليب السلمي حظَّ العباس وإخوته في قرية كان أبوهم مرداس شريكه فيها، ويستبدُّ بها دونهم، فيقول العباس بن مرداس(٧٩٧):

(٧٩٢) في الشعر اختلاف في النسبة، انظر: المعيني، المصدر السابق: ص ٢٩٠.
(٧٩٣) أشجنتكم: أصابتكم فأحزنتكم.
(٧٩٤) الكريهة: الحرب وكل أمر مكروه، والحيس: طعام مفضل عندهم يصنعونه من التمر والأقط والسمن.
(٧٩٥) الملاح: جمع مليح، وهو المالح من الأرض، والخبت: الوادي العميق.
(٧٩٦) البيت من شواهد سيبويه، والشاهد فيه رفع (عجب) كمصدر منصوب بعد حذف العامل لزيادة المبالغة، فهي كالفعل والفاعل كأنه قال: أعجب لتلك القضية. وأورده سيبويه كذلك بأنه إضمار مبتدأ، أي: أمري عجب. وقضية منصوب على التمييز للنوع الذي أشار إليه بتلك، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال، أي: اعجبوا لتلك الفعلة قضيةً، وقضية هنا بمعنى: مقضية. ورُوي البيت: عجباً بالنصب على أنه مصدر نائب عن أعجب. انظر تفصيل الشاهد والأوجه فيه في: عبد القادر البغدادي، المصدر السابق: ٣٤/٢.
(٧٩٧) العباس بن مرداس، السلمي، ديوانه (جمع وتحقيق: يحيى الجبوري)، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩١: ص ١٥٦. وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣٠٢/١٤. والبصري، المصدر السابق: ٣٣/١.

أَكْلَيْبُ مَالِكَ كُلِّ يَوْمٍ ظَالِماً وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونٌ (٧٩٨)
 قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسِبُونَكَ سَيِّدًا وَإِخَالُ أَنْكَ سَيِّدٌ مَعْيُونٌ (٧٩٩)
 فَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى نِسَائِكَ فَادَّهِنُ إِنَّ الْمُسَالِمَ رَأْسُهُ مَذْهُونٌ (٨٠٠)
 وَافْعَلْ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلِ يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ (٨٠١)
 وَإِخَالُ أَنْكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتَيْكَ سِنَانُهَا الْمَسْنُونُ (٨٠٢)
 إِنَّ الْقُرْيَةَ قَدْ تَبَيَّنَ أَمْرُهَا إِنَّ كَانَ يَنْفَعُ عِنْدَكَ التَّبْيِينُ
 حَيْثُ انْطَلَقْتَ تَخُطُّهَا لِي ظَالِماً وَأَبُو يَزِيدَ بِجَوْهَا مَذْفُونٌ (٨٠٣)

فالرجل إذ قضى، وكليب السلمي -على قرابته منه- يستبدّ بمال الميت دون بنيه، فيكرر العباس بن مرداس استحضار طرفة قصة كليب وائل وما جناه بتجبره واستبداده على قومه وبني عمّهم، ليبين له أن الظلم مرتعه وخيم!

وليس في الميراث وحده يكون الاستبداد دون باقي المستحقين، ففي الحرب -وحياة الجاهليين حربٌ وغزوٌ- والغنائمُ أحدُ أهم أهدافها قد يقع الخلاف، ويستبدّ واحدٌ من المشتركين بالغنائم فيقع شرٌّ بينهم بعد إذ كانوا يقاتلون صفّاً واحداً. فهذا عمرو بن معدى كرب الزبيدي غزاً هو وأبي المرادي، فأصابوا غنائم، فادّعى أبي أنه قد كان مسانداً، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً، وكره أبي أن يكون بينهما شرٌّ لحدائثة قتل أبيه، فأمسك عنه وتوعّده، وبلغ عمراً أنه توعّده فقال عمرو (٨٠٤):

(٧٩٨) كليب: هو كليب السلمي، من قوم الشاعر، وهو الذي اغتصب القرية واستبد بها دون العباس وإخوته.

(٧٩٩) مَعْيُونٌ: أُصِيبَ بِالْعَيْنِ.

(٨٠٠) ادَّهِنَ: اظْلَى بِالذَّهْنِ، وَهُوَ الطَّيِّبُ، يَرِيدُ أَنَّهَا كَالنِّسَاءِ.

(٨٠١) سَمِيكَ الْمَطْعُونُ: يَرِيدُ كَلِيبَ بْنَ وَائِلٍ وَقَدْ طَعَنَ لِفِرْطِ ظَلْمِهِ وَاسْتَبْدَادِهِ بِأَرْزَاقِ النَّاسِ، وَالْغَدِيرُ: النَّهْرُ

الصَّغِيرُ، قَالَ مُحَقِّقُ الْحِمَاسَةِ الْبَصْرِيَّةِ: (يَشِيرُ إِلَى مَا كَانَ مِنْ تَجْبِرِ كَلِيبِ بْنِ رَبِيعَةَ وَمَنْعِهِ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ

أَنْ تَرُدَّ مَاءَ غَدِيرٍ يُقَالُ لَهُ: شَبِيبٌ، فَكَادُوا يَهْلِكُونَ عَطْشًا)، انظر: البصري، المصدر السابق: ٣٤/١.

(٨٠٢) مِثْلَهَا: يَرِيدُ مِثْلَ طَعْنَةِ كَلِيبِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَصَفْحَتَا الْعُنُقِ: جَانِبَاهُ.

(٨٠٣) أَبُو يَزِيدَ: كَنِيَّةُ مَرْدَاسِ وَالِدِ الشَّاعِرِ.

(٨٠٤) عمرو بن معدى كرب، الزبيدي، ديوانه (تحقيق: مطاع طرابيشي)، مطبوعات مجمع اللغة العربية،

دمشق، ص ١٠٦، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٢٠٦/١٥.

وَأَعَاذِلْ شِكَّتِي بَدَنِي وَرُمَجِي وَكُلُّ مُقْلَصٍ سَلِسِ الْقِيَادِ (٨٠٥)
 وَأَعَاذِلْ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي وَأَقْرَحَ عَاتِقِي ثَقُلَ النَّجَادِ (٨٠٦)
 تَمَنَّنَانِي لِيَلْقَانِي أَبِي وَدِدْتُ وَأَيْنَمَا مَنِّي وَدَادِي
 وَلَوْ لَأَقْبَيْنِي وَمَعِي سِلَاحِي تَكَشَّفَ شَحْمُ قَلْبِكَ عَن سَوَادِ (٨٠٧)
 أُرِيدُ جَبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ (٨٠٨)

فَمِنَ التَّحَالِفِ وَالْقِتَالِ مَعاً إِلَى تَهْدِيدِ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ وَالتَّلَاسُّنَ بِالشَّعْرِ؛ إِنَّهُ الْمَالُ وَالِاسْتِبْدَادُ بِمَا مِنْ حَقِّهِ الْاِشْتِرَاكُ!

وليس هذا وحده ما كان من اقتتال أبناء العمومة والأصحاب في الجاهلية على الرزق؛ فالماء كان -وما زال- الحياة للعرب وأنعامهم، فلا يمتنع أن تقوم حرب على الماء، وإن كان بين الإخوة في القبيلة الواحدة، يقول شاعر من بني أسد (٨٠٩):

كِلَا أَحْوَيْنَا إِنْ يُرْعَ يَدْعُ قَوْمَهُ ذَوِي جَامِلٍ دَثْرٍ وَجَمْعِ عَرْمَرِمِ (٨١٠)
 كِلَا أَحْوَيْنَا ذُو رَجَالٍ كَانَتْهُمْ أَسْوَدُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَعْلَبِ ضَيْغَمِ (٨١١)
 فَمَا الرُّشْدُ فِي أَنْ تَشْتَرُوا بِنَعِيمِكُمْ بَبَيْسَاءَ وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِالدِّمِّ (٨١٢)

(٨٠٥) الشَّكَّةُ: السلاح، والبدن: الدرع، وفرس مقْلَصٌ: طويل القوائم منضم البطن.

(٨٠٦) أَقْرَحَهُ: أحدثت به قروحاً وهي الجروح، والعاتق: ما بين المنكب والعنق، والنجاد: حمائل السيف.

(٨٠٧) سواد القلب: دمه.

(٨٠٨) الجبَاءُ: العطية، وعذيرك: يعني هات عذرك، والبيت من شواهد سيبويه، قال البغدادي: (المعنى: هات عذرك وقرب عذرك، والتقدير: اعذرنى منه عذراً، واختلّف في العذير؛ فمنهم من جعله مصدراً بمعنى العذر، وهو مذهب سيبويه، ومنهم من جعله بمعنى عاذر كعليم وعالم، والمعنى: هات عذرك، وامتنع أن يجعله العذر لأن فِعِيلاً لا يأتي مصدراً إلا في الأصوات نحو الصهيل، ورُدَّ بأن المصدر يطرد وضعه موضع الفعل بدلاً منه، ولا يطرد ذلك في اسم الفاعل، وقد جاء فِعِيلاً في غير الصوت كقولهم: وجب القلب وجيباً: إذا اضطرب). انظر: عبد القادر البغدادي، المصدر السابق: ٢١٠/١٠.

(٨٠٩) المرزوقي، المصدر السابق: ٢٥٤/١.

(٨١٠) يُرَاعُ: يخاف، والجامل: الإبل، والدثر: الكثير، والعرمم: الجيش العظيم.

(٨١١) أسود الشرى: أسود شجعان، والشرى: الجبل والمكان كثير الأسد. والضغَمُ: فِعْلٌ من الضغَم، وهو العَضُّ.

(٨١٢) الببَيْسَاءُ: مصدر كالْبُؤْسِ يقابل النعيم.

فاستبداد بعض القوم بالماء - وهو الحياة - دون الآخرين يوقع بين الإخوة، فيشربون الماء بالدم المَهراق بينهم بسببه. ويحصل أن يهاجم قومٌ ماء آخرين، فإن حصل وغلِبهم على أرضهم واستبدَّ بها لزمهم أن ينتقلوا عنها، لذا يفتخر الشاعر أبو ثمامة الضبِّي (٨١٣) فيقول (٨١٤):

رَدَدْتُ لِضَبَّةٍ أَمْوَاهَهَا وَكَادَتْ بِلَادَهُمْ تُسْتَأْبَ
بِكِرِّ الْمَطِيِّ وَإِثْعَابِهِ وَبِالْكُورِ أَرْكَبُهُ وَالْقَنْبَ (٨١٥)
أَخَاصِمُهُمْ مَرَّةً قَائِمًا وَأَجْتُو إِذَا مَا جَبْنَا لِلرُّكْبِ (٨١٦)
وَإِنْ مَنْطِقُ زَلٍّ عَن صَاحِبِي تَعَقَّبْتُ آخَرَ ذَا مُعْتَقَبِ (٨١٧)
أَفْرُ مِنَ الشَّرِّ فِي رَخْوَةٍ فَكَيْفَ الْفِرَارُ إِذَا مَا اقْتَرَبِ (٨١٨)

قال الأعم الشنتمري في كلامه على الأبيات: (يقول: أتاني قومٌ وأنا مقيمٌ بمياه بني ضبَّة، وهم منتجعون، فأرادوا أن يغلبوا على أمواهم، فطردتهم عنها) (٨١٩)؛ فإنهم لو غلبوهم على أمواهم لاستلبوا منهم أرضهم وديارهم، ما اضطر الشاعر الفارس للاجتهاد في مجالدتهم وردَّهم عنها.

ومما جاء في قول قيس بن الخطيم (٨٢٠):

رَدَّ الْخَلِيطُ الْجِمَالَ فَاَنْقَضَبَا وَقَطَّعُوا مِنْ وَصَالِكِ السَّبَبَا (٨٢١)

- (٨١٣) اسمه البراء بن عازم، من بني ضبَّة، شاعر جاهلي مقلِّ. انظر: الطائي، قبيلة ضبَّة: ص ١٣٤.
- (٨١٤) المرزوقي، المصدر السابق: ٥٧٧/١، والأعم، الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام (تحقيق: علي المفضل حمودان)، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٢: ١٢١/١. والطائي، قبيلة ضبَّة: ص ١٣٤.
- (٨١٥) المطي: جمع مطية، وهي الناقة تُرْجَل. والكُور: الرُحْل بأدواته، فإن لم يكن عليه أدواته فهو قَنْب.
- (٨١٦) الجئو: الثبات على الرُّكْب.
- (٨١٧) تعقبت: تتبعت، والمعْتَقَب: أخذ عقبة الشيء، وهي آخره. يريد: إذا بدرت منهم كلمة لم يُوفَّق فيها للصواب عدلت وطلبت مكانها أخرى ذات متبوع فأعقبتها بها.
- (٨١٨) الرِّخْوَة: التراخي والتباعد، أراد: أنه لا يبتدئ الخصم بالبغي.
- (٨١٩) الشنتمري، شرح الحماسة: ١٢٢/١.
- (٨٢٠) قيس بن الخطيم، ديوانه (تحقيق: ناصر الدين الأسد)، دار صادر، بيروت: ص ١٧٠.
- وهو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمر، من الأوس في يثرب، وهو شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية، اشتهر بتبعية قنلة أبيه وجدّه وانتقامه منهم، سمع رسول الله وتريث في اعتناق الإسلام فمات دون أن يُسلم. انظر: المرزباني، المصدر السابق: ص ٢٣٨، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١/٣، والزركلي، المصدر السابق: ٢٠٥/٥.
- (٨٢١) الخليط: المُخالط المُجاور، وانقضب: انقطع، والسبب: الحبل.

قَادَتْهُمْ لِلْفِرَاقِ شَاطِنَةٌ فَشَطَّ وَلِي الْحَبِيبِ فَاغْتَرَبَا (٨٢٢)

أنَّ أبا حارثة عامر بن أمية من الأوس كان رجلاً عظيم الشرف في قومه، وكان له بستان يأتيه، ثم أراد أن يبني به أطماً، فقال قائل من بني خَطْمَةَ: والله إنا لتبُلُغنا أذاة عامر وهو في قومه، فكيف إذا ابْتَنَى فينا أطماً فوطئنا بنو عامر وقومه؟ فمنعوه البناء، فتجادلوا وأراد أن يبني رغماً عنهم، فقتلوه. فوَقَعَتْ حرب بين بطون الأوس خاصة بين قوم عامر وبني خَطْمَةَ وقُتِلَ من الطرفين الكثير، فقال قيس بن الخطيم الأبيات؛ فالاعتداء على أموال الناس وما يخشونه من بعضهم إن اغتنى أن يستبد بهم وبأموالهم يسفك الدم بين الأقارب.

وفي الشعر الجاهلي كثير من الحوادث سُفِكَت فيها الدماء بأيدي الإخوة والأقارب ولأسباب كثيرة، ومنها ما يندرج تحت الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي الذي نحن في بابه دون ما تقدم استبداد الأقارب ببعضهم، والشكوى من أذاهم، وما يكون جرّاء ذلك من تقطيع أرحام وتدمير قبائل وبيوت؛ فالمتلمس يشكو تسلط أخواله وانتقاصهم إياه، فيقول (٨٢٣):

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيبَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمًا (٨٢٤)
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بَكَفِّ لَهْ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أُجْدَمًا (٨٢٥)
فَلَمَّا اسْتَقَادَ الْكَفُّ بِالْكَفِّ لَمْ يَجِدْ لَهُ دَرْكَاً فِي أَنْ تَبِينَا فَأُحْجَمًا (٨٢٦)
يَدَاهُ أَصَابَتْ هَذِهِ حَتْفَ هَذِهِ فَلَمْ تَجِدِ الْآخِرَى عَلَيْهَا مُقَدَّمًا

فهذه صورة إبداعية يرسمها شاعر يستشعر خطر الاستبداد، وهو ممن اكتوى ظهره بسياط استبداد الحكّام نفيًا وتغريبًا وقتلاً إلا أنه نجا (٨٢٧)، فهو قادر على ردّ استبداد أخواله وقطع كل يد تمتد إلى كرامته فتجرحها وإلى كبريائه فتخدشها؛ لكنه إن فعل فإنما يقطع بيده يده الأخرى فهو منهم وهم منه كما اليد للجسد. على خلاف ما وجدناه يردّ على الملك المستبدّ ابن هند، وهو المراد في قوله: (ولو غير أخوالي..).؛ لأن في خبر القصيدة: أن عمرو بن هند سأل رجلاً من بني يَشْكُرٍ -وهم أخوال المتلمس ونشأ فيهم حتى كاد يغلب عليه نسبهم- عن نسب المتلمس، فقال

(٨٢٢) شاطنة: بعيدة، ونية شاطنة: أي سفر بعيد، وشطت الدار: نأت وبعدت.

(٨٢٣) الضبي، المصدر السابق: ص ٢٧.

(٨٢٤) النقيصة: التنقص، والعرائن: جمع عرينين، وهو أول كل شيء. والميسم: آلة يُوسَم بها، أي: يُكوى. يريد: أنه يهجوهم هجاء يلزمهم لزوم الميسم في الأنف.

(٨٢٥) الأجدم: المقطوع إحدى يديه.

(٨٢٦) استقاد: من القود، وهو القصاص، والدرك: اللحاق، وأن تبينا: أن تتفرقا وتتقطعا.

(٨٢٧) ديوان الهذليين: ٨٢/٣، والسكري، شرح أشعار الهذليين: ٢٣٨/١.

اليشكري للملك: أوأنا يزعم أنه من بني يشكر، وأوانا يزعم أنه من ضبيعة أضجم، فقال عمرو ابن هند: ما أراه إلا كالساقط بين الفراشين^(٨٢٨)، فقال المتلمس هذه الأبيات، ومطلعها:

يُعَيِّرُنِي أُمِّي رَجَالًا، لَا أَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا أَنْ يَتَكَّرَمَا

ونجد صورة قطع اليد التي ذكرها المتلمس عند شاعر آخر يستبد أخوه بابنه فيقتله، فيقدم الأخ ليقتنص منه، فيقف عاجزاً ويرمي سيفه من يده ويقول^(٨٢٩):

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابْتِنِي وَلَمْ تُرِدِ
كِلَاهُمَا خَلْفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

فقد هوت إحدى يديه فقطعت الأخرى؛ فيمسك التي قطعت إبقاءً لها فما التي قطعت عنده بأحبب منها؛ فيعفو في موقف عصب من أخيه لأنه وابنه كذلك له.

وحارب رجلاً من بني عقيل بعض بني عمه، فقتل منهم، فقال^(٨٣٠):

بُكَرُهُ سَرَائِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالٍ^(٨٣١)
نُعَدِّيهِنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ عَنكَ وَإِنْ كَانَتْ مُتَلَمَّةَ النَّصَالِ^(٨٣٢)
وَنَبِّكِي حِينَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

وهذه صورة أخرى يضع فيها الاستبداد الإنسان الخلق في مأزق؛ فهو في موقع المعتدى عليه، والمعتدي بعض لحمه ودمه، إنه قريبه، فإن تركه لما يريد بطش به وقتله، وإن رده فقتل بكاه حزناً ولوعةً لهذه الميتة بسيفه. وهو ما تكرر لشاعرٍ فزاربي^(٨٣٣)؛ وكان حاربه بنو عمه، فقتلهم، فقال^(٨٣٤):

(٨٢٨) الضبيعي، المصدر السابق: ص ١٢.
(٨٢٩) القالي، المصدر السابق: ٢٦٣/١.
(٨٣٠) المرزوقي، المصدر السابق: ١٩٩/١، والشتنمري، شرح الحماسة: ٢٩٥/١.
(٨٣١) الكره: المشقة، وسراة القوم: سادتهم وخيارهم، والمرهفة: المشحودة المرقة، والصقال: جمع صقيل وهو السيف.
(٨٣٢) نُعَدِّيهِنَّ: نصرهن؛ أي: نصرنا سلاحنا عنكم إبقاءً عليكم، وإن كان مقللة من إعمالها فيكم.
(٨٣٣) في اسمه خلاف بين المرزوقي والشتنمري؛ فهو عند المرزوقي: شبل، وعند الشنمري بالتصغير: شبل. انظر: المرزوقي، المصدر السابق: ٦٨٠/١، والشتنمري، شرح الحماسة: ٢٠٧/١.
(٨٣٤) المرزوقي، المصدر السابق: ٦٨٠/١، والشتنمري، شرح الحماسة: ٢٠٧/١.

أَيَا لَهْفَى عَلَى مَنْ كُنْتُ أَدْعُو فَيَكْفِينِي وَسَاعِدُهُ الشَّدِيدُ (٨٣٥)
وَمَا مِنْ ذَلَّةٍ غَلِبُوا، وَلَكِنْ كَذَلِكَ الْأَسَدُ تَقْرُسُهَا الْأَسْوَدُ (٨٣٦)
فَلَوْلَا أَنَّهُمْ سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ سَوَابِقُ نَبْلِنَا وَهُمْ بَعِيدُ
لَحَاسُونَا حِيَاضَ الْمَوْتِ حَتَّى نَطَّأيرَ مِنْ جَوَانِبِنَا شَرِيدُ (٨٣٧)

فهم بنو عمّه وسنّده في الملمات، لطالما هبوا لنجدته وكفّوه بقوتهم وشجاعتهم نوابب الدهر؛ ثم هم أمامه اليوم يقاتلهم لأنهم يحاربونه، ولما يعرف من شجاعتهم اضطر لناوشتهم من بعيد، ليصدّهم ويقوى على هزيمتهم؛ إذ لو نالوه لما كان له من الموت مهرب ولشردوا بهم؛ لتتكرر آثام الاستبداد وجنایاته في تقطيع الأرحام وفصل عرى المودّة والمحبة.

وهذا الدفع بالقرابة عن الانزلاق في مهاوي الدم والاستبداد يدفع نحونا بقوة قصيدة معن بن أوس المزنّي المشهورة، إذ يقول (٨٣٨):

وَذِي رَحِمٍ فَلَمْتُ أَظْفَارَ ضِعْنِهِ لِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ (٨٣٩)
يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ وَكَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحُلَّ بِهِ الرَّغْمُ (٨٤٠)
فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أَغْضِ عَيْنًا عَلَى قَدَى وَلَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمُ (٨٤١)
وَإِنْ أَنْتَصِرَ مِنْهُ أَكُنْ مِثْلَ رَائِشِ سِهَامِ عَدُوِّ يُسْتَهَاضُ بِهَا الْعِظْمُ (٨٤٢)

(٨٣٥) اللهف: الحزن والأسى والغىظ.

(٨٣٦) تقرسها الأسود: تدق أعناقها.

(٨٣٧) حاسونا حياض الموت: أصل الحيس الخلط، يريد: أوردونا حياض الموت، وشريد: طريد منهزم.

(٨٣٨) معن بن أوس، المزنّي، ديوانه (صنعة: نوري القيسي وحاتم الضامن)، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٧: ص ٤٠. والشنتمري، شرح الحماسة: ٦٩٨/١.

ومعن: هو ابن أوس بن نصر بن زيادة بن أسعد، من مُزينة. شاعر مجيد فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وهو صحابي، وعُمر إلى زمان ابن الزبير. انظر: ابن حجر، المصدر السابق: ٢٤٢/٦، والمرزبانّي، المصدر السابق: ص ٣٨٠، والزركلي، المصدر السابق: ٢٧٣/٧.

(٨٣٩) الضغن: الحقد والعداوة، وهي استعارة، إذ جعل للضغن أظفاراً وقلمها بالعفو والحلم.

(٨٤٠) الرّغم: الذلّ والهوان، وأصله من: الرغام، وهو التراب.

(٨٤١) أغضى: أغمض، والفدى: ما سقط في العين من شيء يؤذيها.

(٨٤٢) الرائش: الذي يريش السهم، أي: يجعل له ريشاً، ويُستهاض: يُكسر.

ضَرَبْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 وَمَا يَسْتَوِي حَرْبُ الْأَقَارِبِ وَالسِّلْمُ
 وَيَشْتُمُّ عِرْضِي بِالْمُعَيَّبِ جَاهِلًا
 وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلَا شَتْمٌ
 إِذَا سُمِّتُهُ وَصَلُّ الْقَرَابَةِ سَامِي
 قَطِيعَتَهَا تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالْإِثْمُ (٨٤٣)
 وَإِنْ أَدَعُهُ لِلنِّصْفِ يَأْبُ إِجَابَتِي
 وَيَدْعُ بِحُكْمِ جَائِرٍ؛ غَيْرُهُ الْحُكْمُ (٨٤٤)
 فَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ وَالرَّحْمِ الَّتِي
 رَعَايَتُهَا حَقٌّ وَتَعْطِيلُهَا ظُلْمٌ
 إِذَا لَعَلَّاهُ بَارِقٌ وَخَطْمُتُهُ
 بِوَسْمِ شَنَارٍ لَا يُشَاكِهُهُ وَسْمُ (٨٤٥)
 فَيَسْعَى إِذَا أَبْنَى لِيَهْدِمَ صَالِحِي
 وَلَيْسَ الَّذِي بَيْنِي كَمَنْ شَانَهُ الْهَدْمُ
 يُودُّ لَوْ آتَى مُعَدِّمٌ ذُو خَصَاصَةٍ
 وَأَكْرَهُ جُهْدِي أَنْ يُخَالِطَهُ الْعُدْمُ (٨٤٦)
 وَيَعْتَدُّ غَنَمًا فِي الْحَوَادِثِ نَكْبَتِي
 وَعَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَالِدِ الْأُمُّ
 فَمَا زِلْتُ فِي لَيْنِي لَهُ وَتَعْطِفِي
 وَخَفْضِي لَهُ مَيِّ الْجَنَاحِ تَأْلَفًا
 وَصَبْرِي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْهُ تُرِيبُنِي
 لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضِّغْنَ حَتَّى اسْتَلَّتْهُ
 رَأَيْتُ أَنْبِلَامًا بَيْنًا فَرَقَعْتُهُ
 وَقَدَّ كَانَ دَا ضِغْنٍ يَصِيقُ بِهِ الْجِرْمُ (٨٥٠)
 بِرَفْقِي وَإِحْيَائِي وَقَدَّ يُرْقَعُ التَّلْمُ (٨٥١)

(٨٤٣) سُمِّتُهُ: حَمَلْتُهُ وَكَلَّفْتُهُ.

(٨٤٤) النِّصْفُ: الْإِنْصَافُ، وَقَوْلُهُ (غَيْرُهُ الْحُكْمُ): لَيْسَ بِحُكْمٍ فِي الْحَقِيقَةِ لِجَوْرِهِ عَنِ الْحَقِّ.

(٨٤٥) الْبَارِقُ: السِّيفُ لِبَرِيْقِهِ وَلِمَعَانِهِ، وَالخَطْمُ: الْوَسْمُ فِي الْأَنْفِ، وَهُوَ أَشْهُرُ الْوَسْمِ وَأَشْنَعُهُ. وَالشَّنَارُ: الْعَيْبُ، وَالْمَشَاكِهَةُ: الْمَشَابِهَةُ.

(٨٤٦) الْعُدْمُ: الْفَقْرُ، وَالْمُعَدِّمُ: الْفَقِيرُ، وَالخَصَاصَةُ: الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ.

(٨٤٧) النُّكْبَةُ: الْمَصِيبَةُ، وَالسَّنَاءُ: الشَّرْفُ وَالرَّفْعَةُ.

(٨٤٨) خَفَضَ الْجَنَاحُ: كَنَیَاةٌ عَنِ لَيْنِ الْجَانِبِ.

(٨٤٩) تُرِيبُنِي: تَشَقُّ عَلَيَّ وَأُرْتَابُ مِنْهَا، وَالكَظْمُ: حَبْسُ النَّفْسِ وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْعِقَابِ.

(٨٥٠) الْاسْتَلَّ: اسْتَخْرَجَ الشَّيْءَ بِرَفْقٍ، وَالْجِرْمُ: الْجَسَدُ.

(٨٥١) الْإِنْتِلَامُ: الْكَسْرُ؛ ضَرْبُهُ مِثْلًا لِلْقَطِيعَةِ وَضَرْبُ الرَّقْعِ مِثْلًا لِلصَّلَةِ، وَأَرَادَ بِالْإِحْيَاءِ: تَجْدِيدَهُ لِأَسْبَابِ الْمَوْدَةِ.

وَأَبْرَأْتُ غِلَّ الصَّدْرِ مِنْهُ تَوَسُّعاً بَجَلْمِي، وَقَدْ يُشْفَى بِالْأَدْوِيَةِ الْكَلْمِ (٨٥٢)

فَأَطْفَأْتُ نَارَ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَصْبَحَ بَعْدَ الْحَرْبِ وَهُوَ لَنَا سِلْمٌ

فليس عبثاً أن رأى مروان بن عبد الملك أوس بن معن المازني أشعر الناس بهذه الأبيات (٨٥٣)؛ فالشاعر المخضرم أبدع في تصوير ما يرجوه له قريبه من الأذى والضرر المادي والمعنوي، فِيمَسْكُ عن الردِّ وهو قادر على ذلك ويكظم غيظه، ولا يزال يقلِّم أطراف حقه بالجلم والعمو حتى استلَّ ما في نفسه عليه، وعادَ قريباً حميماً. وقد لا تُستغرب مثل هذه الضغائن بين ذوي القربى لِمَالٍ أو مَغْنَمٍ أو مَاءٍ والعربُ الجاهليون في جزيرتهم كانوا يرون أن مَنْ يملك المال يعزُّ وَمَنْ يفتقر يُهان، كما قال مالك بن الحارث الهذلي (٨٥٤):

وَمَنْ تَقُلُّنَّ حَلْوَيْتُهُ وَيَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ يَغْبُفُهُ الْقَرَاخُ (٨٥٥)

رَأَيْتُ مَعَاشِرًا يُنْتَى عَلَيْهِمْ إِذَا شَبِعُوا وَأَوْجُهُهُمْ قَبَاحُ

يَظَلُّ الْمُصْرَمُونَ لَهُمْ سُجُوداً وَإِنْ لَمْ يُسَقَّ عِنْدَهُمْ ضِيَاخُ (٨٥٦)

فقيمة المرء ما يملكه من الإبل وسائر الأنعام عندهم لأنها المال عندهم كما مرَّ؛ فيعلو سفيه بماله، وينحط عزيزٌ لفقره. وإن كان فيهم أمثال حاتم الطائي القائل (٨٥٧):

يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا

إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا مَا مَاتَ يَتَّبَعُهُ سُوءُ الثَّنَاءِ وَيَحْوِي الْوَرَاثَ الْإِبِلًا

وإن كان كرمُ حاتم ونظيرته هذه ونظرة قومه بني طيئ خاصة (٨٥٨) إلى المال ليست استثناءً تاماً فهذا مما يتفاوت فيه الناس والأقوام كما هو الحال في كل زمان، لكن ما يطبع المرحلة هو

(٨٥٢) الغل: الحقد، والكلم: الجرح.

(٨٥٣) القالي، المصدر السابق: ١٠٢/٢.

(٨٥٤) ديوان الهذليين: ٨٢/٣، والسكري، شرح أشعار الهذليين: ٢٣٨/١.

(٨٥٥) الحلوب: ما يُحلب، وينكُل: يجبن، والغبوق: شرب العشي، والقراخ: الصافي. يريد: من لا يعزُّ لا يكن له لبن ويكن غبوقه الماء القراخ.

(٨٥٦) المُصرمون: المقلون الفقراء، والضياخ: اللبن الرقيق الكثير الماء.

(٨٥٧) حاتم الطائي، المصدر السابق: ص ١٨١.

(٨٥٨) ينقل صاحب شعراء طيئ هذه النظرة عن القبيلة كلها ويستشهد بشعر حاتم هذا، انظر: أحمد حالو، المصدر السابق: ص ١٨٨.

ما يكون عليه أكثر الناس، وحيث لا شريعة ينزجر بها الناس ولا قوانين تضبط المعاملات وتحفظ الأموال في كثير من الأحيان وجدنا في قليل ما وصل من الشعر الجاهلي صوراً عديدةً للاعتداء على أموال الآخرين أو الاستبداد بالمال دون سائر أهله، مما هو بين الناس أنفسهم كأبناء مجتمع واحد؛ من هذه الصور ما جاء في سبب حرب الفساد^(٨٥٩) التي فرقت بطون قبيلة طيِّئ مدّةً طويلةً وطحنت راحها القبيلة لعقود: أن رجلاً من جديلة كانت له ناقة عند رجل من بني ثعل، فجاء يطلبها، فتغيّب عنه أو منعه إياها، فجاء رهط من جديلة مع صاحبهم فأغاروا على إبلٍ لرجل من العوث يُدعى بالحساس، فقال أحد الجدليين وكان يقال له مُصَّاب^(٨٦٠):

نَحْنُ أَخَذْنَا إِبِلَ الْحَسَّاسِ

إِنَّا وَجَدْنَاهُ أَذْلَ النَّاسِ

عَبْدًا لَتَيْمًا مِنْ بَنِي خُنَّاسِ

فطلبهم بنو ثعل فلاحقوهم في منازلهم، فرمى رجلٌ من جديلة مصاباً فأصابه واستردّوا الإبل، فقال الثعلبي^(٨٦١):

نَحْنُ رَدَدْنَا إِبِلَ الْحَسَّاسِ

إِنَّا وَجَدْنَاهُ أَعَزَّ النَّاسِ

فمضت جديلة حتى أقبل قومٌ من العوث من عند ملك من ملوك غسان، فلقيتهم جديلة على ماء يدعى صباحاً، فقتلوهم وطرحوهم في ذلك الماء، فقال عامر بن جوين الطائي^(٨٦٢):

قَتَلُوا ثَمَانِيَةَ بَظْنَةٍ وَاحِدٍ تِلْكَ الْمُقَطَّرُ مِنْ أَسْرَتِهَا الدَّمُ^(٨٦٣)

(٨٥٩) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٨/١٣. وأحمد حالو، المصدر السابق: ص ١٣٢.

(٨٦٠) أحمد حالو، المصدر السابق: ص ٨٢٢.

(٨٦١) أحمد حالو، المصدر السابق: ص ٨٣٥.

(٨٦٢) أحمد حالو، المصدر السابق: ص ٧٦٨.

وعامر بن جوين بن عبد رُضا: من طيِّئ، كان سيّداً شاعراً وفارساً شريفاً، وهو الذي نزل به امرؤ القيس في هربه من المنذر، وقد تبرأ قوم عامر منه لجرائره وفتكه، وقد على النعمان بن المنذر وهجاه. انظر: أحمد حالو، المصدر السابق: ص ٧٥٦، وابن حبيب، أسماء المغتالين: ٢٠٩، وابن حبيب، المحبر: ص ٣٥٢، وابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١١٧/١.

(٨٦٣) الظنّة: التهمة، والأسرة: جمع سرّ، مثل أفنة وقنّ، وسرّ قومه: أفضلهم، يريد أن الدم سيقطر من سرّ قوم القتلة وسادتهم.

فكانت بينهم أيام وأيام؛ كل ذلك مبدؤه من التسلط على أموال الآخرين والاستبداد بها، وهم من قبيلة واحدة، فتحزب أفرادها للبطون وتقاتلوا كما تتقاتل الأمعاء داخل الإنسان وهي منه!

ومن مشهور حوادث التسلط على أموال الناس والاستبداد بها جاء في سبب عقد حلف الفضول^(٨٦٤): أَنَّ رَجُلًا مِنْ زُبَيْدٍ قَدِمَ مَكَّةَ بِبِضَاعَةٍ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَكَانَ ذَا قَدْرِ بِمَكَّةَ وَشَرَفٍ، فَحَبَسَ عَنْهُ حَقَّهُ، فَاسْتَعَدَى عَلَيْهِ الزُّبَيْدِيُّ الْأَحْلَافَ عَبْدَ الدَّارِ، وَمَخْزُومًا، وَجُمَحَ، وَسَهْمًا، وَعَدِيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَأَبَوْا أَنْ يُعِينُوهُ عَلَى الْعَاصِ وَانْتَهَرُوهُ، فَلَمَّا رَأَى الزُّبَيْدِيُّ الشَّرَّ أَوْفَى عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَرِيشٍ فِي أُنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ^(٨٦٥):

يَالَ قُصَيِّ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتَهُ بِيَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ^(٨٦٦)
وَأَشْعَثِ مُحْرِمٍ لَمْ يَقْضِ حُرْمَتَهُ بَيْنَ الْمَقَامِ وَبَيْنَ الرُّكْنِ وَالْحَجَرِ^(٨٦٧)
أَقَانِمٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بِذِمَّتِهِمْ أَمْ ذَاهِبٌ فِي ضَلَالٍ مَالٍ مُعْتَمِرٍ
إِنَّ الْحَرَامَ لَمَنْ تَمَّتْ حَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الْفَاجِرِ الْعُدْرِ

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وجمع بطون قريش في دار ابن جدعان وتعاقدوا، وكان حلف الفضول، وكان بعدها أن أنصفوا الزبيدي من العاص. فالرجل غريبٌ مُحْرِمٌ بعمره عند من يدعون تعظيم الحرم والحج إليه، ثم يؤكل ماله جهاراً نهاراً، ولولا أنه شاعرٌ عرف أي سلاح يشهر في وجوه القوم ما قام أحدٌ لإنصافه ممن استبدَّ به وأكل ماله.

وطمعاً بالمال والرزق لا يمتنع عندهم أن يقتلوا ويغتصبوا، بل ويصير ذلك مفخرة لهم عند بعض الشعراء، ففي قول النابغة الذبياني^(٨٦٨):

هُم مَنَعُوا وَادِي الْفَرَى مِنْ عَدُوِّهِمْ بِجَمْعِ مُبِيرٍ لِلْعَدُوِّ الْمُكَائِرِ^(٨٦٩)
وَهُمْ قَتَلُوا الطَّائِيَّ بِالْحَجْرِ عَنُوةً أَبَا جَابِرٍ وَاسْتَنَكُّوهُ أُمَّ جَابِرِ^(٨٧٠)

(٨٦٤) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٢٨٨/١٧، وابن هشام، المصدر السابق: ١/١٣٣، والسهيلي، المصدر السابق: ٧٢/٢، وسعيد الأفغاني، المصدر السابق: ص ١٨٣.

(٨٦٥) الأحمدي، شعراء مذحج: ص ٥٥١.

(٨٦٦) يال قصي: يا آل قصي؛ وخفف للضرورة.

(٨٦٧) حرمة: يريد إحرامه للعمرة، يعني: عُمرته كما في رواية أخرى للبيت.

(٨٦٨) النابغة الذبياني، المصدر السابق: ص ١٠٠.

(٨٦٩) مُبِير: مُهْلِك.

(٨٧٠) الحجر: مدينة اليمامة، والعنوة: القهر والغلبة.

أن قوماً من بني عُذرة قتلوا رجلاً من طيِّئ اسمه أبو جابر ونكحوا امرأته وغلَّبوا على وادي القرى الذي كان فيه، وكان وادياً كثيراً النخل؛ فقتلوا الرجل وأخذوا امرأته واستبدوا بالوادي !
والأشد في القتل للاستبداد بالمال أنه قد يوقع حرباً بين قبيلتين، فعندما هاجمَ نفرٌ من زبيد باليمن سيدياً من قضاة طمعاً بما كان معه من الطعام والميرة، فثارَ أخوه عبد الله لمقتله قامت حربٌ بين قضاة ومدحج بسبب ذلك، وفي الثأر له يقول أخوه عبد الله بن الحارث الخولاني^(٨٧١):

أخي بأخيكُم إن أردتم سَلامَةً وإلا فجدُّوا، يُوقِدِ الحَربِ مُوقِدُ^(٨٧٢)
أخذنا بزبيدِ نَفْسَ زبيدِ أخيكُم وَكَانَتْ نيارُ الجَوفِ مِنِّي تَوَقَّدُ^(٨٧٣)
فأسئتُ أبا لي بعدما ظفرتُ بهِ يميني أغارَ الناسُ يوماً أو انجدوا^(٨٧٤)

ولأن الغريب منكسر دائماً وصموت، على نحو قول الشاعر عمرو بن غنم الطائي:

صمئتُ ولم أكنُ قدماً عيباً ألا إنَّ العَريبَ هو الصَّموتُ^(٨٧٥)

ومع تعظيمهم كذلك الجوار وحرمة الجار كما مرَّ فقد وجدنا الجار غريباً مستضعفاً - وكل غريب مستضعف! - يستمرئ كثيرون النيل منه والاستبداد به؛ من ذلك ما جاء أن بني مُحلم بن ذهل بن شيبان أغاروا على إبل جارٍ للشاعر حزن بن كهف^(٨٧٦)، فلحق بهم حزن وحاربهم وأعاد الإبل إلى جاره، وقال^(٨٧٧):

(٨٧١) هفل، اليونس، قبيلة خولان أخبارها وأشعارها في الجاهلية والإسلام، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية، ط١، ٢٠١٦: ص٤٢٢.

وهو عبد الله بن الحارث: أخو بني سعد من خولان، شاعر جاهلي، عُرف بهذه الأبيات التي قالها في مقتل أخيه. انظر: اليونس، المصدر السابق: ص٤٢٠.

(٨٧٢) جدُّوا: استعدوا وتهيؤوا.

(٨٧٣) النيار: النار، وتوقد: تتوقد وتشتعل.

(٨٧٤) أغار: اتجه نحو الغور، وأنجد: أتى نجداً، وهي نحو قولنا: شرَّقوا أو غرَّبوا. ورأى صاحب خولان أن (أغار): أسرع وشد في العدو؛ والصواب ما ذكرت.

(٨٧٥) وهو عمرو بن غنم بن مالك، من طيِّئ، شاعر جاهلي، وعُرف الشاعر بالصَّموت لهذا البيت، انظر: أحمد حالي، المصدر السابق: ص٧٤٠.

والقدّم من الناس: العيب عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم، والعيب: خلاف البيان.

(٨٧٦) حزن بن كهف بن أبي حارثة: أحد بني مازن من تميم، وسيد من ساداتهم وفرسانهم، شاعر جاهلي. انظر: الأمدي، المصدر السابق: ص١٢٧، والمعيني، المصدر السابق: ص٤٠٠، والزركلي، المصدر

أَمِنْ مَالِ جَارِي رُحْتِ تَحْتَرِشُ الْعِنَى وَتَدْفَعُ مِنْكَ الْفَقْرَ يَا ابْنَ مُحَلِّمٍ (٨٧٨)
لَقَدْ مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ وَأَخْطَأْتَ جَهْلًا وَجْهَةَ الْمُتَغَنِّمِ (٨٧٩)
فَمَا نَحْنُ بِالْقَوْمِ الْمُبَاحِ جَمَاهُمْ وَمَا الْجَارُ فِينَا إِنْ عَلِمْتَ بِمُسْلِمٍ (٨٨٠)
وَأَنَا مَتَى نُتَدَبُ إِلَى الْمَوْتِ نَأْتِيهِ نَخُوضُ إِلَيْهِ لُحْجَ بَحْرِ مِنَ الدِّمِّ (٨٨١)

ومن استضعاف الجار كذلك والاستبداد بماله بين أفراد القبيلة ما ذكر عن عمرو بن عمران الأسدي وقد كان جاراً للشاعر حَرِّيَّ (٨٨٢) بن ضمرة التميمي، فسطا قيس بن حسان البكري على قلوب لعمر و فأخذها، فشكا عمرو قيساً إلى حَرِّيِّ، فانطلق حَرِّيُّ إلى قيس فضربه وأخذ من إبله ثلاثين لقة دفعها إلى جاره عمرو بدل قلوبه، وقال (٨٨٣):

وَعَمْرُو بْنُ عِمْرَانَ حَبَوْتُ بِهِجْمَةٍ مَكَانَ قَلُوصِ رَازِحٍ أَنْ أُعَيَّرَا (٨٨٤)
فَأَوْفَيْتُهُ مِنْهَا ثَلَاثِينَ جِلَّةً وَلَمْ يَكُنْ نَصْرِي الْجَارُ أَنْ أُتَدَبَّرَا (٨٨٥)
مَخَافَةَ يَوْمٍ أَنْ أَسَبَّ بِمِثْلِهَا إِذَا أَظْهَرَ السَّبُّ الَّذِي كَانَ مُضْمَرًا

فالشاعر لا يقبل أن يستضعف أحد جاره فيستبد بماله، فمن يستضعف جاره يستضعفه، والغارة على مال جاره عازٌّ كبير لا يرضاه، لأنه سيكون سبباً عليه، فلا يكتفي برد مال جاره، بل يزيده أضعاف ما سلب منه؛ كرامة لجواره وحفظاً لسمعته بين الناس.

ونحو هذه القصة ما جاء عن أهل بيتٍ من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان جاوروا في بني عبد الله بن غطفان، فذهب رجل من بني عبد الله إلى غلامٍ من الثعلبيين له إبلٌ كِرَامٌ حِسَانٌ، فلم يزل

السابق: ١٧٥/٢.

(٨٧٧) المعيني، المصدر السابق: ص ٤٠٠.

(٨٧٨) تحترش: تصطاد.

(٨٧٩) المتغنم: طالب الغنيمة.

(٨٨٠) مُسْلِمٌ: متروك، وأسلمته: تركته لمن يريد النكاية به.

(٨٨١) تُتَدَبُّ: تُطَلَّبُ، واللحج: الأمواج العاتية.

(٨٨٢) ضبطه جامع شعر تميم المعيني (حَرِّيِّ)، لكن أبا فهر محمود شاعر ضبطه هكذا (حَرِّيِّ) في طبقات ابن سلام، وقال: (منسوب إلى الحرّة على وزن بَرِّيِّ). انظر: الجمحي، المصدر السابق: ٥٨٣/٢. وهو حَرِّيُّ بن ضَمْرَةَ بن ضَمْرَةَ بن جَابِر بن قَطْن، من بني دارم من تميم، من عائلة شعر وفروسية وشرف وشهرة؛ حتى قال عنهم ابن سلام الجمحي: لا أعلم في تميم رهطاً يتوالون توالي هؤلاء. ومن عقب حَرِّيِّ نهشل ومالك وكلاهما فارس شاعر. انظر: المعيني، المصدر السابق: ص ٣٠٨، والجمحي، المصدر السابق: ٥٨٣/٢، وابن حجر، المصدر السابق: ٣٩٤/٦، والزركلي، المصدر السابق: ٤٩/٨.

(٨٨٣) المعيني، المصدر السابق: ص ٣٠٩.

(٨٨٤) حبوت: أعطيت، والهجمة: قطعة من الإبل تبدأ من أربعين إلى مئة، ورازح: هزيل ضعيف.

(٨٨٥) جِلَّةٌ: ناقة.

يخدع الثعلبي حتى اشترى الإبل منه بغنم، فرجع الغلام إلى أبويه فأخبرهما، فقالا: هلكت والله وأهلكتنا. وهرع أبو الغلام إلى مزرد بن ضرار الغطفاني الذبياني^(٨٨٦) فقصَّ عليه القصة، فقال مزرد: أنا ضامن لك إبلك أن تُردَّ عليك بأعيانها، وقال في قصيدة طويلة^(٨٨٧):

أَتَانِي وَأَهْلِي فِي جُهَيْنَةَ دَارُهُمْ بِنِصْعِ فَرَضُوِي مِنْ وَرَاءِ الْمَرَايِدِ^(٨٨٨)
تَأْوُهُ شَيْخِ قَاعِدٍ وَعَجُوزِهِ حَرِيْبِيْنَ بِالصَّلْعَاءِ ذَاتِ الْأَسَاوِدِ^(٨٨٩)
وَعَالًا وَعَامًا جِيْنَ بَاعَا بِأَعْنُزِ وَكَلْبِيْنَ لِعُبَايِيَّةَ كَالْجَلَامِدِ^(٨٩٠)
هَجَانًا وَحُمْرًا مُعْطِرَاتٍ كَأَنَّهَا حَصَى مَعْرَةَ أَلْوَانِهَا كَالْمَجَاسِدِ^(٨٩١)
فَرَدُّوْا لِقَاحِ الثَّعْلَبِيِّ أَدَاؤُهَا أَعْفُ وَأَتَقَى مِنْ أَدَى غَيْرِ وَاحِدِ^(٨٩٢)
فَإِنْ لَمْ تَرُدُّوْهَا فَإِنَّ سَمَاعَهَا لَكُمْ أَبَدًا مِنْ بَاقِيَاتِ الْقَلَائِدِ^(٨٩٣)

فهذا شاعرٌ عرف كيف ينتصر لجاره، فبدأ بسلاح خفيف لكنه خطير، وهو الكلمة، وشهره كما فعل الزبيدي محدثاً قوم المستبدِّ بمال الرجل من هجاء يبقي عليهم طول الدهر إن لم يردوا حق الرجل المغرَّر به. وجاء عن ربيعة بن مقروم الضبيِّ الشاعر نحو هذا مع مستجير به^(٨٩٤).

(٨٨٦) مزرد الذبياني: هو يزيد بن ضرار بن حرْملة، ولقبه مزرد، من ثعلبة بن سعد بن ذبيان، يُكنى أبا ضرار وأبا الحسن، شاعر فارس، وهو أخ الشاعر الشَّمَاخ بن ضرار وأسنَّ منه، كان هجاءً خبيث اللسان، أدرك مزرد الإسلام وأسلمَ ووفدَ على رسول الله. انظر: الجَمَّاح، المصدر السابق: ص ٤٠٣، والأمدي، المصدر السابق: ص ٢٩١، وابن حجر، المصدر السابق: ٦٧/٦، والمرزباني، المصدر السابق: ص ٥٥٩، والزركلي، المصدر السابق: ٢١١/٧.

(٨٨٧) الضبي، المفضليات: ص ٧٥، والأنباري، شرح المفضليات: ص ١٣٠.

(٨٨٨) نِصْع: موضع، ورضوى: جبل بالقرب من المدينة، والمرابد: المحابس تُحبس فيها الإبل وغيرها.

(٨٨٩) التَّأْوُهُ: التحزُّن والتلهُّف لشيء قد فات، والحريبان: المحرومان لا مال لهما، والصلعاء والأساود: موضعان.

(٨٩٠) عالاً: افتقراً، عال يعيل: إذا افتقر، عاماً: ذهبت إبلهما فصارا يشتهيان اللبن، من عام يعيم عيمة وهو عيمان إلى لبن يشتهي، واللعبانية: إبل شداد شَبَّهها بالعباء، وهي الأرض ذات الحجارة الصلبة، والجلامد: الحجارة، جمع جُلُمود.

(٨٩١) الهجان هنا: البيض، والمعطرات: السمان، حصى مغرة: في ألوانها والمغر والمغرة: لون على الحمرة، يريد أنها حُمر، والمجاسد: جمع مجسد، وهو الثوب يُصبغ بالزعفران.

(٨٩٢) اللقاح: جمع لقحة، وهي ذات اللبن.

(٨٩٣) يريد: إن لم تردوها هُجيتم هجاء يبقي عليكم لازماً كالقلائد في أعناقكم.

(٨٩٤) انظر: ربيعة بن مقروم، الضبيِّ، ديوانه (جمع وتحقيق: تناصر حروفش)، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٩: ص ٤٩. وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٠٠/٢٢.

فإن كان ما مرّ من الاعتداء على الآخرين والاستبداد بأموالهم لأسبابٍ شخصيةٍ فقد جاء الاعتداء على أموال الآخرين والاستبداد بها وسيلةً عند الصعاليك لردّ الاستبداد، فكان حسب فلسفتهم ردّ الظلم بظلم يدفعه؛ فلا بأس بالاعتداء على أموال التجار والزعماء ليردّوه بينهم يتفاسمونه ويعيشون منه حياتهم في التشرّد والضياع في مجاهيل صحراء جزيرة العرب، حتى صارت العرب والعجم في الجزيرة يخافون الصعاليك ويرسلون أشدّ الفرسان يحمون قوافلهم التجارية. فأبو الصعاليك عروة بن الورد يرجع إلى قومه كما يروي ابن السكّيت (٨٩٥) فيجد بهم شدّة وفاقّة، فيستنهض نفراً منهم معه يقاسمهم بعيداً له ويمضون لاقتناص غفلة قومٍ آخرين، دون أن يأبهوا لمن يحاول تنيهم عن تمرّدهم؛ لأنّ عروة استحكم في نفسه حاجة أصحابه وهو لا يدري ما يقول لمن يسأله. فيقول يشرح حاله مع أصحابه بعد أن رفض استكانتهم للجوع والفقر وحملهم على النهوض للسطو على إبل أناس آخرين (٨٩٦):

قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنَيْفِ تَرَوُّحُوا عَشِيَّةً بِنْتَا عِنْدَ مَآوَانِ رُزْحٍ (٨٩٧)
تَنَالُوا الْمُنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَّاحٍ مِنْ عَنَاءِ مُبْرَحٍ (٨٩٨)
وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا مِنْ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ (٨٩٩)
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ رَغِيْبَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ (٩٠٠)
لَعَلَّكُمْ أَنْ تَصْلُحُوا بَعْدَمَا أَرَى نَبَاتِ الْعِضَاهِ الْمُقْبِلِ الْمُتْرَوِّحِ (٩٠١)

(٨٩٥) انظر: أبو يوسف، يعقوب بن السكّيت، شعر عروة بن الورد العبسي (تحقيق: محمد فؤاد نعناع)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥: ص٥١.

(٨٩٦) ابن السكّيت، شعر عروة: ص٥٢، والشنتمري، شرح الحماسة: ٦٤٣/٢، والمرزوقي، المصدر السابق: ٤٦٤/١.

(٨٩٧) الكنيف: حظيرة تُعمل للغنم والإبل، وتروحو: سيروا وقت الرواح، وهو بعد الزوال بقليل إلى الليل، ورزح: جمع رازح، وهو الساقط من الإعياء الهزيل.

(٨٩٨) المبرح: الملح الشديد.

(٨٩٩) المقتر: المقلّ، ويطرح نفسه كل مطرح: يبتعد عن أهله ويرمي نفسه في كل مشقة.

(٩٠٠) الرغيبية: الشيء المرغوب فيه، والمُنْجِح: الناجح الظافر.

(٩٠١) العضاه: كل ما كان من شجر البرّ، والمُقْبِل: الذي أقبل بيتل بعد اليبس، والمتروّح: الذي استقبل البرد فوجد مسّه تقطّر ورقه من غير مطر؛ يريد ما يكون من حال هذا النبات وقد دبّت فيه الحياة من جديد، وهذا ما يريده لأصحابه.

يُنْوَعُونَ بِالْأَيْدِي وَأَفْضَلُ زَادِهِمْ بَقِيَّةُ لَحْمٍ مِنْ جَزُورٍ مُمْلَحٍ (٩٠٢)

فعروة يرى الحل لمن استبدَّ بهم الجوع وقهرتهم الحياة حتى عجزوا عن الوقوف أن يستبدَّوا هم كذلك بغيرهم، فيأخذون ما يرون بالقوة، فلا يقبل لضحايا الحياة الاجتماعية والاقتصادية المضطربة أن يستكبنوا، فينهض بهم ويحملهم على غزو آخرين ليدفعوا الجوع والحاجة عن أنفسهم وإن غامروا بحياتهم فهي لا تعني لهم الكثير، يقول الدكتور يوسف خليف: (وأساس فلسفة عروة أن الغزو والإغارة للسلب والنهب السبيل الوحيد للغنى لمن هو في مثل حالته ..، وليس وراء ذلك سوى إحدى نتائج ثلاث: نجاح الغزوة أو إخفاقها أو الموت في سبيلها؛ أما إن كانت الأولى فقد حققت أهدافه وجاء الغنى معها، وأما إن كانت الثانية فقد أبلغ نفسه عذرها "ومُبلغ نفسٍ عذرها مثل مُنجح"، وأما إن كانت الثالثة فالموت خير من حياة الفقر والجوع والذل والهوان) (٩٠٣). لذا نجده يرقص منتشياً وقد استبدَّ ببعض بني الفَيْن وسلبَ إبلهم ورجع بمن معه والغنائم، فيقول (٩٠٤):

أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ أُدَبَّ عَلَى الْعَصَا فَيَأْمَنُ أَعْدَائِي وَيَسْأَمُنِي أَهْلِي (٩٠٥)
رَهِينَةٌ قَعْرِ الْبَيْتِ كُلِّ عَشِيَّةٍ يُلَاعِبُنِي الْوَلْدَانُ أَهْدِجُ كَالرَّأْلِ (٩٠٦)
أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ رَكَابِكُمْ فَإِنَّ مَنَائِمَ الْقَوْمِ خَيْرٌ مِنَ الْهَزْلِ
فَأَيْنَكُمُ لَنْ تَبْلُغُوا كُلَّ هِمَّتِي وَلَا إِرْبَتِي حَتَّى تَرَوْا مَنِيَّتَ الْأَثْلِ (٩٠٧)
لَعَلَّ انْطِلَاقِي فِي الْبِلَادِ وَرَحْلَتِي وَشَدِّي حَيَازِيمَ الْمَطِيَّةِ بِالرَّحْلِ (٩٠٨)

(٩٠٢) ينوون بالأيدي: ينهضون بجهد ومشقة معتمدين على الأيدي. ومملح: به أدنى شيء من شحم، والملح: الشحم.

(٩٠٣) خليف، المصدر السابق: ص ٣٢٦.

(٩٠٤) ابن السكيت، شعر عروة: ص ٥٥.

(٩٠٥) يسأم: يمل.

(٩٠٦) رهينة قعر البيت: مرتته لا يبرح قعر بيته، وهديج يهدج: مشى مضطرباً في ارتعاش، والرأل: فرخ النعام.

(٩٠٧) إربتي: حاجتي، والأثل: شجر الواحدة منه: أثلة، قال ابن السكيت: (ويروى: منبت النخل، .. كأنه كان يعزو الحجاز والجبال لأن الأثل إنما ينتب بالجبل، فيقول: المكان الذي تُطلب فيه الغارة هو منبت الأثل، والهمة هناك، ومنبت النخل: يعني: حتى تروا يثرب، وهي أرض نخل، أي: أغير على أهل يثرب) ابن السكيت، شعر عروة: ص ٥٥.

(٩٠٨) الحيازيم: جمع حيزوم، وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام، ورحل البعير: مركب يُوضع عليه.

سَيَدْفَعُنِي يَوْمًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُخْلِ (٩٠٩)

فالذي يبخل بماله لا ينفقه في وجوه الخير دواؤه عند الصعاليك أن يأخذوها منه بالقوة، ليدفعوا عن أنفسهم الفقر والجوع؛ فهذا التسلط والاستبداد بأموال الناس عندهم خير من الاستكانة والجلوس في البيوت كالنساء فيملهم أهلهم! ومن إباء الضيم والاستكانة قصة عمرو بن بَرّاقة الهمداني (٩١٠) وقد أغار حريم المرادي على إبله فاستاقها، فما استكان عمرو ولا سكتت عن حقه؛ بل ردّ عليه فغزاه واستاق كل شيء له، حتى اضطر حريم أن يأتيه يرحوه ماله، فأبى عمرو وتغنّى (٩١١):

تَقُولُ سُلَيْمَى لَا تَعَرِّضْ لِنَيْفَةٍ وَأَلْيَكُ عَنْ لَيْلِ الصَّعَالِيكِ نَائِمٌ (٩١٢)
وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ جُلُّ مَالِهِ حُسَامٌ كَلُونِ الْمِلْحِ أبيضُ صَارُمٌ
غَمُوضٌ إِذَا عَضَّ الكَرِيهَةَ لَمْ يَدْعُ لَهَا طَمَعاً طَوْعُ الْيَمِينِ مُلَازِمٌ (٩١٣)
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الصَّعَالِيكِ نَوْمُهُمْ قَلِيلٌ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ الْمُسَالِمٌ (٩١٤)
إِذَا اللَّيْلُ أَدَجَى وَالكَفَهَرَتْ نُجُومُهُ وَصَاحَ مِنَ الإفْرَاطِ بُومٌ جَوَائِمٌ (٩١٥)
وَمَالَ بِأصْحَابِ الكَرَى غَالِبَاتُهُ فَيَأْتِي عَلَى أَمْرِ الغَوَايَةِ حَازِمٌ (٩١٦)
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ لَا تَأْخُذُونَهَا مُرَاعِمَةٌ مَا دَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمٌ (٩١٧)

(٩٠٩) الهجمة: قطعة من الإبل تبدأ من أربعين إلى مئة.

(٩١٠) عمرو بن بَرّاقة: هو عمرو بن الحارث بن مُنْبَه بن شَهْر، من بني نهم من همدان، وبرّاقة أمه، شاعر شجاع فاتك صعوك، كان صاحب تَأْبَطِ شَرّاً والشنفرى، وكان من العدائين. أدرك الإسلام وهو شيخ كبير ووفد على عمر بن الخطاب. انظر: شريف، علاونة، عمرو بن بَرّاقة الهمداني سيرته وشعره، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٥، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٩٨/٢١، وابن حجر، المصدر السابق: ١١٠/٥، والزركلي، المصدر السابق: ٧٦/٥.

(٩١١) علاونة، المصدر السابق: ص ١٠٩، والقالي، المصدر السابق: ١٢٢/٢، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٩٨/٢١.

(٩١٢) التلفة: المهلكة. وليك عن ليل الصعاليك نائم: أي: واقض ليلك نائماً، وخلّ الصعاليك ساهرين. وإسناد النوم إلى الليل مجاز. انظر: أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٩٨/٢١.

(٩١٣) غموض: من غمض السيف في اللحم: غاب، والكريهة: الشدة.

(٩١٤) الخلي: الخالي من الهموم. يرى الدكتور خليف أن في هذه الحادثة دليلاً على أن الصعلكة لا تعني الفقر بالضرورة، بل تعني الغزو والإغارة للذهب والسلب. انظر: خليف، المصدر السابق: ص ٢٤.

(٩١٥) أَدَجَى: أظلم، والظلام المكفهر: المتراكب الظلمة، والأفراط: الأكام، وهي الجبال الصغار واحدها: فُرْط.

(٩١٦) الكرى: النوم والنعاس، وغالباته: أي نعساته المستولية على الإنسان، والغواية: الجهل.

مَتَى تَطْلُبِ الْمَالَ الْمُمْتَنِعَ بِالْقَنَاءِ تَعِشْ مَا جِدَّ أَوْ تَحْتَرِمَكَ الْخَوَارِمُ^(٩١٨)

فالصلوك الثائر المتمرد لا يأبه للمخاطر في سبيل هدفه؛ فالحياة التي يعيشونها تجعلهم في نفي دائم، إن نام غيرهم قاموا وإن هدا الآخرون استنفروا للغزو والإغارة.
ويلح الصعاليك في تصوير سوط الاستبداد يکوي بالجوع والفقر ظهورهم، فالصورة التي رسمها عروة في قوله:

يُتَوَعُونَ بِالْأَيْدِي وَأَفْضَلُ زَادِهِمْ بَقِيَّةُ لَحْمٍ مِنْ جَزُورٍ مُمْلَحٍ

تكررت عند غيره من الصعاليك^(٩١٩)؛ فيقول الأعم الهذلي^(٩٢٠):

زَعَمْتُ خَنَازَ بَأَنَّ بُرْمَتَنَا تَغْلِي بِلَحْمٍ غَيْرِ ذِي شَحْمٍ^(٩٢١)

إِنَّا لَنَأْكُلُ لَحْمَنَا؛ فَاسْتَيْقِي فِي غَيْرِ مَنَقْصَةٍ وَلَا إِثْمٍ

ويصور السليک بن السلکة أثر الجوع في جسده، فيقول^(٩٢٢):

وَمَا نَلْتُهَا حَتَّى تَصَعَلْكَتُ حِقْبَةً وَكَدْتُ لِأَسْبَابِ الْمَنِيَّةِ أَعْرَفُ

وَحَتَّى رَأَيْتُ الْجُوعَ بِالصَّيْفِ ضَرَّيَ إِذَا قَمْتُ تَغْشَانِي ظِلَالٌ فَأَسْدِفُ^(٩٢٣)

فما مرّ به من الفقر والصلکة دفعه للتمرد وسلوك سبيل الصعاليک في السلب والنهب، وجاء قوله هذا في وصف أثر الجوع الشديد حتى ليکاد يسقط من الهزال في قصيدة يفتخر فيها بقتله شيخاً له إبل، فقتله السليک واستاقها مع صحبه الصعاليک؛ يقول^(٩٢٤):

وَعَاشِيَّةٍ رَاحَتْ بِطَانًا دَعَرْتُهَا بِسَوِّطٍ قَتِيلٍ وَسَطَّهَا يَنْسَيْفُ^(٩٢٥)

(٩١٧) المُرَاعَمَةُ: الغصب والقسر، وقائم السيف: مقبضه.

(٩١٨) القنأ: الرماح، تخترمك المخارم: تهلكك المهالك.

(٩١٩) انظر: خليف، المصدر السابق: ص ٢٣٤، والأمين عبد القادر، المصدر السابق: ص ٣٧.

(٩٢٠) السكري، شرح أشعار الهذليين: ٢٣٤/١.

(٩٢١) خناز: أراد جارتها التي عابت طعامه، وهي من خنز اللحم: أنتنّ وفسد، فجعلها وصفاً عاماً لها على زنة (فعال).

(٩٢٢) حميد، ثويني، السليک بن السلکة أخباره وأشعاره، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٩٨٤: ص ٦٠، والمعيني، المصدر السابق: ص ٥٥.

(٩٢٣) أسدِف: دخل في الظلمة، والسَدْفُ والسُدْفَةُ: الظلام. يريد أنه يُعشى عليه من شدة الجوع.

(٩٢٤) ثويني، المصدر السابق: ص ٦٠، والمعيني، المصدر السابق: ص ٥٥.

(٩٢٥) العاشية: الإبل في العشي، ويتسيف: يُضرب بالسيف؛ يريد صاحب الإبل الذي قتله.

كَأَنَّ عَلَيْهِ لَوْنٌ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ إِذَا مَا أَتَاهُ صَارِحٌ يَتَلَهَّفُ (٩٢٦)
 فَبَاتَ لَهُ أَهْلٌ خَلَاءَ فَنَاؤُهُمْ وَمَرَّتْ بِهِمْ طَيْرٌ فَلَمْ يَتَعَيَّفُوا (٩٢٧)
 وَبَاتُوا يَظْنُونَ الظَّنُونَ وَصُحْبَتِي إِذَا مَا عَلُوا نَشْرًا أَهْلُوا وَأَوْجَفُوا (٩٢٨)

كأنما يبزر استبداده بالرجل وقتله إياه! مع تصويره المأساة الإنسانية التي خلفها مقتل الشيخ من بكاء أهله وافتقاده وخلاء بيته بموته، يقابل ذلك نشوة تلعب برووس الصعاليك لظفرهم بالإبل.

وقريب من هذا ما نجده عند صلوك آخر، هو قيس بن الخدادية؛ إذ أغار على هوازن فأصاب سبياً ومالاً، وقتل رجالاً من بني قشير، وأصاب أبياتاً من كلاب واستاق أموالهم، وهو يقول (٩٢٩):

نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ قُبَاً بَطُونُهَا تَرَاهَا إِلَى الدَّاعِي الْمُثَوِّبِ جُنْحًا (٩٣٠)
 قَرَعْنَا قُشَيْرًا فِي الْمَحَلِّ عَشِيَّةً فَلَمْ يَجِدُوا فِي وَسْعِ الْأَرْضِ مَسْرَحًا (٩٣١)
 قَتَلْنَا أَبَا زَيْدٍ وَزَيْدًا وَعَامِرًا وَعُرْوَةَ أَفْصَدْنَا بِهَا وَمُرْوَحًا (٩٣٢)
 وَأَبْنَا بِإِبِلِ الْقَوْمِ تُحْدَى وَنِسْوَةً يُبَكِّجِينَ شِلْوًا أَوْ أُسِيرًا مُجْرَحًا (٩٣٣)
 غَدَاةً سَقَيْنَا أَرْضَهُمْ مِنْ دِمَائِهِمْ وَأَبْنَا بِأَدَمٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ وَضَحًا (٩٣٤)
 لَقَدْ عَلِمْتَ أَفْنَاءَ بَكْرِ بْنِ عَامِرٍ بَأْنَا نَدْوُدَ الْكَاشِحِ الْمُتْرَحِزَحَا (٩٣٥)

(٩٢٦) البُرد: الكساء، ومحَبَّر: مخطَّط بالحمرة، إشارة إلى دماء الشيخ المقتول، والصارخ المتلهف: المتحرزن على القتيل.
 (٩٢٧) خلاء فناؤهم: يريد أنه بيوتهم خالية، ولم يتعيفوا: لم يزجروا الطير ليعرفوا ما تنبئ به، مما كان عليه أهل الجاهلية من زجر الطير والنتيامن والتشاوم بجهة طيرانها.
 (٩٢٨) باتوا يظنون الظنون: يريد أهل القتيل، وأهل: صاح رافعاً صوته، وأوجفوا: استحنَّوا الإبل.
 (٩٢٩) الضامن، المصدر السابق: ص ٣٣.
 (٩٣٠) القيب: دقة الخصر وضمور البطن. والتثويب: تثنية الدعاء، وجُنْح: جمع جانحة، أي: مائلة إليه مُقبلة عليه.
 (٩٣١) قرعنا: غزونا وضربنا، ومسرحاً: يريد ملجأ يسرحون فيه.
 (٩٣٢) أفصده: طعنه فلم يخطئه.
 (٩٣٣) أب: رجع، وتُحْدَى: تُساق، والشلو: كل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية.
 (٩٣٤) بادم: بنسوة سبايا، والأدمة: السمررة، وُضَحًا: بيضاً، يريد أن السبايا صرن أدماً لشدة ما قاسين من ذل السبي.

وَأَنَا بِلَا مَهْرٍ سِوَى الْبَيْضِ وَالْقَنَّا نُصِيبُ بِأَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ مَنْكَحًا

وهنا نجد المعاني الإنسانية التي سمعناها من عروة بن الررد تتوارى، لتعلو صرخات الانتقام والاستبداد في وجه الاستبداد؛ لكن في جهة أخرى؛ فالفقر والجوع واحتكار الخيرات يعالجه السليك مثلاً بنهب شيخ كبير يسلبه ماله ويقتله، وقيسٌ بغزو أناس آمنين يسوق أرزاقهم غنائم ونساءهم سبايا يفاخر بما لحق بهنّ من ذل السبي ومرارته. ويكون الفخر بما يغتنمه الصعلوك من الإبل والأنعام، وإن غدرًا ومكرًا بأصحابها، يقول السليك^(٩٣٦):

يَا صَاحِبِيَّ أَلَا لَآ حَيَّ بِالْوَادِي إِلَّا عَبِيدٌ وَأَمِّ بَيْنَ أَدْوَادِ
أَتَنْظُرَانِ قَلِيلًا رَيْثَ عَفَلْتَهُمْ أَمْ تَعْدُونَانِ فَإِنَّ الرِّيحَ لِلْعَادِي

فقد أغار بصحبة رجلين معه على قومٍ من مُراد باليمن، فرأوا ملء الأرض إبلًا، فهابوا أن يُغيروا فيلحقهم الطلب، فنزل السليك وتقصّى الخبر فعرف من العبيد أن الحيّ بعيد عنهم، وتظاهر أنه يريد مساعدتهم، وراح يتغنّى ليسمعه أصحابه، فلما سمعاه أتياه فاطردوا الإبل وذهبوا بها.

والصعاليك في كل هذا الاستبداد بالآخرين والسطو على أموالهم يرون أنهم أصحاب قضية عادلة، تنوعت دوافعهم إليها، لهم فلسفتهم يفرضونها بالقوة، على نحو ما مرّ من قول ابن بَرَاقَة:

مَتَى تَطْلُبِ الْمَالِ الْمُمَنَعِ بِالْقَنَّا تَعِشْ مَا جِدًّا أَوْ تَخْتَرْمَكَ الْخَوَارِمُ^(٩٣٧)

ويقول الشنفرى^(٩٣٨):

نَحْنُ الصَّعَالِيكُ الْحَمَاهُ الْبُرُلُ^(٩٣٩)

(٩٣٥) الأَفْنَاءُ: الأَخْلَاطُ، وَالكَاشِحُ: الَّذِي يَضْمُرُ الْعِدَاوَةَ، وَالْمَتْرَحِزُ: الْمَتْبَاعُ.

(٩٣٦) ثَوِينِي، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٥١، وَالْمَعِينِي، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٦٤.

(٩٣٧) يَقُولُ الدُّكْتُورُ خَلِيفٌ تَعْلِيقًا عِنْدَ هَذَا الشَّاهِدِ: (وَالخَطَةُ الْعَمَلِيَّةُ فِي فِلْسَفَتِهِمُ الْغَزْوُ وَالْإِغَارَةُ، وَكَمَا كَثُرَ فِي شِعْرِهِمُ الْحَدِيثُ عَنِ الْجَانِبِ التَّنْفِيزِيِّ مِنْ هَذِهِ الْخَطَةِ، كَثُرَ أَيْضًا حَدِيثُهُمْ عَنِ الْجَانِبِ التَّنْفِيزِيِّ مِنْهَا، أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى كَثُرَتْ دَعْوَتُهُمْ إِلَيْهَا. وَأَكْثَرُ مَنْ ظَهَرَ عِنْدَهُ هَذَا الْجَانِبُ التَّنْفِيزِيُّ عُرْوَةُ بِحُكْمِ وَضْعِهِ دَاعِيَةً لِفِلْسَفَةِ الصَّعْلَكَةِ. وَأَسَاسُ دَعْوَتِهِمْ أَنَّ هَذِهِ الْخَطَةُ هِيَ السَّبِيلُ الْوَحِيدَةَ لِلْغَنَى لِمَنْ هُوَ فِي مِثْلِ حَالَتِهِمْ: مَتَى تَطْلُبِ الْمَالِ الْمُمَنَعِ بِالْقَنَّا تَعِشْ مَا جِدًّا أَوْ تَخْتَرْمَكَ الْمَخَارِمُ). انظر: خَلِيفٌ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٢٣٨.

(٩٣٨) الشَّنْفَرِيُّ، الْأَزْدِيُّ، شِعْرُهُ (تَحْقِيقٌ: أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ عَبِيدٌ)، الْمَجْمَعُ الثَّقَافِيُّ، أَبُو ظَبْيِي، الْإِمَارَاتُ، ٢٠٠٠: ص ١٢٢. وَأَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ١٦١/٢١.

(٩٣٩) بُرُلٌ: جَمْعُ بَازِلٍ، وَهُوَ الْبَعِيرُ الَّذِي طَلَعَ نَابَهُ.

إِذَا لَقِينَا لَا نُرَى نُهْلِلُ

ويقول السليك وقد خرج في غزوة له مع أصحابه الصعاليك، فأسر أحدهم واسمه صُرْد، فقاتل السليك حتى فكَّ أسره ونكّل بالختعميين الذين أسروه وساق إبلهم^(٩٤٠):

بَكَى صُرْدٌ لَمَّا رَأَى الْحَيَّ أَعْرَضَتْ مَهَامُهُ رَمَلٍ دُونَهُمْ وَسُهُوبٌ^(٩٤١)
 وَخَوْفَهُ رَيْبُ الزَّمَانِ وَقَفْرُهُ بِلَادٌ عَدُوٌّ حَاضِرٍ وَجُدُوبٌ^(٩٤٢)
 فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّهَا قَضِيَّةٌ مَا يُقْضَى لَهَا فَنُوبٌ^(٩٤٣)
 رَدَدْتُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ فَكَأْتَمَا تَلَاقَى عَلَيْهِ مِنْسَرٌ وَسُرُوبٌ^(٩٤٤)
 وَقُلْتُ لَهُ: خُذْ هَجْمَةً حِمِيرِيَّةً وَأَهْلًا، وَلَا يَبْعُدْ عَلَيْكَ شَرُوبٌ^(٩٤٥)

فهي قضية يحاربون من أجلها ويدفعون الاستبداد عن أنفسهم، ويأخذون من الأموال ما يرون لأنفسهم حقاً فيها، فهم حماة العدالة عند أنفسهم، وبطلب المال بالقوة تكون الحياة الكريمة ويرتفع الاستبداد!

لكن الصعاليك لم يكونوا سواء في الحرص على تحقيق العدالة ورفع الاستبداد، فكان بعضهم أكثر إخلاصاً لقضيته من آخرين؛ حتى إن عروة نفسه وهو أبو الصعاليك اشتكى منهم بعد أن ذبح لهم بعيه ونهض بهم من الحظيرة التي أقاموا فيها وغزا بهم، ثم بعد كل ذلك عاندوه وآذوه في تقسيم الغنائم، فقال^(٩٤٦):

أَلَا إِنَّ أَصْحَابَ الْكَنْيَفِ وَجَدْتُهُمْ كَمَا النَّاسُ لَمَّا أَحْصَبُوا وَتَمَوَّلُوا^(٩٤٧)

(٩٤٠) ثويني، المصدر السابق: ص ٤٤، والمعيني، المصدر السابق: ص ٥٣.

(٩٤١) مهامه: قفار ملساء التي لا نبات فيها واحدها: مهممة، وسُهُوب: السَّهْب من الأرض: المستوي في سهولة، والسُّهوب: الفلاة التي لا مسلك فيها.

(٩٤٢) جدوب: أرض جذب وجدبة: لا نبات فيها، والجمع: جُدُوب.

(٩٤٣) نُوب: نرجع.

(٩٤٤) المنسر: قطعة من الجيش تسير أمامه وهي الطليعة. والسروب: جمع سرب وهو القطيع والمجموعة.

(٩٤٥) الهجمة: قطعة من الإبل تبدأ من أربعين إلى مئة، والشَّرُوب: ما يُشرب.

(٩٤٦) ابن السكيت، شعر عروة: ص ٥٨.

(٩٤٧) الكنيف: الحظيرة من شجر، وأخصبوا: نالوا الخصب، وتمولوا: كثر مالهم.

وَإِنِّي لَمَدْفُوعٌ إِلَيَّ وَلَاؤُهُمْ بِمَاوَانَ إِذْ نَمَشِي وَإِذْ نَتَمَلُّ (٩٤٨)
فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَذِي الْأُمِّ أَرْهَنْتُ لَهُ مَاءَ عَيْنَيْهَا تُقَدِّي وَتَحْمِلُ (٩٤٩)
فَلَمَّا تَرَجَّتْ نَفْعَهُ وَشَبَابَهُ أَتَتْ دُونَهَا أُخْرَى جَدِيدٌ تَكْحَلُ (٩٥٠)
فَبَاتَتْ لِحَدِّ الْمَرْفَقَيْنِ كَلِيهِمَا تُوْخُوخُ مَمَّا نَابَهَا وَتُوْلُولُ (٩٥١)
تَخَيَّرُ مِنْ أَمْرَيْنِ أَيْسَا بَغِطَةً هُوَ النَّكْلُ إِلَّا أَنَّهَا قَدْ تَجَمَّلُ (٩٥٢)

فأبو الصعاليك احتضنهم وانتزعهم من ذلّ العيش في الحظيرة، وقاسمهم ماله ورعاهم كما لو أنهم أبناءه؛ حتى صاروا ينسبون أنفسهم إليه ويعرفهم الناس به، وما زال عروة بهم حتى قاموا وغزا بهم، فلما كانت الغنائم رأوا أنه استبدّ بالمال دونهم وتنكروا لكل ما كان منه؛ فحالهم كالأمّ ترعى ولدّها وتسقيه ماء عينيها ليكبر وتسعد به فيتزوج، فإن تزوّج سلبته امرأته وفاءه لأمّه وتنكّر لمعروف والدته وعقّها، حتى لتكاد أمّه تدعو عليه بالموت (٩٥٣).

ولا غرابة أن يتباين الصعاليك في الأهداف والسعي إليها وهم من فئات شتى، وتتوّعت ألوان الاستبداد التي عاشوها، فالخليع قيس بن الخدّادية كان فاتكاً خليعاً صلوكاً، خلعتُه خُزاعة قبيلته في سوق عُكاظ، فكان أثر ذلك في شعره حتى مقتله، فحينما خلعه قومه نزل عند بطن آخرين من خُزاعة آووه وأحسنوا إليه، فقال يمدحهم (٩٥٤):

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عَنْ خَلِيْعٍ مُطَرِّدٍ رَجَالًا حَمَوَهُ آلُ عَمْرُو بْنِ خَالِدٍ

(٩٤٨) إِلَيَّ وَلَاؤُهُمْ: ينسبون أنفسهم له لأنه نهض بهم وأعانهم، وإذ نمشي وإذ نتملل: لا نقدر أن نمشي حتى تأخذنا الملة من شدة الضعف. والملة: عرق الحمى.

(٩٤٩) تَقَدِّي: تقول له: جُعلت فداك.

(٩٥٠) جديد: يريد زوجته، وتكحل: تتكحل.

(٩٥١) لحد المرفقين: أي مكبة مطرقة متكئة على مرفقيها، وتوحوح: الوحوحة صوت معبح، وتولول: تدعو بالويل وترفع صوتها بالبكاء، ونابها: أصابها.

(٩٥٢) تخيّر: تختار، والغبطة: المسرة، وتجمّل: تتجمل وتتلفظ في حديثها ولا تظهر الذل والحزن على نفسها.

(٩٥٣) وهكذا الأصحاب في الثورة وكل قضية، ما تزال النفوس متقاربة في المغرم، حتى إذا كان بعض المغنم تغيرت النفوس المريضة وتبدلت!

(٩٥٤) الضامن، المصدر السابق: ص ٣٤، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٥٢/١٤.

فَلَيْسَ كَمَنْ يَعْزُو الصَّدِيقَ بَنُو كِه
 وَهَمَّتْهُ فِي الْعَزْوِ كَسْبُ الْمَزَاوِدِ (٩٥٥)
 تَجَنَّى عَلَيْنَا الْمَازِنَانَ كِلَاهُمَا
 فَلَا أَنَا بِالْمُعْضِي وَلَا بِالْمُسَاعِدِ (٩٥٦)
 وَقَدْ حَدَبْتُ عَمْرُو عَلَيَّ بِعِزِّهَا
 وَأَبْنَائِهَا مِنْ كُلِّ أَرْوَعٍ مَاجِدِ (٩٥٧)
 أَوْلَيْكَ إِخْوَانِي وَجُلُّ عَشِيرَتِي
 وَتَزَوُّتُهُمْ وَالنَّصْرُ غَيْرُ الْمُحَارِدِ (٩٥٨)

فالشاعر الصعلوك الخليع هنا نجده تبرأ من رابطة الدم على قدسيته عند الجاهليين، وامتدح رابطة النصر والإيواء والجوار؛ لأنها تعترف بإنسانيته وكرامته (٩٥٩)، وذلك لمرارة الخلع في بيئة جاهلية يستبدُّ القوي فيها بالضعيف فيأكله ويأكل ماله وحقوقه، فتجد قيساً لا ينسى خلعه وهو يقاتل القتال الذي مات فيه، ويتذكر خلع قبيلته إياه (٩٦٠)؛ لأنه لولا أنه خليع طريد ما تجرأ عليه قاتلوه، يقول (٩٦١):

أَنَا الَّذِي تَخَلَعُهُ مَوَالِيهِ
 وَكُلُّهُمْ بَعْدَ الصَّفَاءِ قَالِيهِ (٩٦٢)
 وَكُلُّهُمْ يُفْسِمُ لَا يُبَالِيهِ
 أَنَا إِذَا الْمَوْتُ يَنْوُبُ غَالِيهِ (٩٦٣)
 مُخْتَلِطٌ أَسْفَلُهُ بِغَالِيهِ
 قَدْ يَعْلَمُ الْفَتَيَانُ أَنِّي صَالِيهِ (٩٦٤)

-
- (٩٥٥) النَّوْكَ: الحمق، والمزاد: جمع مَزَوْد، وهو وعاء الزاد.
 (٩٥٦) تَجَنَّى: ادعى عليه ذنباً لم يفعله، وأغضى: تجاهل وصرف نظره عنه.
 (٩٥٧) حدبت: عطفت، والأروع: من يعجبك بحسنه وشجاعته.
 (٩٥٨) الثروة: كثرة العدد بين الناس، والمال غير المحارذ: غير المنقطع؛ من: حارذت الإبل حرذاً، أي: انقطعت ألبانها أو قلت.
 (٩٥٩) انظر: جبر وحمد، المصدر السابق: ص ٨. وقد وهم الكاتبان فنسبا الأبيات إلى حاجز الأزدي، وزعموا أنها لحاجز في الأغاني؛ وهي في الأغاني لابن الحدادية، وعن الأغاني جمعها حاتم الضامن في شعر قيس بن الحدادية في عشرة شعراء مقلون: الضامن، المصدر السابق: ص ٣٤.
 (٩٦٠) انظر: خليف، المصدر السابق: ص ٣٣١.
 (٩٦١) الضامن، المصدر السابق: ص ٤٤، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٤/١٦٠. وابن حبيب، من نسب إلى أمه (ضمن نوادر المخطوطات): ٩٧/١.
 (٩٦٢) قاليه: مُبِغْضُهُ.
 (٩٦٣) ينوب: ناب الأمر: نزل. والغالي في الأمر: المبالغ فيه.

إِذَا الْحَدِيدُ رُفِعَتْ عَوَالِيهِ

جاء في خبر الأبيات كما ذكر الأصفهاني: (وكان من خبر مقتل قيس بن الخُدَاديَّة أنه لقي جمعاً من مُزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غرّةً، فقالوا له: استأسِرْ، فقال: وما ينفَعكم مِنِّي إذا استأسرتُ وأنا خليع؟! والله لو أسرتُموني ثم طلبتُم بي من قومي عنزاً جرباء جدماء ما أعطيتُموها، فقالوا له: استأسِرْ لا أمَّ لك! فقال: نفسي عليّ أكرم من ذاك، وقاتلهم حتى قُتل. وهو يرتجز ويقول: أنا الذي تخلعه ..) (٩٦٥)؛ فلأنه خليع ليس له من يطالب بدمه إن قُتل أو أُسر تهون نفسه عليه، فيدفعها ثمن كرامته ويموت. وهو في كل ذلك لا يخرج عما يشبه العتاب لقومه، دون هجوم كلامي بالهجاء أو فعلي بحرب أو إغارة؛ ما يؤكد رابطة العصبية القبلية التي عاشها الجاهلي تجاه قبيلته (٩٦٦).

وكان في الصعاليك كما سبق كذلك غير قليل من أغربة العرب أبناء الإماء السود، ممن اكتوى بنار الاستبداد الاجتماعي مع الاقتصادي، لذا نجد السليك يقول (٩٦٧):

أَلَا عَنَيْتَ عَلَيَّ فَصَارَ مَتْنِي وَأَعْجَبَهَا ذُوو اللَّمَمِ الطَّوَالِ (٩٦٨)
فَأَيُّ يَا ابْنَةَ الْأَقْوَامِ أُرْبِي عَلَيَّ فَعَلِ الْوَضِيَّ مِنَ الرَّجَالِ (٩٦٩)
فَلَا تَصْلِي بِصُعْلُوكِ نَوْمٍ إِذَا أَمْسَى يُعَدُّ مِنَ الْعِيَالِ (٩٧٠)
وَلَكِنْ كُلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ بِنَصْلِ السَّيْفِ هَامَاتِ الرَّجَالِ
أَسَابَ الرَّأْسِ أَيُّي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى لِي خَالَةً وَسَطَ الرَّجَالِ (٩٧١)

-
- (٩٦٤) صاليه: صلي الأمر: عانى شدته ومشقته.
(٩٦٥) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٦٠/١٤.
(٩٦٦) انظر: زيتوني، المصدر السابق: ص ٨٦ وما بعدها.
(٩٦٧) ثويني، المصدر السابق: ص ٦١، والمعيني، المصدر السابق: ص ٥٦.
(٩٦٨) صارمتي: قاطعتني، واللمم: جمع لمة، وهو الشعر المجاور لشحمة الأذن.
(٩٦٩) أربي: أزيد وأرجح، والوضي: الوضيء، وهو الأبيض من الرجال.
(٩٧٠) نؤوم: كثير النوم، وهي من أمارات الدلال والرفاهية، والعيال: من يعولهم المرء وينفق عليهم؛ يريد أنه عالة على غيره لا يحسن الكسب.
(٩٧١) خالة: يريد عموم الإماء السود، لأنه أمه السلركة من الإماء.

يَشْتُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا وَيَعْجَزُ عَنْ تَخْلِصِهِنَّ مَالِي (٩٧٢)

فهو كأنما يبهر سلوكه درب الصعاليك؛ فمن يحبها أعرضت عنه لسواده والتفتت إلى غيره من الرجال المرفهين، وهو إنما سلك درب الصعلكة لما رآه من الاستبداد بالسود رجالاً ونساءً؛ وإنه ليفت في عضده ما يراه من إهانة للإماء واستعمالهن في الخدمة، ولا يقدر على فكاكهن! ويلج على هذا المعنى من الاستبداد في موضع آخر، فيقول (٩٧٣):

هَزَيْتُ أَمَامَهُ أَنْ رَأَيْتُ بِي رِقَّةً وَفَمًّا بِهِ فَقَمٌّ وَجِلْدٌ أَسْوَدٌ (٩٧٤)

أَعْطِي إِذَا النَّفْسُ الشَّعَاغُ تَطَلَّعَتْ مَالِي وَأَطَعُنْ وَالْفَرَائِصُ تَرَعْدُ (٩٧٥)

فهو إن كان محل استهزاء وازدراء ممن يحبها للونه الأسود؛ فهو جواد شجاع.

وهذه المرارة من التمييز حسب اللون والاستبداد الاجتماعي كانت أبرز موضوعات الشعراء السود عامة (٩٧٦)، فنجدها كذلك عند سُحيم عبد بني الحساس (٩٧٧)، إذ يقول (٩٧٨):

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ طَعَائِنِ تَحْمَلْنَ مِنْ جَبِّي شَرَوْرَى عَوَادِيَا (٩٧٩)

يُرَجِّلُنْ أَقْوَامًا وَيَبْرُكُنْ لِمَتِّي وَذَاكَ هَوَانٌ ظَاهِرٌ قَدْ بَدَأَ لِيَا (٩٨٠)

فَلَوْ كُنْتُ وَرَدًا لَوْنُهُ لَعَشِيفَتْنِي وَلَكِنَّ رَبِّي شَانِي بِسَوَادِيَا (٩٨١)

(٩٧٢) عن تخلصهن: عن فكاكهن من العبودية.

(٩٧٣) ثويني، المصدر السابق: ص ٥٠، والمعيني، المصدر السابق: ص ٦٧.

(٩٧٤) الفقم: الامتلاء وتقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى.

(٩٧٥) الشَّعَاغُ: المتفرق؛ أراد أنه يبذل ويعطي في وقت الشدة، والفرائص: واحدها الفريضة، وهي اللحمية بين الجنب والكتف. وترعد: ترتعد، وتعني: تضطرب، وترعد الفرائص: كناية عن الخوف والجبين.

(٩٧٦) انظر: عبده بدوي، المصدر السابق: ص ٢٨١.

(٩٧٧) سُحيم عبد بني الحساس: سُحيم تصغير أسحم بمعنى: الأسود، إذ كان عبداً حبشياً قبيحاً، وكان حلو الشعر رقيق حواشي الكلام، عدّه ابن سلام في الطبقة السابعة، أدرك الإسلام، وقُتل في خلافة عثمان بن عفان، قتله قومه لكثرة تشبيهه بنسائهم. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٤٠٨/١، والجمحي، المصدر السابق: ١٨٧/١، وابن حجر، المصدر السابق: ٢٠٦/٣، والزركلي، المصدر السابق: ٧٩/٣.

(٩٧٨) سُحيم، عبد بني الحساس، ديوانه (تحقيق: عبد العزيز الميمني)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠: ص ٢٤.

(٩٧٩) شَرَوْرَى: موضع أو جبل، والطعائن: النساء واحدها: طعينة.

(٩٨٠) يَرْجِلُنْ: يمشطن ويسرحن.

(٩٨١) شَانَهُ: عابه.

فَمَا ضَرَرَنِي أَنْ كَانَتْ أُمِّي وَلِيدَةً تَصُرُّ وَتَبْرِي بِاللَّقَاحِ التَّوَادِيَا(٩٨٢)

فالنسوة يداعبن الرجال البيض دونه، وإنما نَبَذْنَهُ جانباً لسواده، وهذه إهانة وتمييز واستبداد ضد أبناء جنسه ولونه؛ مع أن هذا من قدر الله عليه لا يد له فيه، ولا يرى ذلك منقصة؛ فلا يضره -وإن تركته النساء- أن أمه أمة سوداء تعمل في أدنى المهن ! ولعل هذا مما حمل سحيماً ليكون نموذجاً للتمرد والطغيان والفجور عندما تُتاح له فرصة الانتقام من نساء القبيلة التي كان فيها قوياً وفعالاً(٩٨٣)، فيلقى مصيره الأسود لقاء جرائره الكثيرة(٩٨٤).

وقال عنتره(٩٨٥):

فَإِنْ تَكُ أُمِّي غُرَابِيَّةً مِنْ أِبْنَاءِ حَامٍ بِهَا عِبْتَنِي(٩٨٦)

فَإِنِّي لَطِيفٌ بِيَبِيضِ الظَّبَا وَسُمْرِ العَوَالِي إِذَا جِئْتَنِي(٩٨٧)

فالمستهزئ بعنتره غض عن محاسنه وشجاعته، ولا يجد ما يعيبه به إلا سواد أمه فيجد ظهره بسوط الاستبداد هذا.

ويقول الشنفرى(٩٨٨):

لَقَدْ أَطَمْتُ كَفُّ الفَتَاةِ هَجِيئَهَا أَلَا بَتَرَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا

فالعبيد أذلاء عند الجاهليين يُضربون ويُهانون، حتى تنتفض نفس ثائرة كالشنفرى فيدعو على من تضرب عيها من النساء الحرائر بالكسر. ولذلة العبيد والإماء عندهم فهم الضلع الأضعف؛ يسهل الافتراء وإلقاء التهم عليهم، ولا يلزم في ذلك استبيان واستدلال، وإن كان من

(٩٨٢) الصِّرار: جرقة تُشدّ على أطباء الناقة لئلا يرضعها فصيلها، والتوادي: عيدان تُبرى وتشدّ على أخلاف الناقة لئلا تُرضع، واللحاق من الإبل: ذوات اللبن.

(٩٨٣) انظر: سحيم، المصدر السابق: ص ١٦، ص ٥٩، ص ٦٠.

(٩٨٤) انظر: عبده بدوي، المصدر السابق: ص ٨٧، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣٠٨/٢٢؛ وإنما أعرضت عن ذكر مقتل سحيم لأسباب: فهو مخضرم ومقتله كان في الإسلام، ولأنه جنى على نفسه بما جناه من الجرائم.

(٩٨٥) عنتره، العيسى، ديوانه (تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي)، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٣، ١٩٩٦: ص ٣٣٩.

(٩٨٦) غرابية: نسبة إلى الغراب؛ وهو عند العرب مضرب المثل في السواد والشؤم، فنسب أمه إليه لسوادها. وحام: هو حام بن نوح، ينسبون السودان إليه.

(٩٨٧) لطيف: دقيق خبير، والطبا: جمع طبة، وهي حد السيف والسنان والخنجر ونحوها، والعوالي: جمع عالية، وهي رأس الرمح.

(٩٨٨) الشنفرى، المصدر السابق: ص ١٢٧.

أب لابنه؛ إن كان يعترف به ابناً، كما يخبرنا عنتره وقد تحرّشت به زوجة أبيه، ثم زعمت أنه يُراودها عن نفسها، فأخذه أبوه وضربه، ولما رآها عنتره تنكبّ عليه تستنقذه منه وتبكي لما به من الجراح قال (٩٨٩):

تَجَلَّلْتَنِي إِذْ أَهْوَى الْعَصَا قَبْلِي كَأَنَّهَا صَنَمٌ يُعْتَادُ مَعْكُوفٌ (٩٩٠)
 الْمَالُ مَالِكُمْ وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ فَهَلْ عَدَاؤُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مَصْرُوفٌ (٩٩١)
 تَنْسَى بِلَائِي إِذَا مَا غَارَةٌ لَقِحَتْ تَخْرُجُ مِنْهَا الطَّوَالَاتُ السَّرَاعِيفُ (٩٩٢)
 قَدْ أَطْعَنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ عَنْ عُرْضٍ نَصْفَرُ كَفُّ أَخِيهَا وَهُوَ مَنزُوفٌ (٩٩٣)

فسواد اللون عاب في الجاهلية عند العرب بطلاً كعنتره، ولم تشفع له بطولته حتى عند أبيه الذي هو سبب وجوده، فيضربه ويهينه ويُدْمِيه، ويلاحقه سواده في المعارك، فيطعنه حُصَيْن بن ضَمْضَم المُرِّي (٩٩٤)، ويقول لعنتره وقد جرحه في وجهه (٩٩٥):

أَمَّا بَنُو عَبْسٍ فَإِنَّ زَعِيمَهُم أَحَلَّتْ فَوَارِسُهُ فَأَقَلَّتْ أَعْوَرًا (٩٩٦)
 لَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ بَيْنَ صُفُوفِنَا مُتَكَرِّرًا أَكْرَهْتُ فِيهِ الْأَسْمَرَ (٩٩٧)
 فَرَدَدْتُ عَنْ جَمْعِ السَّرَاةِ سَوَادَهُ وَرَدَدْتُهُ عَن صَفِّ مَرَّةٍ مُدْبِرًا (٩٩٨)

(٩٨٩) عنتره، المصدر السابق: ص ٢٧٠.

(٩٩٠) تجللتني: ألقنت نفسها عليّ تقيني الضربات، كأنها صنم: شَبَّهَهَا بِالصَّنَمِ لِأَنَّهُ يُصَوَّرُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَيُعْتَادُ يُلْتَزَمُ تَعْظِيمًا لَهُ، وَالْمَعْكُوفُ: الَّذِي يُعْكَفُ عَلَيْهِ.

(٩٩١) المال مالكم والعبد عبدكم: يريد عبوديته لأبيه لأنه كان ابن أمة؛ وذلك قبل أن يعتقه أبوه ويلحقه به.

(٩٩٢) تنسى: يريد: أنتسى؟ ولقحت: اشتدت، والطوالات: جمع طوالة من الخيل، والسراعييف: جمع سرعوفة، وهي الجرادة، ونشبه بها الفرس لخبثها وضمورها.

(٩٩٣) النجلاء: الواسعة، وعرض واعتراض: أي أعترض القرن فأطعنه. (وقوله: كف أخيبها: يعني صاحب الطعنة، أي: ينزف دمه فتصفر كفه؛ وإنما خص الكف لأنها أسرع أعضاء المين اصفراراً)؛ انظر: عنتره، المصدر السابق: ص ٢٧٢.

(٩٩٤) حُصَيْن المُرِّي: حُصَيْن بن ضَمْضَم بن جَابِر بن يَرْبُوع، من بني مَرَّةٍ من دُبْيَانَ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ فَارِسِيٌّ، كَانَ مَعَاصِرًا لَزَهْرِ بْنِ أَبِي سَلْمَى وَعَنْتَرَةَ وَوَرَدَ ذِكْرُهُ فِي أَشْعَارِهِمَا، وَقَدْ قَتَلَ أَحَدَ الْعَبْسِيِّينَ بِأَخِيهِ بَعْدَ أَنْ تَمَّ الصَّلْحُ فَكَادَ يَشْعَلُ الْحَرْبَ مَجْدِدًا بَيْنَ عَبْسٍ وَدُبْيَانَ. انظر: الجَمَّاح، المصدر السابق: ص ٣٦١، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٤١/٩، والبلاذري، المصدر السابق: ١١١/١٣.

(٩٩٥) الجَمَّاح، المصدر السابق: ص ٩٦، وعنتره، المصدر السابق: ص ٣٢٧.

(٩٩٦) أحلت: زالت ومالت.

(٩٩٧) العيد: يريد عنتره، وأكرهت فيه الأسمر: طعنته بالرمح وأدخلته فيه.

(٩٩٨) مَرَّةٌ: قوم الشاعر حُصَيْن.

لَمَّا رَأَى فُرْسَانَ مُرَّةً وَالْقَنَا لَمْ يَسْتَطِعْ لِقَانَهُمْ أَنْ يَصْبِرَا
تَرَكَتْ بِوَجْهِ الْعَبْدِ طَوْلَ حَيَاتِهِ أَرْمَاحُ مُرَّةً وَالْأَسِنَّةُ مَنْظَرًا (٩٩٩)

ثم كَرَّ عليهم عنتره فأدرك حصيناً وأخاه فطعنهما (١٠٠٠). فكما حمي وطيس معركة السيف
وعلا غبارها بين حُصين وعنتره وجدنا غبار معركة الشَّعر علا بينهما، فزفرَ حُصين بما كان
عليه الجاهليون تجاه العبيد من الاستبداد الاجتماعي.

ومن الاستبداد ضد العبيد ما نجده في قول عَميرة بن جُعَل (١٠٠١):

تَوَثَّقُ مِنْ إِخَاءِ الْحُرِّ إِيَّي رَأَيْتُ الْعَبْدَ فِي الْحَالَاتِ عِبْدًا
يَزِيدُ الْحُرَّ خَيْرًا كُلَّ يَوْمٍ وَخَيْرُ الْعَبْدِ قَدْ يَزْدَادُ بُعْدًا
إِذَا جَرِيًا لِعَايَةِ مَكْرَمَاتٍ كَبَا هَذَا وَبَرَزَ ذَلِكَ شَدًّا (١٠٠٢)

فهذه نظرة استبدادية تجاه العبيد، تجعل المكارم كلها للأحرار السادة، وترمي فوق العبيد
لسوادهم ورقم كل المثالب والقبايح، وعميرة هذا إن هجا أحداً وأراد الإقذاع رماه بأن أباه عبداً
وأُمَّه أُمَّة، كما في قوله (١٠٠٣):

فَمَنْ مُبْلِغُ عَنِّي إِيَّاسًا وَجَنْدَلًا أَخَا طَارِقٍ؛ وَالْقَوْلُ ذُو نَفْيَانِ (١٠٠٤)
وَإِذْ لَهُمْ ذَوْدٌ عَجَافٌ وَصِيبِيَّةٌ وَإِذْ أَنْتُمْ لَيْسَتْ لَكُمْ غَنَمَانِ (١٠٠٥)
وَجَدَّا كَمَا عَبْدًا عُمَيْرِ بْنِ عَامِرٍ وَأَمَا كَمَا مِنْ قَيْبَةِ أَمْتَانِ (١٠٠٦)

(٩٩٩) الأسنَّة: جمع سنان، وهو نصل الرمح.

(١٠٠٠) انظر: عنتره، المصدر السابق: ص ٣٢٧.

(١٠٠١) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٣٨٩.

وعَميرة بن جُعَل بن عمرو بن مالك: من بني تغلب، شاعر جاهلي، وصل قليل من شعره وفيه هجاء
لقومه تغلب. انظر: أبو زيد، المصدر السابق: ص ١٤٧.

(١٠٠٢) كبا: فشل وأخفق، وبرز: نجح وظفر.

(١٠٠٣) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٣٨٩. وانظر: الأنباري، شرح المفضليات: ص ٥٢١، والخطيب،
التبريزي، شرح اختيارات المفضل (تحقيق: فخر الدين قباوة)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧: ١١٥١/٣.

(١٠٠٤) ذو نفيان: يتفرق ههنا وههنا.

(١٠٠٥) الذود: جماعة الإبل من ثلاثة إلى عشرة، وعجاف: هزيلة، وغنمان: فرقتان من الغنم.

(١٠٠٦) قال التبريزي عند هذا البيت: (يريد أن الهوان فيما مضى كان لازماً لأوليتهم، وأن الهجنة والإقراف
كانا موجودين في آبائهم وأمهاتهم)؛ التبريزي، المصدر السابق: ١١٥٣/٣.

فالصورة التي أرادها الشاعر لهذَّين المهجَّوين في الافتقار والمهانة ليس شيء أبلغ عنده في بيانها من رميها بأنهما من نسل عبيد وإماء؛ إمعاناً في النَّظرة الدونية للعبيد واستبداداً من الجاهليين بهم.

وينقل عمرو بن قميئة صورة مأساوية للاستبداد ضد العبيد والإماء في الجاهلية، فيقول (١٠٠٧):

لَيْسَ طَعْمِي طَعْمَ الْأَرَانِبِ إِذْ قَدْ صَدَّ دَرُّ اللَّقَاحِ فِي الصِّنْبَرِ (١٠٠٨)
وَرَأَيْتَ الْإِمَاءَ كَالْجِعْتِ الْبَا لِي عُكُوفاً عَلَى قُرَارَةِ قَدْرٍ (١٠٠٩)

فالشاعر في معرض فخره بغناه نفى عنه المضامين التي تظهر على شريحة الفقراء زمن اشتداد البرد (١٠١٠)؛ فلم يجد أشد من صورة الإماء السود يأكل الأحرار ويرمون القُدور، فتلتفتُ الإماء من حولها ويكون طعامهنَّ بقايا الطعام التي تُترك في أسفل القدر لثُرمي لبعض الحيوانات؛ فذاك طعام الإماء، وبئس من طعام وبئس الاستبداد يبلغ بالإنسان أن يأكل ويرمي فضلته لأخيه الإنسان؛ لأنه مختلف عنه في اللون! فين الاستبداد الاجتماعي بالإماء لسوادهنَّ وسلب حريتهن أن يُعاملن بهذه الطريقة؛ فلا هنَّ يجلسن مع أضرابهن من النساء يأكلن، ولا يُتركنَ للأكل اللائق بإنسانيتهنَّ منفردات؛ بل لهن سقط الطعام وفضلات الأحرار من أسيادهنَّ!

وتحت وطأة الاستبداد تجاه العبيد والإماء وجدنا أبناء الإماء - الذين عُرفوا كما سبق بالأغربة - قد افترقوا في اتجاهات؛ فإن كانت الجزيرة العربية حتى بعد الإسلام بقرونٍ تكتظُّ بعبيدٍ سيقوا للعبودية والذلِّ فإنَّ منهم من سلك درب الصعلكة كما وجدنا عند الشنفرى والسُّليك، ومنهم من ارتقى فأثبت ببطولته وشجاعته أنه يليق بالحرية ونالها بسيفه بشرفٍ كعنترة.

وقبل أن يستبدَّ بالنفس أن المرأة الأمة كانت هي وحدها ضحية الاستبداد في الجاهلية، وأنها قضت بيد النساء الحرائر نستعرض بعضاً من ألوان الاستبداد التي جلدت المرأة العربية في الجاهلية، خلا ما مرَّ من قتلٍ بسبب كلمة (١٠١١)، واعتذارٍ قبل الأزواج (١٠١٢)، وعقوقٍ أبنائها إياها وإهانتها (١٠١٣)، والتحريق مع قومها (١٠١٤).

(١٠٠٧) عمرو، ابن قميئة، ديوانه (تحقيق: حسن كامل الصيرفي)، مطبوعات معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٦٥: ص ١٩٩.

(١٠٠٨) اللقاح: الحلوب من النوق، وقَلص دَرّها: امتنع وانقبض، والصنبر: البرد، وطعم الأرانِب: يُضرب بدرِّ الأرانِب في قَلَّة اللبن، انظر: الجاحظ، كتاب الحيوان: ٤٠/٥.

(١٠٠٩) الجعتن: أرومة الشجر إذا قُطعت، وعُكُوفاً: مقيمات، والقُرارة: ما بقي في القدر ولصق فيه من الطعام.

(١٠١٠) انظر: مسعد، العطوي، الغموض في الشعر العربي، شبكة الألوكة، ط ٢، ١٤٢٠ هـ: ص ١٦.

(١٠١١) انظر: ص ١٢٩.

فنستحضر أن أكثر العرب الجاهليين - كما مرّ بيانه - لم يكونوا يستبشرون خيراً بمولد الأنثى، بل قد يدفنها حياً كما كان عليه كثيرون منهم في الجاهلية، وقد يهجر الرجل امرأته أحياناً إن هي ولدت بنتاً، فقد ذكر الجاحظ: أن أبا حمزة الضبي لبغضه البنات هجر خيمة امرأته، وكان يقبل ويبيت عند جيران له حين ولدت امرأته بنتاً، فمرّ يوماً بخبائها وإذا هي ترقصها وتقول (١٠١٥):

مَا لِأَبِي حَمْرَةَ لَا يَأْتِينَا

يَظَلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا

عَضْبَانِ أَلَا نَلِدُ الْبَنِينَ

تَاللَّهِ مَا ذَلِكَ فِي أَيْدِينَا

وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينَا

وَنَحْنُ كَالْأَرْضِ لِزَارِعِينَا

نُنْبِتُ مَا قَدْ زَرَعُوهُ فِينَا

قال: فعداً الشيخ حتى ولج البيت فقبّل رأس امرأته وابنتها؛ فهذه ابنته التي زرع بذرها يقوى على هجرها، بل وعلى قتلها أحياناً. فإن كانت البنت وأُتيح لها أن تعيش وتكبر، فتبلغ سنّ الزواج كانت أمامها حواجز استبداد عديدة، فقد تهوى الفتاة من ترغب أن تبني معه عشّ الزوجية، ويكون لها جمال وذكر حسنٌ يبلغ أسماع المستبدين، فتتحرك أطماعهم نحوها لأنهم يرون أنفسهم يملكون الناس كما يملكون المال والملك؛ فكان من الحظّ العاثر لليلى بنت أكيز (١٠١٦) العفيفة أن تهوى البراق ابن عمّها، وكان فتى فارساً شجاعاً، فلما أن أراد الزواج بها بلغ الحديث العذب عن ليلى أسماع أصحاب إيوان كسرى، فأرادها ابنٌ لكسرى وقطع طريق

(١٠١٢) انظر: ص ٧٨.

(١٠١٣) انظر: ص ١٤٣.

(١٠١٤) انظر: ص ٥١.

(١٠١٥) الجاحظ، البيان والتبيين: ١/١٨٦. ورؤيت هذه الأبيات بألفاظ أخرى متقاربة، انظر: الألوسي، المصدر السابق: ٣/٥١، وجواد علي، المصدر السابق: ٥/٩٤.

(١٠١٦) ليلى بنت أكيز: هي ليلى بنت أكيز بن مرة بن أسد، من ربيعة من نزار، شاعرة جاهلي من نجد والحجاز، كانت تامة الحسن كثيرة الأدب، كانت تميل إلى ابن عمّها البراق فخطبها ابنٌ لكسرى، فأبت، فسجنها وعدّها وبقيت في سجنها حتى فكّها البراق وتزوجها، وفي أخبارها قلة وأوهام. انظر: مارديني، المصدر السابق: ص ١١٠، والزركلي، المصدر السابق: ٥/٢٤٩.

قومها وأسرّها للزواج به، لكنها أبنت ذلك، فعذبوها في أسرها لتعدل عن البراق وتتنزج ابن كسرى؛ فأبت وما زالت كذلك حتى استنفذها البراق، فكان مما قالت في أسرها(١٠١٧):

لَيْتَ لِلْبَرَّاقِ عَيْنًا فَتَرَى مَا الْأَقْيَمِ مِنْ بَلَاءٍ وَعَنَا
يَا كَلْبِيًّا وَعُقَيْلًا إِخْوَتِي يَا جُنَيْدًا سَاعِدُونِي بِالْبُكَاءِ(١٠١٨)
عَذِّبْتَ أَخْتُكُمْ يَا وَيْلَكُمْ بِعَذَابِ النَّكْرِ صُبْحًا وَمَسًا(١٠١٩)
قَيِّدُونِي غَلِّوْنِي وَأفْعَلُوا كُلَّ مَا سَنَيْتُمْ جَمِيعًا مِنْ بَلَاءِ(١٠٢٠)
يَكْذِبُ الْأَعْجَمُ؛ مَا يَقْرُبُنِي وَمَعِي بَعْضُ حُشَائِشَاتِ الْحَيَا(١٠٢١)
فَأَنَا كَارِهَةٌ بُعَيْتُكُمْ وَمَرِيرُ الْمَوْتِ عِنْدِي قَدْ حَلَا(١٠٢٢)

فالشاعرة دفعت ثمن اختيارها الحرّ، ودافعت عن اختيارها حريتها وعذاباً لا يعرف المستبدّ غيره لكسر الإرادة؛ لأنه لا يحتمل أن يخالفه أحد، فكيف لامرأة أن تقدّم أحداً عليه !

وليست ليلي الفتاة العربية التي يحاول كسرى أن يستبدّ بها فيزوّجها من شاء رغماً عنها لصفاتٍ مكتوبة عندهم كما يُروى(١٠٢٣)، فمن وافق أن تكون على تلك الصفة طلبوها ولم يكن لها أن تأتي.

وهنا امرأة أخرى كانت على شأن أكبر من ابنة لُكيز، وهي حُرقة بنت النعمان بن المنذر ملك الحيرة(١٠٢٤)؛ فهي الأخرى طلبها كسرى لأحد أبنائه، فعظم الأمر على النعمان وضافت به

(١٠١٧) يموت، المصدر السابق: ص٤٦، ومارديني، المصدر السابق: ص٢٩٦.
(١٠١٨) كليب وعقيل وجنيد: إخوة الشاعرة تستنجد بهم.
(١٠١٩) النكر: الصعب الشديد.
(١٠٢٠) البلاء: البلاء، وحذفت الهزة لضرورة الشعر، والبلاء: المصيبة.
(١٠٢١) الأعجم: كل من هو غير عربي، والحشائش: جمع حشاشة، وهي البقية من الحياة. والحياء: الحياء؛ وحذفت الهزة لضرورة الشعر.
(١٠٢٢) حلا: طاب.
(١٠٢٣) انظر: الطبري، التاريخ: ٢/٢٠١، وجاد المولى، المصدر السابق: ص١٩.
(١٠٢٤) في اسمها خلاف بين: حُرقة وخرقاء وهند؛ والغالب أنها هند وحُرقة لقب لها؛ انظر: عبد اللطيف، الطائي، الحُرقة بنت النعمان بن المنذر سيرتها وما بقي من شعرها، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ١٢، العدد ٣، لسنة ٢٠٠٥. وعبد القادر البغدادي، المصدر السابق: ٦٧/٧. وزينب، فواز العاملي، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢: ص٣٠٥. ويموت، المصدر السابق: ص٢٨.

الأرض ذرعاً، وأنف أن يزوج ابنته لأعجمي وإن كان الملك الذي يحكم هو بأمره، وقال في ذلك(١٠٢٥):

أَتَنْتِي أُمُورٌ لَا تُطَاقُ عَظِيمَةٌ وَأَصْبَحَ كَسْرَى عَلَيْهَا مُنَاوِيَا(١٠٢٦)
فَإِنَّ آتِ مَحْبُوبِ الْأَعْجَمِ طَائِعاً تَكُنْ سُنَّةً فِي لَحْمِ تُبْكِي الْبَوَاكِيا(١٠٢٧)

وبعد مشاورة أهل الرأي والقراية جزم ألا يزوجه لكسرى، فيكون تزويج العرب في العجم سنةً يبتدعها وسبباً تبقى عليه أبد الدهر، فاشتد عليه حتى اعتقله كسرى وقتله في السجن. فمضت الحرقة بنت النعمان في قبائل العرب هاربةً من كسرى، وكلما أجارها قومٌ طرّفهم كسرى بجنوده، حتى لم يعد يقوى أحد على إجاتها، فقالت الحرقة(١٠٢٨):

لَمْ يَبْقَ فِي كُلِّ الْقَبَائِلِ مَطْمَعٌ لِي فِي الْجَوَارِ فَقَتَلْتُ نَفْسِي أَعُودُ(١٠٢٩)
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً أَنِّي أَمُوتُ وَلَمْ يَعُدِّي الْعُودُ(١٠٣٠)
وَعَشِيْتُ كُلَّ الْعَرَبِ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذَا مِرَّةٍ حَسَنِ الْحَفِيظَةِ يُوجِدُ(١٠٣١)
جَمَدَتْ عِيُونَ النَّاسِ مِنْ عَبْرَاتِهَا وَقَلُوبُهُمْ صُمَّ صِلَادٍ جَلْمِدُ(١٠٣٢)
لَا يَرْحَمُونَ يَتِيمَةً مَحْزُونَةً مَقْتُولَةَ الْأَبَاءِ نِضْواً تُطْرَدُ(١٠٣٣)
تَبْغِي الْجَوَارَ فَلَا تُجَارُ وَقَبْلَ ذَا كَانَ الْمُنَادِي لِلْجَوَارِ يُسَوِّدُ

فهذه الشاعرة السيدة بنت الملوك عثر بها قدرها فأرادها كسرى لابنه كذلك؛ ولأن أباه تآبى أن يزوجها خسر ملكه، وكان لها أن تستدرك فتكون في أحضان كسرى ولا تخرج عما كانت عليه من الملك والعظمة، لكنها أثبت كذلك وصارت طريفةً في القبائل جزاء حريتها ووقوفها في وجه المستبدِّ. فألمها -وهي المفجوعة بفقدان أبيها وضياع ملكهم- أن تتجول بين قبائل العرب،

(١٠٢٥) الطائي، الحرقة: ص ٨٠.

(١٠٢٦) مناوياً: مناوياً، والمناوي: الخصم المعادي؛ وسهل الهمز للضرورة.

(١٠٢٧) لخم: هي قبيلة المناذرة ملوك الحيرة، ومنهم الملك النعمان قائل الأبيات.

(١٠٢٨) الطائي، الحرقة: ص ٨٦، ويموت، المصدر السابق: ص ٢٦.

(١٠٢٩) أعود: أنفع.

(١٠٣٠) عاد المريض: زاره؛ تريد أنها تموت غريبةً لا أحد يزورها أو يحضر لوفاتها.

(١٠٣١) المِرَّة: العقل، والقوة. والحفيظة: الحمية.

(١٠٣٢) الجلمد: الصخرة الصلبة، والصلاد: جمع صلْد، وهو الصخرة العريضة الملساء.

(١٠٣٣) نِضْواً: الثوب البالي الخلق؛ تريد أنها تمزقت كالثوب البالي.

فلا يجرؤ أحد على فتح حدود قبيلته لها ويجبرها؛ مع أن المشهور عندها تعظيم العرب الجوار حتى ليكون المستجير بمقام السيد فيهم؛ لكنه كسرى المستبد، وإذعان العرب له بصغار، لم يغسل ذلّه عنهم إلا تمام الأمر بعد مقتل النعمان من اجتماعهم في ذي قار وانتصافهم من الفرس في اليوم المشهور بذوي قار كما مرّ (١٠٣٤) !

وكان ممن نزلت فيهم وأحسنوا جوارها وقود يوم ذي قار من بني شيبان من بكر، ومما كان لهم في قصتها ويُسلّك في هذا الموضع امرأة من شيبان نزلت عندها، فقالت ترد على تهديد رجال كسرى النابحين باسمه، ومنهم قائد اسمه منصور (١٠٣٥):

قُولَا لِمَنْصُورَ لَا دَرَّتْ خَلَائِفُهُ مَا صَاحَ فِيهِمْ غُرَابُ الْبَيْنِ أَوْ نَعَقَا (١٠٣٦)
 مَنْ زَوْجِ الْفُرسِ يَا مَثْبُولَ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ - يَا مَخْذُولُ - أَوْ سَبَقَا؟ (١٠٣٧)
 يَا وَيْحَ أُمِّكَ يَا مَنْصُورَ إِنَّ لَنَا خَيْلًا كِرَامًا تَصُونُ الْجَارَ مَا عَلَقَا (١٠٣٨)
 بِاللَّهِ لَا نَالَ مَنْصُورَ لَجَارَتِنَا وَكُلُّ جَيْشٍ يَجِينَا يَرْجِعُنْ فِرْقَا

فهذه المرأة العزيزة الكريمة تصرخ في وجه المستبد تدافع عن حرية شخصية لامرأة مثلها أن تقبل الزواج أو ترفض لأنها صاحبة القرار، وإن تعاضم أمر المستبد إلى الإكراه فلا نقبل؛ فعندنا من يرد الاستبداد من رجال أشداء !

والإكراه على الزواج والاستبداد بالمرأة لم يكن من طرف الحاكم المستبد فحسب؛ بل لعل الأشد إيلاماً أن يكون أهل الفتاة أنفسهم، فإن حصل خلاف وكان ما تكره المرأة رجعت باللوم على أهلها ومن كان سبباً في الإيقاع بها حيث لا تحب، كما قالت امرأة من بني عامر بن صعصعة - وزوجت في طيئ فلم تحمدهم - تلوم أهلها الذين زوجوها (١٠٣٩):

لَا تَحْمَدَنَّ الدَّهْرَ أَخْتُ أَخَا لَهَا وَلَا تَرْثِيَنَّ الدَّهْرَ بِنْتُ لِي وَالِدِ

(١٠٣٤) انظر: ص ٨٢.

(١٠٣٥) نبوي، المصدر السابق: ص ٤١٥.

(١٠٣٦) الخلائف: التوق، واحدها: خَلْفَةٌ، والدُّرُّ: الحَلْب؛ تدعو عليه.

(١٠٣٧) متبول: فاسد العقل.

(١٠٣٨) ما علق: تريد ما أقام عندهم، أي: مدة إقامته.

(١٠٣٩) أحمد حالو، المصدر السابق: ص ١٥٢.

هُمْ جَعَلُوهَا حَيْثُ لَيْسَتْ بِحُرَّةٍ وَهُمْ طَرَحُوهَا فِي الْأَقَاصِي الْأَبَاعِدِ

فَلِهولٍ ما رأتُ في زواجها، وبخلاف ما عهدناه على أمثال الخنساء الشاعرة من بكاء الأخوة وعلى كثيرات ممن بكَيْنَ آباءهنَّ في الجاهلية؛ آلت هذه المرأة المنكوبة ألا تبكي أباً ولا أخاً، لأنهم كانوا سبباً في تعاستها وقذفوا بها في زواجٍ لا ترتضيه.

وفي كتب الأدب والأخبار نماذج كثيرة عن الجاهلية والإسلام لعشاقٍ باعدَ الأهلون بينهم، ففضوا أو هاموا على وجوههم بعد أن عجزوا عن العيش الذي ارتضاه لهم أهلهم رغماً عنهم؛ وأكثر هذه القصص من القصص الشعبي، والشعر فيها - على أهميته - شعر متهم في أكثره (١٠٤٠).

وذكر ابن حبيب في المغتالين عمراً ذا الكلب، وأن سبب اغتياله كان لامرأة أحبها من فهم وأحبتهم، فما زال رجالاً من قومها يترصدونه حتى قتلوه؛ فبكته حبيبته، لكنَّ صوتها لم يبلغنا شعراً، فكان أن بلغنا رثاء أخته (١٠٤١) فيه، ورثاء شاعر آخر من هذيل (١٠٤٢)، فمما قالت أخته في رثائه (١٠٤٣):

أَبْلُغْ هُدَيْلًا وَأَبْلُغْ مَنْ يُبْلِغُهَا عَنِّي رَسُولًا وَبَعْضُ الْقَوْلِ تَكْذِيبُ
بِأَنَّ ذَا الْكَلْبِ عَمْرًا خَيْرُهُمْ نَسَبًا بِيَطْنِ شَرِيَّانَ يَعْوِي عِنْدَهُ الذِّيبُ (١٠٤٤)
الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءُ يَنْبُعُهَا مُتَعَنِّجٌ مِنْ دِمَاءِ الْجَوْفِ أَنْعُوبُ (١٠٤٥)
المُخْرَجُ الكَاعِبِ الحَسَنَاءِ مُدْعِنَةٌ فِي السَّبْيِ يَنْفُخُ مِنْ أُرْدَانِهَا الطَّيِّبُ (١٠٤٦)

(١٠٤٠) انظر: زينب فواز، المصدر السابق: ص ٤٠٧، مع تعليق دقة في: ديوان بني أسد: ١٦٧/٢. ويموت، المصدر السابق: ص ١٢٦. وانظر: داود بن عمر، الأنطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العشاق (تحقيق: محمد ألتونجي)، علم الكتب، بيروت، ١٩٩٣.

(١٠٤١) في اسمها خلاف؛ فبعضهم سماها: رَيْطَةَ، وبعضهم: جَنْوَب، وآخرون: عَمْرَةَ. انظر: مارديني، المصدر السابق: ص ٤٧.

(١٠٤٢) انظر: ابن حبيب، أسماء المغتالين: ٢٥٨/٢، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٣٥١/٢٢، والسكري، شرح أشعار الهذليين: ٢٦٥/٢، ٢٧٨/٢؛ وعنده رواية أخرى لمقتله. ويموت، المصدر السابق: ص ١٤٩.

(١٠٤٣) مارديني، المصدر السابق: ص ٢٣٧.

(١٠٤٤) شريان: وادٍ، والذيب: الذئب؛ وسهلت الهمز.

(١٠٤٥) النجلاء: الواسعة، والمتعنجر: السائل من الماء والدمع، يقال: تَعَجَّرَ الماءُ فَاتَعَنَجَرَ: صبَّه فانصبَّ. وانتعَبَ الماءُ فهو تَعَبٌ وأتَعُوبُ: سأل.

وهنا نجد الرجل يقضي بسيف المستبدين لعشقي اقتحم عليه نفسه دون استئذان، فانزعج لذلك أفواجم لا يفهمون المشاعر، فيرفعون سوط استبدادهم ضد المحييين؛ فإن انتهوا وإلا هؤوا به عليهما أحدهما أو كليهما، ففي موت أحدهما موت الآخر وإن لم يكن بالسيف!

فإن تمّ وابتنت المرأة عشّ زوجها لتكوين الأسرة، التي هي نواة المجتمع في كل حين، ومع ما كان في الجاهلية من نماذج جيدة للحياة الزوجية؛ ففيها كذلك ممارسات استبدادية تخرب البيوت وتفسد أطر علاقة بين الجنسين، لاسيما إن كان الزواج لمصلحة سياسية أو غيرها؛ فهذه امرأة تغلبية يأتيهم ملك يحكمهم من ملوك اليمن، فلما أقام فيهم تزوج امرأة منهم، لكن بني تغلب لم يملكوه ومنعوه الإتاوة، فوقفت المرأة مع قومها وحاجبت زوجها وفخرت عليه، فما كان منه إلا أن ضرب وجهها وقال: "كأنك ترين أنك حرّة! قالت: وما يمنعني وأبي عمران، وجدّي عامر ملك الأزدي، وأمّي الوجيية ابنة عمرو بن عامر ملك الأزدي؟! قال: تلك القرابة منعتك! لولا ذلك لشددت شعرك إلى ذنب قلوّص جرباء صعبة حتى تقطّعك"، فخرجت المرأة باكية حتى أتت كليباً وقالت (١٠٤٧):

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً أَنَا عَيْدُ الْحَيِّ مِنْ غَسَّانِ
حَتَّى عَلْتُنِي مِنْ لَيْبِدٍ لَطْمَةً سَدَرْتُ لِحَامِي حَرَّهَا الْعَيْنَانِ (١٠٤٨)
لَا تَبْرَحُوا الدَّهْرَ الْجَدِيدَ أَدْلَةً شُنَجَ الْأَعْنَةَ يَوْمَ كُلِّ رَهَّانِ (١٠٤٩)
لَوْلَا الْوَجِيهَةُ قَطَعْتُنِي بِكَرَّةٍ جَرَبَاءُ مُشْعَلَةٌ مِنَ الْقَطْرَانِ (١٠٥٠)

وفي تنمة الخبر: أن كليباً بطش بليد فقتله، فقامت حرب بين تغلب واليمن ظفرت فيها تغلب وعظم شأن كليب بعدها. فالمرأة هنا كانت ضحية زواج ملك مستبدي ممن يراها أمة من رعيته،

(١٠٤٦) الكاعب: الأثنى قد كعب ثديها، ومذعنة: مطيعة، وأردانها: أكامها.

(١٠٤٧) انظر: علي بن محمد، العدوي الشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار (تحقيق: السيد محمد يوسف)، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٧: ١/١٩٧. وأبو زيد، المصدر السابق: ص ١٦٦، ص ٤٣٦. ويموت، المصدر السابق: ص ٤٤٤؛ وفي هذه المصادر بيان الخلاف في اسمها.

(١٠٤٨) سَدَرَ البعيرُ: تحيرَ نظره من شدة الحر فلم يكذب يبصر.

(١٠٤٩) شُنَجَ: جمع أشنج، والشَّنَجُ: تقبُّضُ الجلد والأصابع وغيرها، والأعنة: جمع عنان، وه وسير اللجام الذي تمسك به الدابة؛ أرادت أنهم ضعفاء في الحرب تقصر أيديهم عن أعنة الخيل في المعارك لذئهم وجبنهم.

(١٠٥٠) البكرة: الفتية من الإبل، وأشعل الإبل بالقطران: أكثره عليها، والقطران: عصارة تُطلى به الإبل الجربى.

حتى ليستنكر أن تُجيبه وأن ترى نفسها حرّة؛ مع أنها سليلة عرّ ومجدٍ. لكنها تنتفض في وجهه بعزّة، فيكلفها ذلك صفةً في وجهها تذهب بباقي الخوف من نفسها، فتثور إلى قومها توبخهم لذّهم مع هذا الملك وتدعوه للقيام ضدّه.

ومن الاستبداد في عَضْلِ المرأة في الجاهلية وعدم تزويجها ممن تحب: ما كان في قصة رَقَاشِ أخت الملك جذيمة الأبرش، فلم يكن الملك لِيَقْبَلَ زواجها بحبيبها عدي بن نصر اللّخمي، فاحتالوا وسقّوه الخمرَ وطلبَ أخته في سُكره وأشهدَ عليه، فلما صحا وعرف الأمر لاحقَ عدياً ليفتَك به ولأمَ أخته، فردّت عليه (١٠٥١):

أَنْتَ زَوَّجْتَنِي وَمَا كُنْتُ أُدْرِي وَأَتَّانِي النَّسَاءُ لِلتَّزْوِينِ
ذَاكَ مِنْ شُرْبِكَ الْمُدَامَةَ صِرْفاً وَتَمَادِيكَ فِي الصِّبَا وَالْجُنُونِ

فعندما يُغلق الباب دون أهله يحتالون للدخول، وما زال الأهل يغلقون دون حساب العواقب، حتى يضطر المحبّون للدخول من أبواب خلفية شتى، وما كان محالاً في الصحو تحقق للمرأة المُعضلة استبداداً في السُّكر من أخيها وليّ أمرها. ومما جاء عن استبداد الأخ بتزويج أخته ما حكته الخنساء في شعرها لما خطبها دُرَيْد بن الصِّمّة، فأبت، فأراد معاوية أخوها قسرَها على الزواج، وكان أخوها صخر غائباً في غزاة، فقالت (١٠٥٢):

لَيْنَ لَمْ أُوتَ مِنْ نَفْسِي نَصِيباً لَقَدْ أودَى الزَّمَانُ إِذَا بَصَخِرَ (١٠٥٣)
أُتُّرْهُنِي - هُبِلَتْ - عَلَى دُرَيْدٍ وَقَدْ أَصْفَحْتُ سَيِّدَ آلِ بَدْرٍ (١٠٥٤)
مَعَاذَ اللَّهِ يَرِصَعْنِي حَبْرَكِي قَصِيرِ الشَّيْبَرِ مِنْ جُسَمِ بْنِ بَكْرٍ (١٠٥٥)

(١٠٥١) انظر: البلاذري، المصدر السابق: ٢٣١/١٦، والطبري، التاريخ: ٦١٥/١، والسهيلي، المصدر السابق: ١٥٤، وزينب فواز، المصدر السابق: ص٣٤٦، وجمول، المصدر السابق: ص١٨٦، ويموت، المصدر السابق: ص١٥٥.

(١٠٥٢) لويس، شيخو، أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٦: ص١٢٠.

(١٠٥٣) أودى به: اغتاله.

(١٠٥٤) أصفحت: رددته عن حاجته، وسيد آل بدر: زعيمهم وكان خطبها ورددته.

(١٠٥٥) يرصعني: يتزوجني، والرّصاع: الجماع. ويروى: ينكحني، ويرصعني، وحبركي: طويل الظهر قصير الرجلين، والشّبر: العطاء، وإن كانت الشّبر فالمراد أنه متقارب الخطو.

فغضب دريد بن الصمة لقولها وتهاجياً^(١٠٥٦). فالخنساء تنتصر بأخ لها تعرفه يحترم قرارها في وجه أخ لها آخر يريد إكراهها على زوج لا تراه مكافئاً لها، وترى أنه لم يأت بعد الوقت الذي تُجبر فيه الخنساء على ما تكره.

ولأهمية الزواج بمن تراه الفتاة مكافئاً لها كان قول امرأة قد أرادها من رأته غير ذلك^(١٠٥٧):

أَيَا عَمْرُو كَمْ مِنْ مُهْرَةٍ عَرَبِيَّةٍ مِنْ النَّاسِ قَدْ بُلِيَتْ بِوَعْدِ يَفْوَدُهَا
يَسُوسُ وَمَا يَدْرِي لَهَا مِنْ سِيَّاسَةٍ يُرِيدُ بِهَا أَشْيَاءَ أَلَيْسَتْ تُرِيدُهَا

فهي تأبى الاستبداد بها فتاةً أو زوجةً، وتكره أن تكون عند رجلٍ يستبدُّ بها فيمضي بها حيث لا تحبُّ وكما يحبُّ هو دونها وإن كان مما تكره. لكن تكافؤ الزوجين قد يدفع أهل الفتاة المخطوبة لاستبداد أكبر؛ فإن يخطب ابنتهم من لا يرونها مكافئاً لها لا يبرر جريمة أخلاقية واجتماعية نادرة بحق الخاطب، كما فعل بنو حَيٍّ في اليمَن وقد خطب إليهم رجلٌ من بني سعد ابن سعد بن خولان إحدى كرائمهم، فأكبروا أنفسهم ودفعوه، فلما ألحَّ عليهم بالطلب اجتمعوا وخصَّوه، فغضب له قومه وقامت حرب انتهت بخروج بني حَيٍّ من اليمَن، وسجَّل عمرو بن زيد الخولاني^(١٠٥٨) هذا الاستبداد بحق الرجل وهذه الحادثة في قوله^(١٠٥٩):

أَبْلُغْ بَنِي زَيْدٍ وَأَسْرَةَ رَاسِبٍ إِخْوَانَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ خَابِسٍ^(١٠٦٠)
أَنَّ الْعِدَا مِنْ آلِ حَيٍّ قَلَدُوا إِخْوَانَهُمْ عَارًا بِفِعْلِ يَابِسٍ^(١٠٦١)
مَثَلُوا بِأَمْثَلِنَا وَجَاؤُوا سُنَّةً لَمْ يَأْتِهَا يَوْمًا جَبَابِرُ قَارِسٍ^(١٠٦٢)

(١٠٥٦) انظر: القالي، المصدر السابق: ١٦١/٢، وأبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ٧٩/١٥.
(١٠٥٧) القالي، المصدر السابق: ٤٣/١؛ وثروى الأبيات بغير هذا اللفظ، وفي نسبتها خلاف، انظر: أبو عبيد، البكري، سمط اللالي في شرح أمالي القالي (تحقيق: عبد العزيز الميمني)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٣٦: ١٧٨/١. والطائي، الحرقه: ص ٩٣، وزينب فواز، المصدر السابق: ص ٨٥٢.
(١٠٥٨) عمرو بن زيد بن مالك بن زيد: من خولان، وأمّه أخت الحارث بن عبّاد، شاعر من أشرف اليمن وشجعانها، لقبه المغرّق الأكبر لغرق كثير من قومه معه حينما أخرجهم من اليمن إلى مصر، كان له حصنٌ بصعدة من أرض اليمن. انظر: اليونس، المصدر السابق: ص ٣٩٥، والزركلي، المصدر السابق: ٧٨/٥.

(١٠٥٩) اليونس، المصدر السابق: ص ٣٩٨.

(١٠٦٠) بنو زيد: البطن الذي ينتمي إليه الشاعر، وخابِس: الاختباس: الظلم والبيغي.

(١٠٦١) الصُّبب: اليابس؛ أراد: الفعل الشنيع الخارج عن الأخلاق والأعراف.

(١٠٦٢) مثلوا: المثلة: العقوبة والتنكيل، والأمثل: الأفضل، والسنة: الطريقة، وجبابر: جمع جبار، والرجل أو الملك الجبار: القاهر العاتي.

فقد جاء القوم فعلاً لم يسبقهم فيه أعتى المستبدين والجبابة، حتى من الفرس الأعاجم، وهذا التمثيل والتنكيل لا يليق بنا ولا نرضاه؛ وكان أن دفعوا ثمن هذا الاستبداد والطغيان جلاءً عن أرضهم ووطنهم !

ومما كان مع المرأة الزوجة أن يفارقها فيستبدّ بحقوقها يأكلها، وقد يفتخر بذلك ويهجوها كما في قول الأَضْبَطِ بن فُرَيْع التميمي (١٠٦٣):

أَلَمْ تَرَهَا بَانَتْ بَعِيرٍ وَصِيفَةٍ إِذَا مَا الْعَوَانِي صَاحَبَتْهَا الْوَصَائِفُ (١٠٦٤)

وَأَكْنَهَا بَانَتْ شَمُوسٌ بَزِيَّةٌ مُنْعَمَةٌ الْأَخْلَاقَ حَدْبَاءُ شَارِفُ (١٠٦٥)

لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ سَلَّمَ وَاقِفًا عَلَيَّهَا لَرَامَتْ وَصَلَّهُ وَهُوَ وَاقِفٌ

فهو لا يهجو امرأته بكل سوء فحسب، بل يتعدى ذلك فيفتخر باستبداده بمالها وحقوقها وأنه أرسلها صفر اليدين؛ فهو استبداد اجتماعي اقتصادي بزوجته!

ومن الانحراف في الطلاق عند الجاهليين والاستبداد فيه أن يطلق المرأة ثم تضيق نفسه فلا يقبل أن تتزوج، فقد طلق حاجب بن زرارة امرأته، فتزوجها فراد بن حنيفة (١٠٦٦)، فتهدد حاجب وأخوه فراداً لزواجه منها، فقال فراد (١٠٦٧):

تَمَنَّى حَاجِبٌ وَأَخُوهُ عَمْرُو لِقَائِي بِالْمَغِيبِ لِيَقْتُلَانِي (١٠٦٨)

فَمَا أَجْرَمْتُ شَيْئاً غَيْرَ أَنِّي ذُكِرْتُ جِيَالٍ مُكْمَلَةٍ حَصَانِ (١٠٦٩)

(١٠٦٣) المعيني، المصدر السابق: ص ٤١.

والأَضْبَطُ: هو ابن فُرَيْع بن عوف بن كعب، من بني تميم، شاعر جاهلي قديم، من المعمرين، وهو أحد الجرارين من تميم، وأحد الذين اجتمع لهم الموسم والقضاء بعكاظ.

انظر: شمس حالو، المصدر السابق: ص ٢٦١، وابن حبيب، المحرر: ص ١٨٢، وابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٣٨٢/١، والمعيني، المصدر السابق: ص ٣٦، والزركلي، المصدر السابق: ٣٣٤/١.

(١٠٦٤) بانَتْ: انفصلت وابتعدت، والوصيفة: الجارية الخادمة.

(١٠٦٥) شَمُوسٌ: صعبة الخلق، وبزِيَّةٌ: من البزاة، وهو انحناء الظهر عند العجز. قال محقق شعر تميم: (وقد تكون الكلمة "بذية"؛ فالبذية هي المرأة الفاحشة أيضاً قبيحة الكلام)؛ المعيني، المصدر السابق: ص ٤١؛ وهذا ما أميل إليه، لاسيما ومعنى "بزية" بمعنى حدباء، والأولى أن تكون صفة أخرى وليست تكراراً. والشارف: في النوق: الناقة الهرمة، وصف امرأته بذلك.

(١٠٦٦) فراد بن حنيفة بن عبد مناة بن مالك بن زيد: من بني دارم من تميم، وهو خال حاجب بن زرارة سيد بني تميم، وقراد شاعر فارس، كان يشيب بامرأة حاجب، فقتله حاجب.

انظر: المرزباني، المصدر السابق: ص ٢٥٠، والمعيني، المصدر السابق: ص ٣٣٢.

(١٠٦٧) المعيني، المصدر السابق: ص ٣٣١، والمرزباني، المصدر السابق: ص ٢٥٠.

(١٠٦٨) المغيب: الغيب، أو اسم موضع.

يُخَوِّفُنِيكُمَا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ كَأَنِّي مِنْ طَهْيَاءَ أَوْ أَبَانَ
وَلَوْ لَمْ يَخْشَ غَيْرَكُمَا عَدُوًّا لِأَصْبَحَ آمِنًا صَعَبَ الْمَكَانِ

فالرجل ينفي عن نفسه الجرم الذي يبزر تهديد سادة من تميم له، ويُعلن ذلك، لكن أذن المستبد في صمم، فقتله حاجب بن زرارة لِمَا رغب به في امرأته (١٠٧٠).

فإن كان هذا الزوج منع طليقته الزواج فإن الأكثر مرارة أن يمنع الرجل بناته الزواج، وإن جاءهن الأكفاء؛ ففي خبر رواه القالي عن همام بن مُرَّة بن دُهل (١٠٧١) أنه كان له ثلاث بنات، قد عضلن ومنعهن الأكفاء، فقالت إحداهن: إن أقام أبونا على هذا الرأي فارقتنا وقد ذهب حظ الرجال منا؛ فينبغي لنا أن نعرض له ما في نفوسنا، وكان يدخل على كل واحدة منهن يوماً، فلما دخل على الكبرى تحدثت ساعة، فحين أراد الانصراف أنشدت:

أَيْرُجْرُ لَاهِينَا وَنُلْحَى عَلَى الصَّبَا وَمَا نَحْنُ وَالْفَتِيَانُ إِلَّا شَقَائِقُ
يُؤْبِنُ حَبِيبَاتٍ مَرَاراً كَثِيرَةً وَتَنْبَاقُ أحياناً بِهِنَّ الْبَوَائِقُ (١٠٧٢)

فلما سمع الشعر ساءه، ثم دخل على الوسطى فتحدثت، فلما أراد الانصراف أنشدت:

أَلَا أَيُّهَا الْفَتِيَانُ إِنَّ فَنَاتِكُمْ دَهَاها سَمَاعُ الْعَاشِقِينَ فَحَنَّتْ
فَدُونَكُمْ ابْغُوهَا فَتَى غَيْرِ زُمَّلٍ وَإِلَّا صَبَّتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ وَجَنَّتْ (١٠٧٣)

فلما سمع شعرها ساءه، ثم دخل على الصغرى في يومها فتحدثت، فلما أراد الانصراف أنشدت:

(١٠٦٩) حَصَان: عفيفة.

(١٠٧٠) انظر: البلاذري، المصدر السابق: ٥٢/١٢.

(١٠٧١) همام بن مُرَّة بن دُهل: من بني شيبان من بكر، وهو أخو جساس قاتل كليب، سيد فارس في قومه، ومن عقبه فرسان وشعراء في الإسلام، قتله ناشرة بن أغواث بعد أن كان همام قد أنقذه من الواد ورباه حتى ضُرب به المثل: أغدر من ناشرة. انظر: ابن حبيب، أسماء المغتالين: ١٤٧/١، ونبوي، المصدر السابق: ص ٤٥٠، والميداني، المصدر السابق: ١٧٠/٢، والزركلي، المصدر السابق: ٩٤/٨.

(١٠٧٢) البوائق: المصائب والشدائد، جمع بانقة، وانباق عليهم الدهر: هجم عليهم بالشدائد.

(١٠٧٣) زُمَّل: ضعيف جبان.

أَمَا كَانَ فِي ثَنَيْنِ مَا بَزَغَ الْفَتَى وَيَعْقِلُ هَذَا الشَّيْخُ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ (١٠٧٤)

فَمَا هُوَ إِلَّا الْجِلُّ أَوْ طَلَبُ الصَّبَا وَلَا بَدَّ مِنْهُ فَاتَّمِرَ كَيْفَ تَفَعَّلُ

فلما رأى تواطؤهنَّ على ذلك زوجهنَّ، أو قال: قاتلكنَّ الله! والله لا أمسيثُ أو أزوجكنَّ؛ فزوجهنَّ (١٠٧٥).

فهذه من صور العَضَل الذي شاع عند العرب في الجاهلية (١٠٧٦)؛ وهو ضرب من الاستبداد، وأبطله الإسلام فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا^ط وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ} [سورة النساء: ١٩]؛ وفي الآية بيان لحضور السبب الاقتصادي في هذا اللون من الاستبداد، قال الدكتور الحوفي: (واضح أن عضلَ الوَرثَةِ كان الغرض منه أن تبقى في العشيرة ثروة الرجل المتوفى، وأن عضلَ الزوج كان الباعث عليه أن يسترجع ما قدَّم من صدَّاق. أما عضلُ الأب فليس له باعث إلا الأئفة والغيرة، أو الأثرة، وهو على أي حال عمل شاذٌّ مُباين لما كان عليه الآباء) (١٠٧٧).

ومضت نماذج عن عقوق الأبوين، وعقوق المرأة الأمَّ خاصة، ولأن صورة عقوق الأمَّ كريهة قاسية جاءت عند الشعراء في تصوير أفسى ما يكون من النكران والجحود، كما جاء في تصوير عروة تنكَّر أصحاب الكنيف له (١٠٧٨). ولطالما دافع الشعراء عن أمهاتهم وإن كنَّ إماءً سوداوات في وجه من يعيرونهم بأمهاتهم، وليس بالسواد وحده كان التعبير بالأمَّ، فربما عيَّر الشاعر بأمه لغربتها، فقد قال عروة بن الورد (١٠٧٩):

هُمَّ عَيْرُونِي أَنْ أُمِّي عَرِيَّةٌ وَهَلْ فِي كَرِيمٍ مَاجِدٍ مَا يُعَيْرُ

فليس لهذه المرأة الأمَّ عيبٌ إلا أنها تزوجت في غير قومها، فكانت مسببةً لأبنائها، وقد يتعدى هذا الأمر الهجاء والمسبة، فتكون ضعيفة الجانب يستضعفها ورثة زوجها ويأكلون حقوق أطفالها لغربتها فيهم وانعدام نصير لها، كما مرَّ في قول طرفة:

(١٠٧٤) وزعته أزعته وكفته ومنعته.

(١٠٧٥) القالي، المصدر السابق: ١٠٥/٢، وللخبر روايتان من طريقين عند القالي، وانظر: نبي، المصدر السابق: ص ٤٥٠.

(١٠٧٦) انظر: الحوفي، المصدر السابق: ص ٢٥٦، وجواد علي، المصدر السابق: ٥٥٢/٥.

(١٠٧٧) الحوفي، المصدر السابق: ص ٢٥٦.

(١٠٧٨) انظر: ص ١٦٧.

(١٠٧٩) ابن السكيت، شعر عروة: ص ٦٥.

مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةٍ فِيكُمْ صَعْرَ الْبُنُونِ وَرَهْطَ وَرْدَةٍ غَيْبٍ

ونحو هذا ما جاء من تعبير المتلمس بأمه لأنها ليست من قومه ونشأ عند أخواله بني يشكر،
وقوله (١٠٨٠):

يُعَيِّرُنِي أُمِّي رَجَالٌ؛ لَا أَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بِأَنْ يَتَكْرَمَا
مَنْ كَانَ ذَا عَرَضٍ كَرِيمٍ فَلَمْ يَصُنْ لَهُ حَسَباً كَانَ اللَّيِّمَ الْمُدَمَّمَا
وَهَلْ لِي أُمَّ غَيْرُهَا إِنْ تَرَكْتُهَا أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنَمَا (١٠٨١)

وما وجدناه من قيس بن الخدادية الصعلوك في افتخاره بالزواج بالنساء من السبايا كرهاً دون
مهر في قوله:

وَأَنَا بِلَا مَهْرٍ سِوَى الْبَيْضِ وَالْقَنَا نُصِيبُ بِأَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ مَنْكَحَا

كان استبداداً إلى استبداد، وكان ذلك إن حصل سببة تلحق القبيلة وتكون مادة مؤلمة لمن
يهجوهم، وقد قال المطوح التغلبي (١٠٨٢) يفخر بقومه ويهجو آخرين (١٠٨٣):

هُمْ أَنْكَحُوا بِالْغَضَبِ مِنْ فَنِيَاتِكُمْ جَهَاراً وَمِنْ سِرِّ الْمَجَاهِرَةِ الْغَضْبُ
وقال حاتم الطائي (١٠٨٤):

وَمَا أَنْكَحُونَا طَائِعِينَ بِنَاتِهِمْ وَلَكِنْ خَطَبْنَاهَا بِأَسْيَافِنَا قَسْرَا

وفيما مرَّ من رثاء عمرو ذي الكلب به في قولها:

المُخْرَجُ الكَاعِبَ الحَسَنَاءَ مُدْعِنَةً فِي السَّبْيِ يَنْفُخُ مِنْ أَرْدَانِهَا الطَّيْبُ

وامتداحه بتحقيق السبي، وليس في أية نساء، بل في خيرة النساء وأجملهن وأعزهن.

وفي قول المطوح التغلبي الذي مرَّ أيضاً وقد هجا من يزوجون غيرهم غصباً، ففيه
بعده (١٠٨٥):

(١٠٨٠) الضبي، المصدر السابق: ص ١٤.

(١٠٨١) ابنما: الميم زائدة فيها، أراد: ابناً.

(١٠٨٢) شاعر من بني تغلب، لم يذكر إلا في هذه الأبيات.

(١٠٨٣) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٤٥١.

(١٠٨٤) حاتم الطائي، المصدر السابق: ص ٢٥٣.

وَمَا كَانَ مِنَّا عِنْدَ قَوْمٍ سَبِيَّةٌ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْوَالِنَا عِنْدَهُمْ نَهْبٌ

فهذا غاية الفخر عندهم؛ ألا يقدر أحدٌ في الجزيرة على ما فيها من استبداد بالمال والأنفس على أموالهم، وألا يقوى أحد على هزيمتهم فيسوق نساءهم سبايا. وفي مقابل ذلك يكون مادةً للفخر؛ ليس عند الفرسان أو الصعاليك فحسب، بل حتى عند الشواعر من النساء أن يسوق الفرسان نساء خصومهم سبايا، مع الفخر بالزواج الرخيص من السبايا دون مهر رغباً وقهراً واستبداداً بات واضحاً أن من أشدّ الممارسات الاستبدادية ضد المرأة في الجاهلية الأسر والسبي، وهذا بعض مخلفات الحياة الحربية التي غلبت على حياة العرب في الجاهلية، ولا عجب فالحديث عن سبي النساء في شعر الحرب في العصر الجاهلي كان كثيراً؛ ولعل ذلك يرجع إلى صلته الشديدة بشرف القوم وكرامتهم، وشدة عنايتهم واهتمامهم بالمحافظة على أعراضهم^(١٠٨٦)؛ فالمرأة كان حاضرة في حروب الجاهليين بقوة ودفعت ثمن الاستبداد الذي لفّ حياة العرب آنذاك في مختلف المجالات، فليس أصعب على المرء عامة، وعلى المرأة خاصة من مصادر حريتها والهبوط بها بعد الحرية في درك العبودية والرق، ومن عزّ السيادة إلى حضيض الخدمة والمهانة، لذا قد لا يكون مبالغةً أن يكون حرص العرب الجاهليين على الأسر والسبي أكثر من حرصهم على الغنائم الأخرى^(١٠٨٧).

فَمِنَ الْفَخْرِ وَالتَّبَاهِي بِسَبِي النِّسَاءِ مَا قَالَه زهير بن جناب الكلبي وقد فتك ببيكر وتغلب، وأسر وسبى منهم حتى أسرَ كليباً والمهلهل، يقول^(١٠٨٨):

تُبَّأً لِتَغْلِبَ أَنْ تُسَاقَ نِسَاؤُهُمْ سَوَقَ الْإِمَاءِ إِلَى الْمَوَاسِمِ عَطَلًا^(١٠٨٩)
لِحَقَّتْ أَوَائِلُ خَيْلِنَا سَرَ عَائِهِمْ حَتَّى أَسْرَنَ عَلَى الْحَبِيِّ مُهْلَهلاً^(١٠٩٠)

(١٠٨٥) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٤٥١.

(١٠٨٦) انظر: الجندي، شعر الحرب: ص ٢٠٥.

(١٠٨٧) انظر: الحوفي، المصدر السابق: ص ٤٦٤.

(١٠٨٨) البيطار، المصدر السابق: ٥٤/١، وأبو زيد، المصدر السابق: ص ٦٧.

(١٠٨٩) المواسم: جمع موسم، وهو مجتمع الحج والسوق، والعطل: جمع عاطل، وهي المرأة التي لا حليّ عليها ولا زينة.

(١٠٩٠) سرعان كل شيء: أوائله، وحبي: ماء لبكر وتغلب كانوا عليه حين قاتلهم زهير.

ففخره بهزيمة تغلب وأسر سيدها لا يتمّ دون الفخر بإهانة نساء تغلب وسبيهنّ والاستبداد بهنّ، وفي الصورة مرارة سبي نساء تغلب ومرارة سوقهنّ كالإماء؛ ففيه أن الإماء كنّ يُسفنّ بطريقة مهينة لا تليق بإنسانيتهنّ، وأن غاية الإذلال للقبيلة وسادتها وغاية الفخر لقاهاها أن يسوق نساءها العزيزات الحرائر بالطريقة التي يسوقون فيها النساء الإماء.

ويقول طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ يَفْتَخِرُ بِسَبْيِ نِسَاءِ طَيْئِ (١٠٩١):

وَقَتَّلْنَا سَرَائِهِمْ جَهَاراً وَجُنْنَا بِالسَّبَايَا وَالنِّهَابِ (١٠٩٢)
 سَبَايَا طَيْئِي أَبْرَزْنَ قَسراً وَأَبْدِلْنَ الْقُصُورَ مِنَ الشَّعَابِ
 سَبَايَا طَيْئِي مِنْ كُلِّ حَيٍّ بِمَنْ فِي الْفَرَعِ مِنْهَا وَالنِّصَابِ (١٠٩٣)
 وَمَا كَانَتْ بَنَاتُهُمْ سَبِيّاً وَلَا رَغَباً يُعَدُّ مِنَ الرَّغَابِ (١٠٩٤)

فهو يُقرُّ أنهم نساء معظّمات في قومهنّ مرقّهات محمّيات لا أمل لأحدٍ بالخلاص إليهنّ، لكنه باستبداده قضى عليهنّ بالسبي وساقهنّ بذلّ ومهانة.

وفي صورة أشد وأقسى يباهي معقّر بن حمار البارقي (١٠٩٥)، فيقول (١٠٩٦):

نَسُوقُ بِهِ النِّسَاءَ مُشَمِّرَاتٍ يُخَالِطُهَا مَعَ الْعَرَقِ الْخَشِيفِ (١٠٩٧)
 إِذَا اسْتَرْخَتْ جِبَالُ الْقَوْمِ شَدَّتْ وَلَا يَنْتَبِي لِقَائِمَةٍ وَظِيفِ (١٠٩٨)

(١٠٩١) الغنوي، المصدر السابق: ص ١٢٩. وأحمد حالي، المصدر السابق: ص ١٢٩.

(١٠٩٢) النهاب: الغنائم، مفردتها: نهب.

(١٠٩٣) النصاب والمنصب: الأصل والمرجع.

(١٠٩٤) الرغاب: الأطماع؛ يريد أنها كانت محمّية.

(١٠٩٥) معقّر البارقي: هو عمرو بن سفيان بن حمار بن الحارث بن أوس، من بارق من الأزدي، وسُمي معقراً ببببّ قاله، شاعر يمانى من فرسان قومه في الجاهلية، كان حليفاً لبني عامر بن صعصعة وشهد معهم يوم جبلة، عُمي في أواخر عمره. انظر: المرزباني، المصدر السابق: ص ٢٦، والأمدي، المصدر السابق: ص ١٢٧، والزركلي، المصدر السابق: ٢٧٠/٧.

(١٠٩٦) يحيى، الجبوري، قصائد جاهلية نادرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨: ص ١١٤.

(١٠٩٧) الخشيف: الثلج.

(١٠٩٨) الوظيف: مستدقّ الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوهما، وقوله: لا ينتبي لقائمة وظيف: أي ساروا دون نزول أو ارتياح، وكفى بئني الوظيف عن إناخة الإبل وبروك الخيل.

فهو يفتخر بسوق النساء سبانيا في حربه، بل يسوقهن سوق ذلّ واستضعاف؛ فالشتاء مع المطر والثلج لم يشفع لهنّ، بل شمّرَن في مشيهنّ أسيراتٍ معهم، ومع البرد والثلج كان التعرّق لشدة الجهد والتعب من المسير والأسر والإذلال. ويتمادى في فخره واستبداده بالسبانيا أنه ومن معه لا يغفلون عن قيود الأسرى والسبانيا إن ارتخت لطول المسير عادوا لشدّها وإحكامها، وهم في سيرهم لا يستريحون أو ينزلون أي مكان، فلا هم استراحوا ولا رحموا من بين أيديهم من الأسرى والنساء السبانيا.

ومما رآه ابن قتيبة يُستحسن للنابغة الجعدي قوله في نساءٍ سُبِين (١٠٩٩):

دَعْنَا النِّسَاءَ إِذْ عَرَفْنَا وَجُوهَنَا	دُعَاءَ نِسَاءٍ لَمْ يُفَارِقَنَّ عَنْ قَلْبِي (١١٠٠)
حَنِينِ الْهَجَانِ الْأَدَمِ نَادَى بَوْرِدِهَا	سُقَاةٌ يَمْدُونُ الْمَوَاتِحَ بِالذَّلَالِ (١١٠١)
فَقُلْنَا لَهُمْ: خَلُّوا طَرِيقَ نِسَائِنَا	فَقَالُوا لَنَا: كَلَّا، فَقُلْنَا لَهُمْ: بَلَى
فَنَحْنُ غِضَابٌ مِنْ مَكَانِ نِسَائِنَا	وَيَسْفَعُنَا حَرٌّ مِنَ النَّارِ يُصْطَلَى (١١٠٢)
تَفُورٌ عَلَيْنَا قِدْرُهُمْ فَنُدِيمُهَا	وَنَفْتُوْهَا عَنَّا إِذَا حَمِيْهَا غَلَا (١١٠٣)
فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيًا	وَوَجْهًا تَرَى فِيهِ الْكَابَةَ مُجْتَلَى (١١٠٤)
وَمُفْتَصَلًا عَنِ نَدْيٍ أَمْ تُحِبُّهُ	عَزِيْرٌ عَلَيْهَا أَنْ تُفَارِقَ مُفْتَلَى (١١٠٥)

فإن كانت هذه الأبيات مما يُستحسن للشاعر فهي كذلك لأنها تُدمي القلب لدقة التصوير لهذه المأساة الإنسانية التي خلقتها الحرب؛ إذ كشف الاستبداد بالنساء على مرأى من أزواجهنّ وأهليهنّ، دون أن يقدرُوا على فعل شيء لهنّ، فيرجون المستبدين بهم أن يخلّوا سبيل النساء

(١٠٩٩) ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٢٨٣/١، والنابغة، الجعدي، شعره (تحقيق: عبد العزيز رباح)، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٩٦٤: ص١١٧.

(١١٠٠) القلبي: البغض.

(١١٠١) الهجان من الإبل: البيض الكرام، والمواتح: جمع ماتح، والمتح: جذبك رشاء الدلو من البئر، وأراد بالمواتح هنا الحبال. والذلال: الدلاء، جمع دلو.

(١١٠٢) سفعه النار والشمس تسفعه سفعاً فتسفع: لفحته لفاً يسيراً فغيرت لون بشرته وسودته. واصطلى بالنار: قاسى حرّها.

(١١٠٣) قدرهم: أراد به حربهم، وتديمها: نسكّنها، من: أدام القدر ودومها: إذا غلت نضحها بالماء ليسكن غليها. وفتوها: فتأ القدر: إذا سكن غليانها بماء بارد.

(١١٠٤) اجتلى وانجلى: انكشف واتضح.

(١١٠٥) المفتصل والمفتلى: المفطوم المعزول عن الرضاع.

ويكونوا رجالاً لرجالٍ، دون جدوى، لتكتمل الصورة المأساوية بالكآبة تكسو وجوه الجميع رجالاً ونساءً وأطفالاً؛ فالنساء على ما صرّنَ فيه من نلِّ السبي، والرجال للعجز عن فكاك نساءهم، والأطفال الصغار لأنهم نُبذوا دون مراضعهم ففطموا مكرهين قبل أوان الفطام.

ومن الصور التي تصوّر ما عاشته المرأة في حروب الجاهلية من استبدالٍ وقهرٍ قولٌ مجمّع ابن هلال (١١٠٦) مفتخراً (١١٠٧):

وَعَاثِرَةٌ يَوْمَ اللَّهِيْمَاءِ رُغْتُهَا	وَقَدْ ضَمَّهَا مِنْ دَاخِلِ الْخَلْبِ مَجْرَعٌ (١١٠٨)
لَهَا غَلٌّ فِي الصَّدْرِ لَيْسَ بِبَارِحٍ	شَجِيٌّ نَشِبٌ وَالْعَيْنُ بِالْمَاءِ تَدْمَعُ (١١٠٩)
تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ حَلِيلِهَا:	تَعَسْتُ كَمَا أَنْعَسْتَنِي يَا مُجَمِّعُ (١١١٠)
فَقُلْتُ لَهَا: بَلْ تَعَسَ أَخْتِ مُجَاشِعٍ	وَقَوْمِكَ، حَتَّى خَدُّكَ الْيَوْمَ أَضْرَعُ (١١١١)
عَبَاتٌ لَهُ رُمْحاً طَوِيلاً وَالْأَلَّةُ	كَأَنَّ قَبْسٌ تُغْلَى بِهَا حِينَ تُشْرَعُ (١١١٢)
وَكَائِنٌ تَرَكْتُ مِنْ كَرِيمَةِ مَعْشَرٍ	عَلَيْهَا الْخُمُوشُ، ذَاتَ حُرْنٍ تَقْجَعُ (١١١٣)

فالمراة عنده وقد استبدّ بها تحاول النهوض للهروب، لكنها تتعثر لقلة خبرتها فاستولى عليها الخوف والحزن، وهي ترى زوجها يُقتل أمامها بوحشية، فتجري عيونها بالدموع قهراً وحزناً، فالمراة في الحرب الغادرة وقد انتشى المستبدّ بانتصاره الموهوم تتفجّع على فقيدها وتخمش وجهها لعجزها وسوء حالها.

(١١٠٦) مُجَمِّعُ بْنُ هَلَالِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مَالِكٍ: مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، شَاعِرِ جَاهِلِيِّ فَارِسٍ، مِنَ الْمُعَمَّرِينَ. انظر: شمس حَالُو، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٥٢٣، وَالْمَرْزُبَانِي، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٥٠٥، وَالزَّرْكَلِيُّ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ٢٨٠/٥.

(١١٠٧) الشننمري، شرح الحماسة: ٣٩٨/١، والمرزوقي، المصدر السابق: ٧١٦/١.

(١١٠٨) عاثرة: أراد امرأة تحاول النهوض للهروب فتتعثّر، واللهيماء: ماء لبني تمام أصاب فيه مجمّع قوماً منهم فأوقع فيهم قتلاً وأسراً، انظر: ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٩٥/٦. ورغتها: أفرعتها. والخلب: حجاب القلب.

(١١٠٩) الغلّ: حرّ الحزن، وليس ببارح: ليس بزائل، والشجى: أشدّ الغصص، ونشبت في الأمر: علق فيه؛ يريد أن الحزن تمكّن منها وعلق بداخلها.

(١١١٠) أفردتها من حليلها: الحليل الزوج، وأفردتها منه: يريد أنه فرّق بينهما بقتل زوجها، وتعست: دعاء بالتعثّر وعدم القيام من العثرة.

(١١١١) أضرع: ضارع ذليل.

(١١١٢) عبأت: هيأت وأعددت، والألّة: الحربة، والقبس: النار.

(١١١٣) كائن: لغة في كائِن، بمعنى: كم، للكثير، والخموش: الخمش الخدش في الوجه وسائر البدن.

لكن هذه الصور على قسوتها في بيان حال المرأة السبيّة أتت على لسان رجال يفتخرون بهذه الجريمة، أو يتفجّعون للعجز عن فكاكهنّ كالنابغة الجعدي؛ فكيف ستكون الصورة إن جاءت ممن تعيش نلّ السبي وتستقي كأس الاستبداد فتدخل قفص السبي والأسر بعد عزّ الحرية والتنعّم!

ويبدو أنه لقسوة الموقف وشدته، ولما فيه من الفضيحة تواريها المرأة عن الأنظار القريبة والأسماع البعيدة؛ لم تبلغنا أصوات نساء توازي حجم الممارسة الاستبدادية التي كانت قائمة في حياة الجاهليين آنذاك. ومما بقي لنا منها أنين امرأة من هُذيل أوقع بها وبقومها عرعة بن عاصية السلمي^(١١٤)، ثم فجرَ في خصومته واستبداده فجرّد هذه المرأة وساقها عاريةً معه إلى بلاد سُلَيْم، فقالت^(١١٥):

وَأَقْرَطَ فِي السُّوقِ الْعَنِيفِ إِسَارُهَا ^(١١٦)	أَلَامَتْ سُلَيْمٌ فِي السِّيَاقِ وَأَفْحَشَتْ
فَوَارِسٌ مَنَّا وَهِيَ بَادٍ شَوَارُهَا ^(١١٧)	لَعَلَّ فِتَاةً مِنْهُمْ أَنْ يَسُوقَهَا
هُذَيْلًا فَقَدْ بَاءَتْ فَكَيْفَ اعْتَدَارُهَا ^(١١٨)	فَإِنْ سَبَقَتْ عَلِيَا سُلَيْمٍ بِدَحْلِهَا
تَثِيرٌ عَجَاجاً مُسْتَطِيرًا غُبَارُهَا ^(١١٩)	أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى الْخَيْلَ شُرْبًا
وَيُغَسَلُ مَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ عَارُهَا ^(١٢٠)	فَتَرَقًا عُيُونٌ بَعْدَ طُولِ بُكَائِهَا

فهذه المرأة المستبَدُّ بها ما تقول وقد عرّأها المستبَدُّ فكشف سوءته قبل عورتها، فكأنها والناس من حولها ينظرون لا تدري ما تقول، فما كان منها إلا أنها أعلنت أنهم فجروا في الاستبداد وأفحشوا في الحرب والاعتداء؛ ولا يستر عورتها بنظرها إلا أن يحرّرها فرسان قومها، ولا بد أن تدور الدائرة على نساء من هتكوا عِرْضِي فَتُهْتَكُ أَعْرَاضُهُمْ؛ فهذا وحسب ما يُعيد الكرامة المهذورة ويُسكن الدمع في العيون. ويبدو أن هذا ما كانت تستنر به المرأة الجاهلية وقد وقعت بشرّ مصيبة وهي الأسر، فتصرخ تستحثّ قومها ليفكّوا إيسارها ويثأروا لكرامتها، أو تهاجم

(١١٤) عرعة بن عاصية السلمي: فارس شاعر جاهلي، من سُلَيْم، أوقع ببني هُذيل ثأراً لأخيه. انظر: المرزباني، المصدر السابق: ص ٢١٥.

(١١٥) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق: ١٠٧/١٢، والبلاذري، المصدر السابق: ٣٣٧/١٣، ويموت، المصدر السابق: ص ١٣٣.

(١١٦) أَلَامَتْ: فعلت ما يستحق اللوم، وأفحشت: أتت الفحشاء، والسياق: مصدر ساقه يسوقه سوقاً وسياقاً، والإيسار: الأسر.

(١١٧) الشوار: اللباس والزينة.

(١١٨) بدحّلها: بثأرها، وباءت به: رجعت به وتحقق لها.

(١١٩) شُرْبٌ: جمع شازب، وهو الضامر.

(١٢٠) ترقاً: ترقاً، وتعني: تحف، وسهلت الهمز.

الفرسان الذي قصّروا في الدفاع عن حرائرهم، كما هو عند سلمى بنت المحلق العامرية^(١١٢١)؛ فقد كانت إحدى النساء اللواتي سُبِينَ يوم النَّسَار^(١١٢٢)، فقالت تعيّر جواباً مالك بن كعب سيد بني عامر يومذاك وأبا ليلي الطفيل بفرارهما وتركهما النساء في ساحة المعركة^(١١٢٣):

لَحَى الْإِلَهَ أَبَا لَيْلَى بِفَرَّتِهِ يَوْمَ النَّسَارِ وَفُنَّبَ الْعَيْرِ جَوَاباً^(١١٢٤)

كَيْفَ الْفَخَّارُ وَقَدْ كَانَتْ بِمُعْتَرِكِ يَوْمَ النَّسَارِ بَنُو ذُبْيَانَ أَرْبَابَا

لَمْ تَمْنَعُوا الْقَوْمَ إِذْ شَلُّوا سَوَامَكُمْ وَلَا النِّسَاءَ، وَكَانَ الْقَوْمُ أَحْزَاباً^(١١٢٥)

فهذه جملة من صور الاستبداد التي حاقت بالمرأة في الجاهلية؛ بعضها كان بسبب ما عاشته العرب الجاهليون من حروب دفعت المرأة ثمنها من حريتها أو حياتها، عدا من بكتهم من الأهل والأحبة، وممارسات استبدادية لحقتها لأنها امرأة في مجتمع يحكمه الرجال دون ضوابط؛ ففيه قد تعلق المرأة وتسود، وقد تُهان لغربتها عن قومها أو تُرمى طليقةً دون حقوق، عدا ما نزل بها من الاستبداد لقاء موقف مع حاكم ظالم مستبد أو زعيم أهوج.

وما ذكرناه من الاضطراب في الحياة الاجتماعية والاقتصادية عند العرب الجاهليين، والممارسات الاستبدادية التي كَوَى بها الجاهليون جُنُوبَ بعضهم؛ لا يبرئ القادة والزعماء من الخلل في الحياة، ويُعفيهم من الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي، فالقلة التي عاشها أكثر أهل جزيرة العرب كان القادة سبباً فيه أحياناً، وليس أنهم لم يعانون مرارتها وحسب.

فقد كان لكل ملك أو زعيم حمىً كما تقدم، وكان هذا باب فخرٍ عندهم، حتى يقول كليب^(١١٢٦):

(١١٢١) سلمى بنت المحلق العامرية: شاعرة مقلّدة، من بني عامر، كانت من اللاتي سُبِينَ يوم النَّسَار عندما هُزمت عامر، ولها هذه الأبيات تعيّر فرسان عامر بهروبهم عن النساء. انظر: مارديني، المصدر السابق: ص ٨٧.

(١١٢٢) يوم النَّسَار: يوم من أيام العرب في الجاهلية، وكان لبني تميم وضبة على بني عامر. انظر: جاد المولى، المصدر السابق: ص ٣٧٨.

(١١٢٣) يعقوب، المصدر السابق: ص ٨٨.

(١١٢٤) أبو ليلي: كنية عامر بن الطفيل مَلَاعِبِ الأسنّة فارس بني عامر، وجوّاب: لقب زعيم بني عامر مالك بن كعب وسُمي به لأنه كان يجوب الأبار يحفرها ويتخذها لنفسه. والقُنْب: غلاف قضيب الداية، والعير: الحمار.

(١١٢٥) شَلُّوا: طرودا واستاقوا، من شَلَّ الإبل: طردها فانشَلَّت. والسوام: المواشي.

(١١٢٦) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٣٢٦؛ وعلّق الدكتور علي أبو زيد في الهامش أن هذه الأبيات من الشعر المنهَم.

إِنِّي وَرَبِّ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ذِي السُّثُورِ
لُئِنْ رَعَتْ فِي الْبَلَدِ الْمَحْجُورِ (١١٢٧)
وَأَفْرَعَتْ جَارِي مِنَ الطُّيُورِ
نَائِبَةً فِي وَكْرَهَا الْمَخْدُورِ (١١٢٨)
لَأَهْتِكَنَّ الضَّرْعَ بِالْمَطْرُورِ (١١٢٩)
وقال أيضاً في ذلك متوعداً جساساً أخوا زوجته جليلة (١١٣٠):
لَقَدْ حَمَيْتُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ
مَنْ بَيْنَ أَفْرَادٍ إِلَى أَقْسَاسِ (١١٣١)
أَمْنَعُهُ؛ فَكَيْفَ مِنْ جَسَّاسِ
يُحِيطُهُ اللَّيْثُ أَبُو الْفِرَاسِ (١١٣٢)
جَهْمُ الْمُحَيَّا سَابِكُ الْأَضْرَاسِ (١١٣٣)

فهو يحمي الحمى من كل الناس ظلماً واستبداداً، ثم يتهددهم بقتل نَعَمَ مَنْ يتجاوز الحدود المرسومة ويتعدى حرمة حماه المبتدع، ليكون ما حذر منه، فيقتل دابةً رعت فيه تجاوزاً، ويردّ عليه آخر فيقتله بناقةً تعهد لصاحبيتها بحمايتها، فتقوم حرب داميةً امتدت عقوداً بين أبناء العمومة؛ وإنما كان ابتداء الأمر باستبداد كليب بمراعي خاصة له حماها دون الناس.

ولم يكن دأب كليب وحده، بل كان غيره من الملوك المستبدين على هذا في الاستبداد بشيء دون الناس من المرعى والمال، من ذلك ما احتماه الملك الغساني النعمان بن الحارث من وادي

(١١٢٧) المحجور: الممنوع من التصرف فيه، وحجر على المكان: منع الناس من دخوله.

(١١٢٨) المخدور: المستور.

(١١٢٩) الضرع: يريد الدابة ذات الضرع، والمطرور من السيوف: الصقيل، ومن السهام: المحدد.

(١١٣٠) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٣٢٧.

(١١٣١) أفراد وأقساس: موضعان.

(١١٣٢) أبو فراس: كنية للأسد، وجاءت في المصدر (أبي)؛ دون ذكر توجيه الخفض فيها.

(١١٣٣) جهم المحيا: غليظه، ويوصف به الأسد عادةً.

ذي أفر، وكان من أخصب الأرض وأطيبها ماءً وزرعاً، فاحتماه الناس، لكن بني ذبيان تجاوزوا وتربّعوا ذا أفر ينتفعون به، وكان شاعرهم النابغة الذبياني عند الغساسنة، فحذّرهم وبأل ذلك، فأبوا وعيروه خوفه النعمان، ولما كان ولد النعمان من بعده بطش ببني ذبيان لما فعلوه من ارتياد الجمى، فقال النابغة في ذلك (١١٣٤):

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أَفْرِ
وَعَنْ تَرْبُعِهِمْ فِي كُلِّ أَصْفَارٍ (١١٣٥)

وَقُلْتُ: يَا قَوْمِ إِنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ
عَلَى بَرَاثِنِهِ لِيُوَثِّبَةَ الضَّارِي (١١٣٦)

لَا أَعْرِفُنْ رَبِّرَبًّا حُورًا مَدَامِعُهَا
كَأَنَّ أَبْكَارَهَا نِعَاجُ دَوَّارٍ (١١٣٧)

يَنْظُرُنْ شَزْرًا إِلَى مَنْ جَاءَ عَنْ عُرْضِ
بِأَوْجِهِ مُنْكَرَاتِ الرَّقِّ أَحْرَارٍ (١١٣٨)

فالنابغة وإن كان مُنصرفَ الولاء والهوى إلى الملك المستبد، ولأنه يعرف الملوك واستبدادهم حذّر قومه خطرَ تحديّ الملك وتجاوز خطوطه وحدوده، وإن كانوا بحاجة للمرعى والماء الذي في جماه؛ فيؤلمه أن تصير نساء قومه سبايا بعد الحرية والعزّ.

ومصير كليب وقد استبدّ بقومه وأكل أموالهم وحقوقهم يشابه مصير زعيم آخر كان على نحو سيرته في قومه، وهو عامر الضحّيان؛ فقد ذكر ابن حبيب في المغتالين من الأشراف: أنه كان صاحبَ مِرْبَاعٍ (١١٣٩) ربيعة بن نزار ومُنزلها في نُجْعها وحكّمها في خصوماتها، وكانت ربيعة تغزو وهو في منزله، فتبعث له نصيبه مما تُصيبه ولنسائه حصّة؛ إعظاماً له، فمكث بذلك حيناً، وفي ذلك قول بعضهم (١١٤٠):

(١١٣٤) النابغة الذبياني، المصدر السابق: ص ٧٥.

(١١٣٥) عن تربعهم: أي حلولهم زمن الربيع فيه، في كل أصفار: أي حين ينصرف الماء، أي: يذهب.

(١١٣٦) منقبض: مجتمع متهيئ للوثوب، والبراثن: المخالب، والضاري: صفة الليث، ومعناه: المتعود أكل الناس.

(١١٣٧) الربرب: القطيع من البقر، أراد النساء وشبههن بالبقر بجمال العيون، ودوّار: موضع.

(١١٣٨) ينظرن شزراً: ينظرن بمؤخر عيونهن يلتفن يميناً وشمالاً، وعن عرض: عن ناحية، ومنكرات الرق أحرار: أي كنّ في حرية، فلما سببن أنكرن العبودية.

(١١٣٩) المِرْبَاع: رُبْع الغنيمَة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية، فكان القوم يَغزُونَ بعضهم في الجاهلية، فيَغْتَمون، فيأخذ الرئيس رُبْع الغنيمَة دون أصحابه خالصاً، وذلك الرُبْع يُسمى: المِرْبَاع. انظر: الزبيدي،

المصدر السابق: مادة (ربع)، والقالبي، المصدر السابق: ١/١٤٤.

(١١٤٠) ابن حبيب، أسماء المغتالين: ١٣٩/٢.

تُعَجَّبُنِي أَسْدُ ضَارِيَاتُ وَيَأْكُلُ مِرْبَاعَهُنَّ الضَّبُعُ (١١٤١)

تُمَارِسُ عَنَّا بِصَمِّ الْقَنَا لِشَيْخِ أَمَامَةٍ أَنْ يَضْطَجِعَ (١١٤٢)

لكن هذا لم يكن ليكفي غروره ويُشبع نهمته، فشرّب يوماً خمراً واشتهى لحمًا، فذُكرت له نعجة غريبة عن رجل منهم، فطلبها وذبحها وصاحبها غائب، فلما رجع صاحبها ووجد أهله في فاقةٍ وجوعٍ، وأخبروه أن الضحيان أخذ نعجتهم، فغضب وحمل سلاحه حتى أتى عامراً ليلاً وطعنه بحربة فقتله. فابتداء الأمر كذلك كان من استبداد الزعيم فوق كل ما حقّوه به من التعظيم والعطايا، فتطلّع إلى أرزاق الناس وأموالهم، وليس لأحدٍ أن يمنعه ما يحبّ بزعمه؛ فيموت بنعجةٍ يستبدّ بها من مال غيره.

ومن تطلّع الملوك إلى أموال الناس مع وفرة أموالهم وما ابتدعوه لأنفسهم واستبدوا به دون الناس: ما حكاه طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ فِي قَوْلِهِ (١١٤٣):

أَبَيْتَ اللَّعْنَ وَالرَّاعِي مَتَى مَا يَصِغُ تَكُنِ الرَّعِيَّةُ لِلدِّئَابِ
فَيُصْبِحُ مَالُهُ فَرَسِي وَيُفْرَشُ إِلَى مَا كَانَ مِنْ ظُفْرِ وَنَابِ (١١٤٤)
عَذَرْنَا أَنْ تُعَاقِبَنَا بِذَنْبِ فَمَا بَالُ ابْنِ عَائِدِ الْمُصَابِ
أَجْرَمَ أَمْ جَنَى أَمْ لَمْ تَحْطُوا لَهُ أَمْنَا فَيُؤْخَذُ فِي الْكِتَابِ (١١٤٥)
فَلَوْ كُنَّا نَخَافُكَ لَمْ تَنَلْهَا بِذِي بَقْرِ فَرَوَضَاتِ الرَّبَابِ (١١٤٦)
أَعْرَضْنَا إِذْ أَعَارَ الْمَلِكُ فِينَا مَنَالًا وَالْقِيَابُ مَعَ الْقِيَابِ (١١٤٧)

ففي خبر الأبيات عن الأصمعي: أن النعمان بن المنذر -وكان كسرى عمّله على العرب- خرجَ فمرَّ على إبلٍ لرجلٍ من غنِّي اسمه ابن عائذٍ، فقال: ما رأيتُ كالיום إبلًا ليست لملك! فأمر

(١١٤١) الضبع: جنس من الحيوانات اللاحمة، وهي عند العرب مضرب المثل في الفساد والحمق. انظر: الميداني، المصدر السابق: ٢٦٠/١، ٥٠/٢؛ لذا وصف به الضحيان لأكله المرباع ظلماً من غير قتال.

(١١٤٢) تمارس عنا: يريد الفرسان، والممارسة: شدة المعالجة.

(١١٤٣) الغنوي، المصدر السابق: ص ١٢٣.

(١١٤٤) فَرَسِي: فريس وفَرَسِي مثل صريع وصَرَعِي وبمعناها. ويفرش من ظفر وناب: يُصاب منه بين ظفر طائر وناب سبع؛ أي: يؤكل ماله.

(١١٤٥) جَنَى: أتى بجناية وجرم، ولم تخطوا له أمانةً في الكتاب: لم تكتبوا له كتاب أمان.

(١١٤٦) ذو بقرة والرباب: موضعان. يريد أننا لو نخافك ما رعيناهما في هذه الأماكن وكنا أخفيناهما عنك.

(١١٤٧) منالاً: ما نلنا، وفعلنا مثل ما صنع بنا. والقياب مع القباب: يريد ونحن معك نزول قبابنا مع قبابك.

بها فاستيقت. فأتى غنيّاً الصريحُ، فجاءت غنيّاً حتى ردّتها، وأخذوا إبلاً للملك واستاقوها، فقال طفيل في هذه القصة قصيدته هذه. فالملك لفرط استبداده يرى أن أفضل المال يجب أن يكون معه، وخير الأنعام أن تكون له، ويرى لنفسه الحقّ في أن يستحوذَ على ما يكون بهذه الصفة وهو مع غيره؛ فليس لأحد أن يملك خيراً مما يملكه. فإما أن يطاوعه القوم فيرضخون ويكون له ذلك، وإما أن يأبوا وينتفضوا في وجه المستبد لحفظ أموالهم واسترجاع حقوقهم، وكان لغنيّ الرفض واسترداد ما سلب منهم وزيادة.

وذكر عن ملوك الحيرة قصة أخرى مع شاعر فارس من تميم في فرس له طمع الملك فيها، فتوعدّه الشاعر وحذرّه أن تمتد إليه يده^(١١٤٨).

ويزيد الملوك المستبدون في استبدادهم بالناس وأموالهم، فيفرضون ما يرون من الضرائب والمكوس، دون أن يكون فيهم رحمةً لجذبٍ يصيب الناس أو جائحة تضرب مواشيهم وأرزاقهم، وما سبق عن محاولة بني تغلب قتل زهير بن جناب إنما كان لأنه استبدّ بهم وفرض عليهم الضرائب، وأصابتهم سنة شديدة كادت مواشيهم فيها تهلك، فحرمهم النجعة حتى يؤدّوا ما عليهم، فكانت محاولة اغتياله الفاشلة^(١١٤٩)، والتي حملته على الفتك ببني بكر وبني تغلب والفخر بما جناه عليهم وكيف أسر قادتهم وسبى نساءهم في قوله السابق ذكره^(١١٥٠):

ثُبّاً لَتَغْلِبَ أَنْ تُسَاقَ نِسَاؤُهُمْ سَوَقَ الإِمَاءِ إِلَى المَوَاسِمِ عَطَلَا

والملك الذي جاء بني تغلب من اليمن واستبدّ بهم وقتله كليب حينما ضرب المرأة التغلبية التي تزوّجها واستغاثت بكليب؛ إنما جاءهم ورفضوا تملكه لأنه جاء بآتاوة فرضها عليهم، وتفاخر بذلك، فقال يتوعدّ بني تغلب لمنعهم الآتاوة^(١١٥١):

إِنَّ فِي مَنَعِكَ الإِتَاوَةَ حَرْباً وَنَكَالاً يُشَيِّبَانِ الوَلِيدَا
فَأَقْبِلِي مَا أَتَاكَ مِنْ قَبْلِ المَدِّ كِ وَلا تَهْلِكِي هَلَاكَ تُمُودَا

الإتاوة المفروضة من الملك لآبد من أداؤها، ومن يمتنع فإنما يتحدى الملك المستبد، وعليه أن يتحمل نتائج تمرّده وخروجه على الملك وامتناعه عن أداء المطلوب منه.

فإن نفر الناس إلى أسواق العرب للتجارة والتماس الرزق كان للملوك حضورهم معهم؛ فالضرائب كان يفرضها الملوك وأتباعهم على الناس في الأسواق التي تُقام، وكان الناس

(١١٤٨) انظر: المعيني، المصدر السابق: ص ٣٩٥.

(١١٤٩) انظر: البيطار، المصدر السابق: ٣٤/١.

(١١٥٠) انظر: ص ١٢٦.

(١١٥١) انظر: الشمشاطي، المصدر السابق: ١/١٩٩، وأبو زيد، المصدر السابق: ص ٢٣٥.

يتضجرون منها، حتى قال جابر بن حنيّ التغلبي للمنذر بن ماء السماء وقد فرض عليهم الضرائب(١١٥٢):

وَفِي كُلِّ أَسْوَاقِ الْعِرَاقِ إِتَاوَةٌ وَفِي كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسُ دِرْهَمٍ؟
أَلَا تَسْتَجِي مِنَّا مُلُوكٌ وَتَتَّقِي مَحَارِمَنَا لَا يَبُوءُ الدَّمَّ بِالذِّمِّ (١١٥٣)
نُعَاطِي الْمُلُوكَ السِّلْمَ مَا قَصَدُوا بِنَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمٍ (١١٥٤)

فالمملوك لا يقدر على القرابة والرحم التي تجمعنا بهم، ويرون أنفسهم فوقنا، فيفتنون في فرض الضرائب في كل البيوع والأماكن؛ لكننا لن ندوم على الصمت والرضوخ، فإن استقاموا وساروا بنا بالعدل، وإلا فالدم والدماء لهم عندنا.

ومن الثورة في وجه الملوك المستبدين ورفض ما يرونه من الضرائب في أموال الناس ما قاله يزيد بن الخدّاق للنعمان بن المنذر وقد آلى ليغزونهم وليقسمن أموالهم أخماساً(١١٥٥):

تَحَلَّلْ أُبَيْتَ اللَّعْنِ مِنْ قَوْلِ أَثِمِّ عَلَى مَالِنَا لِيُقْسَمَنَّ خُمُوسًا (١١٥٦)
أَقِيمُوا بَنِي النُّعْمَانِ عَنَّا صُدُورَكُمْ وَإِلَّا تُقِيمُوا كَارِهِينَ الرُّؤُوسَا (١١٥٧)
أَكُلْ لَيْمٍ مِنْكُمْ وَمُعْلَهَجٍ يَعُدُّ عَلَيْنَا غَارَةً فَخُبُوسَا (١١٥٨)
أَلَا ابْنَ الْمُعَلَى خَلْتَنَا وَحَسِبْتَنَا صَرَارِي نُعْطِي الْمَاكِسِينَ مُكُوسَا (١١٥٩)

فالقبايل مستباحة للملوك المستبدين، وكلما تولى الأمر واحد منهم أراد إثبات نفسه وقوته، فيغزو ويقتل، ويفرض ضرائب جديدة على الناس يبتزهم ويستبد بهم؛ فإن لم يرعوا فالحرب

(١١٥٢) أبو زيد، المصدر السابق: ص ٥١، ص ٣٦٥. والأنباري، شرح المفضليات: ص ٤٢٦.

(١١٥٣) باء فلان بفلان: إذا عدله.

(١١٥٤) قصدوا بنا: القصد استقامة الطريق، يريد أنهم مع الملوك ما ساروا بهم قصداً وحكموهم بعدل، فإن جاروا خرجوا عليهم.

(١١٥٥) الضبي، المفضليات: ص ٢٩٧، والأنباري، شرح المفضليات: ص ٥٩٩.

(١١٥٦) تحلل من قول أثم: يريد يمينه بغزوهم، والخموس: جمع خمس.

(١١٥٧) أقيموا صدوركم: أزيلوا عوجها.

(١١٥٨) مُعْلَهَج: ليس بخالص ولا كريم، والخبوس: الظلم.

(١١٥٩) الصرارِي: الملاحون، ويكون الصرارِي واحداً وجمعاً، والماكسون: الجبابة، جمع ماكس، وما يجمعه هو مكس ومكوس.

والخروج عليهم طريقنا؛ وكأننا أكياس فلوس كلما جاء حاكم استبدّ بنا وأكلَ أموالنا واستباح
ديارنا ! لكن الثورة لا بد منها في وجه المستبدّين ولا بد من رفض الضرائب(١١٦٠).

* * *

(١١٦٠) انظر: زيتوني، المصدر السابق: ص ٢٦٥.

خلاصة

فيظهر من خلال ما مضى صعوبة تحصيل المال في الجاهلية، لكن تتأكد صعوبة المحافظة عليه بشكل أكبر، وهذا ما يريده المستبد^(١١٦١)، فيقلّ حرص الناس على المال، وتعظم ثروته ليُدوم حكمه.

والخلل في النظام الاقتصادي من الأعلى إلى الأدنى يجعل الأذنيين كذلك في فوضى، فيبطش القوي بالضعيف، ويستبد الكبير بالصغير؛ كلُّ يريد تصحيح ما يراه خطأً واستبداداً، فيركب واحد مركب الصعلكة، وثانٍ مركب اللصوص، وآخر يؤثر القلّة مع الكرامة.

وهذا ما يجعل المجتمع في اضطراب وطبقية مقبّنة، طبقية اقتصادية كبيرة بين غنيٍّ مُوسرٍ وفقيرٍ مدقع، وطبقية اجتماعية بين سادة أحرارٍ وعبيدٍ أرقّاء. وليدفع غرامة الخلل والاضطراب الفئة الأضعف؛ امرأةً أو أمةً أو عبداً أو رجلاً ضعيفاً.

* * *

(١١٦١) انظر: عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق: ص ٧٣، وفؤاد عبد الله، المصدر السابق (ضمن الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة): ص ٤١٨.

خاتمة

الخلاصة والتوصيات

وبعدُ: فقد انتهى البحثُ بتأصيل مصطلح الاستبداد وفق ما جاء في المصادر العربية والدراسات المعاصرة أنه: الانفرادُ بالسلطة مما حَقُّه الاشتراك والمشورة، وغلبةُ الآخرين وقهرُهم والتسلُّطُ عليهم، وانتزاعُ ما في أيديهم بغير حقّ.

وانتهى أن الاستبدادَ لم يكن في العرب الجاهليين دونَ غيرهم؛ فما من أمة في الحضارات القديمة إلا ضربها الاستبدادُ بسياطه.

• وتبيّن من الشواهد الشعرية الصحيحة أن العربَ القدامى عانوا من الاستبداد في حياتهم السياسية والفكرية والاجتماعية؛ وإن لم يعرفوا الاستبداد الديني على نحو ما كان في أوربا في الفترة التاريخية ذاتها وما بعدها.

• وشهدت جزيرة العرب من الاستبداد الداخلي نحو ما شهدت من الاستبداد الخارجي من الدول التي تسلّطت عليها آنذاك، وتدخلت في حياة الناس وجعلت لها عملاً سيّطاً بيدها تضرب بها وقت تشاء. فلم تسلم قبيلة من قبائل العرب في الجاهلية من الاستبداد، يقلّ أو يكثر؛ لكنه كان في القبائل التي كانت تستمد قوتها من الدول المجاورة أشد، وعلى هذا مارسَ المناذرة والغساسنة الاستبداد ضد غيرهم بشكل أكبر، دون أن ينجيهم هذا من استبداد أسيادهم من الفرس والروم بهم.

• إن تنوّع الاستبداد لا ينفي أن الاستبدادَ السياسيّ هو الأصلُ فيها؛ فهو الذي يحرص على الاستبداد الاجتماعي ويدفع الناس إليه وممارساته الاستبدادية في الاقتصاد سبب ما يكون من الاستبداد الاقتصادي بين الأفراد، ولا ينفك الاستبداد الديني والفكري عن السياسي لأنه يستفيد منه ويكون أداة لتسريع استبداده السياسي.

• ومع الآثار المدبّرة للاستبداد في حياة الناس والأمم، وفي أخلاقهم ونفوسهم فيألفون الخنوع والذلّ والنفاق كانت شواهدُ كثيرةٌ على خروج الناس على المستبدّين، وإن كان في ذلك مقتلهم أو نفيهم عن أرضهم.

• كان الثبّعُ عند العرب القدامى الديوانَ الذي حفظَ علومهم حقاً، كما حفظ مآسيهم وآلامهم، فلولا الشعْرُ والشعراءُ لَمَّا وصلتنا عبر القرون آهاتُ النساءِ المستبدّ بهنّ ولا أنينُ الرجالِ المقهورين بسوْطِ المستبدّين؛ وهذه هي رسالة الأديب في الحياة، فإن انحرفَ بها فجعلها أداةً تطبيلٍ للمستبدّين فإنه يخون أمانة الكلمة ويبيع نفسه فيكون عبداً للمستبدّ.

- عانى العربُ القدامى ممارساتٍ استبداديةً متنوعةً، حُمل إليهم بعضها من أممٍ أخرى؛ قريباً مما يكون من استيراد المرتزقة اليومَ وتعلّم فنون التعذيب والاستبداد من دول تُعرف بهذا. ووجدنا كثيراً من الممارسات الاستبدادية التي عرفها الجاهليون نراها اليوم في بعض الدول؛ فهي جاهلية تنبعث من جديد بأثوابٍ شتى، فالاستبداد ملةٌ واحدة.
- لم تنجح محاولات التغلب على المستبدين بالقوة، بل جرّت كثيرٌ منها إلى مفاصدٍ أكبر وأوقعت حروباً استمرّ بعضها عقوداً من الزمن؛ فالتغلب على المستبد لآبد أن يسبقه النظر في المآلات، فلا يقع الناس بعد المستبد تحت استبداد أكبر، لكن ذلك يُفسّر بانفجار الناس لموقفٍ ما يكون بعد صبرٍ قد يطول يحسب فيه المستبد أن الأمر استوى له على الدوام. فلا بد من تربية النفوس على إباء الضيم، ليتكون جيل يدفع المستبد ويجيد من بعده البناء بشكل سليم.
- كانت للقوة في الجاهلية - إذ لا دين يحكمهم - الغلبة؛ فالقوي يأكل الضعيف، إن في الحكم وإن في المجتمع، وكانت المرأة من أهم ضحايا الاستبداد، فذاقت حرّةً وأمةً ألواناً شتى من الاستبداد.
- يوصي البحثُ عند دراسة ظاهرةٍ عرفتها مجتمعات مختلفة بالنظر فيها بين هذه المجتمعات كلها؛ فالاستبداد وهو ظاهرة عرفها العرب الجاهليون والحضارات التي كانت ولها القوة وقتذاك يجب دراسته دراسة مقارنة تاريخياً وأدبياً. مع تأكيد ضرورة تحرير المصطلحات التي يكثر تداولها وفق المصادر العربية أولاً ثم الاستفادة مما جاء عن الغرب، دون اجترار ما يأتي وخلعه قسرياً على ثقافتنا وأدبنا.
- ومع الدراسة في الشعر القديم ودواوينه تتأكد أهمية متابعة التحقيق العلمي للأدب القديم، فما زالت دواوين شعراء وقبائل بأمس الحاجة للتحقيق العلمي حتى يطمئن الباحث للنقل عنها؛ لاسيما ما اتصل بأدب النساء في الجاهلية، فلا يكفي القول اليوم: (ذكره صاحب شاعرات العرب ولا نعرف مصادره)! أو (ذكرتها زينب العاملي في الدرّ المنثور في طبقات ربات الخدور ولا نعرف مصادرها)! أو (ذكره صاحب شعراء النصرانية ولم يذكر مصادره)! لأن الشعر العربي القديم هو الوسيلة الأكثر صحةً لمعرفة ما كان في تلك الحقبة.

• ويوصي البحث كذلك بجمع أشعار المستبدين في دراسة مستقلة، ودراستها دراسة علمية تاريخية ونفسية لمعرفة أسباب الاستبداد وتحليلها بشكل علمي دقيق. مع جمع أشعار الفئات الأكثر معاناةً من الاستبداد آنذاك من العبيد والإماء أو من الصعاليك والخلعاء، ودراسة ما عانوه من الاستبداد وكيف كان موقفهم خنوعاً وتمرداً.

• ومن المفيد في دراسة الاستبداد في الشعر العربي القديم أن يمتدّ في دراسات أخرى لدراسة الاستبداد فيما بعد الجاهلية؛ فإنّ خلا عصر النبوة والراشدين من الاستبداد فلم يطل العهد حتى شهدنا تاريخنا ممارسات استبدادية وجدنا صداها فيما وصلنا من الأدب الأموي والعباسي وما بعده، فإن كان الجاهليون بلا دين ولا نظام فما بال من كان بعدهم في العصور الإسلامية؟ وكذا حتى عصرنا الراهن.

• إنّ كان الاستبداد يؤثر في عقول الناس وأخلاقهم فيفسدها، حتى يألّفوا الاستبداد ويتبدّل شعورهم، وقد يستمتعون به؛ فإنّ مقاومته ودفعه يبدأ في تصحيح المفاهيم عند الناس لبناء عقولهم وتحسين أخلاقهم، فالقوة قد تعجز وحدها عن قهر الاستبداد، لكنّه إن قامت دولة الإسلام في النفوس قامت للناس على أرضهم، وعجز الاستبداد -داخلياً وخارجياً- عن مواجهتهم.

هذا، ولم أدخر في هذا البحث جهداً في تتبع المصادر والدراسات لتحرير مصطلح الاستبداد، لأمضي في البحث على هدى، ولم أُلّ جهداً في قراءة كل ما استطعت من دواوين الشعر القديم للشعراء والقبائل، وفي تحليل الشواهد وتحرير مواضع الاستشهاد فيها وربطها مع بعضها؛ فما كان في البحث من صواب فأحمد الله على توفيقه، وما كان فيه من خلل فهو من تقصيري وضعفي.

والحمد لله ربّ العالمين

* * *

الفهارس

١ - فهرس الآيات

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ}	البقرة	٢٥٦	٢٢
{أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتِ}		٢٥٧	٢٢
{وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ...}		٢١٣	٢٣
{يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ}	النساء	٦٠	٢٢
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا...}	النساء	١٩	١٨٥
{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا...}	النحل	٥٨	١٣٨
{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ...}	الإسراء	٣١	١٣٨
{وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا}	مريم	٨	٢٣
{قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا}	طه	٤٥	٢٢
{وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي}		٨١	٢٢
{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ...}	ص	٢٢	٢٣
{وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتِ}	الزمر	١٧	٢٢
{وَكَايِنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}	الطلاق	٨	٢٣
{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ}	الحاقة	١١	٢٣
{بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}		٦	٢٣
{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى}	النازعات	١٧	٢٢
{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ}	العلق	٦	٢٢

٢ - فهرس القوافي

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
٤٠	عامر بن الطفيل	الطويل	موكب
٦٨	أدهم بن حازم الضبي	الطويل	والقُرب
٧٤	عدي بن زيد العبادي	الوافر	بالمغيب
١٠٤	صيفي بن عامر = أبو قيس بن الأسلت الخرجي	الطويل	الأخاشب
١٢٢	عبد العزى بن امرئ القيس	الطويل	كَلْب
٥٢	لقيط بن زرارة	المتقارب	الرِّيَاب
١٢٨	غضوب	الرجز	الكِلَاب
١٨٨	طفيل الغنوي	الوافر	والتَّهَاب
١٩٥	طفيل الغنوي	الوافر	لِلذَّنَاب
٥٠	زهير بن جذيمة العبسي	الطويل	يُسَلِّبُ
٥٥	امرؤ القيس	الوافر	يُصَابُوا
٧٠	الحارث بن ظالم	الطويل	شَارِبُ
١١٣	المتلمس الضبعي	الطويل	عَوَاقِبُهُ
١١٥ و ١٤٥ و ١٨٦	طرفة بن العبد	الكامل	عَيْبُ
١١٨	النابعة الذبياني	الطويل	أَجْرَبُ
١١٩	النابعة الذبياني	الطويل	يَنْدَدُّدُ
١١٩	النابعة الذبياني	الطويل	وَمَذْهَبُ
١٤٧	شاعر من بني تميم	الكامل	يَكْذِبُ
١٦٧	السليك بن السلكة	الطويل	وَسُهُوبُ
١٨٠	أخت عمرو ذي الكلب	البسيط	تَكْذِيبُ
١٨٧	المطوح التغلبي	الرجز	العَصْبُ
٨	سعد بن ناشب	الطويل	جانبا
٤٥	امرؤ القيس	البسيط	أربابا
١٠٤	طالب بن أبي طالب	الطويل	الشَّعْبَا
١٣٠	عبد الله بن رواحة	المنسرح	نَسَبَا
١٤٢	أم ثواب الهزانية	البسيط	رَغَبَا
١٥٠	قيس بن الخطيم	المنسرح	السَّنْبَا
١٩٢	سلمى بنت الملق العامرية	البسيط	جَوَابَا
٤٥	امرؤ القيس	المتقارب	الجَبَلُ
٤٥	امرؤ القيس	المتقارب	الباسل
١٠٠	قيس بن الحدادية	المتقارب	صَعْبُ
١٥٠	أبو ثمامة الضبي	المتقارب	تُسْتَلَّبُ
٨٣	الأعشى الكبير	الطويل	وَقَلَّتْ

١٠٩	جذيمة الأبرش	الرمل	الفَاتي
١٨٥	ابنة همام بن مرة بن ذهل الوسطى	الطويل	فَحَنَّتْ
٤٤	جذيمة الأبرش	المديد	شَمَالَاتُ
١٥٨	عمرو بن عَنَم الطائي	الوافر	الصَّمُوثُ
١٦٤	عروة بن الورد	الطويل	مُمَلِّح
١٥٥	مالك بن الحارث الهذلي	الوافر	الْقَرَّاحُ
١٦١	عروة بن الورد	الطويل	رُزَّحُ
١٦٥	قيس بن الحدادية	الطويل	جُنَّحَا
١٨٦	قيس بن الحدادية	الطويل	مَنَكَا
٥	المتلمس الضبيعي	الوافر	حادٍ
٦٧	شريح بن الأحوص العامري	المتقارب	يَهْتَدِي
١٠٧	سراقة بن عوف بن الأحوص	الطويل	العَهْدِ
١١٤	المتلمس الضبيعي	الرجز	دَدٍ
١٢٦	عارق الطائي	الطويل	البُعْدِ
١٤٩	عمرو بن معدي كرب	الوافر	الْقِيَادِ
١٥٢	شاعر مجهول	البسيط	تُرْدِ
١٦٠	مزرد بن ضرار الغطفاني الذبياني	الطويل	المَرَابِدِ
١٦٦	السليك بن السلكة	البسيط	أَدْوَادِ
١٦٨	قيس بن الحدادية	الطويل	خَالِدِ
١٧٩	امراة من بني عامر بن صعصعة	الطويل	لِوَالِدِ
٤٩	المهلهل	البسيط	أَحْدُ
٩٧	ورقة بن نوفل	البسيط	أَحْدُ
٣٩	الأفوه الأودي	البسيط	أوتَادُ
١٢٥	عمرو بن كلثوم	الوافر	تُرِيدُ
١٥٣	شاعر فزاري	الوافر	الشَّدِيدُ
١٥٨	عبد الله بن الحارث الخولاني	الطويل	مُوقِدُ
١٧١	السليك	الكامل	أَسْوَدُ
١٧٨	الحرقه بنت النعمان	الكامل	أَعْوَدُ
١١١	عبيد بن الأبرص	المتقارب	وإِجْدَه
٧٠	أبو أحичة	مشطور الكامل	بَرِيدَا
٨٢	ميمون بن قيس	الرجز	شُرْدَا
١٢٤	أبو حنش	الطويل	مَعْبِدَا
١٧٤	عميرة بن جعل	الوافر	عَبْدَا
١٩٧	زهير بن جناب	الخفيف	الْوَالِيدَا
٥	عمر بن أبي ربيعة المخزومي	الرمل	تَجْدُ
٥٩	من شعراء بني أسد	الطويل	الصَّمْدُ
٤٣	شاعر جاهلي	البسيط	عاد

٥	الأخطل	البسيط	مِغْيَار
٥١	الحمراء بنت ضمرة	الرجز	جَابِر
٦٩	أبو أحичة	الرجز	الأَعْصَار
١٢٧	سالم بن دينار الغطفاني	البسيط	دِينَار
٩٨	الورل الطائي	البسيط	بِالْعَشْرِ
١٢٠	حاتم الطائي	الطويل	جُحْدُر
١٢٣	أشعر الرقبان الأسدي	الكامل	وِثْر
١٥٧	الزبيدي	البسيط	وَالنَّفَر
١٥٧	النابعة الذبياني	الطويل	المُكَاثِر
١٧٤	عمرو بن قميئة	الخفيف	الصَّنِير
١٨٢	الخنساء	الوافر	بِصَخْر
١٩٣	كليب	الرجز	المُنِير
١٩٤	النابعة الذبياني	البسيط	أَصْفَار
٥٣	عباس الرعلي	الطويل	عَاقِر
٦٥	زبان بن سيار	الوافر	الشُّهُور
٦٦	جعدة بن طريف السعدي	الكامل	مَسْجُور
٧٨	شاعر حميري	الطويل	جَمِير
٨٤	يزيد السكوني	البسيط	النَّار
٩٦	زيد بن عمرو بن نفيل	الوافر	الصُّبُور
١٠٣	أمية بن أبي الصلت	الخفيف	الكُفُور
١١٥	طرفة بن العبد	الوافر	تُخُور
١٨٦	عروة بن الورد	الطويل	يُعِير
٥٦	خولي بن سهلة الطائي	البسيط	وَالشَّعْرَه
٩٦	حاتم الطائي	الطويل	حَمْرَا
٩٩	حاتم الطائي	الطويل	أَتْنَصْرَا
١٥٩	حرّي بن ضمرة التميمي	الطويل	أَعِيرَا
١٧٣	حُصَيْن بن ضَمْضَم المُرِّي	الرجز	أَعُورَا
١٨٧	حاتم الطائي	الطويل	قَسْرَا
٤٩	المهلهل	الطويل	أَتَاز
١٢٠	حاتم الطائي	الطويل	الأَشْر
٥١	عصمة بن حدرة	الرجز	عَبْس
٨٤	النابعة الذبياني	الطويل	بَاس
١٤٤	الحطيئة	الكامل	المَجْلِس
١٥٦	مُصَاب	الرجز	الحَسْحَاس
١٨٣	عمرو بن زيد الخولاني	الكامل	حَابِس
١٩٣	كليب	الرجز	النَّاس
١١٢	المتلمس الضبعي	الكامل	الأَنْفُس

١١٤	المتلمس الضبعي	البسيط	شُوسُ
١٢١	حاتم الطائي	الكامل	سِنْبِسُ
١٢٢	يزيد بن الخدّاق الشنّي	الطويل	خُمُوسَا
٧٣	عدي بن زيد العبادي	الطويل	المُنْتَبِعُضُ
١١٦	طرفه بن العبد	الطويل	بَعَضُ
١١٦	طرفه بن العبد	الطويل	المَحْضُ
٧٢	الأصبغ	الكامل	مَرْبَاعُ
١٠٦	العباس بن مرداس	الطويل	بالْفَجَائِعِ
٦٨	قيس بن عيزارة الهذلي	الطويل	الرَّوَائِعُ
١٩٠	مجّيع بن هلال	الطويل	مَجْرَعُ
٤١	لقيط بن يعمر الإيادي	البسيط	مضطلعا
١٢١	حاتم الطائي	الطويل	فَأَصْرَعَا
١٢٨	الكميت	الطويل	قوزعا
١٩٥	شاعر مجهول	المتقارب	الضَّبْعُ
٩٦	الأسلوم اليامي	الرجز	وَأَعْرَفُ
١٦٤	السُّليكَ بن السُّلْكَة	الطويل	أَعْرَفُ
١٦٤	السليكَ	الطويل	يَنْسَيَفُ
١٧٢	عنتره	البسيط	مَعْكُوفُ
١٨٣	الأضْبِطُ بن قُرَيْع التميمي	الطويل	الْوَصَائِفُ
١٨٩	معقّر بن حمار البارقى	الوافر	الْحَسِيْفُ
٦٧	طريف العنبري	الرجز	صَعْفُوقِ
٥٤	الفند الزماني	المديد	ضِيْقِ
٧٥	عدي بن زيد العبادي	الخفيف	الْحَلَّاقِ
١١٧	حارثة بن قيس الكناني	البسيط	يُطِقُ
١٨٥	ابنة همام بن مرة بن ذهل الكبرى	الطويل	شَقَائِقُ
٥٧	عارقُ الطائي	الطويل	مَهَارِفُهُ
١٧٨	امراة من شيبان	الكامل	نَعْفَا
٥٧	المتلمس الضبعي	الكامل	أَبْلُقِ
٨٣	امراة من بني عجل	مجزوء الرجز	نُعَائِقُ
٧٧	أبان بن ميمون بن حريز الحميري	الرمل	عَتِيْكَ
١٠٢	عبد المطلب	مجزوء الرجز	جَالَأَكُ
٤٩	امرؤ القيس	الرمل	عَاقِلِ
٥٣	طفيل الغنوي	الطويل	ومنزِلِ
٥٥	جليلة بنت مرة	الرمل	تَفْتَلِي
٦٥	زبان بن سيّار الفزاري	الوافر	سُوَالِي
١٥٢	رجل من بني عقيل	الوافر	صِقَالِ
١٧٠	السليكَ	الوافر	الطَّوَالِ

٧٦	قيس بن منقذ	الطويل	نَوَقَلْ
٧٩	عُفيرة بنت غفار	الطويل	النَّمَلْ
١١٨	مجهول	الوافر	تَبَالْ
١٤٤	الحطيئة	الرجز	القَبَائِلْ
١٦٢	عروة بن الورد	الطويل	أَهْلِيْ
١١٣	المتلمس الضبعي	الكامل	تَيْلْ
٤١	حاتم الطائي	الرجز	البخيلُ
٩٩	رجل جرهمي	الطويل	حُلُوْلُ
١٠٤	طفيل الغنوي	الرجز	الْفَيْلُ
١٤٣	مجهول	الطويل	وتنْهَلْ
١٦٦	الشنفري	الرجز	البُرْلُ
١٦٧	عروة بن الورد	الطويل	وتَمَوَّلُوا
١٨٥	ابنة همام بن مرة بن ذهل الصغرى	الطويل	يَعْقَلْ
١٢٧	عبد القيس بن خُفاف البرجمي	المديد	الجَهْوَلَا
١٥٥	حاتم الطائي	الرجز	سُبَلَا
١٨٨ و ١٩٦	زهير بن جناب الكلبي	الرجز	عُطَلَا
١٨٩	النابعة الجعدي	الطويل	قَلَى
٤٨	كبشة أخت عمرو بن معدي كرب الزبيدي	الطويل	دَمِي
١٢٣	جابر بن حني	الطويل	بالدَمْ
١٢٣	أبو حنش	الطويل	هُمَامْ
١٤٩	شاعر من بني أسد	الطويل	عَرَمَرَمْ
١٥٩	حَزَنُ بن كَهْفْ	الطويل	مُحَلَمْ
١٦٤	الأعلم الهذلي	الكامل	شَحْمْ
١٩٧	جابر بن حُنَيِّ التغلبي	الطويل	دِرْهَمْ
٦٠	عدي بن زيد العبادي	الوافر	اللَّحَامْ
٦٢	حَوْدَةَ بن عِثْرَمْ	الطويل	عِثْرَمْ
٧١	أكثم بن صيفي	الوافر	نَرِيْمْ
١٠٥	عَبْدُ اللَّهِ بنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ	الخفيف	مَهْرُومْ
١٢٥	الحارث بن ظالم المري	الطويل	رَاغِمْ
١٥٣	معن بن أوس المزني	الطويل	جَلْمْ
١٥٦	عامر بن جوين الطائي	الكامل	الدَّمْ
١٦٣	عمرو بن بَرَّاقَة الهمداني	الطويل	نَائِمْ
١٠٨	أبو أحمد الأسدي	مجزوء الرجز	نَدَامَةُ
٩٥	قيس بن عاصم	الوافر	الكَرِيْمَا
١٥١	المتلمس الضبعي	الطويل	مَيْسَمَا
١٥٢ و ١٨٦	المتلمس الضبعي	الطويل	يَنْكَرَمَا

٩٩	رجل جرهمي	مجزوء الرجز	حَرَامٌ
١٠٢	عبد المطلب	الرمل	بِالْحَرَمِ
٤٨	المهلهل	الطويل	والأحلامُ
١٢٦	ابن زِيَابَةَ البكريُّ	المديد	الْخُصُومُ
٧٩	يزيد بن الصَّعِقِ الكلابي	الكامل	يَخْتَلِفَانِ
١١٧	المرقش الأكبر	الخفيف	مُسْتَعِينِ
١٨٤	قُرَاد بن حنيفة	الوافر	لِيَقْتُلَانِي
١٧٤	عَمِيرَة بن جُعَل	الطويل	نَفْيَانِ
١٧٢	عنترَة	المتقارب	عَبْتَنِي
١٨١	امرأة تغلبية	الكامل	عَسَّانِ
١٨١	رَقَاشِ أخت الملك جذيمة الأبرش	المديد	لِلتَّرْزِينِ
١٤٨	العباس بن مرداس	الكامل	مَلْعُونُ
٤٦	عمرو بن كلثوم	الوافر	قَطِينَا
٨٠	عدي بن زيد العبادي	الوافر	الأُولِيَانَا
١٠٣	نُفَيْل ابن حبيب الخثعمي	الوافر	عَيْنَا
١٢٤	أبو حنش	المنسرح	حَسَنَا
١٤٤	الحطيئة	الوافر	العَالَمِينَا
١٧٥	امرأة أبي حمزة الضبي	الرجز	يَأْتِينَا
١٧٦	ليلى بنت لكيز	الرمل	وَعَنَا
٧١	أكثم بن صيفي	الرجز	أَهْبَانُ
٤٦	كليب	الطويل	فَادُّوْهَا
٥٣	يزيد بن الصعق	الوافر	قَلَاهَا
١٠٥	هُبَيْرَة بن أبي وهب المخزومي	الطويل	ضَلَّالَهَا
١٢٣	بشامة بن الغدير	الكامل	وَقَتَّالَهَا
١٢٩	زينب بنت مالك	المتقارب	أَنْقَالَهَا
١٧٢	الشنفرى	الطويل	يَمِينَهَا
١٨٢	الخنساء	الطويل	يَفُودُّهَا
١٩١	امرأة من هذيل	الطويل	إِسَارُهَا
١٤٦	الأسعر الجعفي	الكامل	النَّوَى
٥٠	زهير بن جذيمة العبسيُّ	الطويل	وَمَوَالِيَا
٦٢	المنخل اليشكري	الوافر	أَبِيَا
٦٣	عبد يغوث الحارثي	الطويل	وَلَا لِيَا
٩٧	ورقة بن نوفل	الطويل	حَامِيَا
١٣٠	زينب بنت مالك	الطويل	يَمَانِيَا
١٧١	سُحَيْم عبد بني الحساس	الطويل	عَوَادِيَا
١٧٧	النعمان بن المنذر	الطويل	مُنَاوِيَا
١٦٩	قيس بن الحدادية	الرجز	مَوَالِيَه

٣- فهرس الشعراء والأعلام (١١٦٢)

- أبان بن ميمون الحميري: ص ٧٧.
- إبراهيم السكران = السكران: ص ٩ و ٢١ و ٢٨.
- ابن الأثير: ص ٦ و ٥٠.
- ابن الطقطقي: ص ١٠.
- ابن الكلبي: ص ٤٣ و ٧٢ و ١٢١.
- ابن خلدون: ص ١٣ و ٩١ و ١٣٥.
- ابن سيده: ص ٦.
- ابن فارس: ص ٤ و ٧.
- ابن قتيبة: ص ٤٥ و ١٨٩.
- ابنة همام بن مرة بن ذهل الصغرى: ص ١٨٤ - ١٨٥.
- ابنة همام بن مرة بن ذهل الكبرى: ص ١٨٤ - ١٨٥.
- ابنة همام بن مرة بن ذهل الوسطى: ص ١٨٤ - ١٨٥.
- أبو أحمد الأسدي: ص ١٠٧.
- أبو أحيدة: ص ٤٧ و ٦٩.
- أبو الفرج الأصفهاني = الأصفهاني: ص ٦٤ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٨ و ١٢٩ و ٤٤٤ و ١٦٩.
- أبو ثمامة الضبي: ص ١٥٠.
- أبو حاتم السجستاني: ص ٧١.
- أبو علي القالي = القالي: ص ٤ و ٩٥ و ١١٠ و ١٨٤.
- أبو هلال العسكري: ص ٢٣ و ٤٠ و ٧٣ و ٧٤ و ٩٨.
- أخت جذيمة الأبرش: ص ١٨١.
- أخت عمرو بن معدى كرب الزبيدي: ص ٤٧.
- أخت عمرو ذي الكلب: ص ١٨٧.
- أدهم بن حازم الضبي: ص ٦٨.
- أردشير بن بابك: ص ٤٧.
- أرسطو: ص ٣ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ٢٢ و ٢٦ و ٣٠ و ٣٣ و ٣٥.
- الأزهري: ص ٧.
- الأسعر الجعفي: ص ١٤٦.
- الأسلموم الياامي: ص ٩٦.
- أشعر الرقبان الأسدي: ص ١٢٢.
- الأصبغ بن عمرو الكلبي: ص ٧٢.

(١١٦٢) ملاحظة: لم أذكر في الأعلام مؤلفي الكتب الموثقة في الهوامش؛ إلا أن يكون ذكر في المتن فأثبتته كما

ورد.

- الأصمعي: ص ٥ و ٤٢ و ١٩٦.
- الأضببط بن قريع التميمي: ص ١٨٣.
- الأعشى: ص ٨٢.
- الأعلم الهذلي: ص ٤١ و ١٦٤.
- الأفوه الأودي: ص ٣٩.
- أكتثم بن صيفي: ص ٧١ و ٧٢ و ٧٥.
- الألوسي: ص ٤١ و ٦٤.
- أم ثواب الهزانية: ص ١٤٣.
- امرأة العباس بن مرداس: ص ١٠٦.
- امرأة من بني عامر بن صعصعة: ص ١٧٩.
- امرأة من هذيل: ص ١٩١.
- امرؤ القيس: ص ٤٥ و ٤٦ و ٤٩ و ٥٥ و ٥٦ و ١٠٨ و ١٢٢ و ١٢٧.
- أمية بن أبي الصلت: ص ٩٨ و ١٠٣ و ١٤٣.
- أنيف بن حارثة بن لأم: ص ١١٠.
- أوس بن سعد الطائي: ص ١٢٠.
- أوس بن معن المازني: ص ١٥٥.
- إياس بن قبيصة الطائي: ص ١٢١.
- إبنين دي لابواسييه: ص ٣٢.
- بشامة بن الغدير: ص ١٢٣.
- تابط شراً: ص ٦٨ و ١٤١ و ١٦٣.
- جابر بن حني التغلبي: ص ١٢٣ و ١٩٧.
- الجاحظ: ص ٤١ و ٤٧ و ٦٤ و ١٣٢ و ١٧٥.
- جذيمة الأبرش: ص ٤٣ و ٤٥ و ٨٠ و ٨٥ و ١٠٩ و ١٨١.
- جساس: ص ٤٦ و ٤٧ و ٦٤ و ١٩٣.
- جعدة بن طريف السعدي: ص ٦٦.
- جليلة: ص ٤٦ و ٥٤ و ١٩٣.
- جمال الدين الأفغاني: ص ١٩ و ١٤١.
- الجوهري: ص ٦ و ٢٦.
- جيوردانو برونو: ص ١٣٢.
- حاتم الطائي: ص ٩٦ و ٩٩ و ١٠٥ و ١٢٠ و ١٥٥ و ١٨٧.
- حاجب بن زرارة: ص ٦٦ و ١٨٤.
- الحارث بن أبي شمر الغساني: ص ٥٦ و ١١٧ و ١٢٠.
- الحارث بن ظالم: ص ٦٦ و ٧٠ و ١٢٥.
- الحارث بن عباد البكري: ص ٤٨.
- حارثة بن قيس الكناني: ص ١١٧ و ١١٨.

- الحرقه بنت النعمان: ص ١٧٧ و ١٨٢.
- حري بن ضمرة التميمي: ص ١٥٩.
- حزن بن كهف التميمي: ص ١٥٨.
- حصين بن ضمضم المري: ص ١٧٣.
- الحطيئة: ص ١٤٤ و ١٤٥.
- الحمراء بنت ضمرة التميمية = المرأة التميمية: ص ٥ و ١٣٠.
- حوذة بن عترم الطائي: ص ٦٢.
- خالد بن جعفر: ص ٥٠ و ٦٦.
- خالد بن نضلة الأسدي: ص ٥٨ و ٥٩.
- الخنساء: ص ١٧٩ و ١٨٢.
- خولي بن سهلة الطائي: ص ٥٦.
- دريد بن الصمة: ص ١٨٢.
- الراغب الأصفهاني: ص ٢٢ و ٨٩.
- ربيعة بن مقروم الضبي: ص ١٦٠.
- رجل من بني عُقيل: ص ١٥٢.
- زبان بن سيار الفزاري: ص ٦٥ و ٦٦.
- الزمخشري: ص ٤ و ٦.
- زهير بن جذيمة العبسي: ص ٥٠.
- زهير بن جناب الكلبي: ص ١٢٦ و ١٨٨.
- زوجة أبي حمزة الضبي: ص ١٧٥.
- زيد بن عمرو بن نفيل: ص ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧.
- زينب بنت مالك: ص ١٢٩ و ١٣٠.
- سالم بن دارة الغطفاني: ص ١٢٧.
- سحيم عبد بني الحساس: ص ١٧١.
- سراقه بن عوف بن الأحوص العامري: ص ١٠٧.
- سقراط: ص ١٥ و ٣٠ و ١٣٢.
- سلمى بنت المطلق العامرية: ص ١٩٢.
- السليك بن السلكة: ص ١٤١ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٧٠ و ١٧٥.
- سواد بن قارب الدوسي: ص ١١٠.
- سيف بن ذي يزن: ص ٧٧.
- شاعر أسدي: ص ١٤٩.
- شاعر تميمي: ص ١٤٧.
- شاعر جرهمي: ص ٩٩.
- شاعر حميري: ص ٧٨.
- شاعر زبيدي: ص ١٥٧ و ١٦٠.

- شاعر فزاري: ص ١٥٣.
- شاعر مجهول: ص ١٥٢.
- شاعر من ربيعة: ص ١٩٥.
- شاعرة مجهولة: ص ١٨٢.
- شاعرة من تغلب: ص ١٨١.
- شريح بن الأحوص العامري: ص ٦٧.
- الشنفرى: ص ١٤١ و ١٦٣ و ١٦٦ و ١٧٢ و ١٧٥.
- شيرويه: ص ٦٠.
- صيفي بن عامر أبو قيس بن الأسلت الخزرجي: ص ١٠٤.
- طالب بن أبي طالب: ص ١٠٤.
- طرفة بن العبد: ص ٦٤ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤.
- طريف العنبري: ص ٦٧.
- طفيل الغنوي: ص ٥٣ و ١٠٤ و ١٨٨ و ١٩٥.
- عارق الطائي: ص ٥٧ و ١٢٦.
- عامر بن الطفيل: ص ٤٠ و ١٠٦.
- عامر بن أمية: ص ١٥١.
- عامر بن جوين الطائي: ص ١٥٦.
- عامر بن مالك: ص ٦٧ و ١٢٦.
- عباس الرعلي: ص ٥٣.
- العباس بن مرداس: ص ٩٥ و ١٠٦ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨.
- عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي: ص ١٢٢.
- عبد الغفار مكاوي: ص ٣١.
- عبد القيس بن خفاف البرجمي: ص ١٢٧.
- عبد الله بن الحارث الخولاني: ص ١٥٨.
- عبد الله بن رواحة: ص ١٣٠.
- عبد الله بن سعد بن الحشرج: ص ١١٠.
- عبيد الله بن قيس الرقيات: ص ١٠٥.
- عبد المطلب: ص ١٠٢ و ١٠٤ و ١٥٧.
- عبد يغوث الحارثي: ص ٦٣ و ٦٤.
- عبيد الله بن جحش الأسدي: ص ٩٤.
- عبيد بن الأبرص: ص ١٠٨ و ١١١ و ١٢٧.
- عثمان بن الحويرث: ص ٦٩ و ٩٤.
- عدي بن زيد العبادي: ص ٦٠ و ٧٣ و ٨٠ و ٨١.
- عدي بن نوفل: ص ٧٦.
- عرعة بن عاصية السلمى: ص ١٩١.

- عروة بن الورد: ص ١٤١ و ١٦١ و ١٦٥ و ١٨٦.
- عصمة بن حدرة: ص ٥١.
- عفيرة بنت غفار: ص ٧٨.
- علي الطنطاوي: ص ٣١.
- عمرو بن براءة الهمداني: ص ١٦٣.
- عمرو بن زيد الخولاني: ص ١٨٣.
- عمرو بن غنم الطائي (الصموت): ص ١٥٨.
- عمرو بن قميئة: ص ١٧٤.
- عمرو بن كلثوم: ص ٤٦ و ١٢٤.
- عمرو بن لحي: ص ٨٩ و ٩٩.
- عمرو بن مسعود الأسدي: ص ٥٨ و ٥٩.
- عمرو بن معدي كرب: ص ٤٨ و ١٤٨.
- عمرو بن هند: ص ٤٦ و ٥١ و ٥٧ و ١١٢ و ١١٥ و ١٢٢ و ١٢٤ و ١٢٦ و ١٣٧ و ١٥١ و ١٥٢.
- عميرة بن جعل: ص ١٧٤.
- عنتر العبسي: ص ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥.
- عوف بن ربيعة: ص ١٠٨.
- غضوب التميمية: ص ١٢٨.
- غوستاف لوبون: ص ٣١ و ١٣٢.
- الفارابي: ص ٤.
- الفند الزماني: ص ٥٤.
- الفيروز آبادي: ص ٧.
- قراد بن حنيفة التميمي: ص ١٨٤.
- القلعي: ص ١٢.
- قيس بن الحدادية: ص ٧٦ و ١٠٠ و ١٦٥ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٨٦.
- قيس بن الخطيم: ص ١٣٠ و ١٥٠ و ١٥١.
- قيس بن ثعلبة: ص ٨٢.
- قيس بن عاصم: ص ٩٥.
- قيس بن عيزارة الهذلي: ص ٦٨.
- قيس بن عيلان: ص ١٠٠.
- قيصر: ص ٥٦ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٨٥.
- كبشة أخت عمرو بن معدي كرب: ص ٤٧.
- كسرى: ص ٦٠ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٥ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٩٦.
- كلحب بن شؤبوب الأسدي: ص ٦٢ و ٦٣.

- كليب: ص ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٤ و ٥٥ و ١٣٧ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٧٦ و ١٨١ و ١٨٨ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٧.
- الكميت: ص ١٢٨.
- لبيد بن ربيعة العامري: ص ٤٠ و ١٢٩ و ١٠٦ و ١٠٧.
- لبيد عامل ملك اليمن في تغلب: ص ١٨١ و ١٩٧.
- لقيط بن زرارة: ص ٥٢.
- لقيط بن يعمر الإيادي: ص ٤١ و ٧٥.
- ليلى بنت لكيز: ص ١٧٦.
- ماركس: ص ١٧.
- مالك بن الحارث الهذلي: ص ١٥٥.
- الماوردي: ص ١١.
- المتلمس: ٥ و ٥٧ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٩ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٨٦.
- مجمع بن هلال: ص ١٩٠.
- محمد الخضر حسين: ص ٢٠.
- محمد بن حبيب = ابن حبيب: ص ٥٦ و ٥٨ و ٥٩ و ٦١ و ٧٨ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ١٠٣ و ١١١ و ١٢٤ و ١٧٩ و ١٩٥.
- محمد رشيد رضا: ص ٢٠.
- مرة بن عبد رضى: ص ١١٠.
- المرقش الأكبر: ص ١١٧.
- مروان بن عبد الملك: ص ١٥٥.
- مزرد بن ضرار الذبياني: ص ١٦٠.
- مصاب الطائي: ص ١٥٦.
- المطوح التغلبي: ص ١٨٦ و ١٨٧.
- معقر بن حمار البارقي: ص ١٨٩.
- معن بن أوس المزني: ص ١٥٣.
- المنخل اليشكري: ص ٦١.
- المنذر بن ماء السماء: ص ٥١ و ١١١.
- المهلهل: ص ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٤ و ٥٥ و ٨٦ و ١٨٨.
- موريس دوفرجه: ص ٣٢.
- مونتسكيو: ص ١٦ و ١٧ و ١٨ و ٢٢ و ٢٦.
- ميكافيللي: ص ١٠ و ١٦.
- النابغة الجعدي: ص ١٩١.
- النابغة الذبياني: ١١٩ و ١٥٧ و ١٩٤.
- نشوان الحميري: ص ٥.

- النعمان بن المنذر: ص ٦١ و ٧١ و ٨١ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٧ و ١٧٧ و ١٩٦.
- نفيل بن حبيب الخثعمي: ص ١٠٣.
- نوال بن عتيك: ص ٧٧.
- هبيرة بن أبي وهب المخزومي: ص ١٠٥.
- هيغل: ص ١٧.
- ورقة بن نوفل: ص ٩٤ و ٩٥ و ٩٧ و ٩٨.
- يزيد السكوني: ص ٨٤.
- يزيد بن الخدّاق الشنّي: ص ١٢١ و ١٩٧.
- يزيد بن الصعق: ص ٥٢ و ٩٧.
- يزيد بن عبد المدان: ص ١٢٩ و ١٣٠.

* * *

٤- فهرس أيام العرب

- يوم الصرائم: ص ٥١.
- ذي قار: ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ١٧٨.
- يوم أواره: ص ٥١.
- يوم الكلاب الثاني: ص ٦٣ و ٦٤.
- يوم رحران الثاني: ص ٦٦.
- يوم صعفوق: ص ٦٧.
- يوم بُعات: ص ١٣٠.
- يوم الغدير: ص ١٤٨.
- يوم اللُهيَماء: ص ١٩٠.
- يوم النِسار: ص ١٩٢.

* * *

٥- فهرس الأماكن والمواضع

- أجأ: ص ١٢٦.
- الأساود: ص ١٦٠.

- أَفْرَاد: ص ١٩٣.
- أَفْتُد: ص ٦٨.
- أَفْسَاس: ص ١٩٣.
- أُوَارَة: ص ٥١.
- بَقَّة: ص ٨١.
- تَمَّهَد: ص ٦٧.
- التَّوَيَّة: ص ٥٩.
- حنو قراقر: ص ٨٣.
- الخبتين: ص ٤٩.
- خُص: ص ٩٩.
- خُلاد: ص ١٢١.
- دَارَة: ص ٩٩.
- دَوَّار: ص ١٩٤.
- ذو أقر: ص ١٩٤.
- ذو بقر: ص ١٩٦.
- ذو قار: ص ٨٣.
- الرُّبَاب: ص ١٩٦.
- رَضْوَى: ص ١٦٠.
- الرُّج: ص ١١٧.
- رُغْر: ص ١٢٠.
- السهب: ص ٤٩.
- الشَّراة: ص ١٢٠.
- شَرَوْرَى: ص ١٧١.
- شِرْيَان: ص ١٨٠.
- الصَّنْعاء: ص ١٦٠.
- عاقل: ص ٤٩.
- العَبْرَيْن: ص ٧١.
- العَرِيَّان: ص ٥٩.
- فُرَى: ص ٥٣.
- القَطَاقِطِ = القَطْقَطَانَة: ص ٧١.
- كَبْج: ص ١٠٤.
- لَحْيَان: ص ٩٩.
- اللهيماء: ص ١٩٠.
- مَاب: ص ١٢٠.
- المَازِمَان: ص ٩٩.

- المَعَمَّس: ص ١٠٣.
- نِصْع: ص ١٦٠.
- وَاْدِي الْقُرَى: ص ١٥٧.

* * *

٦- فهرس المصادر والمراجع

١. إبراهيم محمد، مجتبی علی، التنظيمات السياسية في بلاد العرب قبل الإسلام، بحث دكتوراه، جامعة الخرطوم، السودان، ٢٠٠٩م.

٢. إبراهيم، حسنين توفيق، **ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية**، أطروحة أعدها الدكتور في مركز دراسات الوحدة المعاصرة، بيروت، ١٩٩٩.
٣. ابن أبي الصلت، أمية، **ديوانه** (جمع وتحقيق ودراسة: عبد الحفيظ السطلي)، دمشق، ١٩٧٤م.
٤. ابن الأبرص، عبيد، **ديوانه** (تحقيق حسين نصار)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤م.
٥. ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٦. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر** (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي)، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٧. ابن الأثير، مجد الدين، **المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأنواع والذوات** (تحقيق: إبراهيم السامرائي)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٨. ابن الأنباري، أبو بكر، **شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات** (تحقيق: عبد السلام هارون)، دار المعارف، مصر، ط٥.
٩. ابن الخطيم، قيس، **ديوانه** (تحقيق: ناصر الدين الأسد)، دار صادر، بيروت.
١٠. ابن السكيت، يعقوب، **شعر عروة بن الورد العبسي**، (تحقيق: محمد فؤاد نعاغ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
١١. ابن الطفيل، عامر، **ديوانه** (تحقيق: هدى جنهويتشي)، دار البشير ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
١٢. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، **الفخري في الآداب السلطانية** (تحقيق: عبد القادر محمد مايو)، دار القلم العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
١٣. ابن العبد، طرفة، **ديوانه**، (تحقيق: علي الجندي)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٨م.
١٤. ابن بكار، الزبير، **جمهرة نسب قريش وأخبارها** (تحقيق: محمود شاكر)، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨١هـ.
١٥. ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، **جمهرة أنساب العرب** (تحقيق: عبد السلام هارون)، دار المعارف، القاهرة، ط٦.
١٦. ابن خلدون، **المقدمة** (تحقيق: علي عبد الواحد وافي)، دار نهضة مصر، ٢٠٠٤م.
١٧. ابن دريد، أبو بكر، **جمهرة اللغة** (تحقيق: رمزي بعلبكي)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
١٨. ابن رواحة، عبد الله، **ديوانه** (تحقيق: وليد قصاب)، دار العلوم للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨١م.
١٩. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم** (تحقيق: عبد الحميد هندراوي)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٠. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ)، **المخصّص**، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٨٧م.
٢١. ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (٥٧١هـ)، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز**

- بنواحيها من واريديها وأهلها (تحقيق: علي شيري)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٢٢. ابن فارس، أحمد (٣٩٥هـ)، **مقاييس اللغة** (تحقيق: عبد السلام هارون)، نسخة مصورة بدار الجيل، بيروت، د.ت.
٢٣. ابن قميئة، عمرو، **ديوانه** (تحقيق: حسن كامل الصيرفي)، مطبوعات معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.
٢٤. ابن قيم الجوزية، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (٧٥١هـ)، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية** (تحقيق، محمد حامد الفقي)، القاهرة.
٢٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، **البداية والنهاية** (تحقيق: عبد الله التركي وجماعة)، دار هجر، ط٢، ٢٠٠٣م.
٢٦. ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت.
٢٧. أبو زهرة، الشيخ محمد، **محاضرات في النصرانية**، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، ط٤، ١٤٠٤هـ.
٢٨. أبو زيد، علي، **شعراء تغلب في الجاهلية أخبارهم وأشعارهم**، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
٢٩. أبو سويلم، أنور، **دراسات في الشعر الجاهلي**، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٣٠. أبو شارب، محمد فتحي، **العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي**، دار عالم الكتاب، الرياض، ط١، ١٩٩٦م.
٣١. الأحمدى، مقبل التام، **شعراء جَمير أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام**، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠١٠م.
٣٢. الأحمدى، مقبل، **شعراء مذحج أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية**، مطبوعات مجمع العربية السعيدة، ط٢، ٢٠١٤م.
٣٣. أرسطوطاليس، **السياسة** (ترجمة من الإغريقية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتهيلير)، (نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد)، ضمن سلسلة من الشرق والغرب، القاهرة، د.ت.
٣٤. أرسلان، الأمير شكيب، **١٠٠ مشروع لتقسيم الدولة العثمانية** (تقديم: محمد العبدية)، مكتبة الكوثر، الرياض، السعودية، ط٢، ٢٠١٦م.
٣٥. أرمغان، مصطفى، **السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب** (ترجمة: مصطفى حمزة)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
٣٦. الأزدي، الشنفرى، **ديوانه** (تحقيق: أحمد محمد عبيد)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ٢٠٠٠م.
٣٧. الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** (تحقيق: رشدي الصالح ملحس)، دار الأندلس، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.
٣٨. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة** (تحقيق: عبد السلام هارون)، نسخة مصورة، د.ت.
٣٩. إشتي، فارس، **مفهوم السياسة عند العرب قبل الإسلام**، مجلة الاجتهاد، بيروت العدد ١٢، السنة ٣، ١٩٩١.
٤٠. الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦هـ)، **الأغاني**، إحياء التراث العربي [مصورة عن طبعة دار الكتب]، بيروت، د.ت.

٤١. الأصمعي، عبد الملك بن قريب، **الأصمعيات**، (تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون)، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٩٣ م.
٤٢. الأفغاني، جمال الدين، **الحكومة الاستبدادية**، مجلة المنار، أنشأها محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ)، مصر، المجلد الثالث، ١١ رجب - ١٣١٨هـ، ٤ نوفمبر - ١٩٠٠ م.
٤٣. الألوسي البغدادي، محمود شكري (١٣٤٢هـ)، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب** (عُني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثري)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩ م.
٤٤. الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، دار المعارف، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٩٢ م.
٤٥. إمام، إمام عبد الفتاح، **الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم**، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠١ م.
٤٦. إمام، إمام عبد الفتاح، **الطاغية دراسة فلسفية لفصول من الاستبداد السياسي**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٨٣، ١٩٩٤ م.
٤٧. الأمدي، الحسن بن بشر، **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم** (تحقيق: المستشرق ف. كرنكو)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١ م.
٤٨. امرؤ القيس، شرح ديوان امرئ القيس (جمع وتحقيق: حسن السندوبي)، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٩٠ م.
٤٩. أمين، أحمد، **الذوق العام**، مجلة الرسالة، العدد ٢٢، القاهرة، ١٩٣٣ م.
٥٠. الأمين، عبد القادر، **القيم الاجتماعية في شعر الصعاليك**، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، السودان، ٢٠٠٨ م.
٥١. الأنباري، أبو البركات كمال الدين، **الإتصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ م.
٥٢. الأنباري، القاسم بن محمد، **شرح المفضليات** (تحقيق: كارلوس يعقوب لايل)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠ م.
٥٣. الأندلسي، ابن عبد ربه، **العقد الفريد** (تحقيق: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون)، دار الكتاب العربي، بيروت.
٥٤. الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد، **طبقات الأمم** (دراسة وتحقيق: حياة العيد بو علوان)، أطروحة ماجستير في التاريخ، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٨٣ م.
٥٥. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، **البحر المحيط** (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣ م.
٥٦. الأنصاري، أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت، **النوادر في اللغة**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م.
٥٧. الأنصاري، محمد جابر، **التأزم السياسي عند العرب وموقف الإسلام منه**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٥ م.
٥٨. الأودي، الأفوه، **ديوانه** (تحقيق: محمد التونجي)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨ م.
٥٩. الإيادي، لقيط بن يعمر، **ديوانه** (تحقيق: عبد المعيد خان)، دار الرسالة، بيروت، ١٩٧١ م.
٦٠. بابيو يانا، لثاني، **علاقة اللغة والفكر بين اللغويين العرب الأقدمين والدرس اللغوي الحديث**، في مجلة بخت الرضا العلمية العدد السادس لعام ٢٠١٣.

٦١. باخشوين، فاطمة بنت علي، أشكال الولاء عند العرب قبل الإسلام، مجلة العلوم العربية والإسلامية، جامعة القصيم، العدد ٢، المجلد ٩، يناير ٢٠١٦م.
٦٢. بحري، محمد، تطور نظم الحكم في الجزيرة العربية منذ بداية العصور التاريخية حتى القرن الثالث قبل الميلاد، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٦م.
٦٣. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح (صحيح البخاري) (تحقيق: محب الدين الخطيب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠هـ.
٦٤. بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي - فرنسي - عربي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢.
٦٥. بدوي، عبده، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.
٦٦. البرزة، أحمد مختار، الأسر والسجن في شعر العرب تاريخ ودراسة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق وبيروت، ط ١، ١٩٨٥م.
٦٧. بروال، لويس، الإجرام السياسي (ترجمة: حسن الجداوي)، دار نهوض للدراسات والنشر، الكويت، ط ٢، ٢٠١٨م.
٦٨. بريش، محمد، الاستبداد الديني، شبكة الألوكة.
٦٩. البصري، علي بن أبي الفرج بن الحسن (٦٥٦هـ)، الحماسة البصرية (تحقيق: عادل سليمان جمال)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، د.ت.
٧٠. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (تحقيق: عبد السلام هارون)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٢، ١٩٧٩م.
٧١. البكري الأندلسي، أبو عبيد، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (تحقيق: عبد العزيز الميمني)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٣٦م.
٧٢. البكري الأندلسي، أبو عبيد، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (تحقيق: مصطفى السقا)، علم الكتب، بيروت ط ٣، ١٩٨٣م.
٧٣. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف للبلاذري (تحقيق: محمود الفردوس العظم)، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٩٧م.
٧٤. بوجمعة، بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
٧٥. بولمي، سلين، جذور الاستبداد في الشرق الأوسط (ترجمة: جلال خشيب)، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، إسطنبول، آذار ٢٠١٧.
٧٦. البيطار، شفيق، ديوان شعراء بني كلب بن وبرة، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.
٧٧. التبريزي، الخطيب، شرح اختيارات المفضل (تحقيق: فخر الدين قباوة)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.
٧٨. الترابي، عائشة، الصلات الأدبية بين عرب الحيرة والفرس في العصر الجاهلي، بحث في مجلة جامعة الخرطوم، السودان، العدد السابع، السنة الخامسة، مارس ٢٠١٣.
٧٩. التميمي، أبو عبيدة معمر بن المثنى، كتاب الديباج (تحقيق: عبد الله الجربوع وعبد الرحمن العثيمين)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩١.
٨٠. الثعالبي، عبد الملك أبو منصور، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.

٨١. الجابي، كريمة، **العلاقة بين اللغة والفكر**، في شبكة الألوكة بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٧.
٨٢. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ)، **كتاب التاج في أخلاق الملوك** (تحقيق: الأستاذ أحمد زكي باشا)، القاهرة.
٨٣. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين** (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م.
٨٤. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **رسائل الجاحظ** (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م.
٨٥. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **كتاب الحيوان** (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٨٦. جاد المولى، محمد وآخرون، **أيام العرب في الجاهلية**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٨٧. الجارم، محمد نعمان، **أديان العرب في الجاهلية**، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤١هـ-١٩٣٣م.
٨٨. جاسم، عادل، **الحارث بن ظالم المري الوفيّ الفاتك**، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد ١٥، سنة ١٩٧٢م.
٨٩. الجبوري، يحيى، **محن الشعراء والأدباء وما أصابهم من السجن والتعذيب والقتل والبلاء**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٩٠. الجريوي، محمد، **السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية**، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٩٩١م.
٩١. جعفر، نوري، **اللغة والفكر**، بحث في مجلة المدى الثقافي العدد ٧٥٤ لعام ٢٠٠٦.
٩٢. جليبي، خالص، **رسالة في الاستبداد**، مركز الناقد الثقافي، دمشق، ٢٠٠٩م.
٩٣. الجمّاح، علي بن ناصر، **شعر ذبيان من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي**، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات، ط١، ٢٠١٥م.
٩٤. الجمحي، محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء** (تحقيق: محمود محمد شاكر)، دار المدني، جدة، السعودية.
٩٥. جمول، ياسين، **أسجاع الكهان الجاهليين وأشعارهم جمع وتحقيق ودراسة**، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، ط١، ٢٠١٣.
٩٦. الجندي، علي، **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦.
٩٧. الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (٣٩٣هـ)، **الصّحاح** (تاج اللغة وصّحاح العربية)، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.
٩٨. الجويني، إمام الحرمين أبو المعالي (٤٧٨هـ)، **غياث الأمم في التياث الظلم** (تحقيق: مصطفى حلمي وفؤاد عبد المنعم)، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر.
٩٩. حاجم، ريام وكاظم محرّات، **الشاعر مقتله بين فكيه**، بحث علمي في مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، العدد: ٢٢، سنة ٢٠١٦م.
١٠٠. حافظ، هشام علي وجودت سعيد وخالص جليبي، **كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد**، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
١٠١. حالو، أحمد، **شعراء طيئ في الجاهلية والإسلام أخبارهم وأشعارهم**، دار الكتب الوطنية- أبو ظبي، ط١ سنة ٢٠١٢م.

١٠٢. حالو، شمس الإسلام، ديوان الشعراء المعمرين أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، ٢٠١٠م.
١٠٣. الحرّاني الحنبلي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.
١٠٤. حسن جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
١٠٥. حسين، محمد محمد، أزمة العصر، دار عكاظ، الرياض، ١٩٧٨م.
١٠٦. الحطيئة، ديوانه برواية وشرح ابن السكيت (تحقيق: نعمان محمد أمين طه)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
١٠٧. حفني، عبد الحليم، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
١٠٨. الحلبي اللغوي، أبو الطيب عبد الواحد بن علي، كتاب الأضداد في كلام العرب (تحقيق عزة حسن)، دار طلاس، دمشق، ط٢، ١٩٩٦م.
١٠٩. حمزة، هاني، شعر المهتمشين في عصر ما قبل الإسلام، دراسة وفق الأنساق الثقافية، دار الفكر، البصرة، العراق، ط١، ٢٠١٣م.
١١٠. حمود، ماجدة، عبد الرحمن الكواكبي فارس النهضة والأدب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.
١١١. الحموي الرومي، ياقوت، معجم الأديباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) (تحقيق: إحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١١٢. الحموي الرومي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
١١٣. حميدة، عبد الرزاق، شياطين الشعراء دراسة تاريخية نقدية مقارنة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
١١٤. الحميري، أبو محمد عبد الملك بن هشام (نحو ٢١٣هـ)، السيرة النبوية (تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي)، دار الخلود، بيروت.
١١٥. الحميري، نشوان بن سعيد (٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (تحقيق: حسين عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله)، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١١٦. الحنبلي، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، الأحكام السلطانية (صححه: محمد حامد الفقي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
١١٧. الحنبلي، يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي (٩٠٩هـ)، إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة، الإمام دار النوادر، دمشق، ط١، ٢٠١١م.
١١٨. الحوالي، سفر، العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة المعاصرة، دار الهجرة.
١١٩. الحوفي، أحمد، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢.
١٢٠. الخالديان، أبو بكر وأبو عثمان، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين (حماسة الخالديين) (تحقيق: السيد محمد يوسف)، مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٦٥م.
١٢١. الخزرجي، ثامر كامل محمد، النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة (دراسة معاصرة في إستراتيجية إدارة السلطة)، دار مجدلاوي، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

١٢٢. الخضر حسين، محمد، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (١٣٧٧ هـ)، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، ط١، ٢٠١٠م.
١٢٣. خضر ناصيف، مَهْيَّة، الملك في الشعر الجاهلي، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، ٢٠٠٩م.
١٢٤. خفاجي، عبد المنعم، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
١٢٥. خليف، يوسف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط٣.
١٢٦. خنافر، دولة خضر، في الطغيان والاستبداد والديكتاتورية بحث فلسفي في مسألة السلطة الكلية، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
١٢٧. دَدَه أفندي، إبراهيم بن يحيى خليفة (٩٧٣هـ)، السياسة الشرعية (دراسة وتحقيق: فؤاد عبد المنعم)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤١١هـ.
١٢٨. دقة، محمد علي، السياسة في بلاد العرب قبل الإسلام، بحث في مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٢٧ والعدد ٢٨، ١٩٨٧م.
١٢٩. دقة، محمد علي، ديوان بني أسد، دار صادر بيروت - ط١ ١٩٩٩.
١٣٠. دوفرجيه، موريس، المؤسسات السياسية والقانون الدستوي الأنظمة السياسية الكبرى (ترجمة: د. جورج سعد)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
١٣١. دوفرجيه، موريس، مدخل إلى علم السياسة (ترجمة: جمال الأتاسي وسامي الدروبي)، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٩م.
١٣٢. الديمقراطية أكثريات وأقليات وتشريع، مجلة الرسالة: أنشأها أحمد حسن الزيات باشا (١٣٨٨هـ)، العدد ٢٢، القاهرة، ١٩٣٣م.
١٣٣. الدينوري، ابن قتيبة، المعارف (تحقيق: ثروت عكاشة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢.
١٣٤. الدينوري، ابن قتيبة، عيون الأخبار (تحقيق: منذر محمد سعيد أبو شعر)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
١٣٥. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، السلطان (دراسة وتحقيق: القدس للدراسات والبحوث)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٣٦. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء (تحقيق: أحمد شاكر)، دار الحديث، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٣٧. ديوان الهذليين، مطبوعات دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٤، ٢٠١٢م.
١٣٨. ديورانت، ول، قصة الحضارة (ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس. دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.
١٣٩. الذبياني، النابغة، ديوانه (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ط٣.
١٤٠. الرازي، فخر الدين محمد (٦٠٤هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الفخر الرازي)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٤١. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين (٥٠٢هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (تحقيق: رياض عبد الحميد مراد)، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

١٤٢. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين (في حدود ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن (تحقيق: صفوان عدنان داوودي)، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٤٣. ربابعة، حسن، الغارة عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية، بحث علمي في مجلة جامعة الملك سعود، السعودية، م١٠، ١٩٩٨م.
١٤٤. الربيعي، فاضل، المسيح العربي: النصرانية في الجزيرة العربية والصراع البيزنطي - الفارسي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
١٤٥. رضا، محمد رشيد (١٣٥٤هـ)، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٤٦. الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوانه (تحقيق: عزيزة فؤال بابتي)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
١٤٧. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسين (١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس (تحقيق: مصطفى حجازي)، وزارة الإعلام، الكويت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
١٤٨. الزبيدي، عمرو بن معدي كرب، ديوانه (تحقيق: مطاع طرابيشي)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
١٤٩. الزبيدي، المصعب بن عبد الله (٢٣٦هـ)، كتاب نسب قريش (تحقيق: إلفي بروفنسال)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١م.
١٥٠. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق (المتوفى: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه (تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي)، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
١٥١. زكريا، إبراهيم، مشكلة الحرية (ضمن سلسلة مشكلات فلسفية)، مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٢م.
١٥٢. الزركلي، خير الدين بن محمود دمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
١٥٣. زكي، أحمد كمال، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
١٥٤. الزمخشري، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
١٥٥. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، أساس البلاغة (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٥٦. زيتوني، عبد الغني، الإنسان في الشعر الجاهلي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠١م.
١٥٧. سالم، عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت.
١٥٨. السجستاني، أبو حاتم، المعمرون والوصايا (تحقيق: عبد المنعم عامر)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م.
١٥٩. سحاب، فكتور، إيلاف قريش رحلة الصيف والشتاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
١٦٠. السعيد، حسن، عبد الرحمن الكواكبي جدلية الاستبداد والدين، الكتاب الخامس من سلسلة رواد الإصلاح، إيران، ط١، ٢٠٠٠م.
١٦١. السكران، إبراهيم بن عمر، سلطة الثقافة الغالبة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠١٤م.

١٦٢. السكران، إبراهيم بن عمر، مفاتيح السياسة الشرعية، رؤى فكرية، د.ت.
١٦٣. السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين (تحقيق: عبد الستار فراج ومحمود شاكر)، مكتبة دار العروبة.
١٦٤. السكري، أبو سعيد، شعر الأخطل (تحقيق: فخر الدين قباوة)، دار الفكر - دمشق، ط٤، ١٩٩٦م.
١٦٥. السلمي، العباس بن مرداس، ديوانه (جمع وتحقيق: يحيى الجبوري)، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩١م.
١٦٦. السلمي، عبد الرحمن، حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٢٠٠٩م.
١٦٧. السليم، أريج، شعر الأسر والسجن في العصر الجاهلي الرؤية والتشكيل الجمالي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠١٠-٢٠١١.
١٦٨. سمار، سعد عبود، دراسات في المعتقدات الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، دار تموز، دمشق، ط١، ٢٠١٤م.
١٦٩. السمعاني المروزي، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد، تفسير القرآن (تحقيق: ياسر بن إبراهيم)، دار الوطن، السعودية، ط١، ١٩٩٧م.
١٧٠. السمهودي، نور الدين علي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (تحقيق: قاسم السامرائي)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط١، ٢٠٠١م.
١٧١. السهيلي، أبو القاسم (٥٨١هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، (قدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
١٧٢. السويدي، سلامة عبد الله، صور الخوف في اعتذاريات النابغة الذبياني، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة الكويت، الحولية ٢٦ سنة ٢٠٠٥م.
١٧٣. سيوييه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
١٧٤. السيرافي، أبو سعيد، ضرورة الشعر (تحقيق: د. رمضان عبد التواب)، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٨٥م.
١٧٥. سيف الدولة، عصمت، الاستبداد الديمقراطي، دار المستقبل العربي للنشر، ١٩٩٨م.
١٧٦. السيوطي، الإمام جلال الدين، الرسالة السلطانية (دراسة وتحقيق: مختار الجبالي)، دار وحي القلم، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
١٧٧. شاكر، ليث: المسيحية العربية وعلاقتها بالإمبراطورية البيزنطية قبل الإسلام، Firat (İlk çağlardan Üniversitesi orta Doğu Araştırmaları Merkezi islamiyetin Doğuşuna kadar orta Doğu) Elazığ, 29 - 31 Mayıs 2009
١٧٨. الشاهين، محمد عمر، نشأة الدولة عند العرب قبل الإسلام، بحث علمي في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد ٦، العدد ٢، ٢٠٠٧م.
١٧٩. الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.
١٨٠. الشطي، عبد الفتاح، شعراء إمارة الحيرة في العصر الجاهلي، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٨١. الشمري، محمد حمزة، موانئ شبه جزيرة العرب وأثرها في التجاري البحري قبل الإسلام، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠٤ م.
١٨٢. الشمشاطي، علي بن محمد العدوي، الأنوار ومحاسن الأشعار (تحقيق: السيد محمد يوسف)، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٧ م.
١٨٣. الشنتمري، الأعلم، شرح حماسة أبي تمام (تحقيق: علي المفضل حمّودان)، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٢ م.
١٨٤. الشنتمري، الأعلم، شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل (تحقيق: حنا الحتي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣ م.
١٨٥. شيخو، لويس، أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٦ م.
١٨٦. صالح، توفيق إبراهيم، المسود في الشعر الجاهلية دراسة في الرؤية السياسية، بحث علمي في مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق، ٢٠٠٧ م.
١٨٧. الصبّاغ، عماد، الأحناف دراسة في الفكر الديني التوحيدي في المنطقة العربية قبل الإسلام، دار الحصاد، دمشق، ط١، ١٩٩٨ م.
١٨٨. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٩٤ م.
١٨٩. الصويان، أحمد بن عبد الرحمن، الاستبداد الدعوي، مجلة البيان تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ٧٣، رمضان ١٤١٤ هـ، فبراير ١٩٩٤ م.
١٩٠. الضامن، حاتم، عشرة شعراء مقلّون، جامعة بغداد، العراق، ١٩٩٠ م.
١٩١. الضبعي، المتلمس، ديوانه (تحقيق: حسن كامل الصيرفي)، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٧٠ م.
١٩٢. الضبي، المفضل بن محمد، المفضليات (تحقيق وشرح: أحمد شاكر وعبد السلام هارون)، دار المعارف، مصر، ط٦.
١٩٣. الضبي، المفضل بن محمد، أمثال العرب (تحقيق: إحسان عباس)، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣ م.
١٩٤. ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط٢٢.
١٩٥. الطائي، حاتم، ديوان شعره وأخباره (تحقيق: عادل سليمان جمال)، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١١ م.
١٩٦. الطائي، عبد اللطيف حمودي، قبيلة ضبة أخبارها وأشعارها في الجاهلية و صدر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩ م.
١٩٧. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧ م.
١٩٨. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م.
١٩٩. طعيمة، رنا الصافي، الأنظمة الاجتماعية والسياسية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، العراق، ٢٠٠٥ م.
٢٠٠. الطنطاوي، علي، التاريخ الإسلامي، مجلة الرسالة، أنشأها أحمد حسن الزيات باشا (١٣٨٨هـ)، العدد ٨٢، القاهرة، ١٩٣٥ م.

٢٠١. عامر، جمال علي، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، مصر.
٢٠٢. العامري، لبيد بن ربيعة، شرح ديوانه (تحقيق: إحسان عباس)، منشورات وزارة الإرشاد، الكويت، ١٩٦٢م.
٢٠٣. العبادي، عدي بن زيد، ديوانه (تحقيق: محمد جبار المعيبدي)، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٦٥م.
٢٠٤. عباس، حامد كاظم، جدلية اللغة والفكر دراسة في مفهوم الكلام عند الأمدي في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، العدد ٩٧.
٢٠٥. العباسي، عمار يوسف، مفهوم الطغيان والطغاة في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، بغداد، عام ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م.
٢٠٦. عبد الحميد خان، مذكرات السلطان عبد الحميد (تقديم وترجمة: محمد حرب)، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٩٩١م.
٢٠٧. عبد الصمد، واضح، السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٢٠٨. العبد الكريم، محمد، تفكيك الاستبداد دراسة مقاصدية في فقه التحرر من التغلب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
٢٠٩. عيد الله، سناء، توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي وأممية بن أبي الصلت، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٤م.
٢١٠. عبد بني الحساس، سحيم، ديوانه (تحقيق: عبد العزيز الميمني)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
٢١١. عبده، الإمام محمد، الكتابات السياسية، تقديم: محمد عمارة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، ٢٠١٣م.
٢١٢. عبدوكة، جبرائيل، طرفة بن العبد موقف فتى وصور التغيير، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ٢٠١١م.
٢١٣. العبسي، عنتر، ديوانه (تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي)، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٩٩٦م، ٣م.
٢١٤. عجيبة، محمد، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٥.
٢١٥. عروسي، سهيل، عبد الرحمن الكواكبي الجمر والرماد، دار رسلان للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٣م.
٢١٦. العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (تحقيق: علي محمد البجاوي)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢١٧. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (نحو ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية (حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٢١٨. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (نحو ٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش)، دار الجيل، بيروت، ط٢.
٢١٩. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (نحو ٣٩٥هـ)، كتاب الأوانل (تحقيق: محمد السيد الوكيل)، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، ١٩٨٧م.

٢٢٠. العطوي، مسعد، الغموض في الشعر العربي، شبكة الألوكة، ط٢، ١٤٢٠هـ.
٢٢١. العقاد، عباس محمود، عبد الرحمن الكواكبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.
٢٢٢. العلام، عز الدين، الآداب السلطانية دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٢٤، فبراير ٢٠٠٦م.
٢٢٣. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت.
٢٢٤. عمارة، ماهر فرج، شعر ثقيف حتى نهاية العصر الأموي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، ط١، ٢٠١٠م.
٢٢٥. عمارة، محمد، الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانياً، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٢٦. عمارة، محمد، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٧م.
٢٢٧. العماري، فضل، الصعاليك قراءة أخرى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط١، ٢٠١٢م.
٢٢٨. العيني، الإمام بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، دمشق.
٢٢٩. الغزالي، محمد، الإسلام والاستبداد السياسي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط٦، ٢٠٠٥م.
٢٣٠. الغنوي، طفيل، ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي، (تحقيق: حسان فلاح أوغلي)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
٢٣١. غنيم، سميح، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٢٣٢. الغوث، مختار، الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ط١ ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.
٢٣٣. غيابة، سعاد، القيم الأخلاقية في شعر عدي بن زيد العبادي، بحث في مجلة كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا، العدد ٢٤، يونيو، ٢٠١٨م.
٢٣٤. الفارابي، إسحاق بن إبراهيم، ديوان الأدب (تحقيق: أحمد مختار عمر)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١.
٢٣٥. الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر المعلم الثاني (٣٣٩هـ)، السياسة، رسالة ضمن (مجموع في السياسة)، (تحقيق: فؤاد عبد المنعم)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١.
٢٣٦. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٥هـ)، كتاب العين (تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي)، دار الهجرة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.
٢٣٧. فرغلي، محمد محمود، البيئة الإدارية في الجاهلية وصدور الإسلام، سلسلة دعوة الحق، السنة الثانية، رجب ١٤٠٢هـ.
٢٣٨. فوزية، براهيم، شعر السجون في الأندلس، رسالة ماجستير، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.
٢٣٩. الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، القاموس المحيط (ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٤٠. الفيومي، محمد إبراهيم، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢٤١. قادرة، غيثاء، لغة الجسد في أشعار الصعاليك، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٣م.
٢٤٢. القاسم بن سلام، أبو عبيد، كتاب الأمثال (تحقيق: عبد المجيد قطامش)، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٩٨٠م.
٢٤٣. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم (١٣٣٢هـ)، تفسير القاسمي (محاسن التأويل) (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٤٤. القالي البغدادي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، البارع في اللغة، (تحقيق: هاشم الطعان)، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.
٢٤٥. القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (٣٥٦هـ)، كتاب الأمالي - كتاب ذيل الأمالي والنوادر، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٢٤٦. قدور، سكينه، الحبسيات في الشعر العربي، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧م.
٢٤٧. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (تحقيق: عبد الله التركي وجماعة)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٤٨. قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، القاهرة، ط٩، ٢٠٠١م.
٢٤٩. القلعي، أبو عبد الله محمد بن علي (٦٣٠هـ)، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، الإمام (تحقيق: إبراهيم مصطفى عجو)، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٥م.
٢٥٠. القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢.
٢٥١. القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده (تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٥٢. القيسي، نوري حمودي وحاتم الضامن، ديوان معن بن أوس المزني، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٧م.
٢٥٣. القيسي، نوري حمودي، المرقش الأكبر أخباره وأشعاره (٢)، مجلة العرب، السنة الرابعة، ربيع الثاني ١٣٩٠هـ، الجزء ١٠.
٢٥٤. القيسي، نوري، الفروسية في الشعر الجاهلي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٥٥. الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب، البرهان في وجوه البيان (نُشر من قبل باسم: نقد النثر لقدامة بن جعفر) (تحقيق: حفني محمد شرف)، مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة، ١٩٦٩م.
٢٥٦. الكواري، علي خليفة، الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
٢٥٧. الكواكبي، الحفيد القاضي سعد زغول، عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٢٥٨. الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.
٢٥٩. الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٢٦٠. لحام، س.م. وآخرين، القاموس السياسي ومصطلحات المؤتمرات الدولية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٦١. لوبون، غوستاف، روح السياسة (ترجمة: عادل زعيتر)، دار كلمات عربية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٢م.
٢٦٢. لوبون، غوستاف، سيكولوجيا الجماهير، مركز إبحار للنشر والترجمة، الأردن.
٢٦٣. مارديني، رغداء، شواعر الجاهلية دراسة نقدية، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٦٤. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (٤٥٠ هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية (تحقيق: د. أحمد مبارك البغدادي)، دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، ١٩٨٩م.
٢٦٥. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (٤٥٠ هـ)، قوانين الوزارة وسياسة الملك (تحقيق: رضوان السيد)، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
٢٦٦. مختار عمر، أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٦٧. المخزومي، عمر بن أبي ربيعة، شعره (تحقيق: محيي الدين عبد الحميد) مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٠م.
٢٦٨. المرزباني، محمد بن عمران أبو عبيد الله، معجم الشعراء (تحقيق: فاروق أسليم)، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٢٦٩. المرزوقي، شرح ديوان الحماسة (تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٧٠. معطي، علي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٧١. المعوش، سالم، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٧٢. المعيني، عبد الحميد، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، منشورات نادي القصيم الأدبي، الإصدار رقم ٧، السعودية، ١٩٨٢م.
٢٧٣. المغربي، الوزير الكامل أبو القاسم الحسين بن علي (٤١٨ هـ)، كتاب في السياسة (تحقيق: سامي الدهان)، المعهد الفرنسي بدمشق، ١٩٤٨م.
٢٧٤. المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب، الفاخر (٢٩١ أو ٣٠٠ هـ) (تحقيق: عبد العليم الطحاوي)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، ط١، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م.
٢٧٥. مقداد، عبد الله جبريل، شعر يهود في الجاهلية و صدر الإسلام، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٧٦. مكاي، عبد الغفار، جذور الاستبداد قراءة في أدب قديم، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٩٢، ١٩٩٤م.
٢٧٧. الملوحي، عبد المعين، أشعار اللصوص وأخبارهم، منشورات دار أسامة، سوريا.
٢٧٨. منصور، حمدي، صورة الملك عمرو بن هند في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد ٢٠ (٢) سنة ٢٠٠٦م.
٢٧٩. مهران، محمد، بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
٢٨٠. المهلهل، ديوانه (تحقيق: أنطوان محسن القوّال)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٢٨١. معمر بن المثنى، أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق (تحقيق: محمد إبراهيم حور ووليد خالص)، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات، ط٢، ١٩٩٨ م.
٢٨٢. الموسوعة العربية (سوريا)، هيئة الموسوعة، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دار الفكر، دمشق.
٢٨٣. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٩ م.
٢٨٤. الميداني النيسابوري، أبو الفضل، مجمع الأمثال (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، مكتبة السنة المحمدية، مصر، ١٩٥٥ م.
٢٨٥. نبوي، عبد العزيز، ديوان بني بكر في الجاهلية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٩ م.
٢٨٦. نعيسة، حسن، شعراء وراء القضبان، دار الحقائق، بيروت، ط١، ١٩٨٦.
٢٨٧. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧-٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٩٤٩ م.
٢٨٨. هارون، عبد السلام، نوادر المخطوطات، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١ م.
٢٨٩. الهيثمي، أبو الحسن علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (تحقيق: حسام الدين القدسي)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤ م.
٢٩٠. الهاشمي البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥هـ)، كتاب المحبر رواية أبي سعيد السكري (تحقيق: إيلزه ليختن شتيتز)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
٢٩١. هوجارث، ديفيد، اختراق الجزيرة العربية سجل لمعرفة الغرب بشبه الجزيرة العربية (ترجمة: صبري محمد حسن)، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩ م.
٢٩٢. وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٧١ م.
٢٩٣. وطفة، علي أسعد، بين السلطة والتسلط دراسة تحليلية، مجلة الفكر السياسي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٣، ١٩٩٨ م.
٢٩٤. يحيى، جبر وعبير حمد، بذور النقد السياسي في شعر الصعاليك، بحث علمي مقدم لمؤتمر الأدب والأديب والحاكم، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٩ م.
٢٩٥. يعقوب، عبد الكريم، أشعار العامريين، دار الحوار، اللاذقية، ط١، ١٩٨٢ م.
٢٩٦. يموت، بشير، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

* * *

٧- فهرس الاستبداد (١١٦٣)

الصفحة	القائل	الشاهد	الممارسة الاستبدادية	
من الاستبداد السياسي				
١٠٩، ٤٤	جذيمة الأبرش	أَنَا رَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ غَيْرَ رَبِّي الْكَافِتِ الْفَاتِي	الزعيم رب والناس عبيد وعليهم تعظيمه	
45	امرو القيس	ما ينكر الناس منا حين نملكهم كانوا عبيداً لنا ونحن أربابا		
45	امرو القيس	أين ربيعة عن ربها وأين تميم وأين الخول		
٤٩، ٤٥	امرو القيس	قُولَا لِذُودَانَ عَبِيدِ الْعَصَا مَا عَرَّكُم بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ		
٤٩	المهلهل	أكثرت قتل بني بكر بربهم حتى بكيت وما يبكي لهم أحد		
٤٦	عمرو بن كلثوم	تهدّدنا وأوعدنا رؤيداً مَتَى كُنَّا لِأَمِّكَ مَقْتُونَا		
47	كليب	إِذَا مَا الْمَوَالِي خَالَفَتْ عَنْ سَفَاهَةٍ مَوَالِيهَا تَاهَتْ وَضَلَّ حَدُودُهَا		
125	عمرو بن كلثوم	تَعَلَّمُ أَنْ مَحْمَانَا ثَقِيلٌ وَأَنْ زَنَادَ كَيْتِنَا شَدِيدٌ		
٤٨	كبشة أخت عمرو بن معدي كرب	وأرسل عبد الله إذ حان يومه إلى قومه: لا تعقلوا لهم دمي		التمادي في الثأر ورفض الدية
٤٨	المهلهل	حتى نبيد قبيلة وقبيلة قهرأ ونفلق بالسيوف الهام		
٤٩	المهلهل	أكثرت قتل بني بكر بربهم حتى بكيت وما يبكي لهم أحد		
٤٩	المهلهل	فقتلاً بتقتيل وعقراً بعقركم جزاء العطاس لا يموت من أثار		
٤٩	امرو القيس	نَطَعْنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لِأَمِينِ عَلَى نَائِلِ		
50	زهير بن جناب الكلبي	فلولا كلاب قد أخذت قرينتي برد غني أعبداً ومواليا		
51	عصمة بن حذرة	الله أمكنني من عبس		
52	الحمراء بنت ضمرة التميمية	إذا البلاد لُقعت بجمرة	تحريق الناس بالنار	
52	لقيط بن زرارة	يُهِينُ سَرَاتِكُمْ عَامِداً وَيَقْتُلُكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكِلَابِ		

(١١٦٣) ملاحظة: إن كان المذكور من المستبدين، أو من يمدحهم باستبداده وُضع قائل البيت بلون غامق.

53	طفيل الغنوي	غشيت بقرى فرط حول مكمل مغاني دار من سعاد ومنزل	النفي عن الوطن والتهجير القسري
99	شاعر جرهمي	ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة وأهلي معاً بالمأزمين خلول	
114	المتلمس	أمي شامية إذ لا عراق لنا قوماً تودهم إذ قومنا شوس	
113	المتلمس	أطردتني حذر الهجاء ولا واللات والأنصاب لا تئل	
114	المتلمس	قد طال ما أحببتُها ووددتُها لو كان يُغني عنك طول تودد	
117	المرقش الأكبر	لأت هنا ولتنتي طرف الزج وأهلي بالشأم ذات القرون	مهاجمة الناس على الظن دون تثبت دون ندم
55	امرو القيس	ألا يا لهف هني من أناس هم كانوا الشفاء فلم يُصابوا	
57	عارق الطائي	إن نساء غير ما قال قائل غنيمه سوء بينهن مَهَارِقُهُ	
70	الحارث بن ظالم	لقد قال لي عند المجاهد صاحبي وقد جيل دون العيش هل أنت شارب	
113	المتلمس	الغدر والافات شيمته فأفهم؛ فعرقوب له مثل	
116	طرفه بن العبد	أبا مُنذرٍ كانت غروراً صحيفتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عريض	الغدر ونقض العهد وقتل المستأمنين
126	عارق الطائي	عذرت بأمر كنت أنت دعوتنا إليه وبئس الشيمه الغدر بالعهد	
59	من شعراء بني أسد	ألا بكر الناعي بخير بني أسد بعمر بن مسعود وبالسيّد الصمد	
111	عبيد بن الأبرص	والله إن مت ما ضرني وإن عشت ما عشت في واجده	
60	عدي بن زيد العبادي	وكسرى إذ تقسمه بنوه بأسياف كما اقتسم اللحم	
74	عدي بن زيد العبادي	أحظي كان سلسلة وقيداً وغلاً والبيان لدى الطبيب	قتل المقربين من الملك وأقاربه لهوى دون ذنب
62	المنخل اليشكري	ألا من مبلغ الحرين عني مغللة، وخص بها أبنياً	
70	الحارث بن ظالم	لقد قال لي عند المجاهد صاحبي وقد جيل دون العيش هل أنت شارب	
62	حودة بن عترم الطائي	إلى الله أشكو أن أوب وقد توى قتيلاً وأودى سيد القوم عثرم	
63	عبد يغوث الحارثي	ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بينا وما لكما في اللوم خير ولا لينا	

65	زبان بن سيار الفزاري	ألا من مبلغ عني طفيلاً وحنظلة الذي أبزى سوالي	السجن والأسر - طلب الفدية لفكك الأسير
70	أبو أحيجة	يا راكباً إمّا عرّضت فبلغن قومي بريدًا أسير في بلاد بني طفيل	السجن والأسر - معاناة الأسير وليله الطويل
6٥	زبان بن سيار الفزاري	وكيف ينأ في القيد الأسير	
66	جعدة بن طريف السعدي	يا طول ليلى ما أنام كأنما في العين مني عائر مسجور	السجن والأسر - قتل الأسير إن تأخر أهله عن دفع الدية
67	شريح بن الأحوص العامري	لقيط وأنت امرؤ ماجد ولكن جلمك لا يهتدي	
69	أبو أحيجة	قومي وقومك يا هشام قد أجمعوا تركي وتركك آخر الأعصار	السجن والأسر - أخذ الرهائن وقتلهم
68	طريف العنبري	لقد صرمت خليلاً كان يألني والأمناث فراقى بعده حوق	
72	الأصبع بن عمرو الكلبي	نسائها وتركت خلفي جندباً مزحى كأي رخت في مرباع	السجن والأسر - الحرمان من الطعام والشراب
82	الأعشى	أليت لا نعطيه من أبنائنا رهنأ فيفسد هم كمن قد أفسدا	
68	أدهم بن حازم الضبي	فما نسلب القتل كَمَا قد فعلتم ولا نمنع الأسرى من الأكل والشرب	السجن والأسر - العذاب النفسي للأسير
68	قيس بن عيزارة الهذلي	لعمرك أنسى روعتي يوم أفتد وهل تترك نفس الأسير الرواغ	
76	قيس بن الحدادية	تداركت أصحاب الحظيرة بعدما أصابهم منا حريق المحلل	السجن والأسر - حبس الأسرى في حظائر البهائم
165	قيس بن الحدادية	وأنا بلا مهر سوى البيض والقنا نصيب بأفناء القبائل منكحاً	
176	ليلى بنت لكيز	عذبت أحتكم يا ويلكم بعذاب النكر صبحاً ومسا	السجن والأسر - سبي النساء وسجنهن وإذلالهن وتعذيبهن
١٨٠ ١٨٧	أخت عمرو ذي الكلب	المخرج الكاعب الحسناء مدعنة في السبي ينفخ من أزدانها الطيب	
١٨٨ ١٩٦	زهير بن جناب الكلبي	ثباً لتغلب أن تساق نساؤهم سوق الإماء إلى المواسم عطلاً	
188	طفيل الغنوي	سبأيا طيبي أبرزن قسراً وأبدلن القصور من الشعاب	السجن والأسر - سبي النساء وسجنهن وإذلالهن وتعذيبهن
189	معقر بن حمار البارقي	نسوق به النساء مشمرات يخالطها مع العرق الخفيف	
189	النابعة الجعدي	دعنا النساء إذ عرفن وجوهنا دعاء نساء لم يفارقن عن قلى	
190	مجمع بن هلال	وعائرة يوم اللهماء رعتها وقد ضمها من داخل الخلب مجزغ	
191	امراة من هذيل	الامت سليم في السبياق وأفحشت وأفرط في السوق العنيف إساها	
192	سلمى بنت المحلق العامرية	لم تمنعوا قوم إذ شلوا سوامكم ولا النساء، وكان القوم أحراباً	

77	أبان بن ميمون الحميري	عَبِدِ قَيْلٍ فِي بَنِي عَمْرٍو تَوَى يَخْلُغُ الْأَكْتَاثَ مِنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ	نزع الأكتاف
77	أبان بن ميمون الحميري	يَا لَهَا مِنْ عُرْضَةٍ بَلْ فِتْنَةٍ سَاقَهَا سَيْفٌ إِلَيْنَا مِنْ تَبُوكِ	استيراد وسائل التعذيب
78	شاعر حميري	تُقْتَلُ أَبْنَاهَا وَتَنْفِي سَرَائِهَا وَتَنْبِي بِأَيْدِيهَا لَهَا الذُّلَّ حَمِيرُ	اللواط بأبناء الملوك لحرمانهم الملك
79	عفيرة بنت غفار	أَيُصْلِحُ مَا يُؤْتَى إِلَى قَتَايَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فِيكُمْ عَدَدُ النَّمْلِ	اعتذار النساء قبل أزواجهن
79	يزيد بن الصعق	يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُقِيثُ أَمَا تَرَى لَيْلًا وَصُبْحًا كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ	
80	عدي بن زيد العبادي	أَلَا أَيُّهَا الْمُثْرِي الْمُرْجَبِي أَلَمْ تَسْمَعْ بِخَطْبِ الْأَوْلِيَانَا	قتل الملوك وتعذيبهم
84	النابعة الذبياني	هُمْ قَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا مِنْ سَرَائِنَا وَهُمْ حَبَسُوا الْأَمْلَاكَ بِالْمَحْبَسِ النَّسَائِسِ	
115	طرفة بن العبد	قَسَمْتُ الدَّهْرَ فِي زَمَنِ رَخِيٍّ كَذَلِكَ الْحُكْمُ يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ	ابتداع تقسيم الأيام سعداً ونحساً لإكرام الناس أو إعدامهم
121	حاتم الطائي	وَلَقَدْ بَعَى بِخِلَادٍ أَوْسٍ قَوْمَهُ ذُلًّا، وَقَدْ عَلِمَتْ بِذَلِكَ سِنِينُ	الغدر بالأمنين عبر العملاء
121	حاتم الطائي	يُسَائِلُنِي النُّعْمَانُ كَيْ بَسْتَرَلْنِي وَهِيَهَاتَ لِي أَنْ أُسْتَضَامَ فَأُصْرَعَا	إثارة الملك الفتن وتحريض الناس ضد بعضهم
83	الأعشى	كَفُّوا إِذْ أَنْتَى الْهَامِرُزُّ تَخْفِقُ فَوْقَهُ كَظَلِّ الْعُقَابِ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتِ	الاستبداد الدولي العابر للحدود
102	عبد المطلب	لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمَحَالُهُمْ عَدُوًّا مَحَالِكُ	
102	عبد المطلب	قُلْتُ وَالْأَسْرَمُ تَرْدِي خَيْلُهُ إِنَّ ذَا الْأَسْرَمِ غَرٌّ بِالْحَرَمِ	
103	نفيل بن حبيب الخثعمي	حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ عَايَنْتُ طَيْرًا وَخَفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا	
١٢٢، ١٩٧	يزيد بن الخدّاق الشّبي	تَحَلَّلَ أَبَيْتَ اللَّعْنِ مِنْ قَوْلِ آتِمٍ عَلَى مَا لَنَا لَيْفَسَمَنْ حُمُوسَا	التهديد بالغزو والقتل عند رفض أوامر الملك
122	عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي	وَمَا كَانَ عِنْدَ ابْنِ جَفَنَةَ فَاعْلَمُوا مِنَ الذَّنْبِ مَا أَلَى يَمِينًا عَلَى كَلْبِ	
179	امرأة من بني شيبان	بِاللَّهِ لَا نَالَ مَنْصُورٍ لِحَارَتِنَا وَكُلُّ جَيْشٍ يَجِينَا يَرْجِعُنْ فِرْقَا	

من الاستبداد الديني والفكري

99	شاعر جرهمي	يَا عَمْرُو لَا تَطْلِمَ بِمَكَّةَ إِنَّهَا بَلَدٌ حَرَامٌ	تغيير دين البلد قسراً
99	شاعر جرهمي	أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْبَتَنَ لَيْلَةً وَأَهْلِي مَعاً بِالْمَازِمِينَ خُلُوقُ	النفي عن الوطن بسبب تغيير الدين ومخالفة الحاكم
102	عبد المطلب	لَا يَغْلِبَنَّ صَالِبِيهِمْ وَمَحَالُهُمْ عَدُوًّا مَحَالِكُ	الحرب الدينية من الخارج
102	عبد المطلب	قُلْتُ وَالْأَسْرَمُ تَرْدِي خَيْلَهُ إِنَّ ذَا الْأَسْرَمِ غَرٌّ بِالْحَرَمِ	
103	نفيل بن حبيب الخثعمي	حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ عَايَنْتُ طَيْرًا وَخَفْتُ جَبَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا	
105	هبيرة بن أبي وهب المخزومي	وَعَاذِلِي هَبَّتْ بِأَيْلٍ تَلُومُنِي وَتَعْدُلُنِي بِاللَّيْلِ ضَلَّالُهَا	مفارقة الأزواج بعضهم عند تغيير أحدهما دينه
106	امرأة العباس بن مرداس	أَلَمْ يَنْهَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ أَنَّنِي رَأَيْتُ الْوَرَى مَخْصُوصَةً بِالْفَجَائِعِ	
107	سراقة بن عوف بن الأحوص العامري	لَعَمْرُ لَيْبِدٍ إِنَّهُ لِأَبْنُ أُمِّهِ وَلَكِنْ أَبُوهُ مَسَّهَ قَدَمُ الْعَهْدِ	تفريع من يغير دينه والتشنيع عليه
108	أبو أحمد الأسدي	أَبْلَغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنُ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ نَدَامَهُ	الاستيلاء على أموال من يغير دينه ويخالف الحاكم
130	عبد الله بن رواحة	حَافِئُكُمْ الْفُخْشَ وَالْخِيَانَةَ وَالِدِ يُخَلُّ جَمِيعاً وَاللُّؤْمَ وَالْكَذِبَا	تحريض اليهود الناس على بعضهم وخرقهم المعهود في السلب والنهب
111	عبيد بن الأبرص	وَاللَّهِ إِنْ مِتُّ مَا ضَرَّنِي وَإِنْ عِشْتُ مَا عِشْتُ فِي وَاحِدِهِ	إجبار الشاعر على مدح الملك المستبد
112	المتلمس	مَنْ مُبْلِغُ الشُّعْرَاءِ عَنَ أَحْوِيهِمْ خَبْرًا، فَتُصَدِّفُهُمْ بِذَاكَ الْأَنْفُسُ	قتل الشاعر بسبب هجاء الملك أو المنتفذين أو مخالفة أمرهم
116	طرفه بن العبد	هُمَا أورداني الموتَ عمداً وجرّداً على الموتِ خيلاً ما تملُّ مِنَ الرِّكْضِ	
117	حارثة بن قيس الكناني	أَدِّ الدَّنَانِيرَ إِنَّ الغَدَرَ مَنْقِصَةٌ وَإِنْ جَدَّكَ لَمْ يَغْدُرْ وَلَمْ يُطِقِ	
122	عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي	وَمَا كَانَ عِنْدَ ابْنِ جَفْنَةَ فَاعْغَمُوا مِنَ الذَّنْبِ مَا أَلَى يَمِيناً عَلَى كَلْبِ	مخالفة أمرهم
127	سالم بن دارة	أَتَلِّغُ فَرَارَةَ أَنِّي لَنْ أَصَالِحَهَا حَتَّى يَنْبِيكَ زُمَيْلٌ أَمْ دَيْبَارُ	
128	غضوب التميمية	بَنُو سُبَيْعِ زَمَعِ الكِلَابِ	نفي الشاعر بسبب هجاء
113	المتلمس	أَطْرَدْتَنِي حَذَرَ الهِجَاءِ وَلَا وَاللَّاتِ وَالْأَنْصَابِ لَا تَيْلُ	

114	المتلمس	أُمِّي شَامِيَةٌ إِذْ لَا عِرَاقَ لَنَا قَوْمًا نُوَدُّهُمْ إِذْ قَوْمُنَا شُوسُ	الملك
114	المتلمس	قَدْ طَالَ مَا أَحْبَبْتُهَا وَوَدِدْتُهَا لَوْ كَانَ يُعْنِي عَنْكَ طُولُ تَوَدُّدِ	
117	المرقش الأكبر	لَأَتَ هُنَا وَلِيَتَّبِعِي طَرْفَ الزَّجِ وَأَهْلِي بِالشَّمَامِ ذَاتِ الْقُرُونِ	
130	زينب بنت مالك	أَلَا أَيُّهَا الزَّرَّارِي عَلَيَّ بِأَنْتِي نِزَارِيَّةٌ أَبْكِي كَرِيمًا يَمَانِيَا	التضييق على الشاعر في المدح فلا يمدح من لا توافق القبيلة على مدحه
من الاستبداد الاجتماعي والاقتصادي			
125	الحارث بن ظالم	فَإِنْ تَكُ أَدْوَادُ أَصْبَنَ وَصَبِيَّةَ فَهَذَا ابْنُ سَلْمَى رَأْسُهُ مُتَفَاقِمٌ	
150	أبو ثمامة الضبي	رَدَدْتُ لِضَبَّةٍ أَمْوَاهَهَا وَكَادَتْ بِأَلَدِهِمْ تُسْتَلَبُ	
150	قيس بن الخطيم	رَدَّ الْخَلِيْطُ الْجَمَالَ فَانْقَضَبَا وَاقْطَعُوا مِنْ وَصَالِكِ السَّبِيَا	
156	مصاب الطائي	نَحْنُ أَحَدْنَا إِيْلَ الْحَسْحَاسِ	
156	عامر بن جوين الطائي	فَتَلَّوْا ثَمَانِيَةَ بِطْنَةٍ وَاحِدٍ تِلْكَ الْمُقَطَّرُ مِنْ أَسِرَّتَيْهَا الدَّمُ	
157	شاعر زبيدي	يَالِ قُصَيِّ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتَهُ بِبِطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفْرِ	
157	النابعة الذبياني	هُمَّ مَنَعُوا وَادِي الْفُرَى مِنْ عَدُوِّهِمْ بِجَمْعِ مُبِيرٍ لِلْعَدُوِّ الْمُكَاتِرِ	
158	عبد الله بن الحارث الخولاني	أَخِي بِأَخِيكُمْ إِنْ أَرَدْتُمْ سَلَامَةً وَإِلَّا فَجِدُّوْا، يُوقِدِ الْحَرْبِ مُوقِدُ	الاستيلاء على أموال الناس بالقوة وقتلهم للاستحواذ على أموالهم
162	عروة بن الورد	أَقْبِمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ رِكَابِكُمْ فَإِنْ مَنَايَا الْقَوْمِ خَيْرٌ مِنَ الْهَزْلِ	
163	عمرو بن برة الهمداني	تَقُولُ سَلْبِيْمِي لَا تَعْرَضْ لِنَلْفَةٍ وَأَلَيْكَ عَنِ لَيْلِ الصَّعَالِيكِ نَائِمٌ	
164	السليك بن السلكة	وَغَاشِيَةَ رَاحَتِ بَطَانَا دَعَرْتُهَا بِسُوطِ قَتِيلٍ وَسَطَهَا يَتَسَيِّفُ	
165	قيس بن الحدادية	فَرَعْنَا قَشِيرًا فِي الْمَحَلِّ عَشِيَّةَ فَلَمْ يَجِدُوا فِي وَاسِعِ الْأَرْضِ مَسْرَحًا	
166	السليك بن السلكة	أَتَنْظُرَانِ قَلِيلًا رَبِّتْ غَفْلَتَهُمْ أَمْ تَعْدُونَ فَإِنَّ الرِّيحَ لِلْغَادِي	
167	السليك بن السلكة	وَقُلْتُ لَهُ: خُذْ هَجْمَةَ حَمِيرِيَّةَ وَأَهْلًا، وَلَا يَبْعُدْ عَلَيْكَ شَرُوبُ	
195	طفيل الغنوي	عَدْرْنَا أَنْ تُعَاقِبَنَا بِذَنْبِ فَمَا بَالُ ابْنِ عَائِدِ الْمُصَابِ	
142	أم ثواب الهزانية	أَنْشَا يُمَزَّقُ أَثَوَابِي يُؤَدِّبُنِي أَبْعَدَ شَبِيْبِي عِنْدِي تَبْتَعِي الْأَدْبَا	عقوق الوالدين

143	أمية بن أبي الصلت	جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلَظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ	
144	الخطيبة	تَنَحَّى فَاجْلِسِي مِنِّي بَعِيداً أَرَاخَ اللهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ	
144	الخطيبة	وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي النَّسَاءِ فَسَوَّيْتِي وَأَبَا بَنِيكَ فَسَاءَنِي فِي الْمَجْلِسِ	
144	الخطيبة	تَمَنَيْتُ بَكْرًا أَنْ يَكُونُوا عَمَارَتِي وَقَوْمِي وَبَكْرٌ شَرُّ تِلْكَ الْقَبَائِلِ	
١٤٥ ١٨٦	طرفة بن العبد	مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةٍ فِيكُمْ صَعَرَ الْبُنُونَ وَرَهْطُ وَرْدَةٍ غَيْبُ	
146	الأسعر الجعفي	لَكِنْ قَعِيدَةٌ بَيْتِنَا مَجْفُوءَةٌ بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرَهَا وَلَهَا غَنَى	الاستبداد بالميراث أو الدية أو الغنيمة دون بقية المستحقين
148	العباس بن مرداس	أَكْلَيْبُ مَالِكَ كُلِّ يَوْمٍ ظَالِمًا وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونُ	
149	عمرو بن معدي كرب	أُرِيدُ جِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَنْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ	
167	عروة بن الورد	أَلَا إِنَّ أَصْحَابَ الْكَئِيفِ وَجَدْتُهُمْ كَمَا النَّاسُ لَمَّا أَحْصَبُوا وَتَمَوَّلُوا	
147	شاعر تميمي	هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَعْنَيْتُمْ وَأَمَنْتُمْ فَأَنَا الْبَعِيدُ الْأَجْرَبُ	التمييز بين الإخوة في العطاء
149	شاعر أسدي	فَمَا الرُّشْدُ فِي أَنْ تَشْتَرُوا بِنَعِيمِكُمْ بَبَيْسَاءٍ وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِالذِّمِّ	
151	المتلمس	وَلَوْ غَيْرُ أَحْوَالِي أَرَادُوا تَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَائِينِ مَيْسَمًا	
152	شاعر مجهول	أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَغْزِيَةً إِجْدَى يَدَيَّ أَصَابْتَنِي وَلَمْ تُرِدْ	تقاتل الإخوة والأقارب بسبب الاستبداد بالمال
152	رجل من بني عُقيل	وَنَبِيَّ حِينَ نَقَلْتُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقَلْتُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي	
153	شاعر فزاري	أَيَا لَهْفِي عَلَى مَنْ كُنْتُ أَدْعُو فَيَكْفِينِي وَسَاعِدُهُ الشَّدِيدُ	
153	معن بن أوس المزني	وَذِي رَجِمٍ قَلَمْتُ أَطْفَارَ ضِعْفِهِ لِجَلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ جُلْمٌ	
152	المتلمس	يُعَيِّرُنِي أُمِّي رَجَالًا، لَا أَرَى أَخَا كَرِمٍ إِلَّا أَنْ يَتَكْرَمَا	
172	عنتره العبسي	فَإِنْ تَكُ أُمِّي غُرَابِيَّةً مِنْ أِبْنَاءِ حَامٍ بِهَا عِبْتِي	إيذاء الآخرين وتعييرهم
173	حصين بن ضمضم	لَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ بَيْنَ صُفُوفِنَا مُتَكَّرًا أَكْرَهْتُ فِيهِ الْأَسْمَرَ	
186	عروة بن الورد	هُمَّ عَيَّرُونِي أَنْ أُمِّي غَرِيبَةٌ وَهَلْ فِي كَرِيمٍ مَا جِدَّ مَا يُعَيِّرُ	
155	مالك بن الحارث الهذلي	يَظُلُّ الْمُصْرَمُونَ لَهُمْ سُجُودًا وَإِنْ لَمْ يُسَقِ عِنْدَهُمْ ضِيَاحُ	احتقار الفقراء والمحتاجين

161	عروة بن الورد	قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنَيْفِ تَرَوُّوهَُا عَشِيَّةً بِنْتَا عِنْدَ مَاوَانَ رَزْحُ	
164	الأعلم الهذلي	زَعَمْتُ خَنَازِرَ بَانَ بُزْمَتْنَا تَعْلِي بِلْحَمِّ غَيْرِ ذِي شَحْمِ	
158	عمرو بن غنم الطائي (الصموت)	صَمَتٌ وَلَمْ أَكُنْ قَدَمًا عَيْبًا أَلَا إِنَّ الْعَرِيبَ هُوَ الصَّمُوتُ	استضعاف الغريب وإيذاء المستجير
159	حزن بن كهف التميمي	أَمِنْ مَالٍ جَارِي رُحْتُ تَحْتَرِشُ الْغَنَى وَتَدْفَعُ مِنْكَ الْفَقْرَ يَا ابْنَ مُحَلِّمِ	
159	حري بن ضمرة التميمي	وَعَمْرُو بْنُ عِمْرَانَ حَبَوْتُ بِهِجْمَةَ مَكَانَ قُلُوصِ رَازِحِ أَنْ أُعَيَّرَا	
160	مزرد بن ضرار الذبياني	تَأْوُهُ شَيْخٌ قَاعِدٍ وَعَجُوزُهُ حَرِيبِينَ بِالصَّلْعَاءِ ذَاتِ الْأَسَاوِدِ	
178	الحرقه بنت النعمان	لَا يَزْحَمُونَ يَتِيمَةً مَحْزُونَةً مَقْتُولَةَ الْأَبَاءِ نِضْوًا تُطْرَدُ	
168	قيس بن الحدادية	جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عَن خَلِيعٍ مُطْرَدٍ رَجَالًا حَمَوَهُ آلُ عَمْرُو بْنِ خَالِدِ	الخلع من القبيلة واستضعاف الخليع
169	قيس بن الحدادية	أَنَا الَّذِي تَخَلَعُهُ مَوَالِيهِ	
170	السليك بن السلكة	أَشَابَ الرَّأْسَ أَبِي كُلَّ يَوْمٍ أَرَى لِي خَالَةً وَسَطَ الرَّجَالِ	احتقار السود من العبيد والإماء وإذلالهم
171	السليك بن السلكة	هَزِنْتُ أَمَامَهُ أَنْ رَأَيْتُ بِي رِقَّةً وَقَمًا بِهِ فَقَمٌ وَجِلْدٌ أَسْوَدُ	
171	سحيم عبد بني الحساس	فَمَا ضَرَنْتَنِي أَنْ كَانَتْ أُمِّي وَلِيدَةً تَصُرُّ وَتَبْرِي بِاللَّفَاحِ التَّوَادِيَا	
172	عنتره العبسي	فَإِنْ تَكُ أُمِّي غُرَابِيَّةً مِنْ أَبْنَاءِ حَامٍ بِهَا عِبْتَنِي	
172	الشنفرى	لَقَدْ أَطَمَتُ كَفُّ الْفَتَاةِ هَجِينَهَا أَلَا بَتَّرَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا	
173	عنتره العبسي	الْمَالُ مَالُكُمْ وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مَصْرُوفُ	
174	عميرة بن جعل	تَوَثَّقُ مِنْ إِخَاءِ الْحُرِّ إِيَّيْ رَأَيْتُ الْعَبْدَ فِي الْحَالَاتِ عَبْدًا	
174	عميرة بن جعل	وَجَدَّاكُمَا عَبْدًا عُمَيْرِ بْنِ عَامِرِ وَأَمَاكُمَا مِنْ قَبِيئَةِ أَمْتَانَ	
174	عمرو بن قميئة	وَرَأَيْتُ الْإِمَاءَ كَالْجِعْثِ الْبَا لِي عُكُوفًا عَلَى فُرَارَةِ قِدْرِ	
175	زوجة أبي حمزة الضبي	مَا لِأَبِي حَمَزَةَ لَا يَأْتِينَا	كره البنات
177	ليلى بنت لكيز	فَأَنَا كَارِهَةٌ بُغِيَّتِكُمْ وَمَرِيرٌ الْمَوْتِ عِنْدِي قَدْ حَلَا	الإكراه في الزواج

١٦٥ ١٨٦	قيس بن الحدادية	وَأَنَا بِلَا مَهْرٍ سِوَى الْبَيْضِ وَالْقَنَا نُصِيبُ بِأَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ مَنْكَحًا	
177	النعمان بن المنذر	فَإِنْ أَتَ مَحْبُوبَ الْأَعَاجِمِ طَائِعًا تَكُنْ سُنَّةً فِي لَحْمِ تُبْكِي الْبَوَاكِيَا	
179	امراة من بني شيبان	مَنْ رَوَّجَ الْفُرسَ يَا مَثْبُولُ قَبْلَكُمْ مِنْ الْأَعَارِبِ - يَا مَخْذُولُ - أَوْ سَبَقَا ؟	
179	امراة من بني عامر بن صعصعة	هُمُ جَعَلُوهَا حَيْثُ لَيْسَتْ بِحُرَّةٍ وَهُمُ طَرَحُوهَا فِي الْأَقَاصِي الْأَبَاعِدِ	
181	أخت جذيمة الأبرش	أَنْتِ رَوَّجْتِنِي وَمَا كُنْتُ أُدْرِي وَأَتَانِي النِّسَاءُ لِلتَّزْيِينِ	
182	الخنساء	أَنْكُرْهُنِي - هُبَلْتِ - عَلَي دُرَيْدٍ وَقَدْ أَصْفَحْتُ سَيِّدَ آلِ بَدْرِ	
182	شاعرة مجهولة	أَيَا عَمْرُو كَمْ مِنْ مُهْرَةٍ عَرَبِيَّةٍ مِنْ النَّاسِ قَدْ بُلِيَتْ بِوَعْدِ يَقُودُهَا	
187	المطوح التغلبي	هُمُ أَنْكَحُوا بِالْعَصَبِ مِنْ فَنِيَاتِكُمْ جَهَارًا وَمِنْ سِرِّ الْمَجَاهِرَةِ الْعَصَبُ	
187	حاتم الطائي	وَمَا أَنْكَحُونَا طَائِعِينَ بَنَاتِهِمْ وَلَكِنْ خَطَبْنَاهَا بِأَسْيَافِنَا فَسَرَا	
180	أخت عمرو ذي الكلب	أَبْلُغْ هُدَيْلًا وَأَبْلُغْ مَنْ يُبْلِغُهَا عَنِّي رَسُولًا وَبَعْضُ الْقَوْلِ تَكْذِيبُ	القتل بسبب العشق والغزل
184	قراد بن حنيفة التميمي	تَمَنَّى حَاجِبٌ وَأُخُوهُ عَمْرُو لِقَائِي بِالْمَغِيبِ لِيَقْتُلَانِي	
181	شاعرة من تغلب	حَتَّى عَلَّنِي مِنْ لَيْدٍ لَطْمَةً سَدَرْتُ لِحَامِي حَرَّهَا الْعَيْنَانِ	ضرب المرأة وإهانتها وسلبها حقوقها
183	الأضبط بن قريع التميمي	أَلَمْ تَرَهَا بَانَتْ بِغَيْرِ وَصِيفَةٍ إِذَا مَا الْعَوَانِي صَاحَبَتْهَا الْوَصَائِفُ	
183	عمرو بن زيد الخولاني	أَنَّ الْعِدَا مِنْ آلِ حَيٍّ قَلَدُوا إِخْوَانَهُمْ عَارًا بِفِعْلِ يَابِسِ	خصي الرجال
184	قراد بن حنيفة التميمي	فَمَا أُجْرَمْتُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي ذُكِرْتُ حِيَالِ مُكْمَلَةِ حَصَانِ	عضل النساء - منعهن من الزواج
185	ابنة همام بن مرة بن ذهل الكبرى	أَيُرْجَرُ لَاهِينَا وَنُلْحَى عَلَى الصَّبَا وَمَا نَحْنُ وَالْفَتِيَانُ إِلَّا شَقَائِقُ	
185	ابنة همام بن مرة بن ذهل الوسطى	أَلَا أَيُّهَا الْفَتِيَانُ إِنَّ فِتَاتِكُمْ دَهَاهَا سَمَاعُ الْعَاشِقِينَ فَحَنَّتِ	
185	ابنة همام بن مرة بن ذهل الصغرى	أَمَا كَانَ فِي ثُنَيْنِ مَا يَزْعُ الْفَتَى وَيَعْقِلُ هَذَا الشَّيْخُ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ	
191	امراة من هذيل	أَلَا مَتَّ سُلَيْمٍ فِي السَّبْيَاقِ وَأَفْحَشَتْ وَأَفْرَطَ فِي السُّوقِ الْعَنِيفِ إِسَارُهَا	تعرية المرأة من لباسها وإذلالها
193	كليب	لَيْنَ رَعَتْ فِي الْبَلَدِ الْمَحْجُورِ	استبداد الحكام بالأموال
193	كليب	لَقَدْ حَمَيْتُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ	

194	النابعة الذبياني	لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أَقْرِ وَعَنْ تَرْبُعِهِمْ فِي كُلِّ أَصْفَارٍ	دون الرعية
195	شاعر من ربيعة	تُعْجِبُنِي أَسَدٌ ضَارِيَاتٌ وَيَأْكُلُ مِرْبَاعَهُنَّ الضَّبُعُ	
١٨٨٨ ١٩٦	زهير بن جناب	تُبَّأ لَتَغْلِبَ أَنْ تُسَاقَ نِسَاؤُهُمْ سَوَّقَ الْإِمَاءَ إِلَى الْمَوَاسِمِ عَطَلًا	
197	ليبيد عامل ملك اليمن في تغلب	إِنَّ فِي مَنَعِكَ الْإِتَاوَةَ حَرْبًا وَنَكَالًا يُشَيِّبَانِ الْوَلِيدَا	فرض الملوك والحكام الضرائب وأخذها بالقوة وقتل من يمنعها
197	جابر بن حني التغلبي	وَفِي كُلِّ أَسْوَاقِ الْعِرَاقِ إِتَاوَةٌ وَفِي كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسُ دِرْهَمٍ؟	
197	يزيد بن الخدّاق الشنّي	تَحَلَّلْ أَبَيْتَ اللَّعْنِ مِنْ قَوْلِ أَنِمْ عَلَى مَالِنَا لِيُقْسَمَنَّ خُمُوسَا	

* * *

ياسين عبد الله جمول

المعلومات الشخصية:		Personal Information
تاريخ الميلاد: 1982	الحالة الاجتماعية: متزوج - 5 أطفال	الجنسية: سوري - تركي
العنوان الحالي: هاطاي، تركيا	بريد إلكتروني: yaseen.jammol@gmail.com	جوال: +90 5538043701

التعليم:		Education
إجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة البعث بحمص	2004	
دبلوم دراسات أدبية من جامعة البعث بحمص	2005	
ماجستير في الأدب الجاهلي من جامعة دمشق	2011	

الدراسات والأبحاث:		Research and Studies
الدراسات:	٢٠١٣: أسجاع الكهان الجاهليين وأشعارهم جمع وتحقيق ودراسة - مركز أبو ظبي للسياحة والثقافة	
الأبحاث العلمية الحكّمة:	٢٠١١: سجع الكهان الجاهليين والغموض - مجلة جامعة دمشق	
	٢٠١٥: المرأة الكاهنة في الجاهلية زرقاء اليمامة أنموذجاً - جامعة إسطنبول / في مؤتمر (المرأة في الآداب الشرقية)	
	٢٠١٦: عبادة النذر في العصر الجاهلي - جامعة بينغول / في مؤتمر (العبادات عند العرب في الجاهلية)	
	٢٠١٧: الاستشهاد في اللغة العربية - مجلة جامعة ملطية	
	٢٠١٧: بشائر الكهان بالنبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية - مجلة جامعة بينغول	
	٢٠١٨: صور من الاستبداد الفكري في الأدب الجاهلي - مجلة جامعة ملطية	

الخبرات العملية:		Work Experience
تدريس أكاديمي:	٢٠٠٥ - ٢٠١١: معيد متفرغ في جامعة البعث بحمص، مع تدريس: لغة عربية لغبر المختصين - أدب جاهلي - نحو و صرف	
تحقيق وتدقيق لغوي:	٢٠٠٩ - ٢٠١١: كتاب جامع الصحيحين بحذف المعاد والطرق لابن الحداد - دار النوادر عدة كتب وشروح للسنة النبوية في عامي ٢٠١٠ - ٢٠١١ في دار النوادر بدمشق. عدة رسائل جامعية.	
أعمال إدارية:	٢٠١١ - ٢٠١٣: إدارة فريق للعمل الإنساني في القصير - حمص ٢٠١٣ - ٢٠١٧: مشرف تنفيذي في مدرسة آفاق للأطفال السوريين في الریحانية ٢٠١٦ - ٢٠١٨: إدارة مشروع تعليمي في مؤسسة عيد القطرية بالتعاون مع منظمة IHH ٢٠١٧ - ٢٠١٨: إدارة منظمة لتعليم الأطفال السوريين في سوريا وتركيا	

Yssin jamoul

Kişisel bilgiler:		
Doğum tarihi: 1982	Uyruğu: Suriye – Türkiye	Medeni hali : Evli – 5 çocuk
İkamet adresi: Hatay/Türkiye	Telefon: +905538043701	Elektronik adres: yaseen.jammol@gmail.com

Eğitimi :	
2004	Arap dili ve edebiyatı lisansı – baath üniversitesi - Humus
2005	Edebiyat araştırmaları yükseklisansı – baath üniversites - Humus
2011	Cahiliye dönemi edebiyatı alanında master – Damascus üniversitesi

Bilimsel araştırmalar:	
Araştırmalar	2013: cahiliye dönemi kahinlerinin seci ve şiirleri – derleme, tahkik ve araştırma – Abu dabi turizm ve kültür merkezi
Tahkimli bilimsel araştırmalar	2011: cahiliye dönemi kahinlerinin seci ve kapalık – Damascus üniversitesi bilimsel dergisi
	2015: örnek olarak cahiliye döneminde kahin kadın olan zarka elyamame – İstanbul üniversitesi – doğu edebiyatı kadın konferansı
	2016: cahiliye döneminde adak ibadeti – Bingöl üniversitesi – cahiliye dönemi Araplarında ibadetler konferansı
	2017: Arap dilinde şahitlik – Malatya üniversitesi bilimsel dergisi
	2017: cahiliye dönemi kâhinlerinin peygamber (s.a.v) hakkındaki müjdeleri – Bingöl üniversitesi bilimsel dergisi
	2018: cahiliye dönemi edebiyatında düşünce baskısı – Malatya üniversitesi bilimsel dergisi

Bilimsel deneyimler	
Akademik öğretmenlik	2005 – 2011: öğretim görevlisi – baath üniversitesi / Humus buna ek olarak: bilmeyenlere Arapça dersi – cahiliye edebiyatı – nahiv ve sarf dersleri öğretmenliği
Dilsel tahkik ve tetkik	2009 – 2011 : camü-l sahiheyn bihazf almuad val turuk kitabı – Ibnü-l haddad – Dar elnavadir –2010 – 2011 yıllarında şam'da, Dar elnavadir'de nebevi sünnet alanında bir çok kitap ve şerhler – bir çok üniversite makaleleri
İdari işler	2011 – 2013 : Humus ili Elkusayr bölgesinde insani yardım alanında ekip yöneticisi
	2013 – 2017 : Reyhanlı ilçesinde AFAK Suriyeli çocuklar okulunda uygulama projesi koordinatörü
	2016 – 2018 : İHH Derneği ile birlikte EİD katar kuruluşunda eğitim projesi yöneticiliği
	2017 – 2018 : Suriye ve Türkiye içerisinde suriye'li çocuklara öğretmek için bir kurul yönetim başkanı

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ